أول موسوعة في غريب البلاغة القرآنية

من غريب

بلاغة القرآن الكريم

في سورتي الفاتحة والبقرة

١٦٣١ سؤال وجواب

الدكتور عادل أحمد صابر الرويني

دار عباد الرحمن

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

دار عباد الرحمن
ج.م.ع. القاهرة
جسر السويس - شارع العشرين
ت/ ٠١١٨٢٩٨٢٩٤٠

دار ابن حزم
بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

من غريب

بلاغة القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح الغالية أمي -رحمها الله- نعم المربية الصابرة المحتسبة، مُحبة العلم والعلماء، تلك الأم الحانية التي غرست في أولادها حب العلم والصبر على طلبه، فهذا ولدك يا أماه يحقق لك أحلامك فيه، وها هو ذا يواصل شق طريق العلم بصبر وإصرار وعزيمة تعلمها منك يا أغلى الناس.

ابنك عادل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الكائنات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم إني أعوذ بك من الزيغ والضلال وأعوذ بك من زلة القلم... وبعد،

فهذا هو الكتاب الخامس من سلسلة «البلاغة القرآنية»، وقد سميت الكتاب بـ«من غريب البلاغة في القرآن الكريم»؛ لأن كثيرًا من الأسئلة المطروحة بإجاباتها كانت بلاغية وبعيدًا ورودها عن ذهن القارئ وتفكيره في كثير من الأحيان ولارتباطها بالقرآن الكريم كانت التسمية، وقد ابتدأت من سورة الفاتحة حتى نهاية سورة البقرة. وقد اعتمدت على طريقة السؤال والجواب، وأعتزم - بعون الله تعالى- مواصلة المسيرة – إن شاء الله – على المنهج نفسه في أجزاء أخرى.

والكتاب جديد في منهجه، وإن كانت له بذور في بعض كتب قدامى المفسرين وعلى رأسهم الزمخشري في كشافه، ومسائل الرازي وأجوبتها لأبي بكر الرازي، وإن كانت أسئلة الرازي وأجوبته شملت القرآن كاملاً وكان الكثير منها غير بلاغي بجانب أن عددها تجاوز الألف، أما كتابنا فاشتمل على «١٦٣١» سؤالاً وجوابًا، والعدد في ذاته ليس هدفي بقدر ما يعينني الله تعالى على استكشاف ما في الآية القرآنية من إعجاز بلاغي والله المستعان. ولعل تلك البذور الراسخة المتأصلة كانت دافعًا لي لإخراج كتابي في تلك الصورة، ومن الدوافع أيضا لذلك أننا في عصر قل فيه الإقبال على القراءة والصبر على المطالعة حتى من كثير من المثقفين – للأسف الشديد – ولأن من

البلاغة مراعاة مقتضى الأحوال كان من المناسب أن أخرج الكتاب على هيئة سؤال وجواب، وفي ذلك إثارة لفكر القارئ وإيقاظ لذهنه وتنبيه وتشويق لمعرفة بعض الأسرار البلاغية من خلال طرح الأسئلة والإجابات عنها. وفي هذا أيضا سرعة الوصول إلى السر البلاغي من خلال الجواب المباشر وفيه أيضا اختصار لوقت القارئ وجهده، وهذا المنهج في الدراسة لا يغني أبدًا عن طريقة السرد التقليدية، وتضمن هذا الكتاب رداً على بعض أعداء الدين الذين يظهرون على الفضائيات ويحاولون تشكيك المسلمين في عقيدتهم وفي قرآنهم بزعم اشتماله على كثير من المتناقضات والإشكالات فذكرت تلك المزاعم من خلال بعض الأسئلة وأجبت عنها.

ولعل كتابنا هذا يعتبر فريدًا في بابه؛ حيث إنه أول كتاب يصوغ أسئلة بلاغية ويضع إجابات عنها في سورة واحدة. أما عن كيفية تناولي للآيات القرآنية فقد كنت أقف أمام الآية القرآنية متأملاً متدبرًا، وأنعم النظر فيها عملاً بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وهدفي أن يكون هذا ديدن المسلم عند قراءته للقرآن الكريم وأحسب أن الطريقة المثلى للوصول إلى ذلك هي مساءلة سياق الآية الكريمة ومقامها والوقوف أمام مفرداتها وجملها بل وحروفها.

ولكن على الرغم من ذلك فقد تبدو بعض الأسئلة غير بلاغية أو سطحية، ولكنها كانت ضرورية لكونها تمهيدًا أو مدخلاً لأسئلة أخرى أكثر عمقًا وتخصصًا؛ لذا لا تعجب إن وجدت أسئلة عن وجه ارتباط آية قرآنية بآية أخرى سابقة أو لاحقة وأسئلة عن تنوع القراءات ووجه بلاغتها وأسئلة عن تفسير كلمة أو جملة.

وقد صدرت الصفحة بعدة آيات قرآنية ثم أتبعتها بمجموعة من الأسئلة البلاغية بإجابتها، وهكذا حتى نهاية سورة البقرة، وجاءت معظم الأجوبة مباشرة إلا أن بعضها

لم يخل من الاستطرادات التي فرضها المقام أو السياق، وقد راعيت أن تكون أسئلتنا وأجوبتنا مرضية لفكر القارئ المتخصص وشغفه، ولكنها في الوقت نفسه صيغت بأسلوب سلس ليسهل على القارئ غير المتخصص استيعابها، ومن أجل هذا القارئ أردفت كتابي بملحق لأهم المصطلحات البلاغية التي وردت في الكتاب.

ولقد كنت أمينا في نسبة الإجابات إلى أصحابها، كما وافقت في مواضع كثيرة آراء المفسرين معللا لموافقتي، كما تفردت باجتهادي وخالفتهم في مواضع أخرى مدعمًا اجتهادي بالدليل.

إن ما شجعني على إخراج كتابنا على النحو المذكور ما لمسناه – بفضل الله تعالى – من قبول وثناء وتشجيع من كثير من الإخوة الزملاء وأهل التخصص وغيرهم ممن أطلعناهم على بعض النماذج التي كتبناها، وإني لأرجو أن يسد كتابي هذا حاجة المكتبة القرآنية البلاغية إلى أمثال هذا الكتاب، وحسبي أنني فتحت هذا الباب للباحثين، والله من وراء القصد.

وأخيرا أتوجه بخالص الحب والتقدير لأولادي الكرام البررة «فاطمة، وأحمد، والشيماء، وعبد الرحمن» الذين كان لهم دور بارز في إخراج هذا الكتاب إلى النور وذلك بمساعدتهم لي في كتابته على الحاسوب، وتضحيتهم براحتهم وأوقاتهم دون ضجر وبحب وإخلاص، فالله أدعو أن يبارك فيهم وأن ينفعهم بما أكتب، وأن يجعلهم من أهل القرآن وخاصته، ومن العلماء العاملين.

كما أتقدم بأسمى آيات العرفان والتقدير إلى رفيقة الدرب وشريكتي في رحلة الكفاح ومعترك الحياة إلى زوجتي التي ضحت كثيرًا من أجلي، والتي وفرت لي المناخ الملائم للإنتاج العلمي، وكانت لملحوظاتها السديدة وآرائها النقدية الثاقبة والدقيقة أثر

كبير في تجويد هذا البحث وغيره مما كتبناه، أسأل الله أن يبارك فيها وأن يهدينا وإياها إلى سواء السبيل، وإني لأدعو الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل وأن ينفع به المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. عادل أحمد صابر الرويني

تم بحمد الله في يوم الجمعة

الموافق **٦** من ربيع الثاني **١٤٣٢هـ**

١١ من مارس **٢٠١١**م

خورفكان – الشارقة – الإمارات

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]

السؤال١: لماذا بدء بلفظ الجلالة، وثني بلفظ الرحمن، وختم بلفظ الرحيم في البسملة؟

الجواب: لأن لفظ الجلالة اسم خاص بالله تعالى لا يسمى به غيره لا مفردًا ولا مضافًا فقدمه، و﴿الرَّحِيمِ﴾ يوصف به غيره مفردًا ومضافًا فأخره، و﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ يوصف به غيره -سبحانه- مضافًا ولا يوصف به مفردًا إلا الله تعالى فوسطه(١).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

السؤال٢: ما الفرق بين الحمد، والمدح، والشكر؟

الجواب: الحمد: الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها باللسان وحده.

والمدح: الثناء على الصفات الذاتية والشخصية الطيبة.

والشكر: الثناء على النعمة خاصة، وهو بالقلب واللسان والجوارح(٢).

---

(١) من غرائب آي التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازي (ص ١٠)، مراجعة نجيب ماجدي – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.

(٢) الكشاف (١/ ٤٦).

السؤال٣: لماذا أوثر لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على غيره من ألفاظ الثناء والمدح والشكر؟

الجواب: أوثر لفظ «الحمد» على غيره من ألفاظ الثناء كالمدح والشكر والتسبيح، لأنه إجمالًا أعم هذه الألفاظ وأشملها وأجمعها دلالة على الثناء، بيان ذلك تفصيلاً: أن الحمد إظهار لصفات الكمال ويشترط صدوره عن علم لا ظن، وأن تكون الصفات المحمودة صفات كمال، والمدح قد يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وإن كان فيها نقص، والحمد فيه من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح، وهو أكثر إطلاقًا على الله تعالى.

والحمد إخبار عن محاسن المحمود مصحوبًا بالمحبة والإجلال، والمدح إخبار عن المحاسن ولا يشترط فيه أن يكون مع المحبة والإجلال[1].

والحمد مأمور به في كل الأحوال في السراء والضراء، والفقر والغنى، والصحة والسقم... إلخ، والمدح ليس كذلك كما يدل عليه قوله ﷺ: **«أحثوا في وجوه المداحين التراب»**.

ولم يقل: الشكر لله، لأنه لو قيل ذلك لكان فيه دلالة على أن الثناء بسبب إنعام وصل منه سبحانه إلى ذلك القائل، والحمد لله ليس كذلك لأنه لا يشترط وصول الإنعام.

كما أن الشكر يكون على الإعطاء وهو متناه وله حدّ، والحمد يكون على المنع وهو غير متناه، ولم يأت بلفظ التسبيح في ذلك المقام مع أنه مقدم على التحميد، لأن التسبيح متضمن في التحميد من دون العكس، فكل تسبيح حمد، وليس كل حمد تسبيح، لأن التسبيح تنزيه لله تعالى في ذاته وصفاته عن النقائص، والحمد يشير إلى كونه سبحانه محسنًا إلى عباده، ولا يكون محسنًا إلا إذا كان عالمًا قادرًا غنيًا ليعلم مواقع الحاجات

(١) لذا كان الحمد إخبارًا يتضمن إنشاء والمدح خبرا محضًا، روح المعاني (١/ ١١٩) – طبعة دار الفكر – القاهرة، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

فيقدر على تحصيل ما يحتاجون إليه، ولا تشغله حاجة نفسه عن حاجة غيره [١].

الخلاصة إذن: أن الحمد، كما رأيت من خلال التفصيل، أشهر أنواع الثناء وأكملها وأجمعها وأشملها، والله أعلم بمراده.

السؤال٤: لماذا قدّم الحمد في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على اسمه العَلَم سبحانه وهو لفظ الجلالة؟ أفلم يكن من الأولى أن يقدّم اسم الله تعالى ليقع الاهتمام عليه بدلًا من وقوعه على الحمد لتقدمه؟

الجواب: قُدّم الحمد في الفاتحة، وأخر لفظ الجلالة، لمناسبته للمقام، لأن المقام في السورة مقام الحمد، إذ هو ابتدأ أولى النعم بالحمد وهي نعمة تنزيل الكتاب الذي فيه نجاح الدارين، فتلك المنة من أكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال، فكان المقام مقام الحمد لا محالة، فلذلك قدم وأزيل عنه ما يؤذن بتأخره لمنافاته الاهتمام [٢].

السؤال ٥: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ مرفوع بالابتداء، ولكن أصله النصب وضح ذلك.

الجواب: أصل الحمد النصب على المفعولية المطلقة، فهو بدل من فعله، والأصل: نحمد حمدًا لله، والحمد من المصادر التي تحذف معها أفعالها، ومثله: سقيًا ورعيًا وبؤسًا.

السؤال ٦: لماذا عدل عن الأصل في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ وهو النصب إلى الرفع ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾؟

الجواب: أولًا: نشير إلى تقدير الأصل المنصوب وهو: نحمد حمدًا لله. فالمصدر «الحمد» في هذا الأصل منصوب بفعل مقدر كما ترى، فهو منصوب على أنه مفعول

---

(١) روح المعاني (١ / ١٢١).

(٢) التحرير والتنوير (١/١٥٨، ١٥٩).

مطلق لفعل محذوف.

أما عن إجابة السؤال فإننا نقول: إن علة العدول عن الأصل وهو النصب إلى الرفع «الحمدُ» إنما كان لعدة لطائف بديعة لا تتحقق مع بقاء المصدر منصوبًا، بيان ذلك: أن في الرفع «الحمدُ» دلالة على دوام الحمد وثبوته واستقراره، وذلك ما يستفاد من اسمية الجملة في حالة رفع المصدر «الحمد».

قال صاحب الكشاف: «إن العدول عن النصب إلى الرفع؛ للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ [الذاريات: ٢٥]، رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم»[(١)].

ولو بقي المصدر منصوبًا، حيث إن النصب ينادي على الفعل المقدر، والمقدر كالملفوظ، فلا تكون الجملة حينئذ اسمية؛ إذ الاسم فيها نائب عن الفعل فلا يفيد الدوام المقصود إثباته.

واللطيفة الثانية في العدول عن الأصل وهو النصب هي: الدلالة على عموم المحامد المستفاد من أل الجنسية، وهذا يتناسب مع العموم المستفاد من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

ولو بقي المصدر «الحمد» منصوبًا لانتفى هذا العموم، بيان هذا أنك لو قدرت الفعل بهمزة المتكلم «أحمد» فلا يشمل إلا حمد المتكلم، دون تحميدات جميع الناس، وإن قدرت الفعل بنون الجمع «نحمد» فإنه يعم محامد المؤمنين أو الموحدين كلهم، ولا يشمل حمد أهل الكتاب لله تعالى، وحمد العرب إياه - سبحانه وتعالى - في الجاهلية بدليل قول أمية بن أبي الصلت:

الحمد لله حمدًا لانقطاع له ... فليس إحسانه عنا بمقطوع

(١) الكشاف (١/ ٤٧).

أما إذا صار الحمد مقطوعًا عن فعل وغير دال عليه – وهذا ما يفيد رفع المصدر – فإن المعنى حينئذ: الإخبار عن جنس الحمد بأنه ثابت ومستقر لله تعالى فيشمل كل حمد ويعمه. واللطيفة الثالثة في رفع الحمد هي: الدلالة على الاهتمام والتنويه بشأن الحمد المستفادين من رفع المصدر «الحمد»؛ إذ إنه لا يصح مع بقاء المصدر منصوبًا على الأصل وتقدير الفعل اعتبار التقديم فلا يحصل الاهتمام، والله أعلم(١).

السؤال٧: ما نوع «أل» في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾؟

الجواب: أل في «الحمد» للجنس، للدلالة على اختصاص جنس الحمد به سبحانه وتعالى، وهذا الاختصاص أي القصر ادعائي للمبالغة، وكأنه لا يعتد بأي حمد لغيره تعالى، فلا حمد في كماله وشموله وجلاله ولا استحقاقه إلا لله تعالى.

السؤال٨: كيف وصف الله -سبحانه- بصفة من صفات الحوادث -وهي الرحمة- التي يتصف بها العباد، فالرحمة رقة في القلب وفيها معنى العطف والحنو، والله سبحانه وتعالى لا يتصف بذلك؟

الجواب: المراد غاية الرحمة وثمرتها من الإنعام على العباد، والنفع ودفع الضر والرزق وغفران الذنوب وحفظ الله لعباده إلى آخره والخلاصة أن الوصف بالرحمة في جانب الله تعالى مجاز عن إنعامه الكامل سبحانه على عباده.

السؤال٩: لماذا قُدم وصف الرحمن على الرحيم في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ خلافًا لعادة العرب في صفات المدح في الترقي من الأدنى إلى الأعلى؟

والجواب: يستحسن أولًا أن نبيّن معنى كل من الوصفين، فالرحمة في الرحمن عامة

---

(١) يراجع التحرير والتنوير (١/١٥٦-١٥٨).

تشمل المؤمن وغير المؤمن، البار والفاجر، أما الرحمة في الرحيم فهي خاصة بالمؤمنين، «فمعنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها التي يقصر عنها كل من سواه، والعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم لا يزيد في رزق التقي بتقواه، ولا ينقص من رزق الفاجر بفجوره. والرحيم: هو الرفيق للمؤمنين خاصة يستر عليهم ذنوبهم في العاجل، ويرحمهم في الآجل»[١].

ونعود للإجابة عن التساؤل فنقول:

أولًا: لا يوجد إجماع على أن وصف الرحمن أبلغ من وصف الرحيم، بل هناك من يرى أن الرحيم أبلغ من الرحمن[٢]، وعليه فلا يرد السؤال، لانتفاء الترقي.

ثانيًا: قيل: إنهما بمعنى واحد كنديم وندمان، قاله الجوهري.

ثالثًا: إن كلا الوصفين يدل على كمال رحمة الله تعالى، وأن جهة المبالغة فيهما مختلفة، لذلك جمع بينهما، «فمبالغة فعلان من حيث الامتلاء والغلبة» ومبالغة فعيل من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة[٣].

كما أن وصفه سبحانه وتعالى بالوصفين الرحمن والرحيم يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها[٤].

---

(١) الكليات لأبي البقاء (٢/ ٣٧٠)، تحقيق د/عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) انظر البحر المحيط (١/ ٧) لأبي حيان الأندلسي تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، وروح المعاني (١/ ١١٩٩) للسيد محمود الألوسي -دار الفكر العربي بيروت- لبنان- الطبعة الأولى١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٣) البحر المحيط (١/ ٧).

(٤) في ظلال القرآن (١/ ٢١) - الأستاذ سيد قطب - دار الشروق، الطبعة التاسعة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

رابعًا: أن ترادف الصفتين إنما هو من باب التتميم، لأنه سبحان لما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ تناول جلائل النعم وعظائمها دون لطائفها ودقائقها، وأردف بالرحيم كالتتمة تنبيها على أن كل صنوف النعم منه سبحانه وتعالى، وأن عنايته شاملة لذوات الوجود كيلا يُتوهم أن دقائق النعم «أي محقرات الأمور» لا تليق بذاته فلا تطلب منه[1].

خامسًا: أن المراد من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الكثير الرحمة، وهذا ما دلت عليه المبالغة في الوصف «فعلان»، والمراد من الرحيم الدائم الرحمة، وهذا مدلول الصفة المشبهة «فعيل» الدالة على الدوام، لذا فإن في الجمع بين الوصفين إشارة إلى تكاملهما وتتميمهما للمعنى.

سادسًا: قيل: الرحمن أمدح، والرحيم ألطف.

تلك بعض وجوه الإجابة عن السؤال السابق، وإليك بعض الفوائد:

أن الألف واللام في ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ للغلبة، وأن الوصف إذا جاء مقترنًا بأل فلا يطلق إلا على الله تعالى، فالرحمن وصف للذات العلية أو اسم له كلفظ الجلالة، وفيه إشعار بالألوهية، واستحقاق العبادة.

أما وصف ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فهو وصف لله تعالى يتعلق برحمته بالعباد المكلفين المخاطبين بشريعته، ولذلك يقترن كثيرًا بالتوبة والمغفرة.

وجاء وَصف ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ منفردًا في ستين موضعًا في كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم: ٨٥]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢].

---

(١) انظر حاشية ابن المنير على الكشاف (١/ ٥).

وذكر وصف ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ منفردًا عن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ في أكثر من مائة وثلاثين آية، ويلحظ أنها جاءت مضافة إلى رحمته سبحانه وتعالى بالعباد نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحج: ٦٥].

وجاء الوصفان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مجتمعين في البسملة، كما اجتمعا في آية سورة النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

وفي قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

السؤال ١٠: لماذا وصف سبحانه وتعالى نفسه بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بعد قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟

الجواب: ليكون من باب قرن الترغيب بالترهيب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فالرب فيه ترهيب، والرحمن الرحيم ترغيب(١)، وفي وصفه سبحانه بالوصفين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ استغراق لكل معاني الرحمة وأحوالها، والله أعلم(٢).

السؤال١١: ما سر ترتيب الصفات في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ...﴾؟

الجواب: جاء الترتيب القرآني في غاية الفصاحة والتناسق، لأن صفة الربوبية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٥).
(٢) في ظلال القرآن (١/ ٢١).

يناسبها ملكه يوم القيامة ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وصفة الرحمة تلازمها صفة العبادة.

وفي وصفه، سبحانه وتعالى، بأنه رب العالمين، ثم التعقيب بوصفه بـ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، دلالة على عظم رحمته سبحانه وشمولها، ثم وصفه بأنه ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ إشارة إلى مطلق قيومته وتصرفه في مخلوقاته يوم القيامة. ولعلك تلحظ الارتقاء في الوصف، فالوصف بـ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أعظم مما قبله للسبب الذي ذكرناه، والله أعلم.

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]

السؤال١٢: ما فائدة الإضافة وتخصيصها في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ والله تعالى مالك الأزمنة كلها والأمكنة؟

الجواب: للتنبيه على هول يوم القيامة بما يقع فيه من أحداث جسام، وأهوال عظام يشيب منها الولدان، وتضع فيه كل ﴿ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾، أو للإشارة إلى الملك المطلق لله تعالى في ذلكم اليوم، لأنه يوم يرجع فيه إلى الله تعالى جميع ما ملكه لعباده في الدنيا، ويزول فيه ملك كل ملك، كما قال سبحانه: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]

السؤال ١٣: ما سر تقديم الضمير المنفصل «إيا» على الفعلين في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾؟

الجواب: للدلالة على اختصاصه سبحانه وتعالى بالعبادة والاستعانة وقصرهما عليه سبحانه، يؤيده حديث الرسول ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله...**».

وفي هذا دلالة على كمال التوحيد والإذعان والخضوع لله تعالى. والقصر في الآية بالتقديم، أي تقديم الضمير المنفصل على الفعل، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف.

السؤال١٤: لماذا عدل الكلام من الغيبة في قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى الخطاب في قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حيث كان مقتضى الظاهر أن يقال: إياه نعبد وإياه نستعين؟

والجواب: سر العدول هو أن الحمد دون العبادة فإننا نقول: نحمد فيه هذا الأمر، ولا نقول: نعبده، فلما كان الأمر كذلك استعمل لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ مع الغيبة فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولم يقل: الحمد لك، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تصريحًا بها، وإعلانًا وتقربًا منه سبحانه ولتعظيم شأنه تعالى، والله أعلم بمراده.

السؤال١٥: لماذا قدمت العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الرغم من أن الاستعانة مُقَدمة، فالعبد يستعين بالله أولًا قبل الشروع في العبادة فيعينه الله عليها؟

والجواب من وجهين:

الأول: أن المراد بهذه العبادة التوحيد، كما قال عكرمة: «جميع ما ذكر في القرآن من العبادة فالمراد به التوحيد»(١)، والتوحيد مقدم بدهيًا على الاستعانة على أداء سائر العبادات، فإن من لم يكن مُوَحدًا لا يطلب الإعانة على أداء العبادات(٢).

الثاني: أن الواو لا تدل على الترتيب.

---

(١) الكليات لأبي البقاء (٣/ ١٨٢).

(٢) انظر من غرائب آي التنزيل (ص ١٠).

السؤال١٦: ما فائدة دخول «لا» في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. ولو قيل: «غير المغضوب عليهم والضالين» لكان كافيًا في الدلالة على المراد؟

الجواب: الغرض من ذِكْر «لا» في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ إنما هو لتأكيد النفي الذي دل عليه لفظ «غير»، والله أعلم.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

السؤال١٧: ما وجه طلب الهداية إلى الطريق المستقيم، أي إلى الإسلام للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وهم مهتدون إلى ذلك؟

الجواب: المقصود الثبات على طريق الهداية، الإسلام، والمعنى: ثبّتنا وأدمنا على الإسلام، خوفًا من سوء الخاتمة. أو معناه: طلب زيادة الهدى بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

السؤال ١٨: لماذا تعدى الفعل «هدى» إلى مفعوله الثاني بنفسه في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؟

الجواب: جاء هذا الفعل معدى بـ«إلى» في قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وباللام في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. ولكل تعدية سرها نكشف عنه في موضعه إن شاء الله.

أما عن سر تعدية الفعل «هدى» بنفسه في آية الفاتحة؛ فلتضمن الهداية معنى الاختيار، والمعنى: اهدنا مختارًا لنا في هدايتك الطريق المستقيم.

و«اختار» يتعدى بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٥](١).

السؤال١٩: ما علة العدول عن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ؟

الجواب: بلاغة الالتفات هنا بالإسناد إلى ضمير المتكلم في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ عند الحديث عن المنعم عليهم تشريفًا لهم، ولقدر النعمة عليهم، ولقدر الصراط الذين هُدوا إليه، لذا طال الحديث عنهم. وعدل عن الخطاب إلى الغيبة عند ذكر المغضوب عليهم وذلك حط من شأنهم، وتحقيرًا لهم، وتنفيرًا منهم، كما يتضح من إيجاز الموصول الحرفي «ال» في «المغضوب» وصلته، والاكتفاء بنائب الفاعل عنه، وهو الضمير المستتر في المغضوب بدلًا من «الذين غضبت عليهم»، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٠: ما سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، حيث كان الكلام عن الغيبة بذكر مقام الربوبية وأسماء الله تعالى وصفاته وبعد ذلك الكلام إلى الخطاب في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؟

الجواب: أن الأوصاف للذات العلية المذكورة الغيبة توجب على العبد اليقين في استحقاقه سبحانه وتعالى للربوبية المطلقة، ولافتقار جميع خلقه إليه، وكأن العبد لما

(١) زهرة التفاسير (١/ ٤٥).

تيقن من ذلك ارتقى من رتبة البرهان، إلى منزلة العيان، وينتقل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ويرتقي إلى مقام مخاطبة الله تعالى يناجي ربه مع قوافل عباده المؤمنين الموحدين راجين في تبتل وخضوع وخشوع الثبات والدوام على طريق الهداية والإسلام، والله أعلم بمراده[١].

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/١٣)، وزهرة التفاسير (١/٤٦).

سُورَةُ البَقَرَةِ

قال سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ١-٤]

السؤال٢١: ما المقصود بحروف الهجاء ﴿الٓمٓ﴾ في صدر سورة البقرة؟

الجواب: معناها أن هذا القرآن المُنَزل على محمد ﷺ من جنس حروف كلام العرب الذين بلغوا الغاية في الفصاحة والبلاغة والبيان، ومع ذلك فإنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من مثل ذلك الكتاب المبين؛ لأنه كلام رب العالمين.

فالغرض تبكيت المشركين لعجزهم عن الإتيان ولو بأقل سورة من القرآن الكريم، ودفعهم إلى إعادة النظر والتأمل في ذلك الكتاب(١).

السؤال٢٢: لماذا أشير إلى الكتاب أي القرآن الكريم بأداة الإشارة للبعيد؟

الجواب: للإشارة إلى بُعد منزلته، وعلو مرتبته؛ لأنه كلام رب العالمين.

السؤال٢٣: ما دلالة التعريف بأل في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ ؟

الجواب: التعريف في ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ للجنس، وجملة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أفادت القصر لتعريف الطرفين اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ فالقصر ادعائي وعليه يكون ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ثان، و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ خبره، والجملة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ خبر المبتدأ الأول، والله أعلم بمراده.

ومعنى القصر: أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل وكأن ما عداه من الكتب لا

---

(١) راجع التحرير والتنوير (١/٢١٢) - للطاهر ابن عاشور - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.

يُعتد بها لعدم كمالها وأن هذا الكتاب القرآن الكريم هو المستحق دون سواه أن يسمى كتابًا لإعجازه وكماله، كما تقول: هو العَالِم، أي هو الجامع لصفات العلماء وجميل خصالهم، وكأنك لا ترى غيره يستحق أن ينال هذا اللقب، وهذا معنى القصر الادعائي القائم على المبالغة، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٤: كيف قيل: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ على سبيل الاستغراق -العموم- وقد ارتاب فيه كثير من الضالين والمشركين بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ؟

الجواب: أنه نُزِّل ارتياب هؤلاء الضالين المنكرين المعارضين منزلة العدم وعدم الاعتداد به، وكأنه لم يوجد أصلاً، لكونه مما لا ينبغي أن يكون لوجود ما يدل على نقضه ونفيه، لأن في دلائل كمال الكتاب المبين وإعجازه ما لو تأملوه لزال ريبهم، هذا توجيه. ويمكن أن يكون المعنى: أنه ليس في القرآن الكريم ما يوجب الريبة في أنه من عند الله تعالى، فلا يوجد في القرآن كلام يناقض بعضه بعضًا، أو يخالف الحقيقة.

وتأويل المعنى على هذا الوجه فيه تعريض بكتب أهل الكتاب التي تعرضت للتحريف والتبديل على أيدي هؤلاء، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٥: لماذا لم يتكفل الله تعالى بحفظ كتبه السماوية من التحريف والتبديل كما تكفل بحفظ القرآن الكريم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؟

الجواب: لأن هذه الكتب أدت غرضها من الهداية والإرشاد والتشريع في زمانها، وهذا كان المقصود من إنزالها، أما القرآن فإنه كتاب خالد إلى يوم الدين، لأن الله تعالى أنزله ليكون خاتمًا لكل الكتب السماوية السابقة عليه، ورسالة محمد ﷺ الذي أُنزل عليه ذلك الكتاب عالمية صالحة لكل زمان ومكان، وكذلك القرآن الكريم، ولذا تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم دون بقية الكتب السماوية، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٦: لماذا لم يقدم المسند -الجار والمجرور- في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ على غرار قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]؟

الجواب: لو قُدم المسند الظرف «فيه» لأفاد الاختصاص، ولدل على أن كتابًا غير القرآن فيه الريب، وهذا -والله أعلم- غير مراد، وقدم المسند في قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لأن المقصود تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا، وتخصيصها بأنها لا تسلب عقول شاربيها كما تسلبها خمور الدنيا، والله أعلم بمراده [١].

السؤال٢٧: لماذا أخبر عن المتقين بصيغ المضارع في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾؟

الجواب: للدلالة على تجدد إيمانهم وإقامتهم الصلاة، وإنفاقهم، واستمرارهم على ذلك، والله أعلم.

السؤال٢٨: لِمَ وصف الله تعالى القرآن الكريم الكتاب بكونه هدى للمتقين في سورة البقرة فقال: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ووصف التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣٤]، فلماذا اختص كل موضع بوصفه؟

الجواب: وُصِف الكتاب والمراد به القرآن الكريم في آية البقرة بأنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، للإيماء إلى فضل أمة محمد ﷺ فأشير بالمتقين إلى حال المخصوصين به، وقيل في وصف التوراة والإنجيل ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، «ليشعر بحال أهل الكتابين، وفضل أهل الكتاب العزيز عليهم»، والله أعلم [٢].

---

(١) راجع الكشاف (١/ ١٩).

(٢) ملاك التأول لأحمد بن الزبير الغرناطي (١/ ٣٢)، ت د.محمود كامل أحمد طبعة دار النهضة العربية – بيروت ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.

السؤال٢٩: هل الوقف على ﴿فِيهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أفضل؟ أم الأفضل الوقف على ﴿لَا رَيْبَ﴾؟

الجواب: كلا الوقفين جائز، ولكن الوقف على ﴿فِيهِ﴾ هو الأشهر والأولى، لأن المعنى على هذه القراءة يكون الكتاب نفسه هُدى. والمعنى على الوقف على ﴿لَا رَيْبَ﴾ يكون الكتاب فيه هدى، ولا شك في أن المعنى الأول أقوى وأبلغ وأكمل في الدلالة على كمال الكتاب وهدايته، ويؤيد المعنى في الوقف على ﴿فِيهِ﴾ تكرر الآيات الكريمة التي تصف القرآن الكريم أنه نور وهدى نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

السؤال٣٠: كيف جاء ترتيب فاتحة سورة البقرة ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١- ٢] غاية في البلاغة والتناسق؟

الجواب: جاءت فاتحة السورة في أربع جمل فـ﴿الٓمٓ﴾ بمثابة جملة في استقلالها فهي تشير إلى بعض حروف الهجاء مستقلة بنفسها، و﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ جملة، و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ جملة، وقد جاء ترتيب تلك الجمل متآخيًا ومتناسقًا أتم التناسق، بيان ذلك: أنه نبَّه بالأولى على القرآن الكريم المتحدى به، وأنه من جنس حروف الذين تحداهم وهم أرباب الفصاحة وفرسان البيان، وفي الافتتاح بتلك الحروف أيضًا حذْف وإيماء إلى الغرض أي تحدي العرب بالقرآن بأدق وجه وألطفه.

وجاءت الجملة الثانية ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ لتشير إلى القرآن الكريم بأنه الكتاب الكامل فكان هذا تقريرًا للتحدي مع ما دل عليه تعريف الكتاب من الفخامة، وتعريف الطرفين ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ من الاختصاص بأنه هو الكتاب الكامل لا غيره من الكتب الأخرى، ثم جاءت الجملة الثالثة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لتنفي عن الكتاب الريبة بالكلية، وهذا ما دل عليه تقديم الريب في الظرف ﴿فِيهِ﴾.

ثم أخبر عن الكتاب بأنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فقرر بذلك كونه حقًا بحتًا، ويقينًا

مطلقًا لا يحوم الشك حوله، مع ما دل عليه إيثار التعبير بالمصدر ﴿هُدًى﴾ على الوصف «هادٍ» وإيراده متكررًا من المبالغة والفخامة، والله أعلم (١).

السؤال٣١: لماذا وُصِفَ القرآن بأنه هدى للمتقين فقط والمتقون مهتدون، والمُهْتَدِي لا يُهتَدَى ؟!

الجواب: أن الله تعالى ذكر المتقين مدحًا لهم، ليبيّن أنهم هم الذين اهتدوا به وفازوا بمنافعه، حيث قبلوه واتبعوه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥] وقد أُرْسِل محمد ﷺ منذرًا لكل الناس، فخص في البقرة من اهتدى من هؤلاء الناس، ومن هم الذين انتفعوا بإنذاره ﷺ أو المراد أنه ثبات لهم على الهدى وزيادة فيه، لأن الهدى باب واسع لا غاية له كالتقوى (٢)، والله أعلم.

السؤال٣٢: لماذا عُدي فعل الإيمان بالباء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤]؟ ولماذا جاء متعديًا باللام في أكثر من آية كريمة أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، فما العلة في اختلاف التعدية؟

الجواب: لم نجد في كلام المفسرين ما يشفي الغليل في الإجابة عن هذا السؤال، حيث ذهب الكثير منهم إلى القول بتضمين الإيمان معنى الانقياد أو الاستجابة، لذا صحت التعدية باللام، وأن الأصل تعدية الإيمان بالباء، كما أن المعاجم لا تكاد تفرق

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسين الرازي (١/٣٨٣) - ط: دار الغد العربي، ط: دار الكتب العلمية، طهران - ط الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) من غرائب آي التنزيل (مسائل الرازي) لمحمد بن أبي بكر الرازي (ص١٢)، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

في الدلالة بين مجيء فعل الإيمان متعديًا بالباء، وبين مجيئه متعديًا باللام.

وكل تلك التأويلات مصححة للمعنى، ولكنها لا ترقى إلى سماء بلاغة القرآن، لذا فإن ما تطمئن إليه نفسي هو أن في تعدية الإيمان بالباء دلالة على الثقة بالله تعالى وبما أنزله، والطمأنينة لشرعه والأنس به ودوام مصاحبته وعدم الانفكاك عن الإيمان وعن شرع الله تعالى، لمحنا هذا من الدلالة اللغوية لحرف الباء وما يشيعه من معنى الملابسة والمصاحبة والإلصاق.

ومما يلفت النظر أن الإيمان لم يجئ متعديًا بالباء إلا في الإيمان بالله ورسله وكتبه. وفي تعدية الإيمان باللام دلالة على معنى الخضوع والانقياد للمُصَدَّق فيما دعا إليه، هذا ما نلمحه من دلالة اللام على الاختصاص.

وقد جاء الإيمان متعديًا باللام في مقام التصديق من بشر لمثله، لذا لا يقال: آمن لله، وإنما آمن بالله (١)، والله أعلم.

السؤال٣٣: جاء فعل الإنزال متعديًا بإلي في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] وجاء أيضًا متعديًا بـ«على» في مواضع أخرى منها قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف ١]، فما السر في هذه المغايرة؟

الجواب: جاء فعل الإنزال في القرآن الكريم متعديًا بحرف الاستعلاء «على» في سبعة وعشرين موضعًا، وبمثل تلك المواضع جاء متعديًا بحرف الانتهاء «إلى»، هذه ملحوظة عامة.

أما السر في تعدية «أنزل» بـ«على» فإن فيه إشارة إلى التشريف، وهذا في كل موضع

---

(١) يراجع من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم – د. محمد الأمين الخضري (ص٢١٠– ٢١٤) – ط مكتبة وهبة – ط– الأولى سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م.

كانت التعدية فيه بـ «على»، بيان هذا أن «على» حرف استعلاء، والوحي يكون من جهة السماء من فوق، ومن خلال استقراء مواضع تعدي الإنزال بـ «على» بدت ملامح التكريم والتشريف، وفي أكثر المواضع التي ذكر فيها إنزال القرآن الكريم على النبي ﷺ عدي الإنزال بـ«على»، حيث جاء حرف الاستعلاء منبئًا عن شرف المُنزّل، وسمو منزلة مَن أُنزل عليه، ومن الآيات الكريمة التي تلمح فيها هذا التشريف من خلال تعدي فعل الإنزال بـ «على» قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

أما سر تعدي الإنزال بـ«إلى» كما في آية البقرة، وغيرها من الآيات الكريمة فإنك تلمح التشديد في التبليغ والعمل المُنزل وتطبيقه والتمسك به وعدم التفريط فيه أو التخلي عنه، وهذا ما نستشفه من دلالة «إلى» على الانتهاء والوصول والنهاية، ومما جاء فيه الإنزال معدى بإلى ودالًا على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

إننا نلحظ روح التكليف والتشديد على الرسول الكريم ﷺ بضرورة إبلاغ المنزل عليه وإنهائه إلى الناس في صورة واضحة لا غبش فيها ولا لبس، لأنها أمانة السماء فلا بد أن تسلم إلى أهلها في الأرض، والأمانة فيها من التشديد في الأداء ما فيها، وللقارئ الآن أن يستخلص معنا هذه النتيجة وهي: أن تعدي الإنزال بـ«على» يوحي بالتشريف، وتعديه بـ«إلى» يوحي بالتشديد في التبليغ، والله أعلم بمراده.

السؤال٣٤: لماذا أعيد الموصول في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤]؟

الجواب: أعيد الموصول في الآية الكريمة، للإشعار بأن المذكورين فيها غير المذكورين في قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣].

فالمذكورون في الآيتين الثانية والثالثة المؤمنون بعد شرك وهم العرب من أهل مكة وغيرها.

أما الفريق الثاني في الآية الرابعة فالمراد بهم المؤمنون من أهل الكتاب الذين آمنوا بما أُنزل إليهم من الكتب السماوية قبل بعثة النبي محمد ﷺ ثم آمنوا به وبما جاء به بعد بعثته ﷺ لذا أعيد الموصول واستخدم العطف في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البقرة: ٤] للإشعار بتغاير الفريقين، وإن كانا هما معًا قسمين للمتقين(١).

عرفت إذن أن المراد بالمتقين في قوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ المؤمنون من العرب، والمؤمنون من أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد ﷺ وبالكتب السماوية قبله، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٣٩-٢٤٠).

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٤-٨].

السؤال٣٥: لماذا عبر بالموصول «ما» في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة: ٤] ولم يقل مثلًا: والذين يؤمنون بك من أهل الكتاب؟

الجواب: للدلالة من خلال صلة الموصول على أن إيمان هؤلاء كان بما ثبت نزوله من الله تعالى على رسلهم من دون تحريف أو تبديل أو خلط، وفي هذا تعريض بغلاة أهل الكتاب الذين صدهم غلوهم في دينهم وتحريفهم لكتبهم وقولهم على الله تعالى غير الحق عن اتباع النبي ﷺ، والإيمان به (١)، والله أعلم.

السؤال٣٦: لماذا خص اليقين بالذكر في قوله: ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] عند الثناء على المؤمنين بالرسول ﷺ من أهل الكتاب من دون أوصافهم الأخرى؟

الجواب: لأن هذا الوصف -إيمانهم بالآخرة- رأس التقوى وملاك الخشية فاليقين بالآخرة هو الذي يوجب الحذر والتأمل في ما ينجي من العقاب ويحصل الثواب، وهذا الإيقان بالآخرة مما تفرد به أهل الكتاب من العرب في الجاهلية، فالمشركون كانوا لا يعتقدون في الحياة الأبدية، ولا في البعث والنشور، بدليل قوله تعالى: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ٣]. ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات: ١٦] (٢)، والله أعلم بمراده.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٣٩).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٢٣٩).

السؤال ٣٧: لماذا عبر عن إيمان أهل الكتاب المؤمنين بالنبي ﷺ بمادة الإيقان في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؟ [البقرة: ٤] **لماذا لم يقل مثلًا: وبالآخرة هم يؤمنون؟**

الجواب: لأن اليقين هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع[1]، والذي لا يكون معه مجال عناد، ولا احتمال زوال، كما أن اليقين هو العلم بالشيء عن نظر واستدلال، فالتعبير عن إيمان هؤلاء بالآخرة بمادة الإيقان، لأنها تومئ إلى أن إيمانهم بالآخرة حاصل عن تأمل وتدبر واستغراق في الفكر، لأن الآخرة من الأمور الغيبية الغريبة بحسب المتعارف، لذا كان الإيمان بها حقيقًا بمادة الإيقان[2] بناء على أنه أخص من الإيمان، لذا كان التعبير بـ﴿يُوقِنُونَ﴾ هو الأليق، والله أعلم بمراده.

السؤال ٣٨: ما سر تقديم المسند إليه «هم» على المسند «الفعل» في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؟ [البقرة: ٤]

الجواب: التقديم؛ لإفادة تقوية الخبر؛ إذ هو إيقان ثابت عندهم من قبل مجيء الإسلام على الإجمال كما قال الطاهر ابن عاشور[3]. ويمكن أن يكون تقديم الضمير للاختصاص، أي أن الإيقان بالآخرة مقصور على المؤمنين من أهل الكتاب بمحمد ﷺ لا يتعداهم إلى من لم يؤمنوا به منهم.

السؤال٣٩: ما علة تقديم الجار والمجرور ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ على الفعل في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؟

الجواب: رأى الزمخشري أن التقديم للقصر، والمعنى أنهم يوقنون بالآخرة؛ لأنها الأهم والأعظم، ولا يلزم إيقانهم بما سواها.

---

(١) الكليات (٥/١١٦).

(٢) التحرير والتنوير (١/٢٤٠).

(٣) التحرير والتنوير (١/٢٤١).

وأحسب أن هذا قدح لإيمان أهل الكتاب المؤمنين بالنبي ﷺ؛ لأن إيمانهم بناء على تأويل التقديم -الجار والمجرور- للقصر إيمان ناقص؛ لأن بعض يقيني وبعض غير ذلك؛ إذ ينبغي أن يكون الإيمان كله عن يقين، وإلا فما وجه وصفهم بكونهم من المتقين؛ لذا أرى أن تقديم الجار والمجرور «وبالآخرة» للاهتمام بالمقدم حيث أيقنوا بأهم ما يوقن به، ولأجل رعاية الفاصلة.

السؤال٤٠: ما موقع جملة ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾؟ [البقرة: ٥]، **وما فضل التعبير باسم الإشارة؟**

الجواب: هذه الجملة وقعت استئنافًا بيانيًا وهو ما يسميه البلاغيون «شبه كمال الاتصال»، وكأن السامع إذا سمع ما تقدم من صفات مدح المتقين سأل: وما جزاء هؤلاء المتقين؟ فأجيب: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ والاستئناف باسم الإشارة أبلغ من الاستئناف الذي يكون بإعادة اسم المستأنف، لأنه يتضمن جميع أوصاف المتقين السابقة، ويجعلها شاخصة ماثلة حاضرة، كما أن في التعبير باسم الإشارة إيجازًا وتركيزًا حتى لا تترهل الجملة بإعادة صفات هؤلاء المتقين، والله أعلم.

السؤال٤١: ما سر التعبير بحرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾؟ [البقرة: ٥]. **وما نوع الاستعلاء في الآية؟**

الجواب: لتمثيل حال تمكنهم من الهدى ورسوخهم فيه وثباتهم عليه ورغبتهم في الزيادة منه بتشبيهها بحال راكب على دابة متمكن من قيادتها وتذليلها، وحرف الاستعلاء هو الذي دل على هذا التمكن.

والاستعلاء المشار إليه مجازي، لأن الهدى لا يستعلى حقيقة، وعلى كل ففي الجملة استعارة تمثيلية مكنية، والله أعلم.

السؤال٤٢: لماذا نكر «هدى» ووصف بأنه من ربهم في قوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾؟ [البقرة: ٥]

الجواب: التنكير للتعظيم، وهذا ما أكده ذكر «رب» وإضافته إلى ضمير المشار إليهم في الآية، حيث تشعر في تلك الإضافة بتشريفهم، وبأنهم محل عنايته سبحانه ورعايته كما يدل عليه معنى «رب»، والله أعلم بمراده.

السؤال٤٣: لماذا تكرر اسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾؟ [البقرة: ٥].

الجواب: للإشارة إلى أن كلا الوصفين «الهدى والفلاح» حري به أن يذكر مستقلاً برأسه تنبيها على فضله واعتناء بذكره، «وإشارة خاصة ليكون اشتهارهم بذلك اشتهارًا بكلتا الجملتين وأنهم ممن يقال فيه كلا القولين»(١).

السؤال٤٤: لماذا جاء قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] موصولًا بما قبله بالواو ولم يجئ منفصلاً؟

الجواب: للتوسط بين الكمالين: كمال الاتصال وكمال الانقطاع، كما يقول أهل البلاغة، وبيان هذا أن مفهوم الجملتين وزمن حصولهما مختلف، فالهدى حاصل في الدنيا، والفلاح حاصل في الآخرة، ومن هنا كانتا منقطعتين، ولكنهما متصلتان من جهة كون كل منهما مقصودة بالوصف، وتسبب مفهوم إحداهما «الهدى» عن مفهوم الأخرى «الفلاح»، فكان التعارض بين كمالي الاتصال والانقطاع منزلًا إياهما منزلة المتوسطتين، وتلك حالة تقتضي الوصل «العطف بالواو»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (١/٢٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (١/٢٤٦).

السؤال٤٥: ما دلالة استخدام اسم الإشارة للبعيد ﴿أُولَٰئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؟

الجواب: جاء المسند إليه «أولئك» اسم إشارة، ليقرر الحكم لهؤلاء المذكورين في الآيات السابقة بأنهم مفلحون، وعلى هذا فذكر المسند إليه إنما هو لزيادة التقرير والإيضاح، وقد دلت الإشارة للبعيد في هذه الجملة على سمو رفعة الذين يؤمنون بالنبي محمد ﷺ، والله أعلم.

السؤال٤٦: ما نوع التعريف بأل في قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؟

الجواب: التعريف في«المفلحون» للجنس، والمعنى أن المتقين هم جنس المفلحين. وذكر الضمير «هم» مع التعريف بأل أفاد تقرير الحكم للمتقين بأنهم المفلحون ولتأكيده، والله أعلم.

السؤال٤٧: لماذا حذف متعلق الكفر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]. حيث لم يقل مثلًا: «إن الذين كفروا بالله..»؟

الجواب: حذف متعلق الكفر، لأن القصد تعميم جحود الكافرين فكفرهم لا يقتصر على الكفر بالله، بل يتعداه إلى جحود كل نعمة، وكل خير، وفيه زيادة تشنيع عليهم وتبشيع لكفرهم وتمهيد للحكم بعدم إيمانهم في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

السؤال٤٨: كيف حكم سبحانه بعدم إيمان الذين كفروا على العموم حيث عبر عنهم بصيغة الجمع و«أل» التعريف التي للاستغراق على الرغم من أن كثيرًا منهم أسلموا في ما بعد؟

الجواب: ذكر العام «الكفار» في الآية وأريد به الخاص «من لم يؤمن منهم» بدلالة القرينة الدالة على إرادة الخاص من ذلك العموم بإسلام كثير من الكفار في زمن

الرسول ﷺ في حياته، وبعد وفاته، فحسن التعبير بالعام لعدم اللبس، وظهور المقصود، ومثاله: ما إذا كان للإنسان في بلده جمع من حساده يعرفهم أهل بلده، فإذا قال: الناس يؤذونني - على العموم -، فهم كل أحد أنه يقصد هؤلاء الحساد ولا يقصد كل الناس، والله أعلم(١).

السؤال٤٩: لم ذكر الإنذار دون البشارة في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة: ٦]؟

الجواب: لأن تأثير الإنذار في الفعل والترك أقوى من تأثير البشارة؛ فاشتغال الإنسان بدفع الضرر أشد من اهتمامه بجلب المصلحة، والله أعلم(٢).

السؤال٥٠: ما الغرض من «الهمزة» و«أم» في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾؟ [البقرة: ٦].

الجواب: الغرض التسوية، والمعنى: يستوي إنذارك لهم وعدم إنذارهم في عدم الانتفاع به، أو يستوي عندهم الإنذار وعدمه.

السؤال٥١: لم عُدي «سواء» بـ«على» ولم يتعد بـ«عند» في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ....﴾؟ [البقرة: ٦]

الجواب: للإشارة إلى تمكن الاستواء، وهذا مدلول حرف الاستعلاء.

السؤال٥٢: لماذا جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة: ٦] مفصولًا عما قبله؟

الجواب: لكمال التباين، وتمام الاختلاف بين مضمون هذه الآية والآيات قبلها،

---

(١) مفاتيح الغيب (١/ ٤١٠).

(٢) مفاتيح الغيب (١/ ٤١٠).

فهذه الآية خبر عن الكفار الضالين، وما قبلها خبر عن المتقين المهتدين وسرد لبعض صفاتهم، والله أعلم.

السؤال٥٣: ما الغرض من تصدير الآية بحرف التوكيد «إنَّ» ؟

الجواب: للاهتمام بالخبر وتقريره، أو إخراجًا للخبر على خلاف مقتضى الظاهر، حيث نزل غير الشاك وهو النبي ﷺ منزلة الشاك لشدة حرصه ﷺ على هداية هؤلاء المذكورين في الآية الكريمة، واستمرار رجائه في نفع الإنذار لهم، فجعل حاله ﷺ كحال من شك في استواء الإنذار وعدمه بالنسبة للكافرين من حيث عدم انتفاعهم به. فـ«إن» إذن قد تكون لرد الشك، والله أعلم [١].

والغرض من الخبر تيئيس النبي ﷺ من إيمانهم.

السؤال٥٤: ما صلة جملة ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧]، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾؟ [البقرة: ٦].

الجواب: جاء قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بمثابة التعليل للحكم في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وبيان سببه؛ لأن هذا الخبر يثير تساؤلًا عن سبب استواء إنذارهم وعدمه عندهم والحكم بأنهم لا يؤمنون، فجاءت جملة ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ ﴾ لتجيب عن هذا التساؤل، ولتدفع التعجب من استواء الإنذار وعدمه ببيان أن الله تعالى ختم على قلوب هؤلاء الكفار وعلى أسماعهم، وأن على أبصارهم غشاوة[٢]، والخلاصة أن قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ استئناف بياني، وهو ما يسميه البلاغيون شبه كمال الاتصال، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٤٨).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٢٥٤).

السؤال٥٥: هل ورد الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار على سبيل الحقيقة أم المجاز في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾؟ [البقرة: ٧].

الجواب: المراد بالختم والغشاوة في الآية الكريمة المجاز لا الحقيقة فالمقصود المعنى المعنوي لا الحسي، بيان ذلك أنه لما كانت قلوب الذين كفروا غير واعية لما وصل إليها من الإيمان والإرشاد، وأسماعهم غير مؤدية لما يطرقها من الآيات البينات إلى العقل على وجه مفهوم، أو معرضة عن سماع الآيات والنذر، وأبصارهم غير منتفعة بما ترى من دلائل قدرة الله تعالى في الكون وفي مخلوقاته ولما كانت حواسهم معطلة بتلك الصورة ولم ينتفعوا بها الانتفاع المؤدي إلى إيمانهم فقد جعلت أبصارهم وكأنها مغطاة بغطاء سميك يحجب عنها الرؤية، وذلك على طريق الاستعارة بتشبيه عدم حصول النفع المراد من تلك الحواس بالختم والغشاوة الحسيين.

وإما أن يكون هذا تشبيها تمثيليًا بتشبيه هيئة بهيئة، والله أعلم(١).

السؤال٥٦: بم يوحي إسناد الختم إلى الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؟ [البقرة: ٧]

الجواب: يوحي بتمكن معنى الختم من قلوبهم واستعلائه عليها، وأنه ختم ثابت راسخ لا يزول، ولا يرجى زواله ولا يتوقع.

السؤال٥٧: لماذا جمعت القلوب والأبصار وأفرد السمع في الآية الكريمة؟ ولماذا عبر سبحانه بالسمع ولم يعبر بالآذان؟

الجواب: جاءت القلوب والأبصار جمعًا لتنوع مدركاتها ومرئياتها، فالقلوب

---

(١) راجع فتح القدير (١/ ٣٩)، والتحرير والتنوير (١/ ٢٥٥).

تتفاوت في إدراكها للمعاني وفي قدرتها على وعيها واستقبالها بمشاعر الرضا أو النفور والإعراض عنها، وكذلك الأبصار تتفاوت في إدراك المبصرات طبقًا لقدرتها على التركيز والرصد، والتقاط دقائق الأجزاء، أما السمع فقد أفرد خلافًا لمقتضى ظاهر التناسب، لوحدة المدرك، فالأسماع لا تتفاوت في إدراك الأصوات، ولهذا كان التعبير بالسمع من دون الآذان؛ لسلامة أجهزة السمع عندهم ولكن الفساد في إدراكها للمسموعات، إذ لو كان الإدراك سليمًا لتفتحت له القلوب.

السؤال ٥٨: لماذا قدم الختم على القلوب وعلى الأسماع في آية البقرة في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧] وعكس ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾؟ [الجاثية: ٢٣]

الجواب: قدم الختم على القلوب في آية البقرة؛ لمناسبة للمقام؛ فالآية تقرير لعدم إيمان هؤلاء الكفار، فناسب ذلك تقديم القلوب؛ لأنها موطن الإيمان، والسمع والأبصار طرق وآلات موصلة له، وقدم الختم على الأسماع في الآية الثانية؛ لأنه مسوق لعدم المبالاة بالمواعظ والاعتبار بها؛ لذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وكان من الملائم تقديم السمع(١).

ويمكن أن يقال أيضًا: قدم القلوب على السمع في البقرة؛ لأنه -سبحانه- ذكر القلوب المريضة وقدمها في الذكر فقال: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠]؛ لذا قدم القلوب في آية البقرة.

وفي الجاثية قدم السمع على القلب حيث ذكر الأسماع المعطلة فقال: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ [الجاثية: ٨]، فقدم السمع في آية الجاثية لذلك(٢)، والله أعلم.

---

(١) انظر روح المعاني (١/ ١٣٥).

(٢) انظر التعبير القرآني (ص ٦٤)، د. فاضل صالح السامرائي.

السؤال٥٩: لماذا أعيد حرف الجر «على» في الآية السابقة حيث كان من الممكن أن يقال: ختم الله على قلوبهم وسمعهم؟

الجواب: تكرر حرف الاستعلاء «على» ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين، وليدل على كون الأسماع مقصودة بالختم أيضًا، فكأن الختم تكرر مرتين، والله أعلم.

السؤال ٦٠: ما سر تقديم السمع على البصر في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾؟ [البقرة: ٧]؟

الجواب: التقديم للإشعار بأهمية المقدم، وذلك «لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد، ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه «تخصيص» بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى التوجه بالالتفات إلى المُبْصَر» (١)، والله أعلم.

السؤال٦١: ما الغرض من تنكير العذاب في الآية الكريمة؟ [البقرة: ٧]

الجواب: لأن القصد إلى تنويعه وتهويله، وأنه مجهول الكم والكيف، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير بتصرف يسير (ص ٢٥٥).

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[البقرة: ٨-١١]

السؤال٦٢: من المقصود بالناس في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة: ٨] ؟

الجواب: المقصود المنافقون، وعليه فالتعريف في «الناس» للجنس، وهم قسم ثالث مقابل للقسمين السابقين في الآيات المتقدمة، حيث ذكر أشهر صفات المتقين والكافرين ثم المنافقين، والله أعلم.

السؤال٦٣: لماذا جعل المنافقون قسمًا مستقلاً عن الكافرين وهم منهم؟

الجواب: لأن المراد بالتقسيم إبراز أهم الصفات المميزة لكلا الفريقين، ولأن المنافقين أشد خطرًا من الكفار؛ لذا كان حريًا بهم أن يكونوا قسمًا مستقلاً عن الكفار، وأن تفرد صفاتهم المميزة لهم، حيث ورد في شأنهم في سياق هذه الآية ثلاث عشرة آية كريمة تفضح نفاقهم، وتكشف خبثهم، وتسفه أحلامهم، وتنعي عليهم سوء مصيرهم، والله أعلم.

السؤال ٦٤: ما سر تقديم الخبر ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ على المبتدأ ﴿ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾؟

الجواب: للتشويق إلى ما يتم الإخبار به، ولتنبيه السامع على عجيب ما سيذكر، والله أعلم(١).

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٦٠).

السؤال٦٥: لماذا اقتصر من أقوال المنافقين على قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨] على الرغم من إظهارهم الإيمان بالنبي ﷺ؟

الجواب: لأن الإيمان بالله تعالى أصل الاعتقاد، فإن انتفى انتفت سائر الاعتقادات إن وجدت، فمن لم يؤمن بوحدانية الله تعالى لا يصل إلى الإيمان بالنبي ﷺ، والله أعلم.

السؤال٦٦: ما سر التعبير بالقول في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؟ [البقرة: ٨]، ولماذا أوثر الفعل المضارع في الآية؟

الجواب: تشعر في التعبير عن كلامهم المذكور بالقول أنه قول لم يطابق اعتقاد هؤلاء الناس، ولم يلامس شغاف قلوبهم، وإنما هو كلام سمعوه فرددوه دون إيمان به ولا اقتناع بمدلوله، والله أعلم.

وأوثر التعبير بالمضارع لاستحضار قولهم وكأنهم يتلفظون به الآن.

السؤال٦٧: لماذا تكرر حرف الجر في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨]؟

الجواب: لأن قصدهم -المنافقون- توكيد إيمانهم وشموله المبدأ والمعاد «الآخرة»، يقصدون بذلك المبالغة في إخفاء نفاقهم وكفرهم، والمبالغة في الخداع والتلبيس، والله أعلم.

السؤال٦٨: لماذا عُبِّر بالجملة الاسمية في نفي إيمان المنافقين في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ وحكي ادعاؤهم الإيمان بالجملة الفعلية ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨]؟

الجواب: لأن القصد نفي الإيمان عنهم في الحال، وبيان هذا أنه لو قيل: وما آمنوا فإنه لا يستوجب نفي الإيمان عنهم في الحال – أي حالة قولهم هذا الكلام بادعاء الإيمان –؛ لذا أوثر التعبير بالجملة الاسمية وباسم الفاعل «مؤمنين»، لأن اسم الفاعل حقيقة في زمن الحال – باستخدام اسم الفاعل – يستلزم انتفاءه عنهم في الماضي بالأولى.

وأوثر التعبير بالجملة الاسمية للطيفة أخرى، وهي أن الجملة الفعلية تدل «على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل، فلذلك حكى بها كلامهم، لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا آمنا. والجملة الاسمية تدل على الاهتمام بشأن الفاعل، أي أن القائلين آمنا لم يقع منهم إيمان».

ولك أن تضيف أيضًا أن القصد من نفي الجملة الاسمية ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ تأكيد النفي لا نفي التأكيد[١]، والله أعلم.

السؤال٦٩: لم اقتصر المنافقون في ادعائهم الإيمان على الإيمان بالله واليوم الآخر مع أنهم كانوا يؤمنون بأفواههم بجميع ما جاء به النبي ﷺ؟

الجواب: لأن الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر المقصود الأسمى من الإيمان، فمن يؤمن بالله تعالى حق الإيمان كما يليق بجلاله وكماله سبحانه آمن بكتبه ورسله، ومن علم أن إلى الله تعالى المصير استعد للقائه بالأعمال الصالحة، وفي الاقتصار على الإيمان بطرفيه المبدأ والمعاد[٢]، وكأنهم يريدون أن يقولوا إذا كنا نؤمن بالمقصود الأعظم من الإيمان فمن الأولى أننا نؤمن بما يستتبعه، يريدون بهذا التعمية على نفاقهم، والله أعلم.

السؤال٧٠: ورد في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩] فكيف يخادع المنافقون الله تعالى وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ وكيف يخادعهم الله تعالى وهذا مما لا يليق بجنابه سبحانه وتعالى؟

الجواب: يحسن بنا أولًا أن نبين معنى الخدع، فالخدع أصله الإخفاء والإيهام، ويراد به: أن يحتال شخص على آخر بإيهامه خلاف ما يريد به من المكروه والضرر،

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٦٥).

(٢) روح المعاني (١/ ١٤٤).

ويجاب عن السؤال بأنه صُوّر صنيعهم مع الله تعالى بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، وصورة صنيع الله تعالى بهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في الدرك الأسفل من النار، وصورة صنيع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله تعالى فيهم فعاملوهم كأنهم مؤمنون مثلهم، نشبه ذلك كله بالمخادعة، ففي الكلام إذن استعارة تمثيلية في الجملة كلها ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أو استعارة تبعية في لفظ ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ وحده [١].

ويمكن أن يكون المراد أنهم يخدعون الرسول ﷺ وقد فضح الله نفاقهم لرسوله والمؤمنين، وعبر عن ذلك بخداع الله تعالى للإشارة إلى مكانة الرسول ﷺ ومقامه عند ربه، وأن الذين يخادعون النبي ﷺ إنما يخادعون الله تعالى وذلك على غرار قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح ١٠]، وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء ٨٠]، فذكر لفظ الجلالة للتعظيم وللإشارة إلى أن من أراد الرسول والمؤمنين بمكر وخداع فإنما يريد به الله، ويمكن أن يكون سمى نفاقهم خداعًا لشبه بفعل المخادع، والله تعالى أعلم [٢].

السؤال٧١: ما نوع القصر في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾؟ [البقرة: ٩]

الجواب: القصر للقلب، فالمنافقون يقصدون خداع الذين آمنوا، ودل القصر على أنهم لم يخدعوا إلا أنفسهم، فالنفي ليس مرادا به كل ما عدا المنافقين، وإنما هو موجه إلى الذين آمنوا، ومن هنا كان القصر للقلب؛ لأن العبارة قلبت معتقد المخاطب.

ولا يمكن أن يكون القصر قصر إفراد؛ لأنه يقتضي أن المنافقين معتقدون أنهم يخدعون أنفسهم ويخدعون الرسول والذين آمنوا، وهذا غير معقول.

---

(١) انظر الكشاف (١/ ١٢)، وروح المعاني (١/ ١٤٦).

(٢) من غرائب آي القرآن للرازي (ص ١٢).

كما لا يمكن أن يكون القصر للتعيين؛ لأن المعنى حينئذ أن المنافقين لا يدرون أهم يخدعون الرسول ﷺ والمؤمنين أم يخدعون أنفسهم؟ وهذا غير مستقيم. والمعنى العام: أن ضرر نفاقهم وخداعهم مقصور عليهم لا يتخطاهم إلى غيرهم، والله أعلم.

السؤال ٧٢: ما موقع جملة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بالنسبة لما قبلها؟

الجواب: جملة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إما أن تكون مستأنفة أو معطوفة على قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، ويمكن أن تكون حالية أي: وما يخدعون إلا أنفسهم غير شاعرين بذلك، والله أعلم.

السؤال٧٣: لماذا حذف مفعول ﴿يَشْعُرُونَ﴾؟

الجواب: للتعميم، أي: وما يشعرون بأي نوع من الشعور لفرط جهلهم بأنهم لا يضرون إلا أنفسهم؛ لأن الله تعالى مطلع على سرائرهم وظواهرهم، وفي هذا تهكم بهم، والله أعلم.

السؤال٧٤: ما المقصود بالشعور في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؟

الجواب: الشعور هو الإدراك بالحواس الخمس الظاهرة أو يكون بمعنى العلم، والآية الكريمة تحتمل المعنيين، فيكون نفي الشعور عن المنافقين بمعنى نفي العلم عنهم، ويحتمل أن يكون نفيه بمعنى الإدراك بالحواس الظاهرة عنهم، وهذا ما أرجحه، لأن فيه الغاية في ذمهم والسخرية منهم والتهكم بهم، لأن من لا يشعر بالبدهي المحسوس هو أدنى مرتبة من الأنعام (١)، وفي هذا دلالة أيضًا على نفي العلم عنهم، كما أن هذا التأويل جاء مناسبًا لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧] وفيه أيضًا تعريض بغباوتهم وبلادتهم، والله أعلم بمراده.

---

(١) روح المعاني (١/١٤٨).

السؤال٧٥: هل المقصود من المرض الألم في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ.... ﴾؟ [البقرة: ١٠]

الجواب: لا، ليس المقصود من المرض في الآية المرض العضوي الحسي بمعنى الألم، فالكلمة ليست مستعملة على سبيل الحقيقة، وإنما على سبيل المجاز، فالمراد من المرض هنا أمراض القلوب المعنوية كسوء الاعتقاد، والكفر، والحقد، والغل، والحسد، والضعف، والجبن، وغير ذلك من تلك الأمراض، وعليه فالكلمة استعارة تصريحية، والله أعلم.

السؤال٧٦: ما سر تقديم الخبر الجار والمجرور على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ.... ﴾؟ [البقرة: ١٠]

الجواب: للإشعار بأن المرض مختص بتلك القلوب، مبالغة في تعلق هذا الداء بتلك القلوب لما كانوا عليه من شدة الحسد وفرط العداوة، وقد أفاد التقديم القصر كما رأيت، والله أعلم.

السؤال٧٧: ما الغرض من تنكير ﴿ مَّرَضٌ ﴾؟

الجواب: التنكير للتعظيم وللإيماء إلى شدة خطورة مرض قلوبهم وسوء عاقبته، أو أن التنكير «للدلالة على أنه نوع غير ما يتعارفه الناس من الأمراض»(١)، والله أعلم.

السؤال٧٨: ما دلالة التعبير بحرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ.... ﴾؟

الجواب: يدل على استقرار النفاق وسوء الاعتقاد والغل والحقد والحسد في قلوبهم وتمكنها منها، والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (١/ ١٤٩).

السؤال٧٩: لماذا لم يجمع ﴿مَّرَضٌ﴾ كما جمعت القلوب في الآية؟

الجواب: لعله للإشارة إلى أن المرض الواحد من هذه الأمراض لخطورته ولتشعبه يملأ قلوبهم جميعًا، وفي هذا تفظيع للنفاق أشد أمراض القلوب وأخطرها وتهويل له، فمن النفاق وهو أشد أمراض القلوب النفسانية يتولد الكذب واللؤم والخداع والسفه.

ويمكن أن يعلل إفراد «مرض» في الآية بأن تعدد المحال «القلوب» يدل على تعدد الحال «الأمراض» فيها بداهة فاكتفى بجمعها عن جمعه، والله أعلم[١].

السؤال٨٠: ما علاقة جملة ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ....﴾ بما قبلها؟ [البقرة: ١٠]

الجواب: إما أن تكون مستأنفة لبيان السبب الداعي إلى خداعهم، وما هم فيه من النفاق، أو مقررة لما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ من استمرار عدم إيمانهم، أو استئنافًا بيانيًا لبيان الموجب لخداعهم، وكأن سائلاً سأل: ما سبب فعلهم هذا الخداع؟ فقيل جوابًا له: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٢]، والله أعلم.

السؤال٨١: لماذا أسندت زيادة مرض قلوب المنافقين إلى الله تعالى في قوله: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]**؟**

الجواب: لأنه سبحانه هو الفاعل الحقيقي. وقيل: إن الإسناد مجازي، سواء فسر المرض بالكفر أو الحسد والحقد أو الضعف، وعليه فالجملة من المجاز العقلي بعلاقة السببية.

السؤال٨٢: لم جاءت كلمة ﴿مَرَضًا﴾ نكرة في الآية الكريمة؟

الجواب: التنكير للتفخيم، ولمغايرته للمرض الأول بناء على أن المزيد يغاير المزيد عليه كثرة، والله أعلم.

---

(١) انظر روح المعاني (١/ ١٤٩).

(٢) انظر روح المعاني (١/ ١٤٩).

السؤال٨٣: لماذا عُدِّيت زيادة المرض إليهم «المنافقين» لا إلى قلوبهم، حيث لم يقل مثلًا: فزادها الله مرضًا، كما يقتضيه ظاهر السياق؟

الجواب: للإشارة إلى أن مرض القلب مرض لسائر الجسم والتقدير: فزاد الله قلوبهم مرضا[١]، والله أعلم.

السؤال٨٤: ما سر تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٠]

الجواب: للاهتمام بالمقدم، وللإشعار بأن العذاب المؤلم أعد لهم خصيصًا، وللمسارعة بذكر ما يسؤوهم، وأضاف الطاهر ابن عاشور وجهًا آخر حيث قال: «وتقديم الجار والمجرور «لهم» للتنبيه على أنه خبر لا نعت حتى يستقر بمجرد سماع المبتدأ العلم بأن ذلك من صفاتهم فلا تلهو النفس عن تلقيه»[٢]، والله أعلم.

السؤال٨٥: لم وصف العذاب بأنه أليم ولم يوصف بأنه مؤلم على الحقيقة؛ لأن الألم للمؤلَم ؟

الجواب: جيء به على طريقة المجاز العقلي بعلاقة المصدرية – كقولهم غضب غضبه وجد وجده -؛ للدلالة على المبالغة في شدة العذاب وإسلامه، فالأليم ليس هو العذاب وإنما المُعذَّب، وكأن العذاب من فرط شدته ووجعه وإيلامه صار أليمًا في نفسه هو، والله أعلم.

السؤال٨٦: ما نوع الباء و«ما» في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾؟

الجواب: الباء للسببية، وما مصدرية، والتقدير: لهم عذاب أليم بسبب تكذيبهم وهو قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) انظر روح المعاني (١/ ١٥٠).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٢٨٢).

السؤال٨٧: ما توجيه المعنى على قراءة التخفيف في «يَكْذِبون»؟ وقراءة «يُكذِّبون» بالتشديد وهي قراءة نافع وابن كثير وغيرهما؟

الجواب: قراءة «يَكْذِبون» بالتخفيف معناها: يوقعون الكذب في ادعائهم الإيمان كما ورد فيما حكى القرآن قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وهم متلبسون بالكفر.

والمعنى على قراءة التشديد «يُكذِّبون»: أنهم يبالغون في الكذب فيكذبون كذبًا عظيمًا بادعاء أنفسهم المصلحين دون المؤمنين، وينسبون الكذب إلى الصادق، وذلك أشنع الكذب.

السؤال٨٨: جمع الله تعالى للمنافقين عذابين، فما هما؟

الجواب: أولًا عذاب عظيم في قوله تعالى عن جزاء الكفار: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، ومما لا شك فيه أنهم مندرجون مع الكفار فهم منهم، وثانيًا خصص للمنافقين عذابًا أليمًا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وهذا يدل على خطورة هذا الصنف من الناس، وعلى سوء مصيرهم.

السؤال٨٩: كيف عبر عن كذب المنافقين بالماضي كما تدل عليه «كان» ثم عبر بالفعل المضارع «يكذبون»، وذلك في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾؟ فكيف تفسر هذا الإشكال؟

الجواب: لا تعارض ولا إشكال، لأن من معاني «كان» الاستمرار والدوام في جميع الأزمنة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، والمعنى هنا بسبب كذبهم المستمر الذي لا ينقطع، فلا إشكال إذن ولا تعارض أيضًا في الجمع بين الماضي والمضارع، حيث دلت «كان» على تحقيق انتساب الكذب إلى المنافقين في الماضي وثبوته، والفعل المضارع «يكذبون» دل على انتسابه إليهم في الحال والاستقبال، وهذا توجيه ثان، فاختر منهما ما يطمئن إليه قلبك، والله أعلم.

السؤال٩٠: لم رُتّب العذاب على الكذب دون النفاق في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾؟ [البقرة: ١٠]

الجواب: لحض المؤمنين على الاستمرار والثبات في صدقهم وتصديقهم بما جاء به النبي ﷺ، وللتنفير من الكذب والزجر عنه (١)، والله أعلم.

السؤال٩١: علام عطف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١١]

الجواب: الأظهر عندي -والله أعلم- أن الجملة معطوفة على قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨] وذلك من باب تعديد قبائحهم في ادعائهم الإيمان وكذبهم فيه، ثم بيان حالهم في انهماكهم في باطلهم ورؤية القبيح حسنًا والفساد صلاحًا (٢)، والله أعلم.

السؤال٩٢: ما وجه تناسب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ مع السياق قبله؟

الجواب: في السياق السابق على هذه الآية كشف عن فساد باطن المنافقين، وفي الآية أتبع من الظاهر ما يدل عليه فبين أنهم إذا نهوا عن الفساد العام ادعوا الصلاح العام (٣)، والله أعلم.

السؤال ٩٣: ما علة بناء الفعل «قال» للمجهول في الآية ؟

الجواب: للإشارة إلى عصيانهم لكل قائل كائنا من كان (٤)، والله أعلم.

---

(١) انظر روح المعاني (١/ ١٥١).

(٢) انظر البحر المحيط (١/ ١١٩)

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (١/ ٤٤) – الناشر – مكتبة ابن تيمية – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٤) نظم الدرر (١/ ٤٤)

السؤال ٩٤: لماذا أوثر التعبير بالقصر في حكاية قول المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؟ [البقرة: ١١] ولماذا أوثر القصر بإنما ؟

الجواب: رد المنافقون قول من يستنكر فسادهم بما حكاه القرآن الكريم عنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ فاستخدموا في ردهم على دعوة أهل الإيمان ونصحهم له أسلوب القصر وهو أعلى أساليب التوكيد وأقواها، ولم يقولوا: إننا مصلحون، ولم يلتفتوا إلى الاعتقاد الجازم فيهم بأنهم مفسدون ولم يعبؤوا بما سمعوه، وإنما ذهبوا في شططهم إلى غايته فقصروا أنفسهم على الإصلاح، وعدوا كل ما يفعلونه إصلاحًا وليس إفسادًا، فقالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي مقصورون على الإصلاح ليس لنا وصف سواه، ونحن لا ندعي أمرًا منكرًا ولا مجهولًا، بل إن صلاحنا أمر ظاهر واضح، وحقيقة معلومة شائعة يتناقلها الناس، كل هذا الشعور بالصلف والغرور، وهذا الكذب والضلال والتشويه للحقائق أفاضت به «إنما» في ردهم على نصيحة أهل الخير لهم. ولك الآن أن تعرف بدقة أكثر سر إيثار «إنما» في جوابهم، فـ «إنما» تدخل في الأمر المعلوم الذي لا يجهله المخاطب ولا ينكره، أو للأمر الذي ينزل هذه المنزلة، وإليك ما قاله عبد القاهر الجرجاني في نهاية حديثه عن «إنما»: «ومما يجب أن تجعله على ذكر منك من معاني «إنما» ما عرفتك أولا من أنها قد تدخل في الشيء على أن يخيل فيه المتكلم أنه معلوم، ويدعي أنه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع... »(١)، والله أعلم.

السؤال ٩٥: ما سر ذكر محل إفساد المنافقين في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١]

الجواب: لبيان عموم فسادهم ولتفظيعه بأنه يتناول الأرض، وأنها موطن فسادهم

---

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ص ٣٢٦) - تحقيق هريترز - طبعة مكتبة المتنبي - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

يشيعون الشر في ربوعها، ويثيرون الحروب فيها، وأن وقوع الفساد في رقعة منها تشويه لمجموعها[1]، والله أعلم.

السؤال٩٦: ما نوع القصر في قوله تعالى حكاية عن المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؟ [البقرة: ١١]

الجواب: القصر من باب قصر الموصوف على الصفة، كما أنه ليس حقيقيًا بل ادعائي قائمًا على المبالغة، وهو إما قصر إفراد، أو قلب، حسب اعتقاد المخاطب، والله أعلم.

السؤال٩٧: لماذا أوثر التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؟ [البقرة: ١١].

الجواب: ليدل على أن المنافقين جعلوا اتصافهم بالصلاح أمرًا راسخًا مؤكدًا وثابتًا دائمًا، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٨٥)، وانظر زهرة التفاسير (١/ ٨٥).

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٢-١٤].

السؤال٩٨: ما الذي حشده القرآن الكريم من وسائل التوكيد لنقض دعوى المنافقين في قصر أنفسهم على الصلاح في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾؟ [البقرة: ١٢]

الجواب: جاء الرد القرآني لنقض ادعائهم الصلاح مؤكدًا على أبلغ وجه؛ حيث جاء على سبيل الاستئناف لزيادة تمكن الحكم في ذهن السامع، واستفتح الاستئناف بـ «ألا» وهي أداة لا يستفتح بها إلا الكلام المهم ذو الشأن. و«ألا» صوت للتنبيه ولإيقاظ انتباه السامع، وكأنها ناقوس يشعر بأهمية السياق، واستخدم أسلوب القصر لنفي دعواهم ولإثبات الفساد لهم وقصره عليهم قصر قلب، أي هم مقصورون على الفساد لا نصيب لهم في الإصلاح.

واستفيد هذا القصر من تعريف المسند «الخبر» بلام الجنس، فأفاد قصر المسند إليه «المبتدأ» - ضمير المنافقين - على المسند الخبر «الإفساد»، وجيء بضمير الفصل «هو» وهو دال على القصر أيضًا ليؤكد القصر، وكأنه قصر فوق قصر.

وأوجز ما استخدمه البيان القرآني من مؤكدات لنسف دعوى المنافقين بالإصلاح لأنفسهم فيما يلي:

أولًا: أداة التنبيه «ألا».

ثانيًا: التأكيد بإن.

ثالثًا: التأكيد باسمية الجملة.

رابعًا: التأكيد بأسلوب القصر المستفاد من تعريف الخبر «المفسدون» بأل.

خامسًا: التأكيد بضمير الفصل «هو» الدال مع الخبر بعده على القصر أيضًا، والله أعلم.

السؤال٩٩: من المقصود بالناس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾؟ [البقرة: ١٣]. **ولماذا أوثر هذا اللفظ؟ وما نوع اللام في كلمة «الناس»؟**

الجواب: المراد من الناس الكاملون في الإنسانية، وهم الجامعون لما يعد من خواص الإنسان وفضائله، فهم لذلك يستحقون أن يحصر الجنس الإنساني فيهم، كأنهم الجنس كله. و«أل» بناء على هذا التأويل للجنس.

ويمكن أن يكون المراد من الناس رسول الله ﷺ ومن معه، أو ناسًا معهودين من جلدتهم، فتكون اللام للعهد، والله أعلم (١).

السؤال١٠٠: لم بني الفعل «قال» للمجهول في الآية ولم يذكر فاعله؟

الجواب: لأن المراد بيان موقفهم الرافض لدعوة الإيمان على العموم أيًا كان هذا الداعي، فهذا هو موقفهم الثابت الدائم، سواء دعاهم الرسول ﷺ أم دعاهم غيره، وسواء أكانت الدعوة في زمنه ﷺ أم بعد زمنه إلى قيام الساعة، والله أعلم.

السؤال١٠١: لماذا بني الفعل للمعلوم ولم يحذف الفاعل في قوله تعالى حكاية عن المنافقين: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ﴾ كما حذف في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ ببناء الفعل للمجهول؟

الجواب: بني الفعل «قال» هنا للمعلوم -على حسب الأصل- وحذف الفاعل

---

(١) انظر حاشية السيد علي بن محمد بن علي السيد الجرجاني على الكشاف (١/ ١٨٢).

لاعتبارين:

الأول: أن «قال» فاعله معروف، وله ذكر في الآيات السابقة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ [البقرة: ٦].

الثاني: أن المقام مقام تسجيل ورصد للجرائم التي ارتكبها هؤلاء المنافقون، فذكر الفاعل لإلصاق جريمتهم بهم، ومواجهتهم بها[١]، والله أعلم.

السؤال١٠٢: ما سر استخدام أداة الشرط «إذا» في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ...﴾؟

الجواب: للدلالة على جزمهم إبطان الكفر، والمعنى: أنهم على حال تقتضي أنهم لو قيل لهم آمنوا قالوا كذا «أي أنؤمن كما آمن السفهاء». إذن أوثرت «إذا» على «إن» للدلالة على تحقق قولهم المذكور، إذا دعوا إلى الإيمان، والله أعلم.

السؤال١٠٣: ما إعراب الكاف، وما نوع «ما» في قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾؟

الجواب: الكاف نعت لمصدر محذوف، والتقدير إيمانًا كما آمن الناس، و«ما» إما مصدرية، والمعنى: آمنوا إيمانًا مشابهًا لإيمان الناس، وإما كافة والتقدير: حققوا أيمانكم كما تحقق إيمان الناس، بأن يكون مقرونًا بالإخلاص خالصًا من شوائب النفاق، كما قدره الألوسي[٢] والله أعلم.

السؤال١٠٤: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؟ [البقرة: ١٣]

الجواب: الاستفهام للإنكار المشوب بالسخرية والتعجب، وهذا كان رد المنافقين على الدعوة المخلصة لهم بالإيمان الحق الصادق، والله أعلم.

---

(١) انظر التفسير البلاغي للاستفهام في الذكر الحكيم (١/ ٣٧، ٣٨) د. عبد العظيم المطعني.

(٢) روح المعاني (١/ ١٥٤).

السؤال١٠٥: ما معنى السفه؟ ومن المقصودون به في الآية؟

الجواب: السفه: الخفة والطيش ونقصان العقل والرأي، والسفيه هو الأحمق الذي لا يتخير الأمور، ولا يتعرف أحسنها فيتبعه، ومقصد المنافقين بالسفهاء المؤمنون، وعليه فاللام للعهد، والله أعلم.

السؤال١٠٦: لم سفّه المنافقون المؤمنين وهم أرجح الناس عقلاً؟

الجواب: لأن المنافقين لجهلهم وعدم إنصافهم وسوء تقديرهم وعمى بصائرهم اعتقدوا أن ما هم عليه هو الصواب والحق، وأن ما عداه باطل، وأن من حاد عن الحق وامتطى مطية الباطل كان سفيها، أو لأنهم كانوا في سعة من العيش ورياسة، وكان أكثر المؤمنين فقراء، ومنهم مَوالٍ أيضًا، فدعوهم سفهاء حطًا من شأنهم.

والوجه الأول أرجح؛ لإصرارهم على الإفساد والنفاق وتمسكهم بذلك على الرغم من تعدد الدعوات لإيمانهم ولنصحهم وإرشادهم، والله أعلم.

السؤال١٠٧: جواب المنافقين على المؤمنين في الآية الكريمة كفر بواح، وهذا يلزم أن يكونوا مظهرين للكفر إذا لقوا المؤمنين، فأين النفاق وهو المفهوم من السياق؟

الجواب: جوابهم المذكور «كان فيما بينهم، وحكاه الله تعالى عنهم، ورده عليهم، وليس الجواب ما يقال مواجهة فقط» (١)، والله أعلم.

السؤال١٠٨: بم أكد سبحانه وتعالى الحكم على المنافقين بأنهم سفهاء في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؟

الجواب: أكد سبحانه الحكم عليهم بالسفه في رده سبحانه على اتهامهم المؤمنين

---

(١) روح المعاني (١/١٥٥).

بالسفه بعدة مؤكدات هي:

- حرف الاستفتاح «ألا» وهو حرف تنبيه وإثارة لذهن السامع.

- حرف التوكيد «إن» في «إنهم».

- اسمية الجملة «إنهم هم المفسدون».

- ضمير الفصل «هم».

- تعريف الطرفين المسند إليه المبتدأ . الضمير -في «إنهم»- والمسند الخبر «السفهاء» فأفاد هذا القصر، حيث قصر السفه على المنافقين وحدهم دون المؤمنين. والقصر كما هو واضح للقلب، ومن المعلوم أن القصر من أعلى طرق التوكيد وأقواها، والله أعلم.

السؤال١٠٩: لم ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وختمت سابقتها بقوله سبحانه: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾؟

الجواب: ختمت الآية هنا بـ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، لأنه قد ذكر السفه وهو خفة عقل وطيش وجهل، فكان من الملائم ذكر العلم منفيًا معه ليكون طباقا له، ولأن الإيمان يحتاج لتحصيله إلى فكر وتأمل ونظر واستدلال حتى يكتسب الباحث عن الإيمان المعرفة[1]، ولما لم يقع منهم المأمور به وهو الإيمان فناسب ذلك نفي العلم عنهم.

وختمت الآية هناك بـ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، لأن المثبت هناك للمنافقين هو الإفساد، وهذا ما يدرك وتظهر آثاره بأدنى تأمل، ودون عناء فكر، «فنفى عنهم ما يدرك بالمشاعر مبالغة في تجهيلهم»[2]، والله أعلم.

---

(١) تفسير النسفي (١/١٣).

(٢) روح المعاني (١/١٥٦).

السؤال١١٠: ما سر حذف مفعول ﴿يَعۡلَمُونَ﴾؟

الجواب: لتعميم جهلهم مبالغة في نفي العلم عنهم وكأنهم لا يعلمون أي نوع من أنواع العلوم.

ولأمر آخر هو المحافظة على نسق الفاصلة قبلها وبعدها لانتهائها بالواو والنون أو الياء والنون، والله أعلم.

السؤال١١١: ما سر التعبير بالجملة الفعلية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾؟ والتعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾؟ [البقرة: ١٤]

الجواب: حكي خطابهم للذين آمنوا بالجملة الفعلية الخالية من المؤكدات، مع أن مقتضى الظاهر أن يكون كلامهم بعكس ذلك، لأن المؤمنين يشكّون في إيمانهم، ولقد حاول المنافقون إتقان نفاقهم من خلال التعبير بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث الخالية من التأكيد «آمنا» لأنهم أرادوا إثبات دعوى إيمانهم دون نظر لإنكار المؤمنين وشكهم في إيمانهم إيهامًا منهم أنهم بمنأى عن التشكيك، وأنهم في مرتبة إيمانهم لا ينبغي أن يتطرق الشك إليها، لذا فهم -كما يزعمون- ليسوا في حاجة للتأكيد على إيمانهم فهذا أمر مفروغ منه وظاهر -كما يتوهمون- لذا لم يستخدموا إلا الجملة الفعلية الدالة على الحدوث والخالية من المؤكدات.

وتلحظ في خطابهم للمؤمنين تجاهلهم التام لشكهم فيهم من خلال عدم تأكيد خبرهم لهم بالإيمان.

ويمكن أن يضاف وجه آخر لتعليل مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وهو أنه انتفى عن تلك المخاطبة ما يقتضي تأكيد الخبر، لأن غرض المنافقين مجرد إثبات إيمانهم لا تأكيده، لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من همة الإيمان وصدقه ما

يدفعهم إلى التأكيد، ولأنهم علموا أن تلك المؤكدات مهما تزاحمت في تعبيرهم لن تقلع الريبة في إيمانهم من قلوب المؤمنين الصادقين، إذن لم يهتموا بالتأكيد لعدم اعتنائهم بتحقيقه، ولعلمهم أن تأكيدهم لن يجدي نفعًا لعدم رواجه عند المؤمنين.

أما مخاطبة المنافقين شياطينهم وهم رؤوس الكفر منهم بالجملة الاسمية المؤكدة والمفيدة للثبات، فلعل الداعي إليه أنه كان دفعًا لما قد يتسرب إلى قلوب كبرائهم من شك في بقائهم على الكفر نتيجة مخالطتهم المؤمنين ومخاطبتهم بالإيمان، فاحتاجوا إلى التأكيد لإزالة بذور الشك من قلوب كبرائهم، واندفعوا لتأكيد بقائهم على الكفر، ولدفع تهمة الإيمان عنهم باسمية الجملة، وبـ«إن»، وبأسلوب القصر في قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

وهكذا رأيت سعيهم في مخاطبتهم لأقرانهم في الكفر إلى التأكيد بصدق رغبة ووفور همة لاعتقادهم فيه الكفر - ولمطابقته لدواخلهم، ولعلمهم أن هذا التأكيد بالبقاء على الكفر منهم، مصدقون فيه من أشياعهم وكبرائهم [1]، والله أعلم.

السؤال١١٢: لم عدي الفعل «خلا» إلى مفعوله بـ«إلى» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ ...﴾؟ [البقرة: ١٤].

الجواب: عدي الفعل «خلا» بحرف الانتهاء «إلى» في الآية الكريمة، للدلالة على وفور همة المنافقين وسعيهم ونشاطهم للقاء شياطينهم، فلقاؤهم بهم غايتهم ومقصدهم الذي خرجوا من أجله، يؤكد هذا التعبير القرآني عن لقائهم بالمؤمنين ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ فهو لقاء عابر، لم يسعوا إليه، ولم يقصدوه بل ولم يرغبوا فيه.

(١) راجع الكشاف (١/ ١٨٥).

ولو عدي الفعل بحرف الإلصاق «الباء» فقيل: خلوا بشياطينهم، لما أفاد غير الانفراد بهم - وهذا المعنى اكتسب من معنى المصاحبة، وهو من معاني الباء، ولفات الغرض منها الكشف عن سعيهم للقاء إخوانهم من الكفار، والكشف عن الرباط الروحي والعقدي الذي يربطهم بهم [١]، والله أعلم.

السؤال١١٣: ما المقصود بالشياطين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ...﴾؟ [البقرة: ١٤]

الجواب: المقصود كبراؤهم ومن كانوا يأمرونهم بالكفر والتكذيب والنفاق، وقد سموا به لتمردهم وتحسينهم القبيح وتقبيحهم الحسن [٢]، والله أعلم

السؤال١١٤: ما علاقة جملة ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بما قبلها؟ [البقرة: ١٤]

الجواب: هذه الجملة إما أن تكون مستأنفة استئنافًا بيانيًا لوقوعها جوابًا عن سؤال مقدر، وكأن شياطينهم اعترضوا عليهم حين قالوا: إنا معكم، فقالوا لهم: إن كنتم صادقين في تأكيدكم لنا أنكم باقون على ملتنا فلم توافقون المسلمين؟ فجاء جواب المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

وإما أن تكون الجملة تقريرًا لجملة ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ وتوكيدًا لها، فهي في موقع بدل الاشتمال، لأن المستخف بالشيء المحقر له منكر له، فمن حقر الإسلام فقد عظم الكفر، والله أعلم.

---

(١) من أسرار حروف الجر د/الخضري (ص ٢٨٣، ٢٨٤)، المفردات للراغب مادة خلا. وينتقل ما قاله الأخفش في معاني القرآن (١/ ٤٦).

(٢) روح المعاني (١/ ١٥٧).

السؤال١١٥: ما نوع القصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾؟ [البقرة: ١٤]

الجواب: القصر للقلب، حيث قلبوا الظن الذي قد يعتري قلوب أربابهم في الكفر بأنهم مؤمنون، وأكدوا قصر أنفسهم على الاستهزاء بالإسلام وأهله، وهنا كناية عن كفرهم.

السؤال ١١٦: لماذا أوثر القصر بـ«إنما» في قولهم -كما حكاه القرآن- ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾؟ [البقرة: ١٤]

الجواب: لأن «إنما» تدخل على الخبر لا يجهله المخاطب ولا ينكره، فكأنهم يقولون لأربابهم: كيف ترتابون في ثباتنا على الكفر ومصاحبتكم فيه وأمر استهزائنا بالإسلام وأتباعه شائع ظاهر لا ينكره أحد، والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥-١٧]

السؤال١١٧: كيف قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥] والاستهزاء من باب السخرية وهو قبيح، والله تعالى منزه عن ذلك؟

الجواب: سمى الله تعالى جزاء استهزائهم استهزاء، أي سمى العقوبة باسم الذنب، وذلك من باب المشاكلة كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ومن قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى انتصاره جهلاً، والجهل لا يفتخر به عاقل، وإنما قاله مشاكلة لقوله «يجهلن»، والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداء، لأنه حق، والمعنى في الآية الكريمة هنا أن الله سبحانه ينزل العقاب وينتقم من المنافقين المستهزئين بالمؤمنين، انتصافًا منه لعباده الموحدين المؤمنين.

ويمكن أن يكون المراد باستهزائه تعالى بهم إنزال الهوان والحقارة بهؤلاء المنافقين ومن على شاكلتهم من أهل الكفر وازدراء شأنهم وتحقير أمرهم على وجه من شأنه أن من اطلع عليه يتعجب منه ويضحك والاستهزاء منه سبحانه بناء على هذا التأويل – على حقيقته ولا استحالة في وقوع ذلك منه عز وجل، والله أعلم بمراده[1].

---

(١) راجع الكشاف (١/١٨٦، ١٨٧)، وروح المعاني (١/١٥٨).

السؤال١١٨: ما علة فصل جملة ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ... ﴾ عما قبلها؟

الجواب: جاءت الجملة مفصولة عما قبلها للاستئناف البياني حيث وقعت جوابًا عن سؤال تقديره: ما مصير هؤلاء المنافقين الذين استهزؤوا بالمؤمنين الموحدين؟ فقيل جوابًا عن هذا السؤال المقدر ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾، ولقد جاء هذا الاستئناف غاية في الفخامة والجزالة لأن فيه دلالة بالغة على أمرين:

أولهما: أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم أي بهؤلاء المنافقين المستهزئين بعباده المؤمنين، والاستهزاء الأكمل الذي لا اعتداد معه باستهزائهم وذلك لصدوره عن القاهر -سبحانه- لما يحل بساحتهم من العذاب، وينزل بهم من الذل والهوان والنكال.

وثانيهما: أن في الاستئناف دلالة على غيرة الله سبحانه على عباده المؤمنين، وأنه سبحانه هو الذي يتولى الدفاع عنهم ويتكفل بالرد على المنافقين، وهو الذي يكفي عباده مؤونة الرد على المستهزئين بما يليق بجلاله سبحانه وتعالى (١).

وفي العبارة إدماج بديع أيضًا حيث أدمج في الرد على المنافقين ما يشير إلى كرامة المؤمنين عند ربهم، والله أعلم.

ويمكن أن يضاف توجيه ثان لبيان سر فصل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ عما قبله ألا وهو عدم الاشتراك في الحكم، بيان ذلك: أن قبله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [البقرة ١٤] فلو عطف قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ على ﴿ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ لكان من مقول المنافقين، ولم يعطف على «قالوا» لئلا يشاركه الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله: ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾ -المراد باختصاصه بالظرف أنه قيد فيه لكونه شرطًا له، والشرط قيد في

(١) انظر الكشاف (١/ ١٨٧)، وحاشية السيد على الكشاف الصفحة نفسها.

الجواب- فإن استهزاء الله تعالى بهم -بالمعنى الذي يليق بجلاله سبحانه- متصل لا ينقطع بكل حال سواء خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم.

وللعلة نفسها كان الفصل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١-١٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣]، حيث فصل قوله: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ عما قبله، وكذلك قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ...﴾ للإشارة إلى أنهم مفسدون في جميع الأحوال سواء قيل لهم: لا تفسدوا أم لا، وسفهاء في جميع الأوقات سواء قيل لهم: آمنوا أم لا. والله أعلم بمراده (١).

السؤال١١٩: لماذا لم يقل: الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾؟ [البقرة: ١٥]

الجواب: السر في العدول عن الاسمية «مستهزئ» إلى الفعلية «يستهزئ» وهو الدلالة على تجدد الاستهزاء بهم وقتًا بعد وقت، وحينًا بعد حين، وهذا أشد عليهم وأوجع لقلوبهم، وأرهب في صدورهم من الاستهزاء الدائم الثابت المستفاد من الجملة الاسمية، «لما هو محسوس من أن العقوبة الحادثة وقتًا بعد وقت، والمتجددة حينًا بعد حين أشد على من وقعت عليه من العذاب الدائم المستمر، لأنه يألفه ويوطن نفسه عليه»(٢)، والله أعلم بمراده.

السؤال١٢٠: ما سر تقديم المسند إليه -لفظ الجلالة- على خبره الفعلي «يستهزئ» في قوله سبحانه: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾؟ [البقرة: ١٥]

الجواب: للمسارعة ببعث الطمأنينة والسكينة في قلوب المؤمنين، والوعيد

---

(١) راجع الإيضاح للخطيب القزويني (٣/ ١٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٤)، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

للمشركين، وأنه سبحانه هو الذي سينتصر لعباده الموحدين وينتقم لهم من المنافقين المستهزئين، وقد أفاد هذا التقديم القصر كما دل عليه المعنى المشار إليه، والله أعلم بمراده.

السؤال١٢١: لم صرح بالمستهزَأ به في الآية هنا- وهو الضمير في «بهم» في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ولم يصرح به في قول المنافقين فيما حكاه القرآن: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ حيث لم يقولوا: مستهزئون بهم؟

الجواب: صرح بالمستهزَأ به هنا ليكون الاستهزاء بهم نصًا لا يقبل الشك أو التأويل، ولم يصرح به هناك، لخوف المنافقين من وصوله للمؤمنين، فأبقوا اللفظ عامًا محتملاً غير منصوص على ما مستهزأ به معين، ليكون لهم مجال في الإنكار والمراوغة والخداع، وهذا يدل على جبنهم وضعفهم، والله أعلم بمراده.

السؤال١٢٢: ما المقصود بالمد والطغيان والعمه في قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]؟

الجواب: المقصود من المد الزيادة والإمهال والإملاء، والمعنى يطيل لهم المدة ويمهلهم حتى إذا أخذهم أخذ عزيز مقتدر، وعليه فالمد من المدد بمعنى الزيادة والإطالة، أو من المد في العمر بمعنى الإملاء والإمهال، وأحسب -والله أعلم- أن كلا المعنيين يستقيم مع السياق.

والطغيان أصله مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١]، أي ارتفع وعلا وتجاوز المقدار، والمراد هنا كفرهم وضلالهم، والمعنى في الآية يمدهم بطول العمر والسعة في الرزق حتى يزيدوا في الطغيان ويمهلهم حتى يزيد في عذابهم[١].

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٠٩، ٢١٠).

والمقصود من العمه التردد والحيرة في الكفر، والعمى يكون في العين، والعمه يستعمل في الرأي، والله أعلم.

السؤال١٢٣: هل نسبة المد بمعنى الإمهال والإملاء إلى الله تعالى في الآية الكريمة من باب الحقيقة أم المجاز؟

الجواب: نسبة المد إليه سبحانه من باب الحقيقة، إذ هو سبحانه الفاعل الحقيقي له والموجد للأشياء.

ويمكن حمل المعنى على أنهم لما أصروا على الكفر والنفاق خذلهم الله تعالى ومنعهم ألطافه وحجب عنهم أنوار هدايته فتزايدت ظلمة قلوبهم فسمي هذا التزايد في التجبر والمعصية مددًا في الطغيان، وأسند إيلاؤه إليه سبحانه على سبيل المجاز العقلي بعلاقة المسببية[1]، وفاعله في الحقيقة هم الكفرة، وهكذا يمكن أن يرد على من يقول: كيف جاز أن يوليهم الله مددًا في الطغيان، وهو سبحانه منزه عن ذلك؛ لأنه من فعل الشياطين بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] فافهم ما قرأت يرحمك الله، والله أعلم بمراده.

السؤال١٢٤: ما سر إضافة الطغيان إلى ضمير المنافقين في قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾؟ [البقرة: ١٥]

الجواب: أضيف الطغيان إليهم، لأنه فعلهم الصادر عنهم، أو للإشارة إلى أن طغيان غيرهم في جنبهم كأنه لا شيء، لفظاعة طغيانهم وتجاوزه كل حد، ولغرابته حتى بات ينسب إليهم، ويعرف بإضافته إليهم، وكأنهم اختصوا به، لذا لم يقل: ويمدهم في الطغيان، والله أعلم بمراده[2].

---

(١) انظر حاشية السيد على الكشاف (١/ ١٨٩).

(٢) روح المعاني (١/ ١٦٠)، والتحرير والتنوير (١/ ٢٩٧).

السؤال١٢٥: مَن المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٦]؟ ولماذا استخدم اسم الإشارة للبعيد؟

الجواب: المشار إليهم هم المنافقون المذكورة أقوالهم وصفاتهم في الآيات السابقة، وأوثر اسم الإشارة للبعيد «أولئك» للدلالة على بُعْد منزلتهم في الضلال والشر وسوء الحال، وبعدهم عن منهج الله وعن القرآن، وكان هذا بمحض اختيارهم لوضوح أسباب الهداية أمامهم.

السؤال١٢٦: كيف قيل في المنافقين: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٦] وهم ما كانوا على هدى بل كانوا منغمسين في الضلالة؟

الجواب: لأنهم لما عاينوا دلائل الهدى، وشاهدوا الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة التي تدفع إلى إيثار الهدى جُعِلوا كأنهم كانوا عليه ثم تركوه واستبدلوا به الضلالة، والله أعلم.

السؤال١٢٧: هل الاشتراء في قوله تعالى: ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٦] مستخدما في معناه الحقيقي؟

الجواب: لا، فالاشتراء مستعار للاستبدال والاختيار بجامع حرية التصرف في كل منهما، واشتق من الاشتراء اشتروا بمعنى اختاروا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

السؤال١٢٨: إذا كان الاشتراء مستعارًا للاستبدال والاختيار، فما علة ذكر الربح والتجارة في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾؟ [البقرة: ١٦]

الجواب: ما ذُكر من الربح والتجارة يلائم الاشتراء، لذا فهو ترشيح للاستعارة في «اشتروا» وتقوية لها فأكد الإحساس بأن المبايعة حقيقية، والله أعلم[1].

---

(١) الاستعارة المرشحة: هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه وما يناسب المشبه به، وهي أقوى في المبالغة لخفاء التشبيه وتحقيق معنى المبالغة القائمة على تناسي التشبيه وأن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه.

السؤال ١٢٩: الموصول «الذين» بمعنى المعرف بلام الجنس، فماذا أفاد في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾؟ [البقرة: ١٦]

الجواب: أفاد هذا التركيب ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ القصر، حيث قصر المسند على المسند إليه وهو قصر إدعائي «لإضافي» للإيماء إلى أن هؤلاء المنافقين بلغوا الغاية في اجتراء الضلالة والحرص عليها، وفي البعد عن الهدى؛ لجمعهم أرذل الأوصاف من الفر والسفه والخداع والإفساد والاستهزاء بالمؤمنين والتي توصلهم إلى الغاية في الضلال(١)، والله أعلم.

السؤال١٣٠: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾؟ [البقرة: ١٦]

الجواب: الفاء في الآية للتعقيب، وجيء بها للإشارة إلى سرعة عدم ربحهم في تجارتهم وعدم اهتدائهم، وأن هذا تحقق بمجرد اشترائهم الضلالة بالهدى، حيث جاء عقبه مباشرة دلالة على سوء صنيعهم، وبوار سعيهم، وفداحة خسارتهم، والله أعلم.

السؤال١٣١: كيف أسند عدم الربح إلى التجارة، في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] وعدم الرابحين هم أصحابها؟

الجواب: جاء هذا على طريقة المجاز العقلي بعلاقة السببية، لأن الأصل أن يقال: فما ربحوا في تجارتهم،ولكن عُدل عن هذا إلى المجاز مبالغة في إيصاد باب النفاق في وجوههم، وأنه لن يصل بهم إلى أي خير، والله أعلم.

السؤال١٣٢: لماذا لم يصرح بالتعبير عن خسارة المنافقين فيقال مثلاً: «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فخسروا»؟

الجواب: استخدمت الكناية في التعبير عن خسرانهم، وأوثرت على التعبير المباشر

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٢٩٩).

الحقيقي، لأن فوات الربح يستلزم الخسارة، هذه واحدة، وللتصريح بانتفاء الهدف من التجارة والمقصد منها مع حصول ضده وهو الخسارة، ولو قيل: خسرت تجارتهم، فلا يتوهم «إن نفي أحد الضدين -الربح والخسارة-، إنما يوجب إثبات الآخر إذا لم يكن بينهما واسطة وهي موجودة هنا، فإن التاجر قد لا يربح ولا يخسر»، وهذا كلام الألوسي فتأمله(١)، والله أعلم.

السؤال١٣٣: ما سر التعبير بـ«كانوا» في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] حيث كان من الممكن أن يقال: وما اهتدوا ؟

الجواب: للدلالة على عراقتهم في الضلالة وفي البعد عن الهداية وأن تلك الصفة متأصلة فيهم قديمة راسخة ثابتة، بدلالة «كان» الدالة على الدوام والاستمرار، وهذا أنسب للتقريع والتوبيخ، فليس من كانت هذه الحالة حاله أن يهتدي أبدًا، لأن الشر قد استمكن من نفسه فأظلمت وغلفت بالضلالة حتى إنه لا مكان لنور يُبدد ظلمتها، والله أعلم.

السؤال١٣٤: ما علة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ وعطفه على قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾، على الرغم من أن عدم الاهتداء قد فُهم من استبدال الضلالة بالهدى؟ أوليس هذا تكرارًا للمعنى السابق؟

الجواب: ليس هذا تكرارًا، بل المراد الإشارة إلى أنهم خسروا رأس المال والربح معًا في تجارتهم الفاشلة، بيان هذا أن رأس مالهم هو الهدى، فلما استبدلوا به الضلال انتفى رأس المال بالكلية، وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة وُصفوا بانتفاء الربح والخسارة؛ لأن الضال في دينه خاسر، وإن أصاب أموال الدنيا، ولأن من لم يسلم له رأس ماله وهو الهدى لم يوصف بالربح، بل بانتفائه أي الخسارة، إذن أضاعوا سلامة

---

(١) روح المعالي (١/ ١٦٢).

رأس مالهم بالاستبدال، وترتب على ذلك إضاعة الربح.

وليس معنى قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ عدم اهتدائهم في الدين فيكون تكرارًا لما سبق، بل لما وُصفوا بالخسارة في هذه التجارة أشير إلى عدم اهتدائهم لطرق التجارة كما يهتدي إليها التجار البصراء بالأمور التي يربحون فيها ويخسرون، والله أعلم بمراده.

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧-٢٠]

السؤال١٣٥: ما المَثَل؟

الجواب: المثل: أصله حكمة شاعت وانتشرت ودارت على الألسنة فصارت مثلاً لدورانها، وهو فن من الفنون النثرية التي عرفها العرب قبل الإسلام وبعده، وقد بقيت الأمثال بصورتها الأصلية بحكم إيجازها، وكثرة دورانها على ألسنة الناس، وهي سجل تاريخي لما تحمله من قصص وحكايات، تعكس صورة الماضي لأخذ العبر والاستفادة منها.

والأمثال هي خلاصة وثمرات الناس وتجاربهم، بها تنطق ألسنتهم، فتصف أحوالهم الفكرية والاجتماعية والأدبية والثقافية والتاريخية والوطنية والأخلاقية، وتترجم واقعهم وآمالهم وآلامهم، في عبارات بليغة موجزة، تعبر في أبلغ بيان عن واقعهم وحياتهم.

والأمثال حكايات لا تغير؛ لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة: إنها بمنزلة من قيل له هذا القول، ويجتمع في المثل ثلاث خصائص إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه.

وأخيرًا فالمثل يرتبط بالتشبيه والاستعارة.

السؤال١٣٦: ورد مثلان لتشبيه حالة المنافقين في التذبذب والحيرة والضياع، الأول في قوله سبحانه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ...﴾ [البقرة: ١٧].

والثاني في قوله سبحانه: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ..﴾ [البقرة: ١٩]، ما دور المثلين في الكشف عن نفسية المنافقين؟

الجواب: أجاب الزمخشري عن هذا السؤال فقال: «... الثاني، لأنه دلّ على فرط الحيرة، وشدة الأمر وفظاعته، ولذلك أخّر، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ»(١).

وإذا أردنا أن نوازن بين التشبيهين فإننا نلحظ أن الحيرة في التشبيه الأول تركز على الظلمة التي تجعل القوم يحرصون على الضوء فيستوقدون نارًا، والحيرة في التشبيه الثاني في ظلمة أيضًا، ولكن لم تكن وحدها تشكل الصورة، بل انضاف إليها المطر المنهمر بكثافة وغزارة، والرعد الشديد الذي يكاد يصم الآذان، والبرق الذي يخطف الأبصار.

إذن فالظلمة في التشبيه الأول هي محور الصورة، وتكاد تكون وحدها، أما الظلمة في التشبيه الثاني فليست هي التي تشكل الصورة وحدها كما بينا.

كما أن التمثيل الأول اعتمد على حاسة واحدة وهي البصر بخلاف التمثيل الثاني الذي اعتمد على حاستي البصر والسمع، وهذا كله يدلل على أن الموقف في التشبيه الثاني أكثر رعبًا وهولًا وفزعًا لإضافة تلك العناصر الجديدة على الظلمة من صيب ورعد وبرق كما بينا، مما جعل الظلمة مهولة تحمل في جوفها أسباب الهلاك لهؤلاء القوم الضالين الذين لا يحول بينهم وبينها إلا مشيئة الله تعالى التي شاءت استمرارهم أحياء كاملي الحواس ليعانوا هول الموقف بحس يقظ سليم.

---

(١) الكشاف (١/ ٢١٣).

ومما يلمح في المثل الثاني أيضًا أن عناصر الصورة فيه وهي الصيب وما تبعه من رعد وبرق وظلمة ولم تكن خالصة في باب الهول والحيرة فقط، وإنما هي أشياء لها وجهان: وجه للخير والحياة، ووجه للإبادة والإهلاك، فالسحاب ومطره رحمة ونعمة وخير يسوق الله تعالى إلى الأرض الميتة فتحيا وتثمر، وهذا وجه الخير، وقد يكون هذا المطر دمارًا وعذابًا وعقابًا، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الاحقاف: ٢٤] فاختيار الصيب في المثل الثاني له مغزى لأنه شابه الشريعة من هذه الجهة، فهو إما حياة ونماء، وإما أن يكون دمارًا وفناء.

القوم الحائرون التائهون في ظلمة باطلهم في هذا المثل إنما تصعقهم الأهوال وهم في وادي الحياة والماء الغامر، لأنهم ضلوا وجه النفع فيه، فالمنافق اشترى الضلالة بالهدى، والكفر بالإيمان، والحيرة باليقين، فسبيل الفوز والنجاة يتراءى أمامه، والهدى بين يديه، إلا أنه أبى الالتفات إليه، وكأنه حائر تائه وسبيل الرشد تحت بصره !!(١)، والله أعلى وأعلم بمراده.

السؤال١٣٧: ما المقصود من المثل في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾؟ [البقرة: ١٩]

الجواب: المقصود إبراز صفات المنافقين في صورة محسوسة مشاهدة لتكون أوقع في نفس السامع، وللمبالغة في التنفير منها، وقد شبه الله عز وجل في هذا المثل والذي يليه حال المنافقين وما هم فيه من حيرة وتخبط واضطراب وضياع بحال من سعى في طلب النار ليهتدي بها في طريقه المظلم، فلما حصل عليها بعد كد وتعب انطفأت، وبقي كما كان قبلها في حيرة وتيه وظلام وضلال.

---

(١) راجع التصوير البياني د. محمد أبو موسى (٨٨، ٨٩).

وهكذا رأينا كيف كشف لنا هذا التشبيه التمثيلي حيرة المنافقين وما يعتري نفوسهم من قلق واضطراب في صورة مرئية مشاهدة، والله أعلم بمراده.

السؤال ١٣٨: لماذا فصلت هذه الآية عما قبلها ؟

الجواب: لأنها مقررة لما قبلها لمجمل أوصاف المنافقين؛ لذا فصلت ولم تعطف؛ لأن من أحوال الفصل أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى ومقررة لها، وهذا يسمى كمال الاتصال.

السؤال ١٣٩: على أي شيء يطلق المثل؟

الجواب: على القصة العجيبة الغريبة التي لها شأن وما شابهها من أمر أو صفة.

السؤال١٤٠: علام تدل زيادة السين والتاء في «استوقد» ؟

الجواب: تدل على الإلحاح في طلب النار والكد المضني في سبيل تحصيلها، ووراء هذا قوة الدافع من الخوف والرعب والهلع والهول من الظلمة، إنه يريد أن يبدد ظلمة نفسه، ويدفيء صقيع قلبه، والله أعلم.

السؤال١٤١: علام يدل التنكير في «نارًا» ؟

الجواب: يدل على أن غاية أمل الطالب لها أن تكون قليلة تنير إنارة ما، يتبين بها طريقه ويتحسسه، والله أعلم.

السؤال ١٤٢: ماذا أفاد التعبير بـ «لما» في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ [البقرة: ١٧]

الجواب: دلت على المباغتة والمفاجأة والسرعة، فالنور ذهب به فور وجوده ولم

ينتفع به هذا الكادّ في طلبه، فالأمل ما إن بدأ في التحقق إلا وتلاشى وقد ابتلعته ظلمة اليأس، وذهب كأن لم يكن، والله أعلم.

السؤال١٤٣: ما السر في إسناد ذهاب النور إلى الله تعالى في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ [البقرة: ١٧]

الجواب: للإشارة إلى أن النور لم يبق منه شيء ألبتة، وكأن يد القدرة الإلهية امتدت إلى هذا النور وذهبت به، وفيه معنى آخر «هو أنهم بلغوا من السوء وفساد النفس مبلغًا أغضب الرحمن الرحيم، فهم محاصرون في ظلمتهم هذه بالقدرة الآخذة بخناقهم؛ نظرًا لسوء نفوسهم، فهم يعانون ظلمة الوجود من حولهم، وظلمة قلوبهم التي استحقت أن يذهب الله بنورها» (١)، والله أعلم.

السؤال١٤٤: لم أضيف النور إلى ضمير المنافقين فقيل: «بنورهم» ؟

الجواب: النور في الحقيقة للنار، ولكن لما كانوا ينتفعون به صح إضافته إليهم، فالإضافة إذن لأدنى ملابسة (٢)، والله أعلم.

السؤال١٤٥: لماذا عدي الفعل «ذهب» بالباء، ولم يتعد بالهمزة فيقال: أذهبه الله؟

الجواب: «للإشعار بأن الله تعالى كان معهم بمعونته وتوفيقه عندما استوقدوا النار فأضاءت، وذلك أنهم كانوا قائمين على سبيل فطرته التي فطر الناس عليها، معتقدين صحة شريعته التي دعا الناس إليها، وبأنه تخلى عنهم عندما نكبوا عن تلك السبيل

(١) التصوير البياني، د/محمد محمد أبو موسى (ص ٨٥، ٨٦).
(٢) روح المعاني (١/١٦٧).

وعافوا ذلك المورد السلسبيل»[١]، والله أعلم.

السؤال١٤٦: لماذا قال: «ذهب بنورهم» ولم يقل: ذهب بضوئهم؟

الجواب: لأن المراد بيان أنه سبحانه استأصل هذا النور، وأزاله تمامًا، وبدده بحيث لم يبق منه شيء ألبتة وأنهم صاروا في ﴿ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾، ولو قيل: بضوئهم، لما دل على هذا المعنى، لأن الضوء فرط الإنارة، ففيه نور وزيادة، فلو عبر به لربما فُهم أنه سبحانه قد ذهب بهذا القدر الزائد، وبقي أصل النور، وليس ذلك بمراد، والله أعلم. وقيل: اختار النور على النار، لأنه أعظم منافعها، والمناسب للسياق السابق واللاحق، والله أعلم.

السؤال١٤٧: علام يدل التعبير بالترك في قوله تعالى: «تركهم»؟

الجواب: يوحي بالإهمال والازدراء، والله أعلم.

السؤال١٤٨: لماذا عدل عن الإفراد في ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾ إلى الجمع في قوله: ﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾، حيث كان مقتضى الظاهر أن يقال: مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنوره وتركه في ظلمات لا يبصر؟

الجواب: أقوى الآراء هي أن المراد تشبيه قصة المستوقد وهي مفردة بقصة المنافقين، فالمنافقون إذًا لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه العدول عن المفرد إلى الجمع[٢]، والله أعلم.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (١/ ١٧١)، محمد رشيد رضا، دار لمعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

(٢) راجع مفاتيح الغيب (١/ ٤٥٥).

السؤال١٤٩: ما سر إفراد النور وجمع الظلمات في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾؟ [البقرة: ١٧]

الجواب: إفراد «النور» يومئ إلى شعاع الفطرة الذي يومض ثم يتلاشى سريعًا من قلوبهم نتيجة لتكاثف ظلمات الباطل، فهم في ظلمة فوق ظلمة، وهذا هو سر جمع الظلمات، والله أعلم.

السؤال١٥٠: ما فائدة ذكر جملة ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ﴾؟

الجواب: لتأكيد معنى كثافة الظلمات وتراكبها، وأنها حاجبة جدًا، فليست كالظلمة التي تستطيع أن ترى فيها العين شيئًا من الأشياء كالأجسام اللامعة مثلاً، وإنما هي ظلمة مطبقة، وكأنها سلبت قوة الإبصار، فهم في ظلمة، وهم لا يبصرون، فتضاعف معنى الظلام والضلال، وذهاب الإدراك، فهناك ظلمة في النفس، وظلمة في الكون، وظلمة في حدقة العين، وناهيك عما وراء ذلك من فقد التمييز بين الخير والشر، والضلالة والهدى(١)، والله أعلم.

السؤال١٥١: ما سر تنكير الظلمات وعدم مجيئها معرفة؟

الجواب: الغرض هو النوعية، فالظلمات التي فيها المنافقون لكثرتها وتراكبها كأنها ظلمات من نوعية خاصة غير متعارف عليها، والله أعلم.

السؤال١٥٢: هل المقصود نفي الإدراكات عن حواس المنافقين جملة في قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾؟ [البقرة: ١٨]

الجواب: لا، ليس الغرض نفي الإدراكات عن حواسهم حقيقة وجملة، بل إن المقصود نفيها من جهة ما، قال الشاعر:

---

(١) التصوير البياني، د. محمد أبو موسى (ص٨٦).

وعوراء الكلام صممتُ عنها ولـو أني أشـاء بها سميع

وقول الدارمي:

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر
وأصم عـمـا كـــان بينهمـا أذني وما في سمعها وقـر

فالمقصود إذن عدم قبولهم الحق وإعراضهم عنه، وعدم تأملهم في مخلوقات الله تعالى وآياته الكونية، فهم وإن كانوا من ذوي السمع والبصر والفصاحة إلا أنهم لما لم ينتفعوا بتلك الحواس ولم يتوصلوا بها إلى الإيمان بالله ورسوله فقد شبهوا بمن فقد الإدراك بتلك الحواس حقيقة، هذا وإن كان ظاهر المراد في هذه الآية الكريمة أن المنافقين متصفون بالصمم والبكم والعمى حقيقة، لكنه ورد في موضع آخر بيان المقصد الحقيقي من وصفهم بالصمم والبكم والعمى ألا وهو عدم انتفاعهم بتلك الحواس وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف ٢٦].

فقد سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق، وأبوا أن ينطقوا به بألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم، ولذا لم يغن عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا قلوبهم لإعراضهم عن الحق وجحودهم به، وعلى كل فالصفات المذكورة استعارات تصريحية، والله أعلم.

السؤال١٥٣: هل قوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٨] من قبيل الاستعارة أم من قبيل التشبيه البليغ؟ ولماذا؟

الجواب: الآية من قبيل التشبيه البليغ، لأن التقدير: «هم صم بكي عمي»، والمقدر كالمذكور، وعليه فطرفا التشبيه مذكوران، المشبه مذكور تقديرًا، والمشبه به مذكور

نصًا، ولا يمكن حمل الآية على الاستعارة، لأنه يشترط فيها حذف أحد طرفي التشبيه، والله أعلم.

السؤال١٥٤: لم ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وختم قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] **بـ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ على الرغم من اتحاد الأوصاف الواردة في الآيتين؟**

الجواب: في الآية الأولى مثل حال المنافقين بحال مستوقد النار طلبًا للإضاءة، وأنه لما أضاءت ما حوله أذهبها الله وطفئت، فلم يكن له ما يستضيء به ويرجع إليه، فنفى عنهم وجود ما يرجعون إليه من ضياء يرفع حيرتهم، لذا كان من الملائم ختم الآية بما ختمت به.

أما في الآية الثانية فإنه مثل حال الكافرين بحال الغنم في كونها يصاح بها وتنادى فلا تفهم عن راعيها، ولا تسمع إلا صوتًا لا تعقل معناه، ولا تفهم المقصود منه، كذلك حال الكفار في تلقيهم دعوة رسلهم لهم بالإيمان فلا يجيبونهم ولا يعقلون ما يراد بهم، لذا كان من الملائم أن تختم الآية بقوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، والله أعلم بمراده.

السؤال١٥٥: ما سر ترتيب الصفات كما وردت في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾؟ [البقرة: ١٨]

الجواب: رتبت تلك الصفات على وفق حال الممثل له، أي المنافقين؛ لأن المنافق يسمع أولًا دعوة الحق فينتفع بها ولا ينتفع، ثم يجيب عما سمعه فيعترف بالإيمان ويقر به أو لا يعترف، ثم يتأمل ويبصر فيقر بآيات الله وقدرته وبما جاء به الرسول أو لا

---

(١) راجع ملاك التأويل (١/٣٥) للغرناطي، تحقيق د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

يقر[١]، والله أعلم بمراده.

السؤال١٥٦: ما دلالة الفاء في قوله: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾؟ [البقرة: ١٨]

الجواب: الفاء للدلالة على أن اتصاف المنافقين بما تقدم من صفات سبب لتحيرهم ولعدم إقلاعهم عن الكفر، والله أعلم[٢].

السؤال١٥٧: ما المقصود من قوله: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾؟ [البقرة: ١٨]

الجواب: الجملة مجاز عن عدم عودتهم إلى الهدى أو عن الضلالة، والله أعلم.

السؤال١٥٨: لِمَ أعيد حرف التشبيه «الكاف» في «صيب» في قوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؟ [البقرة: ١٩]

الجواب: تكرير حرف التشبيه مع حرف العطف أغنى عن إعادة العامل حيث التقدير: «أو مثلهم كصيب...»، والله أعلم.

وفي التكرار أيضا إشارة إلى اختلاف الحالين المشبهين في المثلين الأول والثاني، والله أعلم.

السؤال١٥٩: ورد المثل في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]

فما فائدة ذكر هذا المثل للمنافقين بعد ذكر المثل الأول؟

الجواب: لزيادة الإيضاح والتفصيل، ولخطورة الدور الذي كان يقوم به المنافقون

---

(١) راجع روح المعاني (١/ ١٦٩).
(٢) روح المعاني (١/ ١٧٠).

لإيذاء المسلمين، ومدى ما كانوا يسببونه من قلاقل واضطرابات، لذا كانت زيادة الإيضاح بضرب الأمثال لهذه الطائفة وتكرارها لتكشف عن طبيعتهم ونفسياتهم فيزيدها جلاء وإيضاحًا، والله أعلم.

السؤال١٦٠: ما المقصود من التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩] ؟

الجواب: المقصود بيان حال المنافقين وما يعتري نفوسهم من ضلال وقلق وحيرة وتيه واضطراب وجهل بالدين بتشبيههم بحال من أحاط بهم مطر غزير فيه من تكاثفه وتراكبه ظلمات تحجب الرؤية، وفيه أضواء وأصداء رعد وبرق يبعثان الهول وينشران المخاوف حتى يكاد القوم يعاينون الموت بأعينهم ويسمعون حسيسه المفزع فيجعلون أصابعهم في آذانهم حتى يبعدوا عن أسماعهم هذا الهول المطبق الذي لا يحتمل.

ومع أن البرق ليس كالبرق المعتاد الذي يراه الإنسان ويستطيع أن يحدق فيه، فقد كانوا ينتهزون فرصة لمعه ليخطوا خطوة من محيط الرعب الجاثم على أرواحهم.

هذا القلق المفزوع، وتلك الحالة النفسية المتردية والمترددة والمضطربة وهذا التخبط والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون بين لقائهم للمؤمنين، وعودتهم للشياطين، بين ما يقولونه لحظة، ويتراجعون عنه فجأة، بين ما يطلبونه من هدى ونور، وما يفيؤون إليه من ضلال وجهل وظلام، كل هذا صور في مشهد حسي مفعم بالحركة والتوتر والاضطراب. وهذا فضل التشبيه الذي نقل المعنويات إلى المحسوسات حتى لكأنها تدرك، وواضح أن التشبيه هنا من باب تشبيه المعنوي بالحسي، والتشبيه مركب الوجه والطرفين، والله أعلم.

السؤال١٦١: علام عطف المثل في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩]**؟ وماذا أفادت «أو» في الآية؟**

الجواب: عطف على المثل الأول (آية: ١٨)، وأفادت «أو» في الآية التسوية في التخيير، والمعنى: مثل لحال المنافقين بأي القصتين شئت فهما سواء في التمثيل، ولا بأس إن مثلت بهما جميعًا.

السؤال١٦٢: الصيب -المطر- لا يكون إلا من جهة السماء، فما فائدة ذكرها؟

الجواب: لزيادة شخوص صورة الصيب -المطر- ومثولها في الخيال، كقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل ٢٦] وخرور السقف لا يكون إلا من أعلى، وكذلك قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [آل عمران ١٦٧] والقول لا يكون إلا بالفم، فأمثال هذه القيود تفيد زيادة بيان المعنى، وتصويره وتربيته في القلب، وتجسده في الخيال، وهذا هو الجواب الأول[1].

أما الجواب الثاني أن في ذكر «السماء» دلالة على أن الصيب عام مطبق آخذ بآفاق السماء ينزل من جميع جوانبها، وهذا أدل على شدته وغزارته وهوله، ولو قيل: كصيب فيه ظلمات لاحتمل أن يكون ذلك الصيب نازلًا من بعض جوانب السماء دون بعض، وهذا والله أعلم، غير مراد؛ لأنه لا يدل على كثافة المطر وغزارته[2]، والله أعلم بمراده.

---

(١) التصوير البياني (٨٧) د. محمد أبو موسى.

(٢) راجع مفاتيح الغيب (١/ ٤٦٠).

السؤال١٦٣: في قوله تعالى: «كصيب» مبالغات من جهات مختلفة فما هي؟

الجواب: في كلمة «صيب» عدة مبالغات من جهة التركيب والبناء، أما من جهة التركيب أي الحروف، فإن الصاد من الحروف المستعلية، والياء مشددة، والباء من الحروف الشديدة، وفي هذا محاكاة لمعنى الشدة المقصود، ومن جهة البناء فإن الكلمة على وزن «فيعل»، وهي من الصيغ الدالة على الثبوت، وفيها إشارة إلى دوام استمرار هطول ذلك الصيب المصاحب بالرعد والبرق مدة طويلة، وأما من جهة التنكير فقد أفاد التعظيم والتهويل، وفيه دلالة على غزارة المطر وكثرة الهول المصاحب له وعظمته(١)، والله أعلم.

السؤال١٦٤: ما نوع «ال» في قوله: «السماء»؟ ولماذا جاءت السماء معرفة؟

الجواب: «ال» للاستغراق، بمعنى جميع جوانب السماء، وجاءت «السماء» معرفة لتفيد العموم، ولو جاءت نكرة لجاز أن يكون الصيب من بعض جوانبها دون بعض، وهذا ينافي المبالغة في كلمة «صيب».

السؤال١٦٥: ما دلالة التنكير في قوله: ﴿ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾؟ [البقرة: ١٩]

الجواب: أفاد النوعية، لأن المراد أنواع معينة غير معهودة من الظلمات والرعد والبرق، والله أعلم.

السؤال١٦٦: ما سر جمع الظلمات في الآية؟

الجواب: للدلالة على تكاثف الظلمات وشدتها، فهي: «وإن كانت في الأصل ظلمة

---

(١) راجع حاشية السيد علي الكشاف (١/ ٢١٤).

واحدة لكنها لشدتها استعيرت لها صيغة الجمع مبالغة»، وبناء عليه فقد استعيرت كثرة الظلمات بجمعها للدلالة على شدتها، والله أعلم[١].

السؤال١٦٧: ما سر إفراد الرعد والبرق بعد جمع الظلمات في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ .. ﴾ حيث كان مقام المبالغة في تصوير شدة ما أصاب القوم من الهلع والفزع يقتضي جمعهما بعد جمع الظلمات؟

الجواب: لعل السر -والله أعلم- في إفراد الرعد والبرق بعد جمع الظلمات أن المراد الإشارة إلى شدة الظلمات وتكاثفها ولو جمعت الرعود والبروق لكان من ضوئهما ما يقلل من شدة الظلمات وتكاثفها، وهذا غير مراد، والله أعلم بمراده.

السؤال١٦٨: ما فائدة ذكر الرعد والبرق في هيئة المشبه به؟

الجواب: أولًا أشير إلى أن الرعد والبرق الواقعين في صورة المشبه به قد بلغا منتهى قوة جنسيهما بحيث لا يمنع قصف الرعد من إتلاف أسماع سامعيه، ولا يمنع وميض البرق من إتلاف أبصار ناظريه إلا مشيئة الله وعدم وقوع ذلك لحكمة، وفائدة ذكر هذا المعنى في حالة المشبه به الإشارة إلى نظيره في حالة المشبه: أي المنافقين، فهم على وشك انعدام الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم انعدامًا تامًا من كثرة عنادهم وإعراضهم عن الحق، إلا أن الله سبحانه لم يشأ ذلك استدراجًا لهم وإمهالًا وإملاء ليزدادوا طغيانًا وعنادًا، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، أو تلوا ما لهم وإعذارًا لعل منهم من يرتدع فيثوب إلى رشده ويؤمن[٢]، والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (١/ ١٩٧).

(٢) راجع التحرير والتنوير (١/ ٣٢٢، ٣٢٣).

السؤال١٦٩: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾؟ وما وجه بلاغته؟ [البقرة: ١٩]

الجواب: في الآية مجاز مرسل بعلاقة الكلية، حيث أطلق الكل «الأصابع» وأراد الجزء «الأنامل» والأطراف؛ لأنها هي التي تجعل في الآذان، وذلك مبالغة في حرص هؤلاء القوم على سد أسماعهم من الصواعق لشدة ما يجدونه من الهول، فأصوات الصواعق تصم آذانهم من كل جانب، لذا فهم يحرصون على محاولة وضع الأصابع بتمامها في آذانهم، لعلها تخفف عنهم سماع تلك الأصوات المخيفة المرعبة المصاحبة لتلك الظلمات المتراكبة، ولذلك الصيب المتتابع، ويدل على استماتتهم في تلك المحاولة التعبير بالفعل المضارع «يجعلون» ليفيد الاستمرار التجددي، ولكن لا فائدة من ذلك في دفع المخاطر والإحساس بها.

وفي المجاز المرسل في هذا الموضع أيضًا إشارة إلى أن هؤلاء المنافقين من فرط الهول كأنهم فقدوا عقولهم وتمييزهم فحاولوا وضع الأصابع بتمامها في الآذان، «وهذا يكشف عمن يكون في مثل هذه الحال من تخبط وطيش وعدم تركيز»(١)، وقرينة المجاز عقلية وهي استحالة وضع الأصابع كاملة في المسامع، والله أعلم.

السؤال١٧٠: لماذا قيل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ ولم يقل: «يدخلون أصابعهم...»؟

الجواب: لأن جعل الشيء في الشيء أدل على إحاطة الثاني بالأول وشموله من إدخاله فيه (٢) والله أعلم.

---

(١) راجع التصوير البياني (٨٧).

(٢) راجع روح المعاني(١/١٧٣).

السؤال١٧١: ما نوع «من» في قوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾؟

الجواب: «من» هنا للسببية، لأن الصواعق هي علة جعل الأصابع في الآذان، والله أعلم.

السؤال١٧٢: ما صلة قوله: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ بما قبله؟

الجواب: هو علة لما قبله، لأن إدخالهم أصابعهم في آذانهم علته أنهم يحذرون الموت، كما أن قوله: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ غاية أيضًا، وفي هذا إيجاز بديع.

السؤال١٧٣: ما نوع الواو في قوله: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾؟ [البقرة: ١٩]

الجواب: الواو اعتراضية، والجملة معترضة بين قوله: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾، وقوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ فهي إذن جملة اعتراضية بين جملتين من قصة واحدة، وفيها تنبيه على وعيدهم وتهديدهم، والله أعلم.

السؤال١٧٤: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾؟ [البقرة: ١٩]

الجواب: استعارة تبعية، حيث شبهت القدرة الإلهية المطلقة التي لا يفوتها شيء بإحاطة المحيط بالمحاط بحيث لا يفوته، ولا يتفلت منه، والله أعلم.

السؤال١٧٥: لم وضع الاسم الظاهر -الكافرين- موضع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حيث كان ظاهر السياق أن يقال: يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت والله محيط بهم؟

الجواب: للإشارة إلى أن سبب هلاكهم واستحقاقهم ذلك العذاب هو كفرهم، فالإهلاك عن سخط «أشد وأبلغ، وفيه تنبيه على أن ما صنعوه من سد الآذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئا، وقد أحاط بهم الهلاك، ولا يدفع الحذر القدر» [١]، والله أعلم بمراده.

---

(١) روح المعاني (١/ ١٧٥).

السؤال١٧٦: ما سر التعبير باسم الفاعل «الكافرين» وإيثاره على الفعلية: الذين كفروا؟

الجواب: للدلالة على رسوخهم في الكفر وثباتهم فيه، والله أعلم.

السؤال١٧٧: هل المقصود من الخبر في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فائدته أم لازم فائدته؟

الجواب: المقصود لازم فائدة الخبر، وهو أن الله تعالى لا يهمل المنافقين ومن على شاكلتهم من أهل الكفر والظلم، وأنه سينتقم منهم أشد انتقام بما قدمت أيديهم (١).

السؤال١٧٨: لماذا فصلت جملة: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ عما قبلها؟

الجواب: للاستئناف البياني، حيث وقعت جوابًا عن سؤال تقديره: كيف حالهم مع تلك الأمطار الشديدة المصحوبة بالبرق؟ فقيل: يكاد يخطف أبصارهم، والله أعلم.

السؤال١٧٩: علام يدل التعبير بالمضارع «يخطف» في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾؟ [البقرة: ٢٠]

الجواب: يدل على الحال المناسب للمقاربة في «يكاد» حتى كأن الخطف لشدة قربه وقع(٢).

السؤال١٨٠: لم أسند الخطف إلى البرق؟

الجواب: الخطف معناه: الأخذ بسرعة، وإسناده إلى البرق من باب المجاز العقلي، لأنه سبب في أخذ الأبصار، والله أعلم.

---

(١) الخبر له غرضان أصليان، أولهما: إفادة المخاطب أمرًا يجهله، وهذا هو الأصل في كل خبر؛ لأن فائدته تقديم المعرفة أو العلم للآخرين. وهذا يسمى فائدة الخبر.

وثانيهما: إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، كقولك لمن يخفي زواجه عليك: أنت تزوجت. وهذا الغرض لا يقدم جديداً للمخاطب غير ما أشرنا إليه، ويسمى لازم فائدة الخبر.

(٢) روح المعاني(١/ ١٧٥).

السؤال١٨١: لماذا أسند الإظلام إلى البرق؟

الجواب: لأنه سبب فيه، والتقدير: «وإذا أظلم عليهم البرق الطريق باختفائه عنهم»، وجاء هذا على طريق المجاز العقلي بعلاقة السببية، والله أعلم.

السؤال١٨٢: كيف قيل: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] والمشي لا يكون في البرق وإنما في محله وموضع إشراق ضوئه؟

الجواب: الفعل «أضاء» يستخدم لازمًا ومتعديًا، ويمكن أن يكون هنا متعديًا، ومفعوله محذوف، والتقدير: كلما أضاء لهم طريقًا أو ممشى مشوا فيه، وبهذا تستقيم العبارة في الآية الكريمة، والله أعلم بمراده.

السؤال١٨٣: بم يوحي التعبير بكلمة «كلما» في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾؟ [البقرة: ٢٠]

الجواب: يوحي بشدة حرصهم ورغبتهم في الإفلات من أسباب الهلاك، وتكرار محاولتهم للنجاة من ذلك الموقف العصيب، والله أعلم بمراده.

السؤال١٨٤: ما سر ذكر «كلما» في جانب الإضاءة، و«إذا» الظرفية في جانب الإظلام في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾؟ [البقرة: ٢٠]

الجواب: للدلالة على شدة حرصهم على المشي، وأنهم يترصدون الإضاءة، فلا يضيعون لحظة من لحظات حصولها إلا واغتنموها ليتبينوا الطريق في سيرهم لشدة الظلام وتكاثفه[1].

---

(١) راجع التحرير والتنوير (١/ ٣٢١).

السؤال١٨٥: في الآية الكريمة ومن خلال المثل المذكور للمنافقين إشارة إلى تحينهم فرصة لمعان البرق للهروب من الهول المطبق عليهم، فلم قيل -إذن- ﴿مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ ولم يقل مثلًا: «جَرَوا فيه» أو «سعوا فيه» لمناسبته لمقام محاولة الإفلات مما فيه القوم الممثل بهم التشبيه؟

الجواب: السر في إيثار الفعل «مشى» على «سعى» أو «جرى» هو الإشارة إلى خور قواهم لفرط دهشتهم وهلعهم، لذا فهم لا يقدرون على سرعة الهروب من فم الموت كلما سنحت لهم الفرصة وإن كانوا يتمنون ذلك، ولكن تثاقلت أرجلهم على حملهم مما هم فيه ولم تسعفهم للجري السريع اغتنامًا للمعان البرق ليتبينوا ممشاهم، والله أعلم بمراده.

السؤال١٨٦: علام يدل حذف مفعول «أضاء» في الآية الكريمة؟

الجواب: يدل على فرط تخبطهم، وشدة تحيرهم لدرجة أنهم يمشون بغير هدى كل ممشى، وأنهم يخبطون خبط عشواء، والله أعلم.

السؤال١٨٧: لِمَ قيل: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ [البقرة: ٢٠] ولم يقل: وإذا أظلم عليهم وقفوا؟

الجواب: في كلمة «قاموا» دلالة على التهيؤ والاستعداد للوثب والحركة حين تحين فرصتها، وهذا رشحها لأن تكون ألصق بالسياق من كلمة «وقف»، لأن في الوقوف جمودًا وسكونًا، بخلاف «قام» فإنها مع دلالتها على القيام تدل أيضًا على حركة داخلية تتأهب وتتحين، ولهذا يقولون: «قامت الحرب على ساقها» ولا يقولون: «وقفت على ساقها»، ويقولون أيضًا: «قام عليه» أي حفظه ورعاه، ولا يقولون: «وقف عليه» ليفيدوا هذا المعنى، وتلك الفروق الخفية بين الكلمات المتشابهة باب جليل من أبواب فهم اللغة وبلاغتها نبه إليه رجال من سلفنا الصالح(١)، والله أعلم.

---

(١) التصوير البياني د. محمد أبو موسى (صـ ٨٧-٨٨).

السؤال١٨٨: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾؟ [البقرة: ٢٠]

الجواب: يعود إلى المشتبه به وهم أصحاب الصيب المشبه بحالهم حال المنافقين بدليل قوله سبحانه: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ وقوله: يجعلون أصابعهم في آذانهم، فالإخبار بمضمون الجملتين يناسب القوم المشبه بهم، والله أعلم.

السؤال١٨٩: علام يدل امتناع مشيئة الله سبحانه إذهاب أسماعهم وأبصارهم في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]**؟**

الجواب: في ذلك دلالة على أنه سبحانه لم يشأ ذلك لهؤلاء القوم ليظلوا يكابدون العناد، ويعاينون أسباب الهلاك ويعايشونه ليستمر عذابهم، لأن هذه الحواس لو تعطلت لما شعروا بذلك، والله أعلم.

السؤال١٩٠: ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] **فما موقع تلك الجملة بما قبلها؟ وماذا أفادت؟**

الجواب: وقعت تلك الجملة تَذييلاً لما قبلها، والتذييل هنا يجري مجرى المثل لاستقلاله عما قبله، وعدم توقفه عليه، وفيه زيادة في وعيد المنافقين وتهديدهم، كما فيه زيادة في تذكيرهم إثباتًا للحجة عليهم وقطعًا لمعذرتهم(١)، والله أعلم.

---

(١) التذييل: هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها لتوكيده بها، والمراد باشتمالها على معناها إفادتها بفحواها لما هو مقصود منها.

والتذييل نوعان:

- ضرب يجري مجرى المثل لاستقلاله عما قبله، وعدم توقفه عليه.
- وضرب لا يجري مجرى المثل لتوقفه على ما قبله، قال ابن نباتة السعدي:

لم يبق جودك لي شيئًا أؤمله ... تركتني اصحب الدنيا بلا أمل

فالتذييل في الشطر الثاني، وهو كما ترى لا يصح أن يستقل بنفسه لتوقفه في المعنى على ما قبله.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة ٢١-٢٥]

السؤال١٩١: من المقصود من النداء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾؟

[البقرة: ٢١]

الجواب: ذهب معظم المفسرين إلى أن المنادى هم الفئات الثلاث التي سبق الحديث عنها في السورة وهم المؤمنون، والكافرون، والمنافقون، ولكنني أخالف جموع المفسرين، وأرى -والله أعلم، وأعوذ به من الزلل- أن المخاطب في الآية هم الكافرون، ولا اندراج للمؤمنين في هذا الخطاب بدليل قوله تعالى -في الآيات بعدها-: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

فهل يمكن أن يكون هذا الخطاب للمؤمنين وللكافرين؟ وهل كان التحدي بمعارضة القرآن للكفار، أم للمؤمنين؟! لقد تمحل المفسرون في تأويل المخاطبين في هاتين الآيتين، وكانوا في منأى عن ذلك لو هدوا إلى أن المنادى في قوله سبحانه: «يا أيها الناس» الكفار، والله أعلم بمراده.

السؤال١٩٢: ما سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾، حيث كان الحديث قبل هذه الآية عن غائب «هم المنافقون»؟

الجواب: فيه تأنيس لعباده الضالين وفتح لأبواب رحمته لهم إن عادوا إلى رشدهم وآمنوا بالله تعالى إيمانًا خالصًا لا نفاق فيه ولا شبهة، وذلك بالإقبال عليهم بعد الإعراض عنهم، إشعارًا بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب الأمثال لهم متأهلين للخطاب من غير واسطة تنشيطًا لهم في عبادته سبحانه وتوحيده، وترغيبًا وتحريكًا إلى السمو بأنفسهم بإقباله سبحانه عليهم، وبشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضًا عنه بالقبول(١)، والله أعلم بمراده.

السؤال١٩٣: «يا» حرف نداء للبعيد، فلِمَ كان النداء به في الآية، والله تعالى أقرب إلى خلقه من حبل الوريد؟ أولم يكن من الأولى بناء عليه أن تستخدم أداة النداء للقريب؟

الجواب: أوثرت أداة النداء للبعيد في الآية للإشارة إلى بعدهم عن منهج الله تعالى وعن منازل المؤمنين الصادقين الموحدين، فنزل غفلتهم وسهوهم وسوء صنيعهم وفهمهم منزلة بعدهم، والله أعلم بمراده.

السؤال١٩٤: لمَ يقول الداعي في ندائه ربه: يا رب، ويا الله، وهو سبحانه أسمع به وأقرب؟

الجواب: هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى

---

(١) نظم الدرر (١/ ٥٥) بتصرف.

رضوان الله، ومنازل المقربين، هضمًا لنفسه، وإقرارًا عليها بالتفريط في جنب الله[1]، والله أعلم بمراده.

السؤال١٩٥: ما سر كثرة النداء بصيغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ في كتاب الله؟

الجواب: أولًا يجب أن نشير إلى أن هذه الصيغة مكونة من «يا» أداة نداء للبعيد و«أي» وهي اسم مبهم جيء به للتوصل إلى نداء المعرف بـ«ال»، لاستكراه اجتماع حرفي تعريف، و«أي» تحتاج إلى ما يزيل إبهامها ويوضحها لأنها كما قلنا اسم مبهم، وبعد «أي» يأتي حرف «ها» وهو للتنبيه ثم يأتي المقصود بالنداء بـ«أيها» وصفًا لها.

بعد هذا التفصيل الواجب لهذه الصيغة نجيب عن السؤال فنقول: كثر النداء بهذه الصيغة في القرآن الكريم لما فيها من تكرر الذكر والإيضاح بعد الإبهام المستقر في «أي»، وهذا من أبواب التوكيد وضروبه، وأيضًا دلالة حرف التنبيه «ها» على التوكيد، وبيان ذلك أن حرف النداء فيه إيقاظ للمنادى وإعلام له بأنه المدعو، وحرف التنبيه يقوي ذلك الإيقاظ ويؤكده.

إذًا، تستطيع أن تقول بإيجاز: إن إيثار صيغة «يا أيها» في النداء وكثرتها في كتاب الله المجيد سببه ما اشتملت عليه من ضروب التوكيد وهي تكرار الذكر والإيضاح بعد الإبهام، واختيار لفظ البعيد «يا» وتأكيد معناه بحرف التنبيه، وكل تلك المبالغة في التأكيد يقتضيها المقام والسياق معًا، لأن كل ما نادى الله به عباده مما لا شك فيه أنه من الأمور الجسام التي ينبغي لهم أن يستقبلوها بقلوب يقظة، وعقول منتبهة، لذا كان من الملائم أن ينادوا بالآكد الأبلغ وذلك ليستيقظوا من غفلتهم وينتبهوا لما يرد على أسماعهم، ولما نودوا من أجله، والله أعلم بمراده.

---

(١) الكشاف (١/ ٢٢٥).

السؤال١٩٦: العبادة في الأصل التذلل والخضوع والانقياد والطاعة، وهذا المعنى لا يتناسب مع أمر كفار العرب بعبادته -سبحانه- في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، فالكفار لا يقرون بالله فكيف يعبدونه؟

الجواب: المراد من العبادة في الآية الكريمة الإقرار بالإيمان بالله، تعالى وبالتوحيد الخالص عن شائبة الشرك، والإيمان بما جاء به النبي ﷺ وتصديقه، والله أعلم بمراده.

السؤال١٩٧: ما سر ذكر «رب» في الآية الكريمة، وإيثار التعريف بالإضافة إلى ضمير المخاطبين «ربكم» على التعريف بالعلمية حيث لم يقل: اعبدوا الله؟

الجواب: لأن في الإتيان بلفظ «رب» إشارة إلى السبب القريب الموجب لعبادته سبحانه، وأحقيته بها وهو التربية والتدبير، «فإن المدبر لأمور الخلق هو جدير بالعبادة، لأن فيها معنى الشكر وإظهار الاحتياج»(١)، والله أعلم بمراده.

السؤال١٩٨: كان المشركون يطلقون على أصنامهم التي كانوا يعبدونها أربابًا، فلماذا ذكر القرآن لفظ «رب» هنا؟ ولماذا أفرد؟

الجواب: كان المشركون معتقدين بربوبيتين: ربوبية الله تعالى بدليل قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وكانوا كذلك معتقدين بربوبية آلهتهم -أصنامهم-، فذكر هذا الاسم «رب» الذي يشترك فيه -كما يعتقدون- الخالق سبحانه وآلهتهم المزعومة التي كانوا يسمونها أربابًا، ذكره في هذا المقام وإفراده إنما كان -والله

---

(١) التحرير والتنوير (١/٣٢٦).

أعلم- لتصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ وتوجيهه، وللإشارة إلى أن الذي يستحق هذا الوصف بمعنى المربي، والمهيمن، والسيد، والمدبر، بالإفراد والإضافة إلى جميع الناس، إنما هو الله تعالى.

وأحسب، والله أعلم، أن في ذكر الوصف بالربوبية وإفراده وإضافته إلى ضمير المشركين تطهيرًا لغويًا له عن شائبة الشرك والاشتراك اللفظي المقصود به المنازعة في الألوهية أو الربوبية، وكأنه قيل لهم: لا يوجد إلا رب واحد هو خالقكم، وهو المستحق وحده للعبادة فاعبدوه، والله أعلم بمراده.

ولو قيل: اعبدوا أربابكم، لدل على طلب عبادة غير الله، وهذا مستحيل، لذا كان إفراد «رب» دعوة إلى توحيد الخالق سبحانه وتعالى وتخصيصه بالعبادة دون سواه، ومن أجل ذلك أيضًا أردف بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ﴾ لتعليل العبادة أو الربوبية، ولتخصيص المقصود من لفظ «ربكم» وقصره على الخالق الذي يقرون بربوبيته سبحانه حتى لا يتوهموا أن المقصود أربابهم المزعومة، فكانت تلك الجملة قاطعة لأوهامهم عند إطلاق لفظ «رب»، والله أعلى وأعلم بمراده.

السؤال١٩٩: لماذا خصت نعمة الخلق في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾ [البقرة: ٢١]؟

الجواب: لأن جميع النعم مترتبة عليها، وهي أصلها الذي لا يوجد شيء منها من دونها، ولأن الكفار مُقروّن بأن الله سبحانه هو الخالق -كما سبق الإشارة إليه- فامتن عليهم بما يعترفون به ولا ينكرونه..[١] وذكر ذلك حجة عليهم وتقريعًا لهم، والله أعلم بمراده.

(١) فتح القدير للشوكاني(١/ ٥٠)، الناشر محفوظ العلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السؤال٢٠٠: ما معنى الخلق؟

الجواب: الخلق له معنيان، الأول: الإنشاء والاختراع والإبداع بلا مثال، والثاني: التقصير، يقال: خَلَقْتُ الأديم للسّقاء إذا قدرته قبل القطع[١].

وأطلق الخلق في القرآن الكريم على إيجاد الأشياء المعدومة، فهو إخراج الأشياء من العدم إلى الوجود إخراجًا لا صنعة فيه للبشر، والإيجاد بهذا المعنى خص إطلاقه بالله تعالى ولا يصح أن يتصف به غيره سبحانه، ولا أن يطلق على غيره من البشر.

أما ما يخترعه البشر من مخترعات فلا تسمى خلقًا، لأنها إيجاد بصنعتهم لأشياء وتركيب متفرق أجزائها وتقدير مقادير مطلوبة منها أوجدتها القدرة الإلهية بخلق مادتها ونظامها[٢].

والخلاصة إذًا، أن الخلق بمعنى الإيجاد والإخراج للشيء من العدم إلى الوجود صنع إلهي لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ولا يصح أن يتصف به غيره، أما تأليف الموجود أصلاً وتصويره بتركيبه وتقديره وتهيئته وإعداده على وفق نظام معين، أوجده الخالق سبحانه، فهذا عمل بشري يصح أن يطلق على غيره سبحانه، ولا ينبغي أن يقال لمخترع لآلة ما -مثلاً- إنه خالقها، لأنه لم يخرج شيئًا من العدم إلى الوجود، وإنما وفّق للعثور على مادة الشيء الموجود أصلها بقدرة الله وتقديره وركبها على وفق نظام معين، والله أعلى وأعلم بمراده.

السؤال٢٠١: ما المراد من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؟ وما فائدة ذكره في الآية الكريمة؟

الجواب: المراد من تقدمهم في الوجود، وفائدة ذكر هذه الجملة التذكير بكمال قدرة

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٢٢٦).

(٢) راجع التحرير والتنوير (١/٣٢٧، ٣٢٨).

الله تعالى وجلاله وربوبيته، وفيها أيضًا تأكيد على الأمر بعبادته وتعليله، والله أعلم[١].

السؤال٢٠٢: لماذا قيل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] **ولم يقل: الذي خلق الذين من قبلكم وخلقكم، بناء على أن خلقهم -أي المخاطبين- متأخر زمانًا على خلق من سبقوهم في الوجود؟**

الجواب: «لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر، ولأنهم المواجهون بالأمر بالعبادة، فتنبيههم أولًا على أنفسهم آكد وأهم»، والله أعلم[٢].

السؤال٢٠٣: ما علة ذكر حرف الجر «من» في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، حيث كان من الممكن أن يقال: الذي خلقكم والذين قبلكم؟

الجواب: «من» في الآية للابتداء، وذكرها هنا إشارة إلى أول الموصوفين بالقبلية في الخَلْق، وفيها تذكير للمخاطبين بأن آباءهم الأولين لا بد أن ينتهوا إلى أب أول واحد، فهو مخلوق لله تعالى، والله أعلم بمراده[٣].

السؤال٢٠٤: لماذا فصلت جملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عما قبلها؟

الجواب: لأنها تعليل للأمر بالعبادة.

السؤال٢٠٥: «لعل» حرف يستعمل للترجي والإشفاق، وذلك محال على الله تعالى، فما تأويل «لعل» في الآية الكريمة؟

---

(١) روح المعاني (١/ ١٨٥).

(٢) روح المعاني (١/ ١٨٥).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣٢٧).

الجواب: للمفسرين في تأويل «لعل» في كلام الله تعالى وجوه منها:

أولًا: أنها على بابها أي حقيقتها، والترجي أو التوقع، إنما هو في حيز المخاطبين، وهذا رأي سيبويه. والمعنى: افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع أن تتقوا.

ثانيًا: أنها للتعليل بمعنى «كي» قاله جماعة من أهل اللغة منهم قطرب، وأبوعلي الفارسي، وابن الأنباري، والمعنى في الآية: لتتقوا، ومن شواهده قول الشاعر:

وقلتم لنا كفوا الحــــروب لعلنــا نكف ووثقتم لنا كل موثق

فلما كففنا الحرب كانت عهودهم كَلَمْع سراب في الملا متألق

المعنى: كفوا الحروب لنكُف، ولو كانت «لعل» هنا شكًّا لم يوثقوا لهم كل موثق.

الثالث: قيل إنها بمعنى التعرض للشيء، كأنه قيل في الآية: افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا أو للتقوى(١).

السؤال٢٠٦: ما المقصود بالجعل في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾؟ [البقرة: ٢٢] ولماذا عبّر بـ«جعل» هنا، وبـ«خلق» في الآية السابقة؟

الجواب: المقصود من «جعل» في الآية الكريمة هو تصيير الشيء على حالة دون حالة (٢)، فهي دالة على نقل السموات والأرض من حالة إلى حالة حتى صارتا على هيئتهما المرئية التي يراها البشر، يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] فالسموات والأرض كانتا ملتصقتين بلا فصل رتقًا ففصل الله تعالى بينهما ففتقناهما أي أنهما صارتا على هيئة

---

(١) راجع هذه الوجوه في الكشاف (١/ ٢٢٩-٢٣١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٢٧)، وفتح القدير للشوكاني(١/ ٥٠).

(٢) راجع مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادة «جعل» (صـ٩٢).

وحالة غير التي كانتا عليها من الالتصاق، وأوثر «جعل» هنا، و«خلق» فيما تقدم، لاختلاف المقام في الموضعين، والله أعلم.

السؤال٢٠٧: لماذا قدّم ذكر الأرض على السماء في مقام الامتنان في الآية الكريمة؟

الجواب: لأن حاجتهم إلى الأرض أشد وأعظم، فهي مسكنهم، ومحل استقرارهم، وانتفاعهم بها أكثر، كما أن هذا الترتيب مناسب لما قبله في الآية السابقة حيث إنه سبحانه لما ذكر خلقهم في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ... ﴾ [البقرة: ٢١] ناسب ذلك أن يردفه بذكر أول ما يحتاجون إليه بعد خلقهم وهو المأوى والمستقر.

السؤال٢٠٨: لِمَ قدّم الجار والمجرور «لكم» على المفعول «الأرض» في قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا.. ﴾ [البقرة: ٢٢]؟

الجواب: للمسارعة بالمسرة ببيان أن ما يعقبه - الجار والمجرور- من منافع المخاطبين، أو للتشويق إلى ما يأتي بعده، لاسيما بعد الإشعار بمنفعته فيتمكن في الذهن عند وروده فضل تمكن [١].

السؤال٢٠٩: ما وجه الشبه بين الأرض والفراش؟

الجواب: وجه الشبه هو الاستقرار والمأوى والاضطجاع.

السؤال٢١٠: لِمَ حذف الجار والمجرور «لكم» عند ذكر السماء؟

الجواب: حُذف إيجازًا، لأن ذكره في قوله: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ دليل عليه [٢].

---

(١) راجع روح المعاني (١/١٨٨).

(٢) انظر التحرير والتنوير (١/٣٣٢).

السؤال٢١١: ما وجه الشبه بين السماء والبناء في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]**؟**

الجواب: وجه الشبه الوقاية والحماية، وقد شبهت السماء بالقبة المضروبة، أو السقف، وعبّر عن ذلك بالبناء لأنه يدل على القوة والتماسك والإحكام، والله أعلم.

السؤال٢١٢: تحتوي الأرض على جبال وبحار كثيرة لا تصلح للافتراش، أوليس هذا تعارضًا مع قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا﴾؟ [البقرة: ٢٢]

الجواب: ما ذكرته مما ليس بفراش هو كذلك حقًا، ولكنه من مصالح ما يفترش من الأرض، لأن الجبال كالأوتاد، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧] والبحار منافعها كثيرة جدًا تعود إلى الناس كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] والله أعلم(١).

السؤال٢١٣: لماذا قدّم الجار والمجرور على المفعول به في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾؟ [البقرة: ٢٢]

الجواب: للتشويق إلى المؤخر «الماء»، أو لأن السماء أصله ومنشؤه، والله أعلم.

السؤال٢١٤: تكررت «مِن» في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢] **فما معناها في كل موضع في الآية الكريمة؟**

الجواب: «من» الأولى يجوز أن تكون ابتدائية على اعتبار أن السماء أصل الماء

---

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٢٨).

ومبدؤه، ويجوز أن تكون تبعيضية على تقدير مضاف محذوف والمعنى: من مياه السماء، فالماء الذي ينزل من السماء ليس إلا بعضًا من مياه كثيرة.

أما «من» الثانية فهي للتبعيض على غرار قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف: ٥٧] ويجوز أن تكون بيانية، أي لبيان الرزق المُخْرَج لهم، وهذا التوجيه مناسب لمقام الامتنان، والله أعلم.

السؤال٢١٥: لماذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة: ٢٢] ولم يقل من السحاب أو الغمام، وهي التي يتقاطر منها المطر كما ورد في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ...﴾ [النور: ٤٣]؟

فتلك الآية تدل على أن الماء ينزل من السحب المتراكمة التي تكون من الجبال، فما السر في عدم ذكر السحاب أو الغمام في آية البقرة؟

الجواب: لأن السماء وعاء السحاب، ولأن الله سبحانه مَنّ على المخاطبين بأن جعل السماء مظلة الأرض، فناسب أن يذكر السماء مضافة إليها نعمة أخرى، وهي نعمة نزول الماء الذي به يكون الخصب والنماء، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠](١) والله أعلم.

السؤال٢١٦: لِمَ أسند سبحانه الإخراج إليه في قوله: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢] ولم يقل مثلًا: أخرجت الأرض؟

---

(١) زهرة التفاسير (١/١٥٣).

الجواب: لبيان جلائل نعمته وأنه سبحانه هو خالق الأسباب والمسببات، فالمولود مثلاً لا يولد بالنطفة، ولكن بخلق الله تعالى، وجعل سبحانه النطفة سبب الوجود [(١)]، وللطيفة أخرى ذكرها البقاعي في قوله: «وإخراج الأشياء في حجاب الأسباب أوفق بالتكليف بالإيمان بالغيب، لأنه كما قيل: لولا الأسباب لما ارتاب المرتاب» [(٢)]، والله أعلم.

السؤال٢١٧: ما الغرض من تنكير «ماء» و«رزقًا»؟

الجواب: الغرض إفادة التقليل أو التبعيض، حيث لم ينزل من السماء إلا بعض الماء، إذ كَمْ من ماء هو بعد فيها؟ ولم يجعل الرزق كله في الثمرات، فمنها ما هو للأكل، ومنها ما هو للمداواة، ومنها ما هو سام، كما لم يجعل المخرج كل الرزق بل بعضه.

وقيل: أتى بجمع القلة في الثمر، ونكر الرزق... لأنهما بالغان في الكثرة إلى حد لا يُحْصى تحقيرًا لهما في جنب قدرته «سبحانه» إجلالًا له[(٣)]، والله أعلم.

السؤال٢١٨: ما نوع الباء في قوله: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ ...﴾؟

الجواب: للسببية، فالماء سبب لخروج الثمرات، وهذه السببية مجاز، لأن السبب الحقيقي هو الله سبحانه. والله أعلم

السؤال٢١٩: ما وجه دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ ...﴾ ؟

الجواب: الفاء تدل على السببية، فإنزال الماء من السماء سبب في الإخراج، وفيها

---

(١) زهرة التفاسير (١/ ١٥٣).

(٢) نظم الدرر (١/ ٧٢).

(٣) نظم الدرر (١/ ٧٢).

دلالة على سرعة إخراج الثمرات بمجرد نزول الماء تنبيهًا على قدرة الخالق سبحانه، والله أعلم.

السؤال٢٢٠: ما نوع «ال» في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ..﴾؟ [البقرة: ٢٢]

الجواب: «ال» للجنس، أي أخرج لكم من جنس الثمرات، والله أعلم.

السؤال٢٢١: لماذا جمعت «الثمرات» في الآية الكريمة؟

الجواب: لاختلاف أنواع الثمار.

السؤال٢٢٢: لماذا أتي بجمع القلة في الثمر فقيل «الثمرات» ولم يقل: الثمر، والثمار بجمع الكثرة، حيث إن الثمر المخرج بماء السماء كثير؟

الجواب: هناك ثلاثة توجيهات: الأول: أن جمع القلة إن كان معرفًا بـ«أل» التي للعموم فإنها تنقله من الاختصاص لجمع القلة للعموم، فلا فرق بين «الثمرات» والثمار، لأن «أل» للاستغراق فيهما[١].

الثاني: أنها -الثمرات- جمع قلة وقعت موقع جمع الكثرة كـ«خطيئات» في قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١]، وقد يقع أيضًا جمع الكثرة في موضع جمع القلة كـ«فتيان» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ [يوسف: ٦٢] فالجموع قد يتناوب بعضها مكان بعض ولا يخلو ذلك طبعًا من لطائف بلاغية[٢].

الثالث: للتنبيه على قلة ثمار الدنيا، وإشعارًا بتعظيم أمر الآخرة، وهذا هو الراجح عندي لسلامته من التأويل، والله أعلم[٣].

---

(١) البحر المحيط (١/٢٤١).

(٢) راجع الكشاف (١/٢٣٥).

(٣) مفاتيح الغيب (١/٥٠٦).

السؤال٢٢٣: علام عطف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]**؟ وما وجه ارتباطه بما قبله؟**

الجواب: عطف على قوله سبحانه: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ في الآية السابقة، وكأنه قيل: إذا وجبت عليكم عبادة ربكم فلا تجعلوا له أندادًا وأفردوه بالعبادة إذ لا رب لكم سواه (١)، والله أعلم.

السؤال٢٢٤: ما سر العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٣] **حيث كان الظاهر أن يقال: فلا تجعلوا له أندادًا؟**

الجواب: العدول عن الضمير إلى الاسم الجليل إنما كان «لتعيين المعبود بالذات بعد تعيينه بالصفات، وتعليل الحكم بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوحدانية، واستحالة الشركة، والإيذان باستتباعها لسائر الصفات» (٢).

وفيه أيضًا توبيخ للمخاطبين الذين أشركوا مع الذي له صفات الجلال والكمال سبحانه غيره، واتخاذهم حجارة لا تضر ولا تنفع أندادًا له سبحانه.

السؤال٢٢٥: مَن المخاطب في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؟

الجواب: للكفار والمشركين، وهذا دليل آخر على ما ذهبنا إليه من أن المخاطب الكفار في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ..﴾ [البقرة: ٢١].، وليس ككل الناس مؤمنهم وكافرهم كما قال المفسرون، والله أعلم وأعوذ به من الزلل.

---

(١) روح المعاني (١/ ١٩٠).

(٢) روح المعاني (١/ ١٩٠).

السؤال٢٢٦: ما دلالة الفاء في قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؟

الجواب: الفاء للسببية، والمعنى: إذا كانت هذه القدرة الباهرة القاهرة التي خلقت الغابرين والحاضرين، ومهدت لهم الأرض تمهيدًا، وجعلت لهم السماء قباء أو سقفًا محفوظًا، وأنعمت برزق من زواج السماء بالأرض، وأخرجت لهم منها بعض رزق الله، فهو وحده المستحق للعبادة فلا تجعلوا له أندادًا، إذ لا قدرة لبشر ولا لحجر أن ينشئ خلقًا أو يرزق رزقًا، أو ينفع أو يضر، والله أعلم بمراده [1].

السؤال٢٢٧: لِمَ عبّر بالجعل في قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؟

الجواب: لأن المراد بالجعل هنا الحكم بالشيء على الشيء بالباطل فقد حكم المشركون على الأصنام بأنها أنداد لله الخالق سبحانه وحكمهم هذا باطل فنهوا عن ذلك.

ويمكن أن يكون الجعل هنا بمعنى التصيير، وهو كما يكون بالفعل، يكون بالقول [2].

ويمكن أيضًا أن يكون بمعنى الاتخاذ، والتقدير: لا تتخذوا لله أندادًا.

السؤال٢٢٨: ما المقصود بالأنداد؟ وما الغرض من جمعها؟

الجواب: الند: المَثَل المخالف المناوئ، أي مثل الشيء الكفء الذي يضاده ويخالفه في أموره وينافره ويتباعد عنه، يقال: نادّدت الرجال أي خالفته ونافرته.

ويقال: نَد البعير نَدًا: إذا نفر وذهب على وجهه، وقيل: النّد: المكافئ والنظير

(١) راجع زهرة التفاسير (١/ ٨٧).
(٢) روح المعاني (١/ ١٩١).

والمماثل(١)، وجاء النهي عن اتخاذ الأنداد بصيغة الجمع لمطابقته الواقع، لأن المشركين لم يتخذوا له سبحانه ندًا واحدًا وإنما جعلوا له أندادًا كثيرة، فجاء النهي عما كانوا اتخذوه، ولذلك قال زيد بن عمر بن نفيل موحد الفترة:

أربا واحدًا أم ألف رب أدينُ إذا تقسمت الأمورُ

تركتُ اللات والعزى جميعًا كذلك يفعل الرجل البصيرُ(٢)

ففي التعبير بالجمع أيضًا تقبيح لهم وتشنيع عليهم حيث جعلوا أندادًا لمَن يستحيل أن يكون له ند واحد(٣).

السؤال٢٢٩: لم يكن المشركون يزعمون أن أصنامهم تخالف الله تعالى في أفعاله، أو أنها تماثله سبحانه في ذاته وصفاته ولم يسموها بذلك قولاً، فلِمَ سماها القرآن بذلك على ألسنتهم وهم إنما عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى، ولتكون شفعاء لهم عنده؟

الجواب: سمى القرآن الكريم أصنامهم أندادًا تعريضًا بهم وتهكمًا وتوبيخًا، لأنهم لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة وعبدوها أشبهت حالهم حال مَن يعتقد أنها مماثلة لله تعالى في العبادة، وأنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته، وأن حالهم صار يشبه مَن يعتقد التسوية بينها وبين الخالق سبحانه، لأن العبرة بالفعل لا بالقول، ففي تسمية أصنامهم «أندادًا» تعريض بهم كما قلنا ورمي لهم باضطراب الحال ومناقضة الأقوال للأفعال، حيث كانوا يعتقدون بأن الله سبحانه خالق الكون ومدبره(٤).

---

(١) راجع لسان العرب مادة (نَدَّ)، والكشاف (١/ ٢٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٣٠-٢٣١).

(٢) البحر المحيط (١/ ٥٠٤).

(٣) روح المعاني (١/ ١٩١).

(٤) راجع الكشاف (١/ ٢٣٧)، روح المعاني (١/ ١٨٩)، التحرير والتنوير (١/ ٣٣٥).

وعلى كل فإن في العبارة استعارة تمثيلية كما وضحنا في الشرح، وأختم الجواب هنا بأن في الآية تحذير شديد من الشرك فالله سبحانه لا يقبل أي فعل أو قول إذا كان فيهما شائبة شرك، والله أعلم.

السؤال ٢٣٠: ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فكيف وصفهم بالعلم وقد نعتهم بعدم العلم وعدم الشعور وعدم العقل والطبع والصمم والعمى في مواضع أخرى؟

الجواب: المراد بالعلم هنا علمهم أنه سبحانه لا يماثله شيء أو أن أصنامهم لا تقدر على فعل ما يفعله، أو المراد بالعلم هنا أنهم أهل معرفة ونظر وإصابة رأي، وهذا الأسلوب على ما فيه من السخرية والتوبيخ فإن فيه إثارة همة وتحفيزًا وإيقاظًا لعقولهم ولفتًا لبصائرهم إلى دلائل الوحدانية، وكأنه قيل لهم: كيف تشركون بالله وتتخذون الأصنام آلهة لكم والحال أنكم من أهل الفكر والعلم، فإذا تدبرتم أدنى تدبر لعلمتهم بوجوب توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته، وأنه لا يجوز أن يعبد سواه، أو أن يشرك في عبادته أحد.

ومن هذا المعنى يستشف إيقاظ هممهم وإثارة فكرهم، كما أن إثبات العلم فيه توبيخ وتقريع لهم؛ وكأنه قيل لهم: إن من يتصفون برجاحة العقل والعلم لا ينبغي لهم أبدًا أن يضيعوا ملكات فكرهم ومواهب عقولهم، وسلامة مداركهم باتخاذهم مع الله آلهة أخرى، وأنه لا يجتمع ذلك مع العلم.

وقد أومأ قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى أنهم يعلمون أن الله تعالى لا ند له، ولكنهم تعاموا وتناسوا فقالوا تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك!![١]، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٣٥).

السؤال٢٣١: ما وجه ارتباط هذه الآية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] **بما قبلها؟**

الجواب: في هذه الآية الكريمة تقرير لنبوة محمد ﷺ وإقامة البرهان على إعجاز القرآن الكريم، جاء هذا بعد أن ذكرت بعض أدلة توحيد الخالق سبحانه في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾ إثبات لنبوة الرسول ﷺ، وما قبلها إثبات لوحدانية الله تعالى، والآية هنا انتقال لإثبات الجزء الثاني من جزأي الإيمان بعد أن تم إثبات الجزء الأول في السياق، ولعل هذا وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها، والله أعلم(١).

السؤال٢٣٢: لم عُبِّر عن ريب المشركين في القرآن الكريم بإن الشرطية التي تدل على عدم تحقق الشرط على الرغم من أن ريبهم كان محققًا وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾؟

الجواب: السر في ذلك أنه نُزل الأمر الواقع «ريب المشركين» منزلة غير الواقع، فلم يُنْظَر إليه ولم يُعبأ به، لكونه مما لا ينبغي أن يكون أصلاً لوجود ما يدل على نقضه ونفيه، وذلك بأن يعارضوا هذا القرآن، وبأن يأتوا بسورة من مثله: إذن فمدلول هذا الشرط «قد حفَّ به من الدلائل ما شأنه أن يقلع الشرط من أصله بحيث يكون وقوعه

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/٥٢). راجع: التحرير والتنوير (٣٣٥)، والبلاغة القرآنية في الحديث عن الرسول ﷺ (ص٤٢٧)، د. عادل أحمد الرويني، الناشر/ مكتبة عباد الرحمن، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

مفروضًا، فيكون الإتيان بـ«إن» مع تحقق المخاطب علم المتكلم بتحقق الشرط توبيخًا على تحقق ذلك الشرط، كأن ريبهم في القرآن مستعف الوقوع»[١].

والخلاصة: أن في تصدير الشرط بـ«إن» توبيخًا للمخاطبين الكفار ومن على شاكلتهم على الارتياب، وإظهاره أنه مما لا ينبغي أن يثبت إلا على سبيل الفرض لاشتمال المقام على ما ينسفه ويزيله[٢]، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٣٣: من المخاطب في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾؟ [البقرة: ٢٣]

الجواب: الخطاب للكفار، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٣٤: علام عطفت الآية هنا؟ وما توجيه العطف في الآية؟

الجواب: عطفت على قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ أو على ﴿لَا تَجْعَلُوا﴾.

وأشار العطف إلى الجزء الثاني من جزأي الإيمان وهو وجوب التصديق بنبوة محمد ﷺ، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٣٥: ما دام التحدي عامًا لكل سامع في كل زمان ومكان، فلِمَ قُصِرَ الخطاب على الكفار ومن على شاكلتهم في زمن الرسول ﷺ فقط فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا..﴾ ولم يقل مثلاً: «ومن كان في ريب» ليكون لفظ التحدي عامًا ومستقصيًا؟

الجواب: من وجوه منها:

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٣٦).

(٢) راجع روح المعاني(١/ ١٩٢).

أولًا: إن المخاطبين هم الذين أنكروا القرآن، وادعوا أنه كلام البشر فكان التحدي لهم، لذا كانوا الأولى بتوجيه الخطاب لهم.

ثانيًا: إنهم كانوا أهل الفصاحة، وأرباب البلاغة، وفرسان البيان؛ فإذا عجزوا عن معارضة القرآن كان عجز من يأتي بعدهم في أي عصر من العصور أشد وأبين، لذا وجه الخطاب لهم دون غيرهم، لأنهم كما قلنا كانوا قمة الفصاحة والبيان، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٣٦: لماذا عُبِّر عن اعتقاد الكفار في القرآن الكريم بالريب دون الشك مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾؟

الجواب: لأن الريب درجة أعلى من الشك، بدليل أن كثيرًا من الآيات الكريمة ورد فيها الريب توكيدًا للشك، ويظهر هذا باستقراء الآيات التي ورد فيها الريب والشك متعاقبين نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩] وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت: ٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤].

فالحديث في هذه الآيات عن منكري البعث، وعن منكري دعوة الرسل، ووصف شكهم بأنه مريب يدل على شدة ذلك الإنكار وقوة هذا الشك، ومن هنا نستطيع أن نقول، والله أعلم: إن استعمال «الريب» في آية البقرة جاء ملائمًا لحال المخاطبين منكري نبوة الرسول ﷺ، ورسالته وما جاء به، فالمقام مقام تحدٍ لما بلغوا من عنادهم وكفرهم، وقد سبق أن تحداهم الله تعالى بمعارضته القرآن في آيات أخرى في سور: الطور، والإسراء، وهود، ويونس، ثم في البقرة، والتحدي هنا بلغ مداه، ووصل إلى قمته بسبب تصاعد إنكارهم وشدة عنادهم.

أقول: تلك الدرجة في التحدث تلاءمت مع تلك الدرجة في الإنكار، ولذا كان استعمال الريب وإيثاره على الشك مناسبًا في هذه الآية، والله أعلم.

السؤال٢٣٧: ما دلالة التنكير في «ريب» ؟

الجواب: التنكير في «ريب» للتقليل، إلمامًا إلى حقيقة دواخل نفوسهم من أن قلوبهم مصدقة، وألسنتهم تخالف معتقداتهم، فجيء بالتنكير كشفًا عن ذلك، والمعنى: إن كان عندكم بعد قوة الحق أدنى ريب فأزيلوه بالإتيان بسورة من مثله، والله أعلم.

السؤال٢٣٨: لِمَ قيل: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾ ولم يقل مثلاً: «وإن ارتبتم فيما نزلنا»؟

الجواب: أوثر التعبير القرآني ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ...﴾ على التعبير المقترح، حيث فرض كونهم في الريب كما دل التعبير، لا كَون الريبَ فيهم كما يفيده: إن ارتبتم فيما نزلنا، لزيادة تنزيه القرآن الكريم عن الريب وصيانته عن ذلك، مع ما يفيده من الإشعار بأن ذلك الريب من جهة الكفار لا من جهة منزله سبحانه، وقد توافق هذا التعبير القرآني مع قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حيث نفى الريب عن القرآن الكريم، والمراد هنا أن الذكر الحكيم ليس محلاً للريب، والله أعلم.

السؤال٢٣٩: إلام يوحي التعبير بحرف الوعاء «في» في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ...﴾ ؟

الجواب: يوحي حرف الظرفية أو الوعاء بأن الريب قد امتلك هؤلاء الكفار المشككين، وأنه قد أحاط بهم من كل جانب إحاطة الظرف بالمظروف، وفيه إشارة إلى إغراقهم في الاتصاف بهذا الوصف: الريب، وأشعر بأن للظرفية في هذه الآية الكريمة إيحاء يكشف عنه هذا الحرف «في»، حيث تغلغل في نفسيات المخاطبين، وكشف عن نواياهم وأبان إبانة ساطعة عن عدم قبولهم الاعتراف بذلك القرآن المعجز، والإيمان بالرسول

ﷺ وبكل ما جاء به، فهم يغمسون أنفسهم في الريب حتى ليكاد يواريهم ويشتملهم، وكأنهم لا يريدون لأنفسهم تفلتًا منه ولا انفكاكًا من أسره لينأوا بأنفسهم عن كل وسيلة من وسائل التأثير فيهم، والمحاورة معهم، وليسدوا أمام أنفسهم كل منافذ الإدراك، وفي هذا كشف عن مدى حقدهم، وإبانة لما وصلوا إليه في إنكارهم، بقي القول بأن الظرفية في الآية مجازية، فهي استعارة[1] في الحرف حيث جعل المعنى الذهني «الريب» محلاً للمظروف الكفار، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٤٠: ما سر تعدي فعل الإنزال بحرف الاستعلاء «على» في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾؟

الجواب: للإيماء بشرف القرآن الكريم ورفعة من أنزل عليه، قال الإسكافي: «فكل موضع عدي فيه الإنزال بـ«على» فإن المراد به أنه شرفك، وأعلى بذلك ذكرك، لتؤدي ما عليك فتنذر وتبشر، فمن قبل فحظه أصاب، ومن أعرض فنفسه أوبق، ويكون فيه تهديد لمن ترك القبول، كقوله: تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ثم قال: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾...»[2].

السؤال٢٤١: جاء الفعل «نَزَّل» مبنيًا للمعلوم على حسب الأصل ولم يبنَ للمجهول، فهل من علة لذلك؟

الجواب: نعم، فبناء الفعل للمعلوم في الآية فيه زيادة تأكيد بأن ما جاء به الرسول ﷺ هو من عند الله تعالى الذي تولى بأمره وتدبيره إنزاله على عبده، وفي هذا زيادة

---

(١) راجع شرح الكافية للرضي (٢/ ٣٠٤)، والإشارة إلى الإيجاز وبعض أنواع المجاز للعز ابن عبد السلام (ص٢٢)، طبعة دار الحديث، القاهرة، مصورة عن مطبوعة المكتبة العامرة، ١٣١٣ هـ.

(٢) درة التنزيل للإسكافي (٤٠٣-٤٠٤)، الناشر/المكتبة التوفيقية – مصر.

تقرير لصدق ما جاء به الرسول ﷺ وشهادة من الله تعالى بذلك، وفيه أيضًا تثبيت لرسول الله ﷺ في مواجهة هؤلاء المتمردين على شرعة الله، ولعل تلك الشهادة المتضمنة في هذا اللفظ تقابل الدعوة إلى طلب شهدائهم، وفي هذا تبكيت لهم، كما أن مجيء الصيغة على أصلها بالبناء للمعلوم مكَّن من الإضافة إلى نون العظمة التي دلت مع الصيغة على ما سبقت الإشارة إليه، والله أعلم بمراده[١].

السؤال٢٤٢: ما مدى توافق حرف الاستعلاء «على» مع وصف الرسول ﷺ بالعبودية في الآية الكريمة؟

الجواب: سبق وأن أشرت إلى السر في تعدية الإنزال بحرف الاستعلاء «على»، ويضاف هنا إلى ما قيل هناك أن الاستعلاء يومئ إلى أن المُنَزَّل -القرآن الكريم- قد تمكن من المُنَزَّل عليه، ولبسه كما قال الجمل في حاشيته[٢].

وهذا المعنى الذي أوحى به حرف «على» يتناسب تمامًا مع وصف الرسول ﷺ، بالعبودية التي توحي بمدى الانقياد التام، والانكسار والخضوع والاستسلام من الرسول ﷺ، فهو عبد لله، ملك لخالقه سبحانه، وهذه الإيحاءات تتناسب وحرف الاستعلاء الذي يدل على تمكن المُنَزَّل عليه لخضوعه ﷺ لأمر ربه كما أن في هذا الوصف تشريفًا للنبي ﷺ وتكريمًا له، لأن مقام العبودية لله تعالى أسمى مقام يمكن أن يبلغه بشر، ولعل في إيثار هذا الوصف أيضًا تقريرًا للفصل بين الربوبية والبشرية متمثلة في قمتها الرسول ﷺ، والله أعلم بمراده.

وهذا اللفظ «عَبْد» بحروفه وحركاته وجرسه مساوق لمعناه تمام المساوقة، وهذا

---

(١) البلاغة القرآنية في الحديث عن الرسول (ص ٤٣١ - ٤٣٢) د عادل أحمد الرويني.

(٢) راجع الفتوحات الإلهية للجمل (١/ ٢٧).

الانتقال من الفتحة التي توحي بالتلقي وانشراح صدر الرسول لما يلقى إليه إلى السكون وما يومئ إليه من الإذعان المطلق والانقياد التام منه ﷺ لمشيئة خالقه سبحانه يتناسب تمامًا مع مدلول كلمة العبد، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٤٣: ما بلاغة الالتفات في الآية الكريمة حيث كان مقتضى الظاهر أن يقال: الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء.. وإن كنتم في ريب مما نَزَّل على عبده...؟

الجواب: يحسن بنا أولًا أن نبين الالتفات، ففي هذه الآية بالنظر إلى سابقتها التفات من الغائب إلى التكلم لكن عُدِل عن ذلك لغرض أشار إليه الألوسي بقوله: «تفخيمًا للمُنَزَّل أو المُنَزَّل عليه، ولا سيما وقد أتى بـ«نا» المشعرة بالتعظيم وتفخيم الأمر رعاية لرفعة شأنه عليه الصلاة والسلام»[(١)].

وألمح في هذا الالتفات أيضًا تثبيتًا للرسول الكريم ﷺ وطمأنة له في مواجهة صلف الباطل، فهو عبد الله تعالى ترعاه عنايته، وتكلؤه رحمته، وتحفظه قدرته سبحانه، وأنى لعبد سيده رب الأرباب أن يحزن، أو يقلق، أو يتركه سيده وحده في ساحة المواجهة؟ والله أعلم بمراده.

السؤال٢٤٤: ما وجه بلاغة قراءة: «على عبادنا»؟

الجواب: قال المفسرون: المراد الرسول ﷺ وأمته أو جميع الأنبياء[(٢)].

---

(١) روح المعاني (١/١٩٣).

(٢) راجع مثلاً الكشاف (١/٩٧)، والبحر المحيط (١/٢٤٥)، وروح المعاني (١/١٩٢)، والفتوحات الإلهية (١/٢٧).

أما عن بلاغة قراءة الجمع «عبادنا» فتقول: إن وضع الجمع موضع المفرد فيه تعظيم لشأن النبي محمد ﷺ وأن الإيمان به إيمان بجميع الأنبياء والرسل لكونه خاتمهم، وأفضل خلق الله تعالى.

وفي قراءة الجمع كذلك «إيذان بأن الارتياب فيه «ما جاء به الرسول» ارتياب فيما أنزل من قبله، لكونه مصدقًا، ومهيمنا عليه»[(١)]، وفيها إشارة أيضًا إلى أن من عاداه ﷺ فكأنما عادى عباد الله جميعًا، لأنه رأسهم وأشرفهم ﷺ، وبناء على ما سبق فإنني أرجح أن يكون المقصود من الجمع «عبادنا» رسول الله ﷺ بدليل قراءة المفرد، والله أعلى وأعلم.

السؤال٢٤٥: لماذا أوثر مبنى «فِعَال» في قراءة الجمع «عباد» على «فعيل» فلم يقل «عبيد» والوزنان من مباني الكثرة؟

الجواب: وراء هذا الإيثار لـ«فِعَال» حس مرهف بجرس اللفظة ودقة اختيارها، بيان هذا أن الانتقال في «عباد» من الكسرة إلى الفتحة ثم إلى الاستطالة بالألف الرامزة، إلى الرفعة وانتصاب القامة يشير إلى أن الانتساب إلى الله بعبادته ينقل الإنسان من وَهْدَة الرذيلة والخنوع للند من البشر، إلى سمو النفس والوجه في حضرة المعبود، والانتقال في «عبيد» من الفتحة إلى الكسرة فالاستطالة بالياء يوحي بانكسار النفس واستغراقها في الذل، ومهانتها باستعباد الناس لها[(٢)]، والله أعلى وأعلم.

السؤال٢٤٦: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا﴾؟

الجواب: التعجيز وإسكات الخصم، والله أعلى وأعلم.

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٦٤).

(٢) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، د.محمد الأمين الخضري (ص١٧٤).

السؤال٢٤٧: لم أوثرت مادة الإتيان على مادة المجيء في قوله: ﴿فَأْتُوا﴾؟

الجواب: لأن الإتيان مجيء فيه سهولة -كما قال الراغب في مفرداته- وهذا المعنى يتناسب مع إرخاء العنان في التحدي للمنكرين [1]، والله أعلى وأعلم.

السؤال٢٤٨: ما الغرض من التنكير في قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾؟

الجواب: التنكير للنوعية، للدلالة على اتساع مجال المعارضة والتحدي أمام الكفار، حيث طولبوا بالإتيان بمثل بعض أي سورة في القرآن الكريم، وهذا فيه ما فيه من التبكيت والتخجيل لهم لارتيابهم في القرآن، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٤٩: ما مدلول الباء في قوله سبحانه: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾؟ وما مدى تجاوبها مع التحدي بمعارضة القرآن الكريم في الآية؟

الجواب: تجاوبت الباء بدلالتها على الملابسة واللصوق والالتزام مع التحدي في الآية الكريمة، حيث تلمس فيها إرشادًا لهؤلاء الكفار المعاندين بدوام الوقوف أمام القرآن وبمعاودة عرض سوره أمام عقولهم، وتفليتها سورة سورة ليختاروا منها بعد عكوف وتأنٍ طويلين ما يستطيعون به معارضة القرآن، وفي هذا تبكيت لهم وتخجيل، حيث إنهم يوجهون إلى الطرق التي يظن أنها تعينهم على المعارضة كما سيأتي أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾، والله أعلم.

---

(١) قال الراغب: (الإتيان: مجيء بسهولة ومنه قيل للسير المار على وجهه: أَتِيّ وأتاويّ، وبه شبه الغريب، فقيل: أتاوى. والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير والشر، وفي الأعيان والأعراض) المفردات للراغب مادة (أتى) (ص٢٥).

السؤال٢٥٠: ما سر إثبات «مِن» في قوله سبحانه: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ وسقوطها في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]. **وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾** [يونس: ٣٨]؟

الجواب: تعددت آراء المفسرين والبلاغيين في توجيه إثبات «من» في آية البقرة، فذكروا أن «من» في الآية إما أن تكون ابتدائية إن عاد الضمير في «مثله» إلى المُنزل عليه، وإما أن تكون للبيان إن عاد الضمير إلى «المُنَزل»، أو أن تكون زائدة أو تبعيضية[1].

والحقيقة أنني لم أجد في تلك الآراء ما يشبع نهم الباحث، وما يروي ظمأه البلاغي، وقد كانت لي نظرة أخرى متأنية ربما لم ينتبه إليها أحد من الذين قرأت لهم.

إننا إذا تأملنا آيات التحدي المذكورة في سور الإسراء، وهود، ويونس، وهي سور مكية، نجد أن التحدي فيها لم يكن مباشرة وإنما كان بواسطة ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ﴾، ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ ﴾ فالتحدي فيها بواسطة الرسول ﷺ، لذا كان التحدي أولًا بمثل القرآن، ثم خفف إلى عشر، ثم خفف إلى سورة واحدة من القرآن الكريم.

أما آية البقرة فقد جاء التحدي فيها مباشرة من الله تعالى لهؤلاء المعاندين، فقد أسقطت الواسطة «قل» في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ حيث لم يقل: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ ﴾، فالتحدي هنا مباشر من الله تعالى، وهذا ناسبه الترقي في التحدي الذي وصل إلى غايته في آية البقرة؟ لذا أثبتت «من» لتدل على

---

(١) راجع البحر المحيط (١/٢٤٧، ٢٤٦)، والفتوحات الإلهية (١/٢٧، ٢٨)، وتفسير البيضاوي (١/١١٢، ١١٣).

التبعيض، والمعنى: فأتوا ببعض سورة من مثله.

وهذا هو الفرق في المعنى بين هذه الآية وآية يونس، لأن المراد هناك: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ولكن في البقرة وصل الترقي في التحدي إلى قمته، لذا أثبتت «من» فيها، لترخي عنان التحدي وليصل التساهل إلى قمته، وكل هذا تناسب وجلال الخالق سبحانه، لأنه المتحدي المباشر في هذه الآية الكريمة.

ولتنظر في تكرار نون العظمة في قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وما تضيفه من الهيبة والعظمة ناسبها أن تكون آية البقرة آخر آيات التحدي نزولًا لتبقى إلى أن تقوم الساعة تقرع آذان كل متحدٍ أو معارض، وتزلزل كيان كل مرتاب، ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ.

ولعل مما يساعد على إدراك قوة هذا التحدي وغايته ما أتبعت به آية التحدي في البقرة من قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ...﴾ فهذا نفي وتأكيد لعدم القدرة على المعارضة حالًا ومآلًا، وهذا التحدي المزلزل كما قلنا مباشر من الله تعالى من دون واسطة، ولعلك تلحظ أن نبرة التحدي تهدأ قليلاً في سورتي يونس، وهود كما في قوله: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لأن التحدي بالمعارضة لم يكن مباشرًا كما في البقرة، ولكن جاء بواسطة الرسول ﷺ، لذا كان أقل حدة وأهدأ نبرة، والله أعلى وأعلم.

السؤال٢٥١: ما وجه ارتباط آيات التحدي في البقرة ويونس وهود والإسراء بمطالع سورها؟

الجواب: في «البقرة» جاءت آية التحدي بعد بيان قاهر ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ...﴾ تناسبًا مع المطلع ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ وبيانًا لكمال الكتاب

ونفيًا لكل ريب يخدش هذا الكمال(١).

وأضيف وجهًا آخر من وجوه الترابط بين آية التحدي في سورة البقرة ومطلع السورة ألا وهو أن سورة البقرة هي الوحيدة التي كان التحدي فيها مباشرة من دون واسطة «قل» كما سبق بيانه، وهذا يتناسب وبداية مطلع السورة الذي لم يرد فيه ذكر للرسول ﷺ، ولنقرأ بداية مطلع السورة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

أما في سور يونس وهود والإسراء فإننا نلحظ أن مطالعها فيها إشارة إلى الرسول ﷺ، وهذا من وجوه ارتباطها بآيات التحدي للمشركين، حيث جاء التحدي بواسطة «قل»، وبيان ذلك بالتفصيل: أن سورة يونس افتتحت بقوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، فهنا ذكر للرسول ﷺ ﴿رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾، وفي قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟﴾ جاء التحدي بواسطة الرسول ﷺ، كما أن قوله في آية التحدي في سورة يونس ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ مناسب لقوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾. والترابط واضح بين السحر والافتراء فكلاهما كذب وتدليس واختلاق.

وهناك وجه آخر يربط الآية بمطلع السورة ومقصودها حيث إن سورة «يونس» من أكثر السور «إثباتًا للوحي وللرسالة وتحديًا بالقرآن وبيانًا لإعجازه»(٢).

وقوله في صدر السورة: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ يشير إلى أمرين هما: «صدق

---

(١) راجع علاقة المقاصد بالمطالع في القرآن الكريم (ص٦٨) د. ابراهيم صلاح الهدهد رسالة دكتوراه مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

الوحي لأنه من الله، وصدق الرسول الذي جاء به. وهذان الأمران هما متعلق الإنكار ومثار العجب»(١).

وقد كانت شبهاتهم في آية التحدي في [يونس] أنه ﷺ افتراه، وقوله تعالى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ رد على شبهتهم تلك، أما مطلع آية (هود): ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١-٢]، فدلالة المطلع مشيرة إلى الكتاب المتحدى به، ومشيرة إلى صدقه ﷺ، وفي هذا ارتباط وثيق بقوله في آية التحدي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، وهذا قبس من قوله: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ حيث فيه رد عليهم في صدر المطلع، وهذا دليل على صدق الرسول ﷺ وما جاء به.

وقوله في آية التحدي: ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ ناظر إلى ما ذُيلت به الآية الأولى ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ فأنى لمخلوق أن يأتي بما أتى به الحكيم سبحانه في أفعاله، الخبير بكيفيات الأمور؟!

أما آية التحدي في الإسراء، فلأن التحدي فيها وقع بواسطة «قل» كما في هود، ويونس، فإننا نجد الرسول ﷺ مذكورًا بصفة العبودية في صدر السورة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

وقوله في آية التحدي: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ناظر قوله تعالى في صدر السورة «سبحان» فهذا العجز المطبق من الإنس والجن مع اجتماعهم للإتيان بمثل القرآن تقابله القدرة المطلقة والتنزيه الكامل عن كل نقص في حق الخالق جل جلاله.

وأخيرًا فمن المفيد الإشارة إلى أن مطالع سور: البقرة، ويونس، وهود، بدأت

---

(١) علاقة المقاصد بالمطالع، د. إبراهيم الهدهد (ص١١٤).

بالحروف المقطعة الدالة على التحدي كما ذهب إلى ذلك أغلب المفسرين، وتلك علاقة وثيقة بين آيات التحدي ومطالع سورها، والله أعلى وأعلم.

السؤال٢٥٢: ما الغرض من الأمر في قوله: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣]؟

الجواب: الغرض من الأمر التعجيز والإفحام والإرشاد، وجاء معطوفًا على قوله: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ والتقدير: ائتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم، كأنه قيل: تركنا إلزامكم بشهداء الحق إلى شهدائكم المعروفين بالدفاع عنكم، فإنهم أيضًا لا يشهدون لكم(١).

السؤال٢٥٣: ما المقصود من الدعاء والشهداء في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم...﴾؟

الجواب: المقصود من الدعاء الاستعانة، وهو «كناية مبنية على النداء» لأن الشخص إنما يُنَادى ليستعان به، ومنه قوله تعالى: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]. والله أعلم(٢)، ومعنى ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ أعوانكم وأنصاركم على سبيل الكناية، فالشاهد يؤيد قول المشهود فينصره على خصمه، والله أعلم.

السؤال٢٥٤: كيف ذكر الشهداء هنا، وإنما يكون الشهداء ليشهدوا أمرًا أو ليخبروا بأمر شهدوه، وقد قيل لهم: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ وهم لم يأتوا بشيء ليشهد عليه الشهداء؟

الجواب: المعنى في الآية كما قال مجاهد: استعينوا بمن وجدتموه من علمائكم

---

(١) روح المعاني (١/ ١٩٦).

(٢) روح المعاني (١/ ١٩٥).

وأحضروه ليشاهدوا ما تأتون به فيكون الرد على الجميع أوكد في الحجة عليهم، والله أعلم[١].

السؤال٢٥٥: ما معنى «دون»؟ وما فائدة ذكر قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إذ كان من الممكن أن يقال: وادعوا شهداءكم إن كنتم صادقين؟

الجواب: معنى «دون» أدنى مكان من الشيء، و«دون» نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، والدون: الحقير الخسيس كما قال الشاعر:

إذا ما علا المرء رام العلاء ويقنع بالدون من كان دُونا

ثم استعير للتفاوت في المنازل المعنوية تشبيهًا بالمراتب الحسية، كقولنا: هو دون فلان شرفًا، والمعنى المراد منه في الآية: من غير الله. وفي التعبير بقوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ توبيخ للكفار، لأنهم لم يرضوا بشهادة رب الأرباب ورضوا بشهادة العاجز الضعيف المحتاج ولجأوا إليه واستعانوا به، وفي قوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ إدماج حسن؛ حيث أدمج توبيخهم على الشرك في أثناء التعجيز عن المعارضة، وهذا الإدماج من أفانين البلاغة، والله أعلم[٢].

السؤال٢٥٦: ما نوع «من» في قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ؟

الجواب: «من» ابتدائية، والمعنى: «ادعوا إلى المعارضة من ينصركم بزعمكم».

السؤال٢٥٧: لِمَ أوثر استخدام أداة الشرط «إن» على «إذا» في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ؟

---

(١) انظر السؤال وجوابه في الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) راجع التحرير والتنوير (١/ ٣٣٩).

الجواب: «إذا» أداة شرط غير جازمة تدل على تحقق وقوع الشرط، بخلاف «إن» التي تدل على الشك في تحقق الشرط، وفي إيثار «إن» الشرطية في الآية تعريض بكذبهم، لأن صدقهم غير محتمل الوقوع، وفي هذا التعريض إلهاب لحماسهم لتتوفر دواعيهم في معارضة القرآن، والمعنى: إن كنتم صادقين في معارضة القرآن، لقولهم في آية أخرى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾، أو: إن كنتم صادقين في زعمكم في أنه كلام البشر.

وهذه الجملة أكدت التحدي في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ..﴾ وكررته، وجواب الشرط محذوف تدل عليه جملة مقدرة بعد جملة ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إذ التقدير: فتأتون بسورة من مثله، والله أعلم (١).

السؤال٢٥٨: ما الغرض من الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣] حيث كان الظاهر أن يقال: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دوني»؟

الجواب: الالتفات بذكر اسم الجلالة الأعظم لزيادة تبكيتهم وتوبيخهم لكفرهم بما أنزله الخالق الأعظم على رسوله ﷺ، ولتربية المهابة وإدخال الفزع في قلوبهم، أو للإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة مَن له الألوهية الجامعة الكاملة عبادة من لا أحقر منه ولا أخس، إذ إنه لا يضر ولا ينفع، ولا ينصر ولا يشفع، والله أعلم بمراده (٢).

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٣٤١).

(٢) راجع روح المعاني (١/ ١٩٦).

السؤال ٢٥٩: ما سر تصدير جملة الشرط بـ«إن» التي للشك في قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ...﴾ [البقرة: ٢٤] مع أن عدم إتيانهم بسورة يعارضون بها القرآن مقطوع به بدليل مقام التحدي والتعجيز؛ لذا كان المقام لـ«إذا» التي تقطع بوجوب الشرط. فما تفسير العدول عن «إذا» إلى «إن»؟

الجواب: لأن الكلام سيق معهم على حسب ظنهم وطمعهم فقد كانوا واثقين من فصاحتهم متكلين عليها، مقتدرين على أفانين الكلام، ممسكين بزمام البيان فكان عجزهم بالقياس إلى ظاهر حالهم كالمشكوك فيه لديهم، وفي ذلك إيحاء إلى أنهم لو تأملوا لم يشكوا في القرآن بل قطعوا بالإيمان به(١).

ويمكن أن يكون القصد إظهار هذا الشرط في صورة النادر مبالغة في توفير دواعيهم على المعارضة بطريق الملانية والتحريض، واستقصاء لهم في إمكانها(٢)، ويمكن تعليل ذلك أيضًا بأنه من باب السخرية والتندر والتهكم بهم، كما تقول الموصوف بالفتوة والقوة والمصارعة الواثق من نفسه على من يغالبه: إن غلبتك، وهو يعلم أنه غالبه تهكما به، والله أعلم بمراده.

السؤال ٢٦٠: لم عبر بالفعل عن الإتيان فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ...﴾ [البقرة: ٢٤]، ولم يقل: فإن لم تأتوا به ؟

الجواب: لأنه أخصر من أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله: ففيه إيجاز بالقصر، وإشعار بأن المقصود بالتكليف إيقاع الفعل المأمور لإظهار عجزهم عنه، لا تحصيل المفعول، أي سورة من مثله لاستحالة ذلك(٣)، والله أعلم بمراده.

---

(١) انظر حاشية السيد على الكشاف (١/ ٢٤٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٣٤٢).

(٣) انظر روح المعاني (١/ ١٩٧).

السؤال٢٦١: ما موقع جملة ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾؟ وما وجه بلاغتها؟

الجواب: جملة اعتراضية، ووجه بلاغتها: المسارعة إلى بيان عجزهم المطلق عن معارضة القرآن، وفي هذه الجملة دليلان على إثبات نبوته ﷺ. كون القرآن المنزل على الرسول ﷺ معجزًا، والإخبار بأنهم لن يعارضوا، وهو غيب لا يعلمه إلا الله تعالى[١]، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٦٢: ما وجه الجمع بين «لن» و«لم» وبين مقتضاهما «الاستقبال، والمضي» تناف، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ...﴾ [البقرة: ٢٤]؟

الجواب: لأن المراد تأكيد عجزهم عن معارضة القرآن في الماضي وفي المستقبل، أو قل: استمرار عدم إتيانهم بسورة المحقق في الماضي، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٦٣: «لا» و«لن» يشتركان في الدلالة على نفي المستقبل فلم قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ...﴾ ولم يقل: ولا تفعلوا؟

الجواب: لأن في «لن» توكيدًا وتشديدًا في نفي المستقبل لا يوجدان في أختها «لا»، تقول لصاحبك: لا أزورك غدًا، فإن أنكر عليك، قلت: لن أزورك غدًا.

وهذا التوكيد والتشديد في نفي معارضتهم في المستقبل أدخل في باب التحدي والتعجيز، وآكد في استمرار عجزهم عن الإتيان بمثل أقل سورة من القرآن، وفيه كذلك تأكيد على أمر غيبي لا يعلمه إلا الله وهو أنهم لن يعارضوا القرآن، وتلك معجزة قاهرة، ولذا أوثرت «لن» لمناسبتها لمقام التعجيز، والله أعلم بمراده.

---

(١) انظر الكشاف (١/ ٢٤٧).

السؤال٢٦٤: هل كان التحدي بمعارضة القرآن الكريم موجهًا فقط إلى الكفار في زمن الرسول ﷺ؟

الجواب: التحدي قائم حتى قيام الساعة إلى كل من يتأتي له الخطاب، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٦٥: قلتم إن قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ من المعجزات الباهرة، حيث أخبر سبحانه عن أمر غيبي وهو استمرار عدم معارضة القرآن، فماذا تقول في ما أتى به مسيلمة الكذاب من معارضة للقرآن؟

الجواب: ما أتى به مسيلمة الكذاب لم يقصد به المعارضة وإنما ادعاه وحيًا، والله أعلم[1].

السؤال٢٦٦: ما معنى اشتراطه -سبحانه- في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثل القرآن، وذلك في قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤]؟

الجواب: لأنه إذا ظهر عجزهم عن المعارضة انجلى أمامهم صدق النبي ﷺ وإذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار، فاتقاء النار يوجب ترك العناد[2]، والله أعلم.

السؤال٢٦٧: لِمَ عُبر عن أمرهم بترك العناد بالأمر باتقاء النار في قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ...﴾؟

---

(١) روح المعاني (١/١٩٨).

(٢) انظر الكشاف (١/٢٤٩)، ومفاتيح الغيب (١/٥١٩).

الجواب: لأن فيه تهويلاً لشأن العناد، لإنابة اتقاء النار منابه متبعًا ذلك بتهويل صفة النار ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، والله أعلم بمراده[(١)].

السؤال٢٦٨: لماذا جاءت «النار» معرفة في آية البقرة في قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤] **وجاءت نكرة في آية التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾** [التحريم: ٦]؟

الجواب: لأن الخطاب في آية البقرة للكفار والمنافقين، وهم في قاع النار المحيطة بهم فعرف بلام الاستغراق أو العهد الذهني، والخطاب في آية التحريم للمؤمنين، والذي يُعذب بالنار من عصاتهم يكون في جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها. والله أعلم[(٢)].

السؤال٢٦٩: ما وجه الجمع بين الناس والحجارة في قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾؟[البقرة: ٢٤]

الجواب: لأن الخطاب مع الكفار ومن على شاكلتهم الذين يتحداهم ربهم بمعارضة القرآن فيعجزون، ثم يصرون على الكفر ولا يستجيبون، فهم إذن حجارة في صورة آدمية، فهذا الجمع بين الحجارة، والحجارة من الناس هو الأمر المنتظر، وفي ذكر الحجارة هنا إيحاء إلى النفس بسمة أخرى في المشهد المفزع: مشهد النار التي تأكل الأحجار، ومشهد الناس الذين تزحمهم هذه الأحجار في النار[(٣)].

---

(١) انظر مفاتيح الغيب (١/ ٥١٩).

(٢) انظر مسائل الرازي وأجوبتها (١٣).

(٣) في ظلال القرآن (١/ ٦٤)، بتصرف يسير

ثم لأن هؤلاء الكفار قد ارتبطوا بها في الدنيا، فنحتوها وعبدوها واتخذوها أندادًا من دون الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ...﴾ [الأنبياء: ٩٨] فهذه الآية مفسرة لآية البقرة، فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يشير إلى قوله: ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ وقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ يشير إلى قوله: ﴿وَقُودُهَا﴾. المهم أنه لما اعتقد الكفار في حجارتهم المنحوتة المعبودة من دون الله تعالى النفع والضرر والشفاعة.. جعلها الله عذابهم، فجمعهم معها محماة في نار جهنم إمعانًا في إيلامهم، وإغراقًا في تحيرهم (١).

وفي ذلك أيضًا تحقير لتلك الأحجار، وزيادة إظهار ضلال عبدتها في ما عبدوا، وتكرر لحسرتهم على إهانتها، وحسرتهم أيضًا على أن ما كان يعدونه سببًا لعزهم وفخرهم استحال سببًا لعذابهم، وما أعدوه لنجاتهم صار سببًا لعذابهم، وذلك تصديقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وفي ذكر الناس والحجارة مقترنين أيضًا ترهيب من النار وتعظيم لشأنها، وتنبيه على شدة وقودها لترتدع النفوس وتنزجر، وليقع الترهيب موقعه، وليحصل بهذا الاقتران التخويف والزجر، حيث تكون الحجارة والناس وقودًا للنار، فذكر ذلك تعظيمًا للنار (٢)، والله أعلم.

السؤال ٢٧٠: ما نوع «أل» في كلمة «الناس»؟

الجواب: التعريف للاستغراق العُرْفي، والمراد صنف من الناس هم الكافرون.

---

(١) الكشاف (١/ ٢٥٢) بتصرف يسير

(٢) روح المعاني (١/ ١٩٩)، بتصرف يسير

ويجوز أن تكون «أل» للعهد؛ لأن كونهم مشركين قد علم من آيات أخرى كثيرة [١]، والله أعلم.

السؤال٢٧١: لماذا قدم ذكر الناس على الحجارة في الآية؟

الجواب: لأنهم الذين يدركون الآلام، أو لكونهم أكثر إيقادًا من الجماد لما فيهم من الجلود واللحوم والشحوم،ولأن في ذلك مزيد ترهيب وتخويف لهم، والله أعلم [٢].

السؤال٢٧٢: ما سر حذف الفاعل في قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ ؟

الجواب: معنى «أُعدت»: هُيئت، والتقدير: أعدها الله للكافرين، وفي بناء الفعل للمفعول -المجهول- تركيز على الحدث -إعداد جهنم- لا المُحْدِث- إذ كان الفاعل -سبحانه- معلومًا من السياق والمقام -وبذلك تنخلع القلوب، وتنزجر النفوس عندما تسمع هذا الوعيد، وكأن النار هيئت وأُعِدت من تلقاء نفسها، وكذلك حذف الفاعل في موقف البعث والقيامة للسبب الذي ذكرناه كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الحاقة ١٣-١٤]، والله أعلم.

السؤال٢٧٣: لِمَ لَمْ يعطف قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ على ما قبله؟

الجواب: إما لأنه ابتداء كلام، لنكتة هي الاعتناء بشأنه، بجعله مقصودًا بالذات، مبالغة في الوعيد والترهيب، والله أعلم.

وإما لأنه استئناف بياني -شبه كمال الاتصال- لكونه جوابًا عن سؤال تقديره: لمن أعدت تلك النار؟ أو: لم كان وقودها الناس والحجارة؟ وعمومًا ففي الفصل تعريض

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٤٤).

(٢) روح المعاني (١/ ١٩٩).

بأن النار خُلِقت للكافرين ابتداء، لأن الخطاب لهم، والله أعلم [١].

السؤال٢٧٤: ما سر التعبير باسم الفاعل «الكافرين» وإيثاره على الجملة «الذين كفروا»؟

الجواب: للدلالة على رسوخهم في الكفر، وثباتهم عليه، والله أعلم.

السؤال٢٧٥: ما سر العدول عن المضمر إلى الظاهر في قوله سبحانه: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ حيث كان مقتضى الظاهر أن يقال: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار.. أعدت لكم؟

الجواب: للتصريح بعلة الحكم -كفرهم- وكون إعداد النار لهم إنما كان سببه كفرهم وعنادهم.

وللطيفة أخرى هي عدم مواجهتهم بمصيرهم صراحة، وكأن تلك النار أعدت لغير المخاطبين تنفيرًا لهم عنها، وحثًا لهم على تجنبها بالإيمان بالرسول ﷺ وبما جاء به، وبوحدانية الخالق سبحانه، والله أعلم.

السؤال٢٧٦: لِمَ عبّر عن المستقبل بالماضي ﴿أُعِدَّتْ﴾؟

الجواب: لتأكد تحققه -المستقبل- وكأنه وقع حين أخبر عنه، على غرار قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، والله أعلم.

---

(١) انظر روح المعاني (١/ ١٩٩)، والتحرير والتنوير (١/ ٣٤٥).

السؤال٢٧٧: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ [البقرة: ٢٥] **بما قبله؟**

الجواب: الآية السابقة فيها ترهيب، والآية هنا تشتمل على ترغيب، وتلك عادة القرآن من إرادف الترغيب بالترهيب، والوعد بالوعيد، والإنذار بالتبشير، أو عكس ذلك، مجاراة لاختلاف طباع الناس في انتفاعهم بالأسلوب الذي يلائمهم مما ذكر من الترغيب أو الترهيب.. إلخ، ففي ذلك تحفيز للمؤمنين على طاعة الله سبحانه، وتثبيط للكافرين عن عصيانه -سبحانه- والله أعلم.

السؤال٢٧٨: علام عطف قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ بما قبله؟

الجواب: فيه قولان:

أولهما: إنه معطوف على قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا ...﴾ إلى قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

ثانيهما: إنه معطوف على قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾، والله أعلم.

السؤال٢٧٩: كيف ساغ عطف الإنشاء ﴿وَبَشِّرِ﴾ على الخبر قبله؟

الجواب: جاز العطف في هذا الموضع، لأن المنظور إليه هو التناسب بين الغرضين أو الطرفين من دون نظر إلى جزئيات أو مكونات هذين الغرضين أو الطرفين، فالنظر إلى الإطار العام الذي يجمعهما، وهو عطف قصة على قصة أو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين، فقد عطف مجموع جمل متعددة مسوقة لوصف ثواب الموحدين المؤمنين، على مجموع جمل متعددة سابقة مسوقة لوصف عقاب الكافرين المعاندين، وهذا ما

يسمى بالتناسب بين القصتين، فليس هو عطفًا لجملة معينة في هذه القصة على جملة معينة في قصة عقاب الكفار، حتى يشترط التناسب بين الجملتين في الخبرية والإنشائية، لذا جاز عطف الإنشاء على الخبر في هذا الموضوع وأشباهه، والله أعلم [١].

السؤال٢٨٠: ما سر تعريف المسند إليه باسم الموصول في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾؟

الجواب: ليأتي تعليل الحكم للمؤمنين بالجزاء المذكور من خلال جملة الصلة، فالإيمان والعمل الصالح هما السبب في البشارة، أو هما السبب في الجزاء بأن تكون لهم جنات تجري من تحتها الأنهار.. إلى آخر ما ذكر في الآية، والله أعلم بمراده.

السؤال٢٨١: التبشير هو الإخبار بالأمر المحبوب كما في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ فما تأويل البشارة في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]؟

الجواب: البشارة في الآية من باب التهكم والاستهزاء، حيث استعملت الألفاظ الدالة على المدح في نقضيه من الذم والإهانة فالبشارة تستعمل في الأمور المحمودة، والمراد هنا العذاب والويل والشر، وهذا يطلق عليه في البلاغة الاستعارة التلميحية، أو التهكمية، أو العنادية [٢]، ومن شواهدها أيضًا في القرآن الكريم قوله تعالى:

---

(١) راج الكشاف وحاشية السيد عليه (١/٢٥٣)، والتحرير والتنوير (١/٣٥٠)، ومالك العطف بين الإنشاء والخبر (ص١٦، ١٧)، د. محمود توفيق سعد، مطبعة السعادة، ط١ ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) عرف السكاكي الاستعارة التلميحية بقوله: (هي استعارة اسم أحد الضدين، أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التلميح، ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر، والإفراد بالذكر ونصب القرينة)، مفتاح العلوم للسكاكي (ص١٧٧).

﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣] والإثابة في الآية بمعنى «العقاب».

ومنها قوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

تأمل أن المخاطب بهذه الآية «إنما هو في النار الذليل المهان، لكنه خوطب بما كان يخاطب به في الدنيا، وفيه مع هذا ضرب من التبكيت له والإذكار بسوء أفعاله»، والله أعلم (١).

السؤال٢٨٢: لماذا خولف في الأسلوب في هذه الآية حيث لم يخاطب المؤمنون كما خوطب الكفار في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ...﴾ [البقرة: ٢٣]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ...﴾؟ [البقرة: ٢٤]

الجواب: لتفخيم شأنهم، وللإشعار بأنهم جديرون بأن يبشروا بما أعده الله لهم، أو لإبراز كمال التباين بين جزاء الفريقين: المؤمنين، والكافرين، والله أعلم.

السؤال٢٨٣: مَن المأمور بالتبشير في الآية الكريمة؟

الجواب: إما الرسول ﷺ وإما كل مَن يتأتى منه ذلك كما في قوله ﷺ: «**بشّر المشائين إلى المساجد في الظُّلَم بالنور التام يوم القيامة**» فالمأمور ليس واحدًا بعينه، وفيه إيحاء بأن الأمر لفخامته حقيق بأن يتولى التبشير به كل مَن يقدر عليه (٢)، والله أعلم.

والوجه الأول هو الذي تستريح إليه النفس، لأن أمره ﷺ لخصوصيته بالبشارة أفخم وأجزل، وكأنه ما اتكل أن يبشر المؤمنين كل سامع، بل نص على أعظمهم

---

(١) المحتسب لابن جني (١/١٠١).

(٢) روح المعاني (١/٢٠١) بتصرف يسير.

وأصدقهم ليكون ذلك أوثق عندهم وأقطع في الإخبار بهذه البشارة العظيمة، إذ تبشيره ﷺ تبشير من الله تعالى، والله أعلم [١].

السؤال٢٨٤: لماذا قدم الإيمان على الأعمال الصالحات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، ولم يقل: الذين عملوا الصالحات وآمنوا.. ؟

الجواب: لأن الإيمان شرط لقبول الأعمال، فأي عمل صالح من دون إيمان لا ينفع صاحبه يوم القيامة، والله أعلم.

السؤال٢٨٥: ما سبب مجيء التعبير عن المؤمنين بالموصول وصلته الجملة الفعلية ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥] بعد إيراد الكفار بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾؟[البقرة: ٢٤]

الجواب: السر في العدول عن الاسمية «المؤمنون» إلى الوصول ومجيء صلته جملة فعلية «آمنوا» هو الدلالة على أن مستحق التبشير بفضل من الله وقع منه الإيمان وتحقق به وبالأعمال الصالحة، والله أعلم [٢].

السؤال٢٨٦: ما نوع «أل» في «الصالحات»؟

الجواب: اللام في «الصالحات» للجنس لا للعموم، لأنه لا يكاد يمكن أن يعمل المؤمن جميع الصالحات، لكن يعمل جملة من الأعمال الصالحة الصحيحة المستقيمة في

---

(١) البحر المحيط (١/ ٢٥٤).

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٥٥).

الدين على حسب حال المؤمن في مواجهة التكليف(١)، والله أعلم.

السؤال٢٨٧: ما المقصود بـ«الجنات»؟ ولماذا جمعت جمع قِلة ولم تجمع جمع كثرة؟

الجواب: الجنات هي البساتين ذات الأشجار العالية الملتفة والكثيفة التي تستر مَن فيها بشجرها. والمادة تدور حول الستر والتغطية. والجنة اسم لدار الثواب.

وجمعت جمع قلة لقلة عددها، ولكن كل واحدة منها تشتمل على منازل متفاوتة، ودرجات مختلفة، ومراتب شتى، والله أعلم.

السؤال٢٨٨: لماذا قدّم الجار والمجرور الخبر «لهم» على الاسم «جنات»؟

الجواب: للمسارعة إلى تبشير المؤمنين، ولاختصاصهم بها، والله أعلم.

السؤال٢٨٩: ما سر تنكير «جنات» في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾؟ [البقرة: ٢٥]

الجواب: التنكير إما للتعظيم لعظم ما فيها، إذ فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وإما أن يكون التنكير للتنويع باعتبار تنوع ألوان النعيم في الجنة، جعلنا الله من أهلها، والله أعلم.

السؤال٢٩٠: كيف أسند جري المياه إلى الأنهار في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾؟ [البقرة: ٢٥]، والماء يجري وحده؟

الجواب: جاء على سبيل المجاز العقلي بعلاقة المكانية كما يقال: سار بهم الطريق،

(١) البحر المحيط (١/ ٢٥٥).

وسيل جار، فالناظر إلى الماء وهو يجري في الأرض لا يرى النهر، ولكن يرى الماء، فكأن النهر اختفى في الماء ولا يرى غير الماء، وهذا وجه بلاغة المجاز، والله أعلم.

السؤال٢٩١: لمَ أُنث الفعل «تجري» في الآية؟

الجواب: مراعاة للمضاف إليه أو للفظ الجمع «الأنهار»، والله أعلم.

السؤال٢٩٢: لماذا يشفع ذكر الجنة بذكر الأنهار غالبًا في القرآن الكريم؟

الجواب: لأن الماء من أعظم النعم، كما أن الجنان لا تأخذ الألباب، ولا تأسر العيون، ولا تبعث على الأريحية والسرور حتى يجري الماء فيها، فهو بالنسبة لها كالروح في الجسد، والدليل على هذا أن الله تعالى يتبع ذكر الجنات بذكر الأنهار من تحتها في معظم الآيات الكريمة التي فيها ذكر للجنات -مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه، وبدليل تقديم جري الأنهار على سائر أوصافها (١).

وقد ورد قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في أربعة وثلاثين موضعًا في القرآن، وفي ثلاث وعشرين سورة، وفي موضع واحد: ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة ١٠٠] فيكون بذلك ورد ذكر الأنهار بعد «الجنة» مفردة أو جمعًا في خمسة وثلاثين موضعًا، وهذا دليل على ما سبقت الإشارة إليه من علة إرداف ذكر الجنة بالأنهار.

وهنا في آية البقرة لم يبين أنواع هذه الأنهار، ولكنه سبحانه بَين ذلك في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: ١٥]، والله أعلم.

---

(١) الكشاف (١/٢٥٨) بتصرف يسير.

السؤال٢٩٣: ما نوع «أل» في الأنهار؟

الجواب: «أل» للجنس، والمقصود الإشارة إلى جنس الأنهار وليس العموم واستغراق كل الأنهار، والله أعلم.

السؤال٢٩٤: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾؟

الجواب: إلى الجنات باعتبار مكوناتها من الأشجار والأرض النابتة فيها، أو إلى الجنات باعتبار الأشجار، لأنها أهم ما في الجنات، والله أعلم.

السؤال٢٩٥: ما فائدة ذكر هذا القيد: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾؟

الجواب: هذا القيد قصد منه تصوير حال الأنهار لزيادة تحسين وصف الجنات ترغيبًا للسامع، والله أعلم[١].

السؤال٢٩٦: ما موقع جملة: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ...﴾ [البقرة: ٢٥] بالنسبة لما قبلها؟

الجواب: يمكن أن تكون صفة ثابتة ل«جنات»، وسر تأخرها عن الأولى أن جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها، وهذا الوصف باعتبار سكانها.

ويمكن أن تكون خبرًا عن مبتدأ محذوف تقديره «هم» عائد على ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فتكون جملة ابتدائية، الغرض منها بيان شأن آخر من شؤون المؤمنين[٢]، أو تكون جملة استئنافية، وكأن سائلاً قد سأل: ما حالهم في تلك الجنات؟ أو ثمارها؟

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(٢) انظر التحرير والتنوير (١/ ٣٥٤).

فأجيب: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا ... ﴾، لذا فصلت عما قبلها لشبه كمال الاتصال كما يفصل السؤال عن الجواب، وفائدة حذف المبتدأ هنا: «تحقيق التناسب بين الجمل الثلاثة صور لاسميتها»(١)، والله أعلم.

السؤال٢٩٧: ما الغرض من تنكير «رزقًا»؟

الجواب: التنويع أو التعظيم أي: نوعًا لذيذًا غير ما تعرفونه، والله أعلم.

السؤال٢٩٨: ما نوع «من» في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾؟ [البقرة: ٢٥]

الجواب: «من» الأولى والثانية لابتداء الغاية، لأن الرزق قد ابتدأ من الجنات، والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة، إلا أن «من» الأولى متعلقة بالرزق مطلقًا، والثانية بالرزق مقيدًا بكونه من الجنات (٢).

وليس المراد بالثمرة الحبة الواحدة بناء على هذا التفسير، وإنما بمنزلة قوله: أعطاني محمد، فيقال من أين؟ فتقول: من بستانه، فيقال: من أي ثمرة؟ فتقول: من التفاح، والله أعلم

السؤال٢٩٩: لماذا لم يقل سبحانه: كلما رزقوا من ثمرها؟ وجمع بين «منها» و«من ثمرها» في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ ؟ [البقرة: ٢٥]؟

الجواب: لأن تعلق «منها» يفيد أن سكان الجنة لا يحتاجون لغيرها، لأن فيها كل ما

---

(١) روح المعاني (١/ ٢٠٢).

(٢) الكشاف وحاشية السيد علي الكشاف (١/ ٢٥٩-٢٦١).

تشتهيه الأنفس، وتعلق «من ثمرة» يفيد أن المراد بيان المأكول على وجه يشمل جميع الثمرات دون بقية اللذات المعلومة من السابق واللاحق، والله أعلم(١).

السؤال٣٠٠: ما سر توكيد الفعل ﴿رُزِقُواْ﴾ بالمصدر ﴿رِّزْقًا﴾ في قوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ...﴾؟ [البقرة: ٢٥]

الجواب: للدلالة على أن هذه الثمرات تجيء إليهم رزقًا من الله تعالى بإنعامه وإحسانه من غير أن يبذل أهل الجنة جهدًا، ولا أن يقوموا بعمل لمجيئها إليهم، فالجنة دار الجزاء والثواب والنعيم، فإذا كانوا لم يعملوا في الجنات فهو جزاء لمجهود سابق، وثمرة لإيمان وعمل صالح، والله أعلم(٢).

السؤال٣٠١: يقول أهل الجنة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥]، **فكيف يصح أن تكون الثمار التي يرزقونها في الجنة هي التي رزقوا بها من الدنيا من قبل؟**

الجواب: مقصدهم أن الذي يرزقون به في الجنة من الثمار يشبه الذي رزقوا به في الدنيا، بدليل قوله سبحانه: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ ولذلك إذا اشتدت مشابهة الابن بالأب قالوا إنه الأب، يعني لشدة استحكام الشبه بينهما كأن ذات الابن ذات الأب، فالتشابه بين ثمار الدارين شديد في اللون والشكل، ولكنه مختلف في الطعم، والله أعلم.

(١) روح المعاني (١/٢٠٣).
(٢) زهرة التفاسير (٥٧).

السؤال٣٠٢: ما مرجع الضمير في «به» في قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا﴾ ؟

[البقرة: ٢٥]

الجواب: إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعًا، لأن قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ اندرج تحته ذكر ما رزقوه في الدنيا وفي الجنة، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥] أي بجنسي الغني والفقير، لدلالة قوله: ﴿غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا﴾ على الجنسين، والله أعلم(١).

السؤال٣٠٣: لِمَ وَحد الضمير في قوله ﴿بِهِۦ﴾؟

الجواب: لاستحكام الشبه في الشكل واللون بين ثمار الدارين، وكأن الثمر واحد، والله أعلم.

السؤال٣٠٤: لماذا بنى الفعل «أتوا» للمجهول في الآية؟

الجواب: لأن الرزق معلوم، ولم يتعلق غرض بمعرفة الآية بالرزق، والله أعلم.

السؤال٣٠٥: في قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا﴾ دلالة على أن ثمار الدارين تشبه بعضها بعضًا في المنظر وتختلف في الطعم، فما العلة في تشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة؟ ولماذا لم يكن ثمر الجنة أجناسًا مختلفة؟

الجواب: لأن نفس الإنسان تميل إلى المألوف وتأنس به، فإذا رأى الإنسان ما لم يعتده ويألفه نفر منه طبعه وعافته نفسه، ولأنه إذا ظفر بشيء معهود من جنس ما سبق له معرفته زاد ابتهاجه واغتباطه وخصوصًا إن رأى فيه مزية ظاهرة، وفضيلة بينة،

(١) الكشاف (١/ ٢٦١).

وتفاوتًا عظيمًا بينه وبين ما عهد من قبل فيطول استعجابه واستغرابه (١)، والله أعلم.

السؤال٣٠٦: في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، ما سر إيراد هاتين الصفتين بالجملة الاسمية، وإيراد ما سبقهما بالجملة الفعلية في قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾؟

الجواب: أورد الصفتين السابقتين بالجملة الفعلية؛ لإفادة تجدد الحدث، وبالجملة الاسمية في هاتين الصفتين؛ لإفادة الثبوت والدوام، وكلا الغرضين يناسب ما ذكر معه من الصفات. والله أعلم

السؤال٣٠٧: لماذا قال سبحانه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، ولم يقل: وفيها لهم أزواج مطهرة؟

الجواب: لإرادة التخصيص، وللمسارعة إلى تأنيسهم بالأزواج؛ ليجمع لهم نعمة الأنس بالأزواج بعد نعمة الطعام، والله أعلم.

السؤال٣٠٨: ما المراد من الأزواج في الآية؟

الجواب: المراد النساء اللاتي لا يشارك الرجل فيهن غيره. وأزواج جمع زوج، والمرأة زوج الرجل، ولا تكاد العرب تقول: زوجة بإثبات التاء؛ فالأفصح إذن أن يقال: زوج الرجل ولا يقال: زوجة الرجل، وإن قيلت فهي صحيحة. كما يقال أيضًا: الرجل زوج المرأة. ومن شواهد استعمالهم «زوجة» بالتاء قول الفرزدق:

وإن الذي يسعى ليُفسد زوجتي ... كساعٍ إلى أُسْد الشَّرى يستبيلُها

---

(١) الكشاف (١/ ٢٦١) بتصرف يسير

السؤال ٣٠٩: ما المقصود من تطهير الأزواج في الآية ؟

الجواب: طهرهن من الحيض والاستحاضة والأقذار، ومن لؤم الطباع وسوء الأخلاق. والله أعلم.

السؤال ٣١٠: لم قال: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ولم يقل: أزواج طاهرة ؟

الجواب: في مطهرة؛ تفخيم لصفة الطهارة فيهن ليست في طاهرة، وهي الإشعار بأن مُطهرهن، هو الله عز وجل[(١)]. والله أعلم.

السؤال ٣١١: ما الغرض من ذكر قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؟ [البقرة: ٢٥]

الجواب: للاحتراس من توهم الانقطاع بما تعودوا عليه من انقطاع اللذات في الدنيا؛ لأن جميع اللذات فيها معرضة للزوال. والله أعلم[(٢)].

---

(١) الكشاف (١/٢٥٦).

(٢) التحرير والتنوير (١/٢٥٧).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ
وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ
﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ
ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٩]

السؤال٣١٢: ما سبب نزول هذه الآية؟

الجواب: سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣]، وبالعنكبوت في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]؛ لما ضرب الله تعالى المثل بالذباب والعنكبوت في الضعف والهوان؛ شكك خصوم الدعوة من اليهود والمشركين والمنافقين في صدق الوحي بهذا القرآن، وسخروا من هذا الكلام؛ بحجة أن ضرب الأمثال بهذه الأشياء الصغيرة والحقيرة لا تصدر عن الله تعالى وقالوا: أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت؟

وكان هذا جزءًا من حملة التشكيك والبلبلة التي يقوم بها أعداء الرسالة المحمدية؛

فنزلت هذه الآية للرد عليهم، وكشفًا لهذا الزيف، ودفعًا لهذا الدس، وبيانًا لحكمته سبحانه في ضرب الأمثال، وتحذيرًا لغير المؤمنين من عاقبة الإمهال، وتثبيتًا للمؤمنين وتطمينًا لهم أن تلك الأمثال ستزيدهم إيمانًا[١].

والعجيب في أمر هؤلاء المشككين أنهم كانوا يقولون مثل تلك الأمثال في كلامهم، ومن تلك الأمثال: أجرأ من ذبابة، يضربونه مثلاً في الشجاعة. وأسمع من قراد، يضربونه مثلاً لحدة الصوت. وأطيش من فراشة، يضربونه مثلاً في الحماقة. وأضعف من بعوضة، يضربونه مثلاً في الضعف، وكان هدفهم من هذا اللغط التشكيك في القرآن الكريم كما قلنا، وصرف الناس عنه. والله أعلم بمراده.

السؤال ٣١٣: لماذا أكد الخبر بـ«إن» واسمية الجملة؟

الجواب: لأن المشككين من خصوم الدعوة قالوا ما قالوا مكابرة وعنادًا، ولم يقولوه عن اقتناع ويقين؛ بدليل احتفائهم بأمثال شبيهة وردت في كلامهم البليغ.

السؤال ٣١٤: الحياء تَغَير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به ويُذم؛ فكيف يجوز إسناده إلى الله تعالى حتى وإن جاء منفيًا عنه؛ لأن نفي الشيء لا يكون إلا إذا جاز إثباته. أما الشيء غير المتوقع إثباته قطعًا فلا ينفى؟

الجواب: يُرَد على هذا بعدة وجوه منها:

أولًا: إن إسناد الحياء إلى الله تعالى جاء على سبيل المشاكلة التقديرية؛ لأنه جاء ردًا على كلام الكفار: أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت؟ فجاء

(١) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي وفي ظلال القرآن (١/ ٥٠).

الكلام على سبيل إطباق الجواب على السؤال، وهذا ما يسمى بالمشاكلة، وهي من فنون البديع، وتكثر شواهدها في كلام العرب كما في قول الشاعر:

مَن مُبلغٌ أفناء يعربَ كلها أني بنيتُ الجارَ قبل المنزلِ؟

فقد أوقع الشاعر البناء على الجار، والجار لا يُبنى كما تُبْنَى الحوائط، وهنا جاز إطلاق البناء على الجار على سبيل المشاكلة، والرأي المذكور هو رأي البلاغيين[1].

ثانيًا: أنه إذا وُصف الله تعالى بصفة تثبت لعباده مما يختص بالأجسام؛ فذلك محمول على نهايات الصفات وغاياتها لا على بداياتها، بيان ذلك أن الغضب له علامة ومقدمة، وهي غليان دم القلب وشهوة الانتقام، وله غاية، وهي إنزال العقاب بالمغضوب عليه؛ فإذا وصفنا الله تعالى بالغضب فليس المراد ذلك المبدأ أي الرغبة في الانتقام وغليان القلب كما يحدث للعباد؛ بل المراد تلك الغاية وهي إنزال العقاب، وعليه يؤول وصف الله تعالى بالحياء؛ فليس المراد ذلك الخوف والتغير والانكسار الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إلى القبيح؛ بل المراد منه غاية الصفة ونهايتها وهي ترك الفعل[2].

ثالثًا: إسناد الحياء إلى الله تعالى على ظاهره وحقيقته؛ مع تنزيه سبحانه عن صفات الحوادث، المخلوقين، وتفويض الأمر إليه في حقيقة المراد[3].

رابعًا: إن إسناد الحياء إلى الله تعالى وارد على سبيل المجاز لا الحقيقة، والمراد منه

---

(١) انظر معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب (ص ٦٢١).
المشاكلة من فنون علم البديع، وهي: أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته لفظًا أو تقديرًا. ومن شواهدها قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]؛ عبر عن الإهمال بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته.

(٢) راجع مفاتيح الغيب (١/ ٥٣٥).

(٣) انظر روح المعاني (١/ ٢٣٠).

الترك؛ فمثلاً استحياء الله تعالى من تعذيب ذي الشيبة المسلم كما ورد في الحديث الصحيح «**إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه**»؛ معناه: ترك تعذيبه لا أنه سبحانه يعتريه ذلك الانفعال الذي يعتري المخلوقين حين يغشاهم الحياء؛ فشُبه ذلك الترك بالحياء بجامع أن كلا منهما يؤديان إلى نتيجة واحدة. والله أعلم بمراده[١].

السؤال٣١٥: ما سر الإتيان بالمسند إليه، لفظ الجلالة، عَلَمًا وإيثاره على غيره من أسمائه أو صفاته، سبحانه وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾؟ [البقرة: ٢٦]

الجواب: لأن هذا العَلَم -أي لفظ الجلالة-؛ جامع لصفات الجلال والكمال فذكره أولى في إقناع المشككين بأن كلامه سبحانه هو أعلى كلام في مراعاة ما هو جدير بالمراعاة، وفي ذلك أيضًا إبطال لغمزهم بأن اشتمال القرآن الكريم على مثل هذا المثل؛ دليل على أنه ليس من عند الله، ومن أجل ذلك أيضًا أوثر أن يكون المسند خصوص فعل الاستحياء زيادة في الرد على هؤلاء المعترضين؛ لأنهم أنكروا التمثيل بهذه الأشياء لمراعاة كراهة الناس، ومثل هذا ضرب من الاستحياء؛ فنُبهوا على أن الخالق سبحانه لا يستحيي من ذلك، إذ ليس مما يستحيا منه، ولأن المخلوقات متساوية في الضعف بالنسبة إلى خالقها، والمتصرف فيها. والله أعلم[٢]

السؤال ٣١٦: ما الفرق بين الحياء والخجل؟

الجواب: الحياء؛ انقباض النفس عن القبائح، كما قال الراغب[٣] أو تغير وانكسار

(١) راجع تفسير أبي السعود (١/ ٧١، ٧٢).
(٢) انظر التحرير والتنوير (١/ ٣٥٩، ٣٦٠)
(٣) انظر مفردات الراغب مادة (حيي) (صـ ١٤٠).

يعتري الإنسان من تخوف ما يُعاب به ويُذَم.

وأما الخجل: فحيرة النفس لفرط الحياء، وتلك الحيرة واقعة بعد الحياء، والخجل يُحْمَد في النساء والصبيان، ويُذَم في الرجال. ويمكن القول بأن «الخجل أخص من الحياء؛ فإنه لا يكون إلا بعد صدور أمر زائد لا يريده القائم، بخلاف الحياء فإنه قد يكون مما لم يقع فيترك لأجله» (١). ولا تكاد المعاجم تفرق بين الحياء والخجل بل تفسر أحدهما بالآخر. والله أعلم.

السؤال ٣١٧: فُسر الحياء في حقه سبحانه بالترك، فلماذا عُدل به عن الترك، وأوثر عليه، فقيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ ولم يُقل: إن الله لا يترك؟

الجواب: عُدِل عن الترك الدال على المراد نصًا وصراحة إلى ما ذكر من الاستحياء المحتاج للتأويل؛ لما فيه من التمثيل والمبالغة، كما قال البيضاوي في تفسيره(٢)، أي الاستعارة والتي تدل على إثبات الشيء ببينة وتقرير؛ ناهيك عما تدل عليه من المبالغة والبلاغة. والله أعلم

السؤال ٣١٨: ما المقصود بالضرب في قوله تعالى: ﴿يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾؟

الجواب: أصل الضرب: إيقاع الشيء على الشيء، والمقصود من ضرب المثل الذكر أو الجعل أو الوضع مجازًا. والله أعلم (٣).

---

(١) حاشية الشهاب (١/ ٨٣).

(٢) تفسير البيضاوي (١/ ١٢٤) دار صادر – بيروت.

(٣) ضرب المثل؛ هو بيان الحال التي تشبه وتمثل وبحال واقعة ثابتة. وللمثل مضرب ومورد كما يقول علماء البلاغة، فالمورد: هو الحال التي تشبه بها القول والتي صدر منها، والمضرب هو الحال التي تشبه الحال التي وقعت أو هي ثابتة.

السؤال ٣١٩: لماذا أوثر التعبير بالفعل المضارع ﴿ يَضْرِبَ ﴾ على التعبير بالمصدر فيقال: إن الله لا يستحيي من ضرب مثل؟

الجواب: أوثر الفعل المضارع؛ لإفادة التجدد والاستمرار، أي أنه يشمل الضرب لأمثال كثيرة، وهذا لا يفيده التعبير بالمصدر لو قيل: مِن ضَرْبِه؛ لأنه يصدق لمثل واحد سابق أو لاحق، فالمصدر حدث مجرد عن الزمان. والله أعلم.

السؤال ٣٢٠: ما الغرض من تنكير «مثلاً» في الآية الكريمة؟

الجواب: التنكير للتنويع بدليل بيانه بقوله تعالى: ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾. والله أعلم[١].

السؤال ٣٢١: ما دلالة «ما» في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَّا ﴾؟

الجواب: «ما» اسمية إبهامية تزيد ما تقارنه من الاسم النكرة إيغالًا في الإبهام، وبُعْدًا عن الخصوصية والتقييد، وكأنه قيل في الآية: أي مثل من الأمثال، كقولك: أعطني قلمًا ما أي: أي قلم كان. والله أعلم.

السؤال ٣٢٢: لماذا جُعِلت البعوضة مثلاً في الآية؟

الجواب: لشدة الحقارة والضعف أو لعجيب خلقها. والله أعلم بمراده.

السؤال ٣٢٣: ما المقصود من قوله سبحانه: ﴿فَمَافَوْقَهَا ﴾؟

الجواب: فيه وجهان:

الأول: أن يكون المراد فما هو أعظم منها في الحجم كالذباب والعنكبوت والحمار

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٦٢).

والكلب، فإن المغرضين من القوم أنكروا تمثيل الله تعالى بكل هذه الأشياء.

والثاني: أن المقصود بما فوقها في الصغر. وهذا الرأي هو الأرجح لوجوه؛ أحدها: أن المقصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان، وكلما كان المشبه به أشد حقارة؛ كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولًا. وثانيها: أن الغرض هاهنا بيان أنه سبحانه لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير، وعليه يجب أن يكون المذكور ثانيًا أشد حقارة من الأول.

وثالثها: أن الشيء كلما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب؛ فإذا كان غاية في الصغر لم يحط بإعجازه وأسراره إلا الخالق سبحانه وتعالى؛ فكان التمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من التمثيل بالشيء الكبير[١]. وقد أثبت العلم الحديث وجود حشرة متناهية في الصغر فوق جسم البعوضة؛ فسبحان الله المبدع في خلقه وصنعته. والله أعلم بمراده.

السؤال ٣٢٤: ما دلالة الفاء في قوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؟

الجواب: الفاء عاطفة لـ«ما فوقها» على «بعوضة»؛ فأفادت التشريك في ضرب المثل بهما، ومعنى التعقيب الذي هو من معاني الفاء غير مراد هنا؛ فهي لا تفيد أن ضرب المثل يكون بالبعوضة، ويعقبه ضربه بما فوقها بل المراد التدرج في ضرب المثل، والانتقال من منزلة إلى منزلة، والمعنى: أن الله لا يستحيي أن يضرب البعوضة مثلاً فيضرب ما هو درجة أخرى أحقر منها، وعليه فالفاء في الآية الكريمة مستعارة للتدرج؛ لأنه شبيه بالتعقيب في التأخر، ومنه «**رحم الله المحلقين فالمقصرين**»[٢]. والله أعلم بمراده.

---

(١) انظر مفاتيح الغيب (١/ ٥٣٩).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٣٦٣).

السؤال ٣٢٥: ما دلالة حرف «أما» في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ [البقرة: ٢٦]؟

الجواب: «أما» حرف تفصيل يتضمن معنى الشرط بمعنى: مهما يكن من شيء، ويجاب بالفاء، وهذا يفيد التأكيد، تقول: محمد مسافر، فإذا قصدت توكيد ذلك، وأنه لا محالة مسافر، قلت: «أما محمد فمسافر».

و«أما» في الآية؛ لتفصيل حال الذين يتلقون الأمثال المضروبة، وما يترتب على ضرب المثل من الحِكم. وفي تصدير الجملتين به في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ ..﴾؛ ثناء لأمر المؤمنين، واعتداد بعلمهم أنه الحق، وذم عظيم للكافرين على ما قالوه وذكروه. والله أعلم بمراده.

السؤال ٣٢٦: لماذا قدم بيان حال المؤمنين في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾؟ [البقرة: ٢٦]

الجواب: للثناء عليهم، وهذا هو المقصود أيضًا من ذكرهم هنا؛ فالغرض مدحهم لثبات إيمانهم، ولتيئيس المغرضين من الكفار واليهود الذين أرادوا إلقاء الشك في قلوب المؤمنين؛ فيعلمون أن قلوبهم لا مدخل فيها لذلك الشك(١). وفي تقديم الحديث عن المؤمنين أيضًا؛ دلالة على شرف الإيمان والعلم وحقارة الكفر والعناد. والله أعلم بمراده.

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٣٦٤).

السؤال ٣٢٧: لماذا لم يقل سبحانه: فأما الذين آمنوا فيقولون، ليوافق قوله بعده: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ﴾؟

الجواب: للإشارة إلى أن المؤمنين اكتفوا بالخضوع والطاعة من غير حاجة إلى التكلم [1]. والله أعلم بمراده

السؤال ٣٢٨: ما نوع «من» في قوله: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ ؟

الجواب: لابتداء الغاية المجازية. والمعنى؛ أنه وارد من ربهم لا كما زعم المعاندون أنه مجافٍ للصواب. والله أعلم بمراده.

السؤال٣٢٩: لماذا عبر عن حال المؤمنين بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] ولماذا اكتفي بحكاية علمهم عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]؟

الجواب: عبر عن حال المؤمنين بالعلم؛ تعريضًا بأن الكافرين إنما قالوا ما قالوا عنادًا ومكابرة، وأنهم يعلمون أن ذلك تمثيل أصاب المحز؛ لأنهم أهل فصاحة وفرسان بيان[2]، واكتفى بعلم المؤمنين بدلًا من اعترافهم بموجبه للإيماء إلى قوة ظهور اعترافهم المغني عن الذكر. والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (١/ ٣٣٣).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٣٦٤).

السؤال ٣٣٠: ما سر التعرض للربوبية وإضافته إلى ضمير المؤمنين في قوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾؟ [البقرة: ٢٦]

الجواب: لتشريف المؤمنين، وللإشعار بأن ضرب المثل تربية لهم وإرشادا إلى ما يوصلهم إلى كمالهم اللائق بهم[(١)]، والله أعلم.

السؤال٣٣١: علام يعود الضمير في قوله: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾؟

الجواب: يعود إلى المثل. والله أعلم.

السؤال٣٣٢: لماذا لم يقل سبحانه وتعالى: وأما الذين كفروا فلا يعلمون، ليقابل قوله في حق المؤمنين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ﴾؟

[البقرة: ٢٦]

الجواب: لأن في ذلك مبالغة في ذمهم، وتنبيهًا على كمال جهلهم؛ لأن استفهامهم إما لعدم العلم أو للإنكار، وكلاهما يدل على الجهل دلالة بينة، وللتمهيد لتعداد قبائحهم من نقض العهد والضلال والفسق، وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على هذا القول، كما أن عدم العلم بحقيته لا يعمهم جميعًا؛ فإن منهم من يعلم بها وإنما يكابر ويعاند[(٢)]. والله أعلم

السؤال٣٣٣: ما سر التعبير بالفعل المضارع: ﴿فَيَقُولُونَ﴾؟

الجواب: للدلالة على أن هذا القول تلوكه ألسنتهم، وأنه عادتهم، ولو عبر عن قولهم بالماضي«فقالوا» لما دل على تكرار هذا القول على ألسنتهم، إذ ربما أنهم قالوه مرة

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٧٣).

(٢) انظر روح المعاني (١/ ٣٣٢)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٧٤).

واحدة، وهذا لا يطابق الواقع من عنادهم الذي يواجهون به الحق مرات ومرات [1].
والله أعلم.

السؤال٣٣٤: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؟ [البقرة: ٢٦]

الجواب: السخرية والاستهزاء والتحقير. واعلم أنه ليس مراد هؤلاء المعاندين الاستفهام عن الحكمة في ضرب المثل؛ بل غرضهم أنه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق أن يتعلق به أمر من الأمور الداخلة تحت إرادته تعالى، واستحالة أن يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه[2]. والله أعلم

السؤال٣٣٥: ما الغرض من استخدام اسم الإشارة للقريب «هذا» في الآية الكريمة؟

الجواب: تحقير المشار إليه المثل بقرينة المقام. والله أعلم

السؤال٣٣٦: ما موقع قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]**، بالنسبة لما قبله؟**

الجواب: جاءت الجملتان هنا مجرى البيان والتفسير للجملتين المصدرتين بـ«أما»، أو أنهما جواب لنقض ما يزعمه الكفار من عدم الفائدة في ضرب الأمثال بالمحقرات؛ ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة هي كونه وسيلة هداية المستعدين للهداية، وإضلال المنهمكين في الغواية. والله أعلم[3].

---

(١) انظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٤٢).

(٢) انظر إرشاد العقل السليم (١/ ٧٤).

(٣) روح المعاني (١/ ٣٣٤).

السؤال٣٣٧: ما سر التعبير بالمضارع في الجملتين السابقتين ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾؟ [البقرة: ٢٦]

الجواب: للإشارة إلى تجدد الإضلال والهداية بتجدد الزمان. والله أعلم

السؤال٣٣٨: لماذا جيء بقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ عقب موقف الذين كفروا؟

الجواب: لأنهم هم أهل الضلال، ولأن قولهم ناشئ من الضلال، وفي تقديم الإضلال على الهدى لف ونشر غير مرتب (١)، والسبب في اقتضاء عدم الترتيب شدة التناسب بين ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ وبين ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ﴾(٢). والله أعلم

السؤال٣٣٩: ما نوع القصر في قوله سبحانه: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؟ [البقرة: ٢٦]

الجواب: من باب قصر الصفة «الإضلال» على موصوف «الفاسقون»، وأوثر القصر بالنفي والاستثناء؛ لأنه أقوى طرق القصر وأعلاها. والله أعلم.

السؤال ٣٤٠: هل إسناد الإضلال إلى الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ حقيقي؟

الجواب: نعم إسناد الإضلال إليه سبحانه حقيقي مراعى فيه أنه سبحانه؛ مكن

---

(١) **اللف**: هو ذكر أمرين، والنشر هو ذكر ما يخص كل واحد من الأمرين من معان؛ فإذا أورد النشر على ترتيب اللف سمي مرتبًا، وإن عكس كان غير مرتب.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٤٣).

الضالين من الاختيار بما خلق لهم من العقول، وما فصل لهم من طريق الهدى وضده. وإجمالًا؛ فإسناد الإضلال إلى الله منظور فيه إلى خلق أسبابه القريبة والبعيدة، وإلا فإن الله تعالى أمر الناس كلهم بالهداية، ودعاهم للإيمان وأرشدهم إلى طريق الخير. وفي اختيار إسناده إلى الله تعالى من صحة إسناده لفعل الضال؛ إشارة إلى تمكن الضلال في نفوس الفاسقين حتى صار كالجبلة فيهم، فهم ميؤوس من اهتدائهم[١]. والله أعلم

السؤال٣٤١: علام يعود الضمير في قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾؟

الجواب: للمثل أو لضربه. والله أعلم بمراده

السؤال ٣٤٢: ما موقع قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ بالنسبة لما قبله؟

الجواب: تذييل لما قبله ببيان صفات من أريد إضلالهم، وإشارة إلى أن ذلك ليس إضلالا ابتدائيًا؛ بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه. والمراد بالفاسقين هنا الخارجون عن حدود الإيمان، وتخصيص الإضلال مرتب على صفة الفسق وما أجرى عليهم من القبائح؛ للإيذان بأن ذلك هو الذي أعدهم للإضلال، وأدى بهم إلى الضلال؛ فإن كفرهم وعدولهم عن الحق، وإصرارهم على الباطل صرفت أنظارهم عن التدبر والتأمل حتى رسخت جهالتهم وازدادت ضلالتهم؛ فأنكروا وقالوا ما قالوا[٢]. والله أعلم بمراده

السؤال٣٤٣: هل قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ حكاية كلام الكفار أم من كلامه سبحانه ابتداء؟

---

(١) التحرير والتنوير (١/٣٦٦).

(٢) روح المعاني (١/٣٣٥، ٣٣٦).

الجواب: من كلام الله تعالى ابتداء، وليس حكاية لكلام الكفار؛ لأنه جاء بيانًا للجملتين قبله المصدرتين بـ«أما» والله أعلم بمراده.

السؤال ٣٤٤: ما دلالة الباء في قوله: ﴿بِهِۦ﴾؟

الجواب: للسببية. والله أعلم بمراده

السؤال ٣٤٥: هل جاء استعمال لفظ «النقض» على حقيقته في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾؟ [البقرة: ٢٧]

الجواب: لا؛ فالنقض استعمل مجازًا في إبطال العهد، وحقيقة النقض: فسخ وحل ما ركب ووصل، وأصله يكون في الحبل والبناء، وأوثر اختيار النقض في إبطال العهد مجازًا على القطع ونحوه لسببين:

أولهما: أنه تمثيل لإبطال العهد شيئًا فشيئًا، وفي أزمنة متكررة.

وثانيهما: أن النقض أبلغ في الدلالة على الإبطال من القطع ونحوه؛ لأن في النقض إفسادًا لهيئة الحبل، وزوال رجاء عوده، وأما القطع فهو تجزئه(١).

وإجمالًا: في الجملة استعارتان؛ استعارة تصريحية حيث شبه إبطال العهد بإبطال تأليف الجسم، وأطلق اسم المشبه به على المشبه. واستعارة مكنية بتشبيه العهد بالحبل، وحذف المشبه به والرمز له بشيء من لوازمه «النقض»، وهذا ما حسن الاستعارة الأولى وأجازها (٢). والله أعلم بمراده

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٦٨).

(٢) انظر روح المعاني (١/ ٣٦)، وحاشية الشهاب (١/ ١٠٥) هذا دليل على أن الاستعارة المكنية قد توجد بدون الاستعارة التخيلية، وأن قرينتها قد تكون تحقيقية.

السؤال٣٤٦: ما علاقة الآية ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧] بما قبلها؟

الجواب: هذه الآية صفة أو بيان لما قبلها على الأرجح؛ «إذ كل فاسق ينقض العهد، ويقطع ما أمر الله بوصله»(١). ولو حملت على أنها استئنافية ابتدائية لما كان لها صلة بما قبلها، وهذا غير حسن؛ لأن المراد بيان صفات الفاسقين. والله أعلم بمراده.

السؤال٣٤٧: وصف الله تعالى الفاسقين بثلاث صفات في هذه الآية، فما سر ترتيبها؟

الجواب: جاء الترتيب من باب ذكر الأهم فالمهم، أو من ذكر الأخص إلى ما دونه؛ حيث بدأ أولًا بنقض العهد، وهو أخص تلك الصفات، ثم ثنى بقطع ما أمر الله به أن يوصل وهو أعم من نقض العهد وغيره، ثم أتى ثالثًا بالإفساد الذي هو أعم من القطع، وكلها ثمرات الفسق. والله أعلم(٢).

السؤال ٣٤٨: ما نوع «من»؟ وما دلالتها في قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ ؟

الجواب: «من» ابتدائية، وتدل «على أن النقض حصل عقيب توثق العهود من غير فصل، وفيه إرشاد إلى عدم اكتراثهم بالعهد» (٣) وهذا أبلغ في ذمهم والتشنيع عليهم. والله أعلم بمراده.

---

(١) البحر المحيط (١/ ٢٧١).

(٢) البحر المحيط (١/ ١٧٤).

(٣) روح المعاني (١/ ٣٣٧).

السؤال٣٤٩: ما سر تكرار التعبير بالمضارع «ينقضون - يقطعون - يفسدون» في الآية الكريمة؟

الجواب: للدلالة على تجدد صدور النقض والقطع والإفساد عن الفاسقين، وهذا يومئ بالاستمرار والديمومة، وهو أبلغ في الذم والقدح. والله أعلم.

السؤال٣٥٠: لماذا جاء الفعل ﴿يُوصَلَ﴾ مبنيًا للمفعول؟

الجواب: لأنه يشمل ما أمر به الله تعالى بأن يصلوه، أو يصله غيرهم؛ لذا كان بناء الفعل للمفعول هنا أبلغ من بنائه للفاعل، والله أعلم [1].

السؤال٣٥١: ما سر التعبير باسم الفاعل في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ؟

[البقرة: ٢٧]

الجواب: للدلالة على رسوخهم في هذه الصفة، وثباتهم فيه «فيكون وصف الفسق لهم ثابتًا، وتكون النتائج عنه متجددة متكررة، فيكون الذم لهم أبلغ؛ لجمعهم بين ثبوت الأصل وتجدد فروعه ونتائجه» [2]. والله أعلم

السؤال٣٥٢: بم أكد سبحانه وتعالى خسران المتصفين بتلك الصفات المذكورة في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ؟

الجواب: أكده بثلاثة مؤكدات:

أولها: التعبير بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت. والله أعلم

---

(١) انظر البحر المحيط (١/ ٢٧٤).

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٧٤).

ثانيها: التأكيد بضمير الفصل «هم» الذي يدل على انفرادهم بالخسارة من دون المؤمنين الطائعين، فهم الرابحون دائمًا.

ثالثها: تعريف الطرفين المسند والمسند إليه «المبتدأ والخبر» الدال على القصر؛ فهم مقصورون على الخسارة، فلا يربحون أبدًا لكمالهم في الخسران. والله أعلم

السؤال٣٥٣: من المشار إليه في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾؟ وما سر تعريف المسند إليه المبتدأ باسم الإشارة للبعيد؟

الجواب: الإشارة إلى الفاسقين، وما ذكر في الآية شيء من صفاتهم الذميمة، واستخدام اسم الإشارة للبعيد؛ للإيماء إلى أنهم في مرتبة بعيدة في الخسارة والفساد والذم. وقد وصف الله سبحانه المؤمنين بضد الصفات المذكورة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢١]. والله أعلم

السؤال٣٥٤: ما نوع القصر في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾؟

الجواب: القصر للقلب؛ لأن هؤلاء الفاسقين المتصفين بالصفات المذكورة ظنوا أنفسهم رابحين، فقلب الله ظنهم، وقصر الخسارة عليهم. والله أعلم.

السؤال٣٥٥: ما سر الالتفات من الغيبة في قوله تعالى في الآيتين السابقتين ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ ...﴾ إلى الخطاب في هذه الآية حيث قوله سبحانه: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ...﴾؟ [البقرة: ٢٨]

الجواب: سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ هو مواجهة الذين كفروا بجرائمهم التي أشدها على الإطلاق الكفر بالله تعالى. وفي إحضارهم إلى ساحة الخطاب الإلهي

ومشافهتهم بالخطاب؛ زيادة توبيخ لهم وتقريع وتهديد. والله أعلم

السؤال٢٥٦: ما الغرض من الاستفهام في الآية الكريمة؟

الجواب: الغرض الإنكار والتوبيخ والتعجيب والإنكار في الآية إنكار للواقع؛ لأن الكفر الذي سُلط عليه الإنكار في هذه الآية الكريمة واقع فعلاً، فكان ينبغي ألا يقع؛ لقوة الصوارف عنه، وقوة الدواعي إلى الإيمان، وإجمالًا فالاستفهام هنا مجازي لا حقيقي. والله أعلم بمراده.

السؤال٢٥٧: لمَ أوثر الاستفهام بـ«كيف» في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾؟ [البقرة: ٢٨]

الجواب: لأن «كيف» يستفهم بها عن عموم الأحوال التي تدرك بالحواس؛ فجيء بلفظ «كيف»؛ لقصر نظر الكفار عن إدراك المحسوسات، فكأنه يقال لهم: «بأي حاسة تماديتم على الكفر بالله؟»[(١)]، وفي هذا مزيد تبكيت لهم وتجهيل وتوبيخ. والله أعلم.

السؤال٢٥٨: ما سر التعبير بالفعل المضارع في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ وإيثاره على الماضي «كفرتم»؟

الجواب: لأن في المضارع إشارة إلى استمرار كفرهم وعدم انقطاعه، وإلى تلبسهم به ساعة الخطاب، وفيه كذلك استحضار لصورة كفرهم الفظيع، وللطبقة الأخرى وهي أنه لو قيل: كيف كفرتم بالله؟ لشمل كثيرًا من الصحابة ممن آمن بعد كفر؛ فيكون ذلك توبيخًا لهم، ولتحاشي ذلك وغيره مما سبق؛ كان إيثار المضارع على الماضي، والله أعلم بمراده.

---

(١) نظم الدرر (١/ ٧٩).

السؤال٣٥٩: لماذا أوثر التعبير بلفظ الجلالة في صدر الآية؟

الجواب: لأن ما ذكر في الآية الكريمة وما بعدها من الإماتة والإحياء، والبعث، وخلق السماوات والأرض؛ إنما هو من مظاهر الألوهية، وفي ذلك مزيد توبيخ لهم وتقريع لكفرهم بالصانع الخالق سبحانه وتعالى، والله أعلم بمراده وأعوذ بالله من الزلل.

السؤال٣٦٠: ما المقصود من الموتتين والإحيائين في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾؟ [البقرة: ٢٨]

الجواب: المراد من «أمواتًا» نُطفٌ وأمشاج ومُضَغٌ، وأطلق الموت على تلك الأجسام باعتبار عدم الحياة مطلقًا، والمراد من الإحياء الأول نفخ الروح، والمراد من الموتة الثانية: انقضاء الآجال بإخراج الأرواح من الأبدان، والإحياء الثاني برد الروح عند السؤال في القبور، أو عند النشور عند النفخ في الصور، فهاتان حياتان وموتتان.. والله أعلم بمراده.

السؤال٣٦١: ما إعراب جملة ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾؟ وما وجه دلالتها؟

الجواب: جملة حالية من واو الجماعة في «تكفرون»؛ مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية إلى الإيمان، الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة، ومن حيث دلالتها على قدرة تامة(١). والله أعلم بمراده

السؤال٣٦٢: ما سر استخدام حرفي العطف «الفاء»، و«ثم» كل في موضعه في الآية الكريمة؟

الجواب: الفاء في ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ للدلالة على التعقيب،؛ فالإحياء واقع إثر كونهم

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٧٧).

أمواتًا أي عدمًا، وإن تواردت عليهم في تلك الحالة أطوار متتابعة، بعضها متراخ عن بعض. و﴿ ثُمَّ ﴾ في ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ للتراخي الحقيقي، والتراخي هنا بالنسبة إلى زمان الإحياء من دون زمان الحياة؛ فإن زمان الإماتة غير متراخ عنه كما قال أبو السعود(١)، والمراد بالموت الثاني الموت المعهود. والله أعلم

والتراخي في ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ حقيقي أيضًا؛ لأن الرجوع إليه سبحانه يكون بعد الحشر للمجازاة بالأعمال، وذلك متراخ. والخلاصة أن «الفاء وثم» في الآية على بابيهما من التعقيب والتراخي، والله أعلم.

السؤال٣٦٣: ما نوع الأسلوب في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾؟ [البقرة: ٢٨]

الجواب: أسلوب قصر، طريقه التقديم، من باب قصر الصفة على الموصوف. والمعنى: ترجعون إليه لا إلى غيره. والله أعلم.

السؤال ٣٦٤: لم سيق ما ينكره الكفار من الإحياء الأخير والرجوع -البعث- في سلك ما يعترفون به من الأحياء الأول والإماتة؟

الجواب: «تنزيلاً لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة؛ منزلة العلم بذلك بالفعل في إزاحة للعلل والأعذار» (٢). والله أعلم

السؤال ٣٦٥: لماذا بُني الفعل للمفعول -المجهول- في قوله: ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ دون «يرجعكم» المبني للفاعل والمناسب للسياق ؟

الجواب: «مراعاة لتناسب رؤوس الآي مع وجود التناسب المعنوي للسياق» (٣). والله أعلم

---

(١) السابق (١/ ٧٧).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٧٧).

(٣) روح المعاني (١/ ٣٤٢).

السؤال٣٦٦: لِمَ قيل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾؟ وفيه إنكار للحال التي يقع عليها كفر المخاطبين، ولم يقل: «أتكفرون»؟ وهو أولى؛ لأنه يدل على إنكار الكفر من أساسه؟ أي أن الاستفهام بـ«كيف» في الآية يقتضي أن يكون الإنكار فيها لحال الكفر من دون الكفر نفسه، ولو جيء بالاستفهام بالهمزة لاقتضى أن يكون الإنكار للكفر نفسه وهو الأولى؛ لأن إنكار حال الكفر لا يلزم منه إنكار الكفر نفسه، فما السر في إيثار «كيف»؟

الجواب: كل موجود لا بد من أن تكون له صفة يوجد عليها، ومحال أن يوجد موجود من دون صفة من الصفات؛ فإذا نفيت جميع الصفات والأحوال عن أمر من الأمور، كان هذا النفي للصفات والأحوال نفيًا للأمر نفسه من الأساس، وهذا هو حكم العقل. ويطبق هذا على الآية فيقال: إنه لما كان الإنكار في الآية منصبًا على أحوال الكفر وصفاته، فقد لزم منه إنكار الكفر في نفسه عن طريق الكناية، والكناية أبلغ من التصريح؛ لأنها مصحوبة بالدليل (١). والله أعلم

السؤال٣٦٧: كيف يطلق على الجماد أي النطف في الأصلاب أنه ميت في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾؟ [البقرة: ٢٨] مع أن الموت تكون قبله حياة، ثم تُسلب هذه الحياة فيكون الموت، والجماد «النطف» لم تسبقه حياة حتى يكون من بعدها موت؟

الجواب: إن الموت لا يستلزم وجود حياة سابقة، بل يطلق على الجماد ذاته، فيقال: أرض موات، وأرض ميتة، وإحياؤها يكون بوجود المطر وإنباتها النبات بإذنه تعالى؛

---

(١) راجع الكشاف (١/ ٥٩).

بدليل قوله سبحانه: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [يس: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق: ١١]. والله أعلم بمراده (١).

السؤال٣٦٨: لماذا جاء قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩] مفصولاً عما قبله؟

الجواب: لكمال الاتصال بين هذه الآية وما قبلها، لكونها نتيجة لسابقتها؛ لأن في خلق السماوات والأرض وجميع ما فيهما منفعة للبشر، حيث أمدهم بما فيه حياتهم بعدما أوجدهم من عدم؛ فإن الانتفاع بالأرض والسماء إنما يكون بعد حصول الحياة، ولذا ذكر سبحانه في الآية السابقة أمر الحياة أولًا، ثم أتبعه بذكر السماء والأرض، حيث أمد البشر بمقومات وجودهم. والله أعلم بمراده

السؤال٣٦٩: ما دلالة اللام في قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم ﴾؟ [البقرة: ٢٩]

الجواب: اللام للتعليل، والمعنى: لأجلكم، فخلْق ما في الأرض كان لأجل الناس، وفي هذا تعليل للخلق، وبيان لثمرته وفائدته. والله أعلم بمراده

السؤال٣٧٠: ما نوع الأسلوب في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾؟ [البقرة: ٢٩].

الجواب: أسلوب خبري؛ أفاد القصر بتعريف الطرفين المبتدأ «هو» والخبر «الذي»، والقصر الحقيقي من باب قصر الصفة على الموصوف، والمعنى: هو الذي خلق لكم ما في الأرض.. لا أصنامكم. والله أعلم بمراده.

---

(١) زهرة التفاسير (١/ ١٨٦، ١٨٧).

السؤال٣٧١: لَمْ ينكر المشركون أن الله تعالى هو خالق الكون، فما فائدة القصر في الآية إذن؟

الجواب: صحيح أن المشركين كانوا مقرين بالألوهية، ولكنهم نُزلوا منزلة الجاهل بذلك؛ فسيق لهم الخبر في صيغة القصر؛ لأنهم في كفرهم وانصرافهم عن عبادة الخالق سبحانه كحال من يجهل أن الله تعالى خلق جميع الموجودات والكائنات، ونظير هذه قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]؛ فإن المشركين ما كانوا يعتقدون قدرة أصنامهم على الخلق، وإنما جعلوها شفعاء وعبدوها من دون الله، ونسوا جميع الموجودات من حولهم، ولذا نُزِّلوا منزلة الجاهل بأنه سبحانه هو الخالق وحده. والله أعلم(١).

السؤال٣٧٢: ما سر تقديم الجار والمجرور «لكم» على المفعول الصريح «ما» في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾؟ [البقرة: ٢٩]

الجواب: لتعجيل المسرة؛ ببيان كونه نافعًا للمخاطبين، وللتشويق إليه، والمعنى: خلق لأجلكم جميع ما في الأرض لتنتفعوا بها في أمور دنياكم(٢). والله أعلم بمراده

السؤال٣٧٣: ما دلالة حرف العطف «ثم» في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ... ﴾؟ [البقرة: ٢٩]

الجواب: حرف العطف ﴿ ثُمَّ ﴾ عطف جملة ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ ﴾ على جملة ﴿ خَلَقَ لَكُم ﴾. و﴿ ثُمَّ ﴾ دلت على التراخي الرتبي وهو المعتبر في عطف ﴿ ثُمَّ ﴾ للجمل، ومعناه أن يكون المعطوف أعظم رتبة ومنزلة من المعطوف عليه، وعليه يستعار التراخي في الزمان

(١) راجع التحرير والتنوير (١/ ٣٧٩).
(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٧٨).

للتراخي في الرتبة، ومما لا شك فيه أن خلق السماوات فيه مزية وفضل على خلق الأرض «المعطوف عليه». والله أعلم بمراده

السؤال٣٧٤: لِمَ أخَّر ذكر خلق السماوات كما يفهم من قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾، عن ذكر خلق ما في الأرض مع كونه أقوى منه في الدلالة على كمال القدرة الإلهية؟

الجواب: لأن تعلق مصالح الناس بمنافع الأرض أكثر من تعلقها وأظهر بمنافع السماء، وإن كان في إبداع السماوات وخلقهن من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى أيضًا، والله أعلم بمراده.

السؤال٣٧٥: ما معنى الاستواء والتسوية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾؟

الجواب: في تفسير الاستواء أقوال كثيرة أظهرها:

* علا إليها وارتفع من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحديد، وذكر ذلك الطبري في تفسيره عن الربيع بن أنس[١]. والله أعلم بمراده

* قصد إليها بإرادته قصدًا سويًا بلا صارف يلويه، وهو استعارة من قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل؛ إذا قصده قصدًا مستويًا من غير أن يلوي على شيء[٢].

ومعنى التسوية تعديل خلقهن -السموات- وتقويمه وإخلاؤهن من العوج والفطور، أو إتمام خلقهن وتكميله، من قولهم: درهم سواء، أي كامل تام، وفيه إشارة

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٢٩).
(٢) انظر الكشاف (١/ ٦١).

إلى أن لا تغيير فيهن بالنمو والذبول(١).

ولا يخفى ما بين الاستواء والتسوية من تجانس لفظي.

السؤال٣٧٦: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾؟

الجواب: للترتيب والتعقيب؛ حيث إن التسوية وقعت بعد الاستواء، والله أعلم بمراده.

السؤال٣٧٧: ما سر تقديم خلق الأرض وما فيها في هاتين الآيتين، وعكس ذلك في سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات ٢٧-٣٠]؟

الجواب: السر في التغاير مرجعه إلى المقام في كلتا السورتين؛ فالمقام في سورة البقرة مقام امتنان وتعديد للنعم، وذلك مقتضاه تقديم ما هو نعمة نظرا إلى المخاطبين، وما فيها معاشهم ومصالحهم وهي الأرض، أما في سورة النازعات؛ فالمقام مقام بيان مظاهر كمال القدرة الإلهية، ولذا قدم ما هو أدل على كمالها وهو خلق السماوات. والله أعلم بمراده(٢).

---

(١) البحر المحيط (١/ ٢٨١)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٧٨).

(٢) راجع روح المعاني (١/ ٣٤٦).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣٠-٣٣]

السؤال٣٧٨: ما علاقة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ بما قبله؟ [البقرة: ٣٠]

الجواب: تأتي الآية الكريمة في سياق تعداد النعم على الناس، وتبكيت الكفار منهم؛ فالنعمة الأولى تعم الناس كلهم وهي نعمة الإيجاد من عدم، والثانية: خلق ما في الأرض من النعم واللذات، والثالثة: هي نعمة خلق أبينا آدم عليه السلام وتكريمه - وتكريم الأصل تكريم للفرع-؛ بما جعله هو وذريته أفضل من الملائكة وجميع المخلوقات. والله أعلم بمراده (١).

السؤال٣٧٩: ما سر تلوين الخطاب بتوجيهه إلى النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؟ وما سر ذكر وصف الربوبية وإضافته إلى ضميره الشريف ﷺ؟

الجواب: في تلوين الخطاب وتغييره بتوجيهه إلى النبي ﷺ: إشعار بأن الخبر

---

(١) راجع حاشية الشهاب (١/١١٨).

الوارد في الآية الكريمة ليس مما يهتدي إليه بأدلة العقل كالأمور المشاهدة المحسوسة التي لفت إليها أنظار الكفرة بطريق الخطاب؛ بل إنما طريقه الوحي الخاص به عليه الصلاة والسلام. وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره ﷺ إنباء عن تشريفه ﷺ وتكريمه [1]. والله أعلم بمراده

السؤال٣٨٠: ما سر التعبير باسم الفاعل ﴿جَاعِلٌ﴾ وإيثاره على المضارع في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾؟

الجواب: صيغة اسم الفاعل بمعنى المستقبل، وعملت عمله، وإيثارها على صيغة المضارع؛ للدلالة على أنه سبحانه فاعل ذلك لا محالة، لذا صدرت الجملة وأكدت بـ«إن»[2]. والله أعلم بمراده

السؤال٣٨١: لِمَ قدم الظرف -الجار والمجرور- ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على المفعول الصريح ﴿خَلِيفَةً﴾ في الآية الكريمة؟

الجواب: للتشويق إلى المؤخر «خليفة». والله أعلم بمراده

السؤال٣٨٢: ما الحكمة من إخباره -سبحانه- الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة؟

الجواب: ليسوقهم إلى معرفة فضل الجنس الإنساني بما وهبه الله تعالى من طاقات كامنة، وقدرة عجيبة على الإبداع وليكون كالاستشارة للملائكة؛ فيكون تعليمًا لهم في قالب تكريم، ولتنبيههم إلى ما دق وخفي من حكمة خلق آدم عليه السلام ولبيان كون

(١) انظر إرشاد العقل السليم(١/ ٧٩).
(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٨١)، والبحر المحيط (١/ ٢٨٧).

الحكمة «تقتضي إيجاد ما يغلب خيره على شره؛ فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير»[(١)]. والله أعلم بمراده

السؤال٣٨٣: ما سر إسناد هذا الخبر إلى الله تعالى بوصف الربوبية؟

الجواب: لأن من معاني الرب: المدبر والمصلح، فالقول منبئ عن تدبير عظيم في جعل الخليفة في الأرض؛ ففي ذلك الجعل تدبير مشوب بلطف وصلاح، وذلك من معاني الربوبية، ولما كانت هذه النعمة شاملة لجميع النوع الإنساني؛ أضيف وصف الرب إلى ضمير أشرف أفراد النوع الإنساني وهو النبي ﷺ مع تكريمه بشرف حضور المخاطبة[(٢)]. والله أعلم بمراده

السؤال٣٨٤: لم أكد الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؟

الجواب: لتنزيل المخاطب المستغرب منزلة المنكر، لذا أكد الخبر بمؤكدين: «إن» واسمية الجملة[(٣)]. والله أعلم بمراده

السؤال٣٨٥: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ....﴾؟ [البقرة: ٣٠]

الجواب: الاستفهام قد يبدو في ظاهره لصاحب النظرة العجلى؛ أنه اعتراض من الملائكة على ما أخبرهم الله تعالى به من جعله آدم عليه السلام خليفة في الأرض، وهذا غير سديد ولا صواب؛ لأن الاعتراض على شيء يريده الله تعالى معصية، والمعصية لا تقع

---

(١) راجع التحرير والتنوير(١/ ٤٠٠)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٠١).

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في الذكر الحكيم (١/ ٥٦).

من الملائكة، بدليل قوله تعالى عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وبعد هذه التوطئة، نقول: إن الغرض من استفهام الملائكة هو التعجب «وإنما أظهروا تعجبهم استكشافًا عما خفي عليهم من الحِكَم التي بدت على تلك المفاسد وألغتها، واستخبارا عما يزيح شبهتهم، ويرشدهم إلى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته أهلا لذلك لا اعتراضًا على فعل الله سبحانه، ولا شكًا في اشتماله على الحكمة والمصلحة إجمالا، ولا طعنًا فيه -أي آدم عليه السلام- ولا في ذريته».

السؤال٣٨٦: من المراد بالخليفة؟ وما المقصود من الخلافة؟

الجواب: آدم عليه السلام وذريته. والخليفة: من يخلف غيره، وينوب منابه، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

والمقصود من الخلافة؛ الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس. أو المقصود خلافة آدم عليه السلام الجن في الأرض، حيث كان الجن يسكنون الأرض قبل آدم عليه السلام؛ فعاثوا فيها فسادًا حتى طردتهم الملائكة بأمر الله تعالى ونفتهم إلى جزائر البحر(١). والله أعلم بمراده

السؤال٣٨٧: ما الغرض من تكرار الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟ [البقرة: ٣٠]

الجواب: سلامة المعنى بلاغيًا هي التي اقتضت هذا التكرار؛ لأنه لو حذف الجار

---

(١) انظر مفاتيح الغيب (١/ ٥٨٠، ٥٨١).

والمجرور الأول فقيل: «أتجعل من يفسد فيها»؛ لما تعين جعل الخليفة في الأرض، ولفات توكيد هذا الجار والمجرور لقوله: ﴿جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ولو حذف الثاني لما تعين أن يكون مكان الإفساد وسفك الدماء هو الأرض؛ لذا كان تكرار الجار والمجرور واجبًا في بلاغة المعنى.(١)والله أعلم

السؤال٣٨٨: ما سر عطف ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ على ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟ [البقرة: ٣٠]

الجواب: هذا من باب عطف الخاص على العام، وهو من صور الإطناب؛ لأن الإفساد في الأرض يتضمن سفك الدماء، والغرض البلاغي من هذا العطف الإشارة إلى شناعة الخاص «سفك الدماء» وفظاعته حتى لكأن الإفساد بجميع صوره قسم، وسفك الدماء قسم آخر يماثله في الفظاعة والقبح، والله أعلم (٢).

السؤال٣٨٩: ما علة مجيء صلة الموصول «من» جملة فعلية مضارعة في قوله سبحانه: ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؟ [البقرة: ٣٠]

الجواب: للدلالة على توقع الملائكة أن يتكرر الإفساد والسفك من هذا المخلوق وأن يتجدد ذلك منه. والله أعلم

السؤال٣٩٠: لماذا أوثر اسم الموصول «من» على «الذي» في قوله سبحانه حكاية عن الملائكة: ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ حيث لم يقل: الذي يفسد.. ؟

الجواب: لأن اسم الموصول «الذي» يحسن فيما عُرفت صلة الموصول فيه معرفة ظاهرة، تقول: رأيت الذي استضافنا بالأمس، إذا كان مخاطبك يعرف وقوع استضافته

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في الذكر الحكيم (١/ ٥٦).

(٢) انظر التفسير البلاغي للاستفهام في الذكر الحكيم(١/ ٥٦).

لكما، وأنها وقعت فعلاً منه بالأمس.

والإفساد في الأرض وسفك الدماء -وهما صلة الموصول-؛ لم يكونا قد وقعا بالفعل، فحصولهما كان في الذهن فحسب؛ لذلك -والله أعلم- أوثر اسم الموصول «من» -هنا- على «الذي» لعدم ظهور الصلة ظهورًا بينًا[١]. والله أعلى وأعلم

السؤال٣٩١: لم أوثر التعبير عن القتل بسفك الدماء؟

الجواب: سفك الدماء كناية عن القتل من غير حق، وأوثرت الكناية على التصريح وهو القتل؛ تصويرًا لبشاعة الفعل وهو إسالة الدماء على الأرض، وما في ذلك من فظاعة. والله أعلى وأعلم

السؤال٣٩٢: ما مصدر ظن الملائكة بأن المخلوق الذي سيخلفه الله في الأرض سيفعل ما ذكروه في الآية؟

الجواب: عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى، أو تلق من اللوح المحفوظ، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر؛ حيث أفسدت الجن في الأرض قبل أن تعهد خلافتها لآدم عليه السلام. والله أعلم بمراده.

السؤال٣٩٣: كيف جاز من الملائكة الطعن في بني آدم، وتوقع الفساد والقتل منهم وذلك غيبة، والغيبة من الذنوب، وهم معصومون؟

الجواب: يَرُد على ذلك بأنه لا غيبة في مشورة كالخطبة ونحوها؛ لتوقف المصلحة على ذكر المستشار ما في شأنه من النقائص، ورجحان تلك المصلحة على مفسدة ذكر أحد بما يكره، ولأن الموصوف بذلك غير معين، إذ الحكم على النوع، فانتفى جميع ما

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في الذكر الحكيم (١/ ٥٧).

يترتب على الغيبة من المفاسد؛ فلذلك لم يحجم عنها الملائكة. والله أعلى وأعلم بمراده.

السؤال ٣٩٤: ما موقع جملة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟ وما المعنى المقصود منها ؟

الجواب: الجملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له، والمعنى: تستخلف من ذكر ونحن المعصومون. وليس المقصود إلا الاستفسار عن الحكمة لا العجب والتفاخر. والله أعلى وأعلم

السؤال ٣٩٥: ما دلالة الباء في ﴿بِحَمْدِكَ﴾ ؟

الجواب: قوله -عن الملائكة- ﴿بِحَمْدِكَ﴾ في موضع الحال، والباء للملابسة والمعنى: متلبسين بحمدنا لك مستديمين عليه على ما وفقتنا عليه لتسبيحك، وفي ذلك نفي لما يوهمه ظاهر كلامهم من العجب وتزكية النفس، وكأنهم يقولون: يا ربنا ما أوردناه لنقدح به في حكمتك؛ فإنا نسبح بحمدك ونعترف لك بالإلهية والحكمة. والله أعلى وأعلم

السؤال٣٩٦: علام يدل التعبير بالفعل المضارع في الآية ؟

الجواب: للدلالة على استمرار تسبيح الملائكة وتقديسها لله تعالى. والله أعلى وأعلم

السؤال ٣٩٧: ماذا أفاد تقديم المسند إليه «نحن» الواقع مبتدأ على خبره المسند الفعلي ﴿نُسَبِّحُ﴾؟

الجواب: أفاد القصر، حيث قصروا التسبيح والتقديس على أنفسهم. وهذا من باب قصر الموصوف على الصفة. والله أعلى وأعلم

السؤال٣٩٨: ما سر تعدية الفعل «نقدس» باللام ؟

الجواب: للإشعار بأن تسبيحهم وتقديسهم لأجل الله تعالى، وأنه لوجهه الكريم دون رياء ولا شبهة عجب بالنفس. والله أعلم.

السؤال٣٩٩: ما فائدة ذكر التقديس بعد التسبيح وعطفه عليه في الآية الكريمة ؟

الجواب: التسبيح لإظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الإنعام.

وقيل: فائدة الجمع بين التسبيح والتقديس؛ أن التسبيح بالطاعات والعبادات، والتقديس بالمعارف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله أي التفكر في ذلك.

وفي عطف ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ على ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: إطناب وهو من باب عطف العام «التسبيح» على الخاص «التقديس»؛ لأن تقديس الله أعم من التسبيح بحمده، والمغزى البلاغي هو التدرج في الثناء(١).

ويمكن أن يضاف أيضًا أن التقديس كالتوكيد للتسبيح؛ لأن التقديس هو التطهير، والتسبيح هو التنزيه والتبرئة من السوء؛ فهما متقاربان في المعنى.(٢) والله أعلى وأعلم.

السؤال٤٠٠: ما سر مجيء ﴿بِحَمْدِكَ﴾ بعد ﴿نُسَبِّحُ﴾ ؟

الجواب: للإشارة إلى اقتران التسبيح بالحمد، والمعنى: نسبحك تسبيحًا هو مقيد بحمدك ومتلبس به ومقترن معه. والله أعلم.

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٥٦).

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٩١).

السؤال ٤٠١: لم أكد الخبر في قوله سبحانه: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ؟
[البقرة: ٣٠]

الجواب: لاقتلاع ما في نفوس الملائكة من تعجب ودهشة واستغراب من خبر الاستخلاف الذي غابت عنهم الحكمة فيه فطلبوا بيانها. والله أعلم.

السؤال ٤٠٢: ما المقصود من جوابه تعالى لكلام الملائكة في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؟

الجواب: المقصود: أعلم ما لا تعلمونه من دواعي استخلاف آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته من بعده، وليس المراد بيان أنه -سبحانه- يعلم ما لا يعلمونه من الأشياء مطلقًا؛ لأن ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يحتاجوا إلى التنبيه عليه وتوكيده؛ بل بيان أن في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من الصفات والمؤهلات ما تؤهله وجنسه لعمارة الأرض وخلافتها [1].

«لقد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا في بناء هذه الأرض وعمارتها، وفي تنمية الحياة وتنويعها، وفي تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود في تطويرها وترقيتها وتعديلها على يد خليفة الله في أرضه. هذا الذي قد يفسد أحيانًا، وقد يسفك الدماء أحيانًا؛ ليتم من وراء هذا الشر الجزئي الظاهر خير أكبر وأشمل، خير النمو الدائم، والرقي الدائم خير الحركة الهادمة البانية، خير المحاولة التي لا تكف، والتطلع الذي لا يقف، والتغيير والتطوير في هذا الملك الكبير» [2]. والله أعلم

---

(١) راجع إرشاد العقل السليم (١/٨٣).
(٢) في ظلال القرآن (١/٥٧).

السؤال ٤٠٣: لم صرح باسم الخليفة العلم في قوله سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾؟ [البقرة: ٣١]

الجواب: لزيادة تعيين المراد بالخليفة، ولأن ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها كما قال أبو السعود (١). والله أعلم

السؤال٤٠٤: لماذا قال: ﴿ عَرَضَهُمۡ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة: ٣١] **ولم يقل: عرضها أي عرض الأسماء؟**

الجواب: لأنه أراد مسميات الأشياء، وفيهم من يعقل، وفيهم من لا يعقل؛ فغلب العقلاء وهم الجن والإنس والملائكة على غير العقلاء والجمادات؛ فجمعهم بضمير من يعقل(٢). وفي قوله: ﴿ عَرَضَهُمۡ ﴾: تغليب أيضًا للذكور على الإناث؛ حتى كنى عن الإناث بلفظ الذكور. والله أعلم

السؤال ٤٠٥: هل التراخي الذي أفاده ﴿ ثُمَّ ﴾ حقيقي أم مجازي في قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمۡ ﴾؟

الجواب: هناك رأيان:

أولهما: أن التراخي على حقيقته لوجود مهلة بين تعليم آدم عليه السلام وبين العرض على الملائكة، حيث أمهله -سبحانه- الوقت إلى أن قال: ﴿ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ ليتقرر ذلك في قلبه، ويتحقق المعلوم (٣).

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٨٤).

(٢) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٧٢)، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

(٣) البحر المحيط (١/ ٢٩٥).

ثانيهما: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية للتراخي الرتبي؛ لأن رتبة هذا العرض، وظهور عدم علم الملائكة، وظهور علم آدم عليه السلام، وظهور أثر علم الله تعالى وحكمته كل ذلك؛ أرفع رتبة في إظهار مزية آدم واستحقاقه الخلافة من رتبة مجرد تعلمه الأسماء، ولو بقي غير متصل به ما حدث من الحادثة كلها (١).

وأنا أميل للرأي الثاني وهو أن التراخي هنا ليس على حقيقته؛ وذلك لأن إسناد تعليم آدم عليه السلام إلى الله تعالى فيه تكريم لآدم وتشريف له، كما أن ظهور علم آدم وأثر علم الله تعالى له دون مهلة زمنية؛ أشد بيانًا لذلك الأثر وإظهارًا لقدرة الخالق سبحانه في التعليم، وفيها كذلك بيان لمدى استيعاب آدم عليه السلام واستحقاقه الخلافة في الأرض، أرى والله أعلم أن هذا مما يؤكد كون ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي الرتبي. والله أعلم بمراده.

السؤال ٤٠٦: ما سر إيثار الإنباء على الإخبار في قوله: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي ...﴾ ؟

[البقرة: ٣١]

الجواب: لأن النبأ هو الخبر الخطير المهم العظيم الفائدة؛ فإيثاره على الإخبار فيه إشعار برفعة شأن الأسماء وعظم خطرها. **والله أعلم.**

السؤال ٤٠٧: ما الغرض من الأمر في قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ ؟

الجواب: التعجيز؛ لأنه سبحانه عالم بعجز المأمورين «الملائكة» عن ذلك الإنباء، وفي ذلك تبكيت لهم، وإظهار لعجزهم في استحقاق الخلافة في الأرض والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤١١).

السؤال ٤٠٨: ما دلالة تعليق الشرط بإن التي تدل على الشك دون «إذا» التي تدل على تحقق وقوع الشرط في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ؟

[البقرة: ٣١]

الجواب: فيه -والله أعلم- تبكيت لهم؛ لخفاء الحكمة عليهم في استخلاف جنس الإنسان الأرض، أو في ظنهم أنهم أحق بالاستخلاف، أو في أن استخلاف ذرية آدم عليه السلام وتلك صفتهم من الإفساد وسفك الدماء لا يليق بالحكيم سبحانه فعله؛ فإنه لما كانت الحكمة الإلهية من ذلك الاستخلاف وإيثار آدم عليه السلام عليهم غائبة عنهم وغير متوافقة مع ما قاسوه من ظواهر الأمور جعل صدقهم محل شك فعبر عنه بـ«**إن**» والله أعلم، ولا يخفى عليك أن جواب الشرط هنا محذوف تقديره: إن كنتم صادقين في أن استخلافهم لا يليق، أو فيما اعتمل في خواطركم من أني لا أخلق خلقًا إلا أنتم أعلم منه. أو أنكم أحق بالاستخلاف لعصمتكم. والله أعلم

السؤال ٤٠٩: ما الغرض من جواب الملائكة في قوله تعالى حكاية عنهم:

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ؟ [البقرة: ٣٢]

الجواب: الغرض من جوابهم الاعتراف بالعجز عن أمر الخلافة والقصور عن معرفة الأسماء على أبلغ وجه، كأنهم قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولم تعلمنا الأسماء فكيف نعلمها؟ وفي جوابهم إشعار بأن سؤالهم ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ** ...﴾ لم يكن إلا استفسارًا وطلبًا لمعرفة الحكمة؛ إذ لا علم لهم إلا من طريق التعليم، ومن جملته علمهم بحكمة الاستخلاف مما تقدم، فهو بطريق التعليم أيضًا؛ فالسؤال المترتب عليه سؤال استفسار لا معترض.

وفي جوابهم أيضًا ثناء عليه -سبحانه- بما أفاض عليهم مع غاية التواضع ومراعاة

الأدب، وترك الدعوى، بدليل أنهم لم يقولوا في جوابهم -كما يقتضيه الظاهر-: لا علم لنا بالأسماء أو لا علم لنا بها، فنفوا بذلك عنهم العلم بالأسماء على وجه المبالغة، حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه (١).

وأرجح -والله أعلم- أن يكون جوابهم هذا اعتذارًا؛ لأن الأولى أن لا يوردوا ذلك السؤال، وأن ينتظروا حتى يبين لهم سبحانه الحكمة من استخلاف آدم عليه السلام؛ فلما تركوا هذا الأولى كان اعتذارهم اعتذارًا من ترك الأولى. والله أعلم بمراده.

السؤال ٤١٠: ما وجه ارتباط قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بما قبله؟

الجواب: تذييل مؤكد لمضمون الجواب السابق. والله أعلم

السؤال٤١١: لم قدم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾؟ [البقرة: ٣٢]

الجواب: لأنه - العلم- مناسب لما تقدم من قوله: ﴿ وَعَلَّمَ ﴾ و﴿أَنۢبِـُٔونِى ﴾ و﴿لَا عِلْمَ ﴾، ولأن بالعلم ظهرت المزية لآدم عليه السلام كما أن الحكمة إنما هي من آثار العلم وناشئة عنه، ولذلك فإنك تجد أكثر ما جاء في القرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة. ومن أغراض تقديمه هنا أيضًا أن يكون آخر مقال الملائكة مخالفًا لأوله حتى يبين رجوعهم عن قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا ...﴾ والله أعلم بمراده.

السؤال٤١٢: لم فصل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم ﴾ عما قبله ؟ [البقرة: ٣٣]

الجواب: للاستئناف البياني، حيث جاء جوابًا عن سؤال مقدر، وهو فماذا قال الله؟ والله أعلم.

---

(١) راجع روح المعاني (١/ ٣٦١)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٨٥).

السؤال٤١٣: ما سر افتتاح النداء بالتصريح باسم آدم عليه السلام؟ ولماذا لم يصرح باسم الملائكة في الآية؟

الجواب: للتنويه بشأن آدم عليه السلام ولتكريمه بإظهار اسمه في الملأ الأعلى. ولم يصرح باسم الملائكة بل بضميرهم ﴿ أَنۢبِئْهُم ...﴾؛ لأنهم منشأ السؤال ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ...﴾؟ وهم هنا الطرف المغلوب فعبر عنهم بالإضمار دون الإظهار؛ ليناسب الإظهار الغلب في آدم باستحقاقه الخلافة في الأرض، -وهذا سر آخر للتصريح باسمه في الآية- ولإضمار المغلوبية فيهم. والله أعلم بمراده (١).

السؤال ٤١٤: لماذا لم يقل سبحانه: يا آدم أنبئني، كما قال للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ...﴾؟ [البقرة: ٣٣]

الجواب: لظهور فضل آدم، ولإنباء الملائكة بأن علمه عليه السلام جَلِيٌّ ظاهر لا يحتاج إلى ما يجرى مجرى الاختبار، وأنه جدير أن يعلم غيره، أو لتكون له عليه السلام منة التعليم كاملة حيث أقيم مقام المفيد، وأقيمت الملائكة مقام المستفيدين منه. والله أعلم (٢).

السؤال ٤١٥: ما سر العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ حيث كان الظاهر أن يقال: فلما أنبأهم بها؟

الجواب: لإظهار كمال العناية بالأسماء، ولإشعار أنه عليه السلام أنبأهم بها على وجه التفصيل دون الإجمال (٣). والله أعلم

---

(١) راجع التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/٥٨).

(٢) انظر روح المعاني (١/٢٦٣).

(٣) انظر إرشاد العقل السليم(١/٣٦٢).

السؤال٤١٦: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ...﴾؟ [البقرة: ٣٣]

الجواب: الفاء فصيحة عاطفة على محذوف تقديره: فأنبأهم بها، فلما أنبأهم، وحذفت لفهم المعنى ودلالته على المحذوف، وللإشعار بتحقق إنباء آدم لأسمائهم -الملائكة- في أسرع ما يكون دون تراخ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ بعد قوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٤٠]. والله أعلم.

السؤال٤١٧: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ ...﴾؟ [البقرة: ٣٣]

الجواب: الغرض من التقرير أي تقرير الملائكة بأحقية آدم عليه السلام الخلافة في الأرض. والله أعلم.

السؤال ٤١٨: لماذا أثبت الجار والمجرور ﴿لَّكُمۡ ...﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ...﴾ [البقرة: ٣٣] **مع جواز أن يقال: «ألم أقل إني أعلم....»؟**

الجواب: لتنبيه الملائكة بالخطاب، وهزهم السماع المقول، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا﴾ [الكهف: ٧٥]، كما نبههم في الجملة الثانية في الآية هنا بالإقبال عليهم بالخطاب في قوله: ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]. وفي إثبات الجار والمجرور أيضًا تذكير للملائكة بقوله سبحانه لهم في أول المحاورة ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ والله أعلم بمراده (١).

(١) البحر المحيط (١/ ٢١٩).

السؤال ٤١٩: لماذا قيل: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٣٣]، ولم يقل إني أعلم ما لا تعلمون ؟

الجواب: للمبالغة في كمال إحاطة علمه سبحانه وشموله،«مع الإيذان بأن ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الأمور المتعلقة بأهل السماوات والأرض»[١]. والله أعلم بمراده

السؤال٤٢٠: لم كرر الفعل ﴿أَعۡلَمُ﴾ في قوله سبحانه: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٣٣]

الجواب: للاهتمام بالخبر الثاني، وإبرازه في صورة مستقلة عن الخبر الأول. والله أعلم.

السؤال ٤٢١: ما الغرض من تقديم السماوات على الأرض في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ؟

الجواب: لأن غيوب السماء أصل غيوب الأرض[٢] والله أعلم بمراده

السؤال٤٢٢: ما علة التعبير بالمضارع (أعلم) ؟

الجواب: للدلالة على استمرار علمه تعالى استمرارًا دائمًا لا انقطاع له. والله أعلم.

السؤال٤٢٣: ما الغرض من توكيد الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ﴾؟

الجواب: لتنزيل الملائكة منزلة المنكر لما بدا عليهم من علامات الدهشة والتعجب ، ولإيرادهم شبهتهم في خلافة آدم. والله أعلم بمراده

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٨٦).

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٥٨).

السؤال ٤٢٤: ما نوع البديع في قوله تعالى: ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؟

الجواب: طباق أكد على سعة علمه -سبحانه- وشموله وكمال إحاطته. والله أعلم بمراده.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤- ٣٩]

السؤال٤٢٥: جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ... ﴾ [البقرة: ٣٠- ٣٤] جاءت القصة قائمة على ركنين أساسيين، فما هما ؟

الجواب: الركنان هما:

أولًا: تكريم آدم عليه السلام، وذلك من خلال:

١- ذكر استخلاف آدم في الأرض: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فذلك تكريم؛ لأن المستخلف ذو منزلة رفيعة.

٢- تفضيله على الملائكة بتعليمه الأسماء كلها مما لا يعلمه الملائكة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾.

٣- إسجاد الملائكة له ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ... ﴾.

ثانيا: العلم، وقد ذكر في ثلاثة مقامات:

١- إثبات العلم الشامل لله ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.

٢- نفي العلم عن الملائكة إلا ما علمهم إياه الله تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾.

٣- إثبات التعليم لآدم بما يؤهله للخلافة في الأرض[1]. والله أعلم بمراده

السؤال٤٢٦: ما مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ... ﴾ [البقرة: ٣٤] بما قبله ؟

الجواب: مناسبة الآية لما قبلها أن الله تعالى لما شرف آدم عليه السلام بفضيلة العلم، وجعله معلِّمًا للملائكة وهو مستفيدون منه مع قولهم السابق ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ...﴾ أراد الله سبحانه أن يكرم هذا المخلوق الذي استخلفه بأن يسجد له ملائكته؛ ليظهر بذلك مزية العلم على العبادة[2].

وعُطفت هذه الآية على قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ والله أعلم بمراده.

السؤال ٤٢٧: لماذا أسند القول إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، وأسند إلى رب النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة: ٣٠]؟

الجواب: لأن القول هنا تضمن أمرًا فيه غضاضة على المأمورين؛ فناسبه إظهار عظمة

---

(١) انظر التعبير القرآني القرآني (ص٢٨٧)، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار - عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ/١٩٩٨م.

(٢) البحر المحيط (١/ ٣٠١).

الآمر، وأما القول السابق فمجرد إعلام من الله بمراده ليظهر رأيهم، ولقصد اقتران الاستشارة بمبدأ تكوين الذات الأولى من نوع الإنسان المحتاج إلى التشاور ؛ فناسبه الإسناد إلى الموصوف بالربوبية المؤذنة بتدبير شأن المربوبين، وأضيف إلى ضمير أشرف المربوبين وهو النبي ﷺ(١) والله أعلم.

السؤال٤٢٨: ما سر الالتفات من الغائب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة: ٣٠] إلى المتكلم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ...﴾؟

الجواب: عدل عن الإخبار عنه -سبحانه- بالغائب إلى المتكلم بنون الجمع التي تدل على التعظيم، وتنزيله منزلة الجمع؛ لتعدد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة، وبلاغة هذا الالتفات وكونه بنون العظمة أنه صدر منه سبحانه الأمر للملائكة بالسجود، ووجب عليهم الامتثال؛ فناسب أن يكون هذا الأمر في غاية التعظيم؛ لأنه إذا كان كذلك كان أدعى لاستجابة المأمور فعل ما أمر به وامتثاله له من غير تردد ولا بطء. والله أعلم بمراده (٢).

السؤال٤٢٩: ما السجود الذي أمر الله به الملائكة أن يسجدوه لآدم عليه السلام ؟

الجواب: قال بعض المفسرين: إن المراد بالأمر بالسجود لآدم عليه السلام هو الانحناء والخضوع -أي المراد المعنى اللغوي-؛ فالمراد التواضع لآدم تحية وتعظيمًا له تقديرًا للعلم والمعرفة، وهذا هو سر الأمر بالسجود -كسجود إخوة يوسف له- في قوله

---

(١) التحرير والتنوير(١/ ٤٢١).

(٢) انظر البحر المحيط (١/ ٣٠٢).

تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فلم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض إنما كان الانحناء؛ فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام. وقيل: المراد بالسجود المعنى الشرعي، وهو وضع الجبهة على قصد العبادة، والمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى، وجعل آدم قبلة لسجودهم تعظيمًا له، والتقدير بناء على هذا المعنى: اسجدوا إليه، فاللام بمعنى «إلى» كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة، والصلاة لله(١).

وعلى كل فالعلم الجازم بذلك عند الله تعالى، ومهما يكن فإن أمر الملائكة بالسجود لآدم لدليل على تكريم الله تعالى لآدم عليه السلام أبي البشر «إنه التكريم في أعلى صوره لهذا المخلوق؛ الذي يفسد في الأرض، ويسفك الدماء، ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة، لقد وهب سر المعرفة، كما وهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق.. إن ازدواج طبيعته، وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه، واضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة؛ إن هذا كله بعض أسرار تكريمه» (٢). والله أعلم بمراده

السؤال ٤٣٠: علام يدل تعدية السجود باللام في قوله تعالى: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾؟

[البقرة: ٣٤]

الجواب: يدل على أن الملائكة أمروا بالسجود لذات آدم، فتكون للتعليل أو تكون اللام في «آدم» للتبيين. والله أعلم بمراده.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٧٥-٧٦)، والفتوحات الإلهية (١/ ٤٠)، ومفاتيح الغيب (١/ ٦٤٩).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ٥٧).

السؤال٤٣١: علام تدل الفاء في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾؟ [البقرة: ٣٤]

الجواب: تدل على مسارعة الملائكة لامتثال أمر الله تعالى بالسجود لآدم. والله أعلم بمراده.

السؤال ٤٣٢: ما نوع الاستثناء في قوله- تعالى-: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾؟ [البقرة: ٣٤]

الجواب: اختلف النحاة والمفسرون في بيان نوع الاستثناء بناء على اختلافهم في إبليس، هل هو من الملائكة أم الجن؟ فمن رأى أنه من الجن ذهب إلى أن الاستثناء منقطع، ومن رأى أنه من الملائكة فالاستثناء عنده متصل.

وأنا أرجح- والله أعلم - أن إبليس ليس من جنس الملائكة، إنما كان معهم؛ لأنه لو كان منهم ما عصى الله تعالى، لاستحالة صدور العصيان منهم، فهم كما وصفهم ربهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، والاستثناء لا يدل على أنه من جنسهم أصلاً فكونه معهم يجيز هذا الاستثناء كما تقول: جاء بنو فلان إلا أحمد، وليس هو منهم، وإنما من عشيرتهم. ولقد نص القرآن الكريم على أنه من الجن في قوله: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

عرفت إذًا أن إبليس -عليه اللعنة- كان بين الملائكة ومعهم -وقد كان عابدًا طائعًا قبل عصيانه، وهذا ما رفعه لأن يكون مع الملائكة- ولم يكن منهم. والله أعلم بمراده.

السؤال٤٣٣: لماذا قدم الإباء على الاستكبار في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؟ [البقرة: ٣٤]

الجواب: قدم الإباء على الاستغفار وإن كان متأخرًا عنه في الرتبة أي الترتيب؛ لأن الإباء أي الامتناع مع الأنفة من الأفعال والأحوال الظاهرة بخلاف الاستكبار؛ فإنه من أفعال القلوب. أو لأن المقصود الإخبار عن إبليس بأنه خالف حاله حال الملائكة؛

فناسب أن يبدأ أولا بتأكيد ما حكم به عليه في الاستثناء.[١] والله أعلم

السؤال٤٣٤: ما دلالة السين في ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ ؟

الجواب: السين للدلالة على المبالغة في الكبر لا لطلبه. والله أعلم بمراده.

السؤال٤٣٥: ما دلالة «كان» في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؟ [البقرة: ٣٤]

الجواب: المعنى أنه كان في علم الله سيكون من الكافرين، وأُول المعنى بذلك لأن إبليس - عليه اللعنة - لم يحكم بكفره قبل ذلك ولم يقع منه ما يقتضيه. وقيل: «كان» في الآية بمعنى «صار»، والتقدير: صار من الكافرين باستقباحه أمر الله تعالى إياه بالسجود لآدم.[٢]، والأظهر أنه كان على بابها. والله أعلم بمراده

السؤال٤٣٦: علام يدل أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ؟

الجواب: يدل ذلك على شرف الإنسان، وعظيم مكانته، وأن الصالح من ذلك الجنس الإنساني يفوق الملائكة مكانة وفضلاً، كما يدل ذلك الأمر على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له، وفيه كذلك دلالة على فضل العلم وشرفه ومزيته على العبادة، وأنه شرط في الخلافة وأساس فيها. والله أعلم.

السؤال٤٣٧: لم أوثر العطف بالواو دون الفاء في الآية في قوله تعالى:
﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ؟ [البقرة: ٣٤]

الجواب: أوثر العطف بالواو هنا؛ للدلالة على أن محض الإباء والاستكبار كفر، لا

---

(١) راجع الفتوحات الإلهية (١/ ٤١)، وروح المعاني (١/ ٣٦٨).

(٢) انظر تفسير البيضاوي (١/ ١٤١).

أنهما سببان له كما تفيده الفاء، ودلت الآية على استقباح التكبر، والخوض في سر الله تعالى [١]. والله أعلم بمراده.

السؤال٤٣٨: لم امتنع إبليس- عليه اللعنة- عن السجود لآدم عليه السلام ؟

الجواب: لاعتقاده أنه أفضل من آدم عليه السلام، والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالخضوع للمفضول كما دل عليه قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]؛ جوابا لقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] والله أعلم بمراده

السؤال ٤٣٩: تكررت قصة آدم عليه السلام في عدة سور من القرآن الكريم، فما السر في ذلك ؟

الجواب: تكررت قصة آدم عليه السلام في سبع سور هي: البقرة والأعراف والحجر، والإسراء والكهف وطه وص، ولعل السر في تكريرها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنه كان في محنة عظيمة في قومه وأهل زمانه فكأنه تعالى يقول: ألا ترى أن أول الأنبياء هو آدم عليه السلام ثم أنه كان في محنة عظيمة للخلق.[٢] والله أعلم بمراده

السؤال ٤٤٠: لم صدرت الآية بالنداء في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ...﴾ ؟

[البقرة: ٣٥]

الجواب: لتنبيه المخاطب وإثارة فكره لما يلقى إليه من الأمر، وتحفيزه لتنفيذ ما يؤمر به، إذ إن المأمور به آدم عليه السلام من الأمور العظيمة الشأن، وفي النداء تنويه بذكر اسمه في

---

(١) الفتوحات الإلهية (١/ ٤١).

(٢) الفتوحات الإلهية (١/ ٤٠).

الملأ الأعلى؛ للتأكيد على فضله وشرفه. والله أعلم.

السؤال ٤٤١: ما المقصود من الأمر ﴿أَسْكُنْ ...﴾ في الآية الكريمة؟

الجواب: المقصود السكنى بمعنى اتخاذ المسكن، وليس المراد السكون بمعنى ترك الحركة إذ المقام يأباه، والله أعلم.

السؤال ٤٤٢: ما الغرض من الأمر ﴿أَسْكُنْ ...﴾ ؟ في الآية ؟

الجواب: الأمر للامتنان بالتمكين من سكنى الجنة، ويمكن أن يقال: إن الأمر للإباحة أي إباحة السكنى والإذن بالتمتع بها والإقامة فيها نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]، وفي الأمر كذلك تكليف وهو نهيه عن الأكل من الشجرة. والله أعلم

السؤال٤٤٣: ما مناسبة الآية الكريمة لما قبلها ؟

الجواب: المناسبة أنه لما شرّف -سبحانه- آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ برتبة العلم وبإسجاد الملائكة له؛ امتن عليه بأن أسكنه الجنة التي هي دار النعيم والخلود أباح له جميع ما فيها إلا الأكل من الشجرة.[1] والله أعلم

السؤال ٤٤٤: لِمَ أفرد الأمر بالسكنى في الجنة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يثن فيقال: اسكنا، ليشمل آدم وحواء ؟

الجواب: للتنبيه على أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ المقصود بالحكم، وأنه هو المعني به في جميع الأوامر والتكاليف، وأن حواء تبع له، كما أنها كذلك في الخلقة حيث خلقت من ضلعه والله أعلم[2].

(١) البحر المحيط (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر روح المعاني (١/ ٣٧١).

السؤال ٤٤٥: ما المقصود من النهي عن الاقتراب من الشجرة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟ [البقرة: ٣٥]

الجواب: أولا النهي هنا للتحريم، والمقصود النهي عن الأكل من الشجرة، إلا لأنه تعالى نهى عن مجرد الاقتراب منها مبالغة في تحريم الأكل منها، ومبالغة في التحذير من ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ ...﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ فالنهي في الآيتين لتحريم أكل مال اليتيم، ولتحريم الزنا، ولكن عبر عن ذلك بالنهي عن القرب لما سبق ذكره، والله أعلم.

السؤال٤٤٦: لماذا عدل عن التعبير بالإثم حيث لم يقل مثلا: فتكونا من الآثمين، أو فتأثما إلى التعبير بالظلم حيث قال: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟

الجواب: لزيادة المبالغة في التنفير عن القرب من الشجرة بالتعبير بالظلم الذي يطلق على كبائر الذنوب. والله أعلم.

السؤال٤٤٧: لم وجه سبحانه الأمر بالأكل إلى آدم وحواء معًا في قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥] في حين وجه إلى آدم وحده في أمر السكنى في قوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] حيث لم يقل: اسكنا ؟

الجواب: وجه الأمر بالأكل إليهما معًا؛ تعميمًا للتشريف والترفيه أي ليشملهما ذلك معًا، ومبالغة في قطع الأعذار، وإشعارًا بتساويهما في مباشرة المأمور به، فإن حواء أسوة لآدم عليه السلام في الأكل، بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيه. والله أعلم.(١)

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/ ٩٠).

السؤال٤٤٨: ما الغرض من الأمر في قوله: ﴿وَكُلَا﴾ ؟

الجواب: الامتنان. والله أعلم.

السؤال ٤٤٩: ما نوع الإيجاز في قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ ؟

الجواب: إيجاز بالحذف والتقدير: وكلا من ثمار الجنة. والله أعلم

السؤال٤٥٠: وردت قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في خمس سور منها البقرة والأعراف فما أوجه التشابه والاختلاف بينهما ؟ وما سياق كل منهما ؟

الجواب: يجدر بنا أن نذكر أولا موطن الاختلاف والتشابه من خلال آيات السورتين، قال تعالى في سورة البقرة (٣٥): ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف (١٩): ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ ونبدأ بيان سياق القصة في كلتا السورتين، ونلحظ أن سياق قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة البقرة سياق تكريم وتشريف تجد هذا في قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

فهذه الآية التي سبقت القصة؛ فيها تكريم للإنسان الذي سخر له ربه ما ينفعه في الأرض، وقصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها تكريم له وتشريف؛ تكريم بالعلم الذي علمه الله تعالى إياه، وتكريم باستخلافه في الأرض، وتكريم بإسجاد الملائكة له. وبينما نجد هذا التكريم أساسيًا في قصة آدم في البقرة، تجده ثانويًا في قصته في الأعراف، لقد بدأت القصة في الأعراف بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠].

تأمل ختام الآية تلحظ فيه عتابًا على بني آدم ومؤاخذتهم على قلة شكرهم كما أن سياق القصة في الأعراف سياق عقوبات وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾[1].

أما عن وجوه التشابه والاختلاف بين القصة في السورتين فإنك تجد ما يلي:

أولا: قال تعالى في البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ ... ﴾ وقال تعالى في الأعراف: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ ﴾؛ فقد أسند القول في البقرة إلى نون العظمة، وهذا يناسب مقام تكريم آدم وتشريفه، وفي الأعراف جمع بين طرد إبليس وإسكان آدم بقول واحد بلفظ «قال» بإسناد القول إلى الغائب: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٨ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾، ولم يفرد آدم بقول كما في البقرة؛ لأن التكريم في الأعراف ثانوي.

ثانيا: قال في البقرة: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا ﴾ بالواو، وفي الأعراف ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ بالفاء، وتعليل ذلك أن الواو تفيد مطلق الجمع؛ فهي صالحة لجميع الأزمان بما فيها مدلول الفاء، أما الفاء فتفيد التعقيب، أي أن يقع المعطوف بعد المعطوف عليه مباشرة، فجاء بالواو للدلالة على السعة في الاختيار، وهو الملائم لمقام التكريم ولو قلت لشخص ما: ادخل وكل، كان له الحق أن يأكل متى شاء، ولو قلت: «ادخل فكل» كان عليه أن يأكل عقب الدخول، ولو تأخر لكان مخالفًا للأمر، ويحق لك أن تمنعه منه،

---

(١) انظر التعبير القرآني، د/فاضل صالح السامرئي (٢٨٨، ٢٨٩)، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

بخلاف لو قلت له: «ادخل وكل» فمتى أكل كان موافقًا للأمر(١).

وقال سبحانه في البقرة: ﴿ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ فقد أعاد -سبحانه- ضمير الجنة مع الأكل في البقرة فقال: ﴿مِنۡهَا﴾، وهو المناسب لمقام التكريم فيها، ولم يفعل مثل ذلك في الأعراف.

وجاء في البقرة لفظ: ﴿رَغَدًا﴾ دون الأعراف؛ لأنه هو المناسب لمقام التكريم والتعظيم في البقرة ولا يناسب مقام العتاب في الأعراف ذلك؛ لذا أسقط اللفظ فيها، كما أن زيادة ﴿ رَغَدًا ﴾ في البقرة تتناسب مع عظمة الخبر بقوله: «قلنا» بخلاف الأعراف فإن فيها «قال»(٢).

وفي زيادة ﴿رَغَدًا﴾ في البقرة مناسبة أيضًا لمقام تعداد النعم والإخبار بها دون قصد إلى ترتيب زمان أو تحديد غاية معينة، وكانت زيادة رغدًا ضرورية للدلالة على التوسعة في المأكول في أي مكان من الجنة فجمع التوسعة في المكين وهو الثمرة. (٣)

والله أعلى وأعلم.

السؤال٤٥١: ما الفرق في المعنى بحذف الجار «من» قبل «حيث» في قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥] وإثبات «من» في قوله: ﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [الأعراف: ١٩]؟

الجواب: الظرف ﴿حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ في البقرة يحتمل أن يكون للسكن والأكل جميعا

---

(١) التعبير القرآني د/فاضل صالح السامرئي (ص ٢٩٠ - ٢٩١).

(٢) انظر البرهان للكرماني (ص ٨٦).

(٣) متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام (ص١٨٢)، د. عبد الجواد محمد طبق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الزقازيق، مصر.

والمعنى: اسكنا حيث شئتما وكلا حيث شئتما؛ فالسكن حيث يشاءان، والأكل حيث يشاءان أيضا. وأما التعبير في الأعراف فلا يحتمل إلا أن يكون للأكل ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ فالمشيئة والتخيير في البقرة أوسع لأنها تشمل السكن والأكل بخلاف الأعراف، وهو المناسب لمقام التكريم في البقرة(١). والله أعلى وأعلم.

السؤال ٤٥٢: ما سر إسناد الفعل إلى ضمير التثنية المقصود منه آدم وحواء معًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، [الأعراف: ١٩] وإسناد الفعل إلى ضمير المخاطب وهو آدم عليه السلام وحده في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

الجواب: صرح بضميرهما -آدم وحواء- معًا في البقرة والأعراف في قوله ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ و﴿فَتَكُونَا﴾؛ لتساوي حواء مع آدم في التكليف أي في النهي عن القرب من الشجرة والأكل منها، وفي ما يترتب على مخالفة هذا النهي من الظلم، وللإشارة أيضا - والله أعلم- إلى تسببهما بوجه ما في هذه المخالفة؛ لذا أخبر عنهما بضمير التثنية في قوله سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه: ١١٧] بإعادة الجار في المعطوف.

أما إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب وهو آدم وحده في قوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]؛ فإنه للإشارة إلى أن الشقاء في السعي من أجل المعيشة وطلب الرزق بعد الخروج من الجنة منوط بآدم -الرجل- أصالة، ومما يؤيد ذلك تعقيبه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا

(١) التعبير القرآني (ص٢٩١).

﴿تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩] حيث بيَّن الله تعالى لآدم أن له في الجنة ما به قوام حياته وحياة كل إنسان وهو أربعة أمور: الأكل والشرب، واللباس والسكن، ولكنه سيشقى في الكد من أجل هذه الأمور إذا خرج من الجنة؛ لذا عبر عن التعب بالشقاء زيادة في التحذير.

والوجه المذكور هو الأرجح في تعليل إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب في قوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ والله أعلم. ويمكن أن يضاف أيضًا أن ذلك الإسناد ملحوظ فيه الأصالة والتبعية، فالمرأة تسعد بسعادة زوجها، وتشقى بشقائه، أو أن شقاءها بالنسبة له كلا شقاء[1]. والله أعلم بمراده.

السؤال٤٥٣: ما دلالة مجيء قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾؟ [البقرة: ٣٥]

الجواب: دل على أن النهي للتحريم؛ لأنه رتب الظلم عليه. وإنما نهاهما سبحانه عن الأكل منها امتحانًا وابتلاءً أو لحكمة غير معلومة لنا. والله أعلم[2].

السؤال٤٥٤: لم قال سبحانه: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] ولم يقل: فتكونا ظالمين؟

الجواب: للدلالة على الرسوخ في الظلم والعراقة فيه. والله أعلم.

---

(١) انظر متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام (صـ١٨٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (١/ ٤٠) دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

السؤال ٤٥٥: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾؟ [البقرة: ٣٦]

الجواب: التعقيب من المعاني الأصيلة للفاء، والتعقيب: وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه مباشرة دون فاصل زمني، ولكن مما لا شك فيه أنه كان بين نهي الله تعالى آدم وزوجه عن قرب الشجرة، وبين إزلالهما أي إيقاعهما في الإثم والخطيئة والإخراج من نعيم الجنة زمن طويل؛ أدى إلى نسيان آدم عليه السلام ما أوصاه الله تعالى به، كما يشهد به قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه: ١١٥] لكن هذا الزمن المتطاول الذي لا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه بالنسبة إلى ما كان يتمناه آدم من طول الإقامة في الجنة، وإلى إحساسه بالسعادة والنعيم فيها هو جد قصير، وأيام السعادة مهما طالت تستقصر.

هذا إلى جانب ما يستدعيه موقف العتاب واللوم من إظهار آدم في صورة من أسرع إلى الاستجابة لإغواء الشيطان فور وصولها إليه، وأنه -آدم- لم يطل به زمن التردد والصدود ومقاومة ما دعاه إليه، وذلك أكثر إيلامًا وإيجاعًا لمن وجه إليه العتاب؛ لقد طوت الفاء هذا الزمن الطويل واختزلته وأخفته بدلالتها على التعقيب؛ لتحقق هذا الغرض. ويمكن أن تصوغ الكلام السابق على قواعد البلاغة فتقول: إن التعقيب في الآية مجازي، ينزل فيه الفاصل الطويل من الزمن منزلة القليل منه لما سبق ذكره، فالفاء هنا مستعارة للدلالة على سرعة الاستغواء والإحساس بقصر الزمن.(١) والله أعلم.

(١) راجع من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، د/ محمد الأمين الخضري (ص٥٣)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، والتحرير والتنوير (١/ ٤٣٣).

السؤال٤٥٦: علام يعود الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ في قوله سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾؟ [البقرة: ٣٦]

الجواب: الضمير إما أن يعود إلى الشجرة؛ لأنه يعود إلى أقرب مذكور إليه وهي الأقرب حيث وردت قبل هذه الآية مباشرةً في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ...﴾ [البقرة: ٣٥]. وفي عود الضمير إليها بيان لسبب الزلة والخروج من الجنة، إذ لو لم يجعل الضمير عائدًا إلى الشجرة لخلت القصة من ذكر سبب الخروج(١).

والمعنى: فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتكون «عن» بناءً على هذا المعنى للسببية، وهذا هو الأرجح عندي والله أعلم، وإما أن يعود الضمير إلى الجنة لأنها أول مذكور، والله أعلم.

السؤال٤٥٧: ما دلالة التعبير بالموصول في قوله سبحانه: ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾؟

الجواب: في التعبير بالموصول وصلته تفخيم للنعيم الذي كان آدم وحواء فيه، وكأنه لفخامته وعظمته يجل عن الوصف، ولذلك كان التعبير بالموصول الذي يفيد العموم على غرار قوله سبحانه: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]. والله أعلم.

السؤال ٤٥٨: كيف أسند الإخراج إلى الشيطان - إبليس - في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾؟ [البقرة: ٣٦]

الجواب: لأنه المتسبب في ذلك بوسوسته وإغوائه لهما؛ فإسناد الإخراج من الجنة ونعيمها إلى إبليس -عليه اللعنة- مجاز عقلي بعلاقة السببية، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا

---

(١) التحرير والتنوير (١/٤٣٣).

يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٩]. والمعنى: لا يكن إبليس سببا في خروجكما من الجنة كما كنت أنت سببا في إخراجه منها ملعونا مطرودا إلى يوم الدين. والله أعلم.

السؤال ٤٥٩: قال تعالى في بيان وسوسة إبليس -عليه اللعنة- لآدم عليه السلام:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٣٦] وقال: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠] وقال: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ... ﴾ [طه: ١٢٠]؛ فما سر التعبير عن وسوسة إبليس بالزلل في البقرة؟ وما سر تعدي الوسوسة في الأعراف باللام، وفي طه بـ«إلى»؟

الجواب: وردت مكيدة إبليس في سورة البقرة على سبيل التصوير؛ لأن الزلل في الأصل يستعمل في زلة القدم، فصورت زلة الرأي بزلة القدم بجامع ما يترتب على كل منهما من الضرر إبرازًا للمعنوي في صورة محسوسة مشاهدة، وخفف المعصية وسماها زلة مراعاة لمقام التكريم في البقرة[1] والله أعلم

أما عن سر تعدية الوسوسة باللام في الأعراف، وبإلى في «طه» فإننا نقول إجمالًا: إن ذلك جاء مراعاة للسياق، اقرأ سياق آية الأعراف، قال تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف ١٩-٢١].

فإنك في هذا السياق لا تجد تصريحا صريحا إلى آدم من إغواء إبليس -عليه اللعنة- وإغرائه؛ مما جعله يتسلل إلى أُذن آدم مدعيًا النصح له، والحرص عليه،

(١) متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام (صـ١٨٧) د. عبد الجواد طبق.

وهو ما استدعى اللام المشعرة باختصاصه بهذا النصح، وهو ما تأكد في قسمه ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١][(١)].

أما في آية طه فقد جاءت بعد أن جاء التحذير صريحًا لآدم بعدم الاستماع إلى إبليس؛ فقد كشف الله لآدم عن عداوة الشيطان له ولزوجه، ولما ينتويه من إخراجهما من الجنة، فلم يعد هناك مبرر لدخول إبليس على آدم في صورة الناصح المخلص، كما لم يعد هناك مبرر لاستماع آدم له، ومن ثم جاءت «إلى» موحية بأن الشيطان قد احتال بوسائل خداعة لإيصال وسوسته لآدم، ونجح في الوصول، ولنستمع إلى هذا السياق: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١١٧-١٢٠].

ومما يؤيد ذلك أن آية الأعراف جعلت الوسوسة لآدم وزوجه ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ وآية طه قصرت الوسوسة على آدم وحده ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[(٢)].

ولا مانع من إفادة التعدية بـ«إلى» إنهاء الوسوسة إلى آدم من خلال احتمالين: إما أن يكون لبيان سرعة عصيان آدم، وأنه وقع في المحذور فور انتهاء الوسوسة إليه، وهذا موافق للمقام في سورة طه؛ لأنه هو الموضع الوحيد الذي صرح فيه بعصيان آدم وغوايته: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢] ، وإن كان هذا العصيان على وجه النسيان، هذا احتمال.

والاحتمال الثاني: إما لأن الوسوسة ما وصلت إليه مباشرة وإنما كان لزوجه مدخل في ذلك وكأنها أسرع قبولا لهذه الوسوسة من آدم عليه السلام، فإبليس وصل بإغوائه

---

(١) انظر أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم د/محمد الأمين الخضري (٢٢٧-٢٢٨).

(٢) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم (٢٢٨).

ووسوسته إلى آدم عن طريق زوجه، وثم لم يقل في طه: وسوس له، فكأن وسوسة الشيطان كانت في أذن حواء ثم انتهت إلى آدم، وجميعهما في سورة الأعراف ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا .. ﴾ باعتبار ما انتهت إليه محاولته من مشاركتهما فيما صارا إليه. وفي التعدية إلى الاثنين معًا في الأعراف ما يشير إلى عداوة الشيطان للجنس البشري كله والله أعلم(١).

السؤال٤٦٠: من المخاطب بالأمر بالهبوط في قوله سبحانه: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... ﴾ [البقرة: ٣٦] ؟

الجواب: المراد -والله أعلم- آدم وحواء وذريتهما؛ لأنهما أصل الجنس البشري؛ لذا جعلا كأنهما الإنس كلهم بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [البقرة: ٣٨](٢) والله أعلم بمراده

السؤال٤٦١: لماذا تواري ذكر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدم الإقبال عليه بالنداء في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... ﴾ [البقرة: ٣٦]، كما أقبل عليه بالنداء في قوله: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]؟

الجواب: لأنه لما كان الأمر بالهبوط من الجنة إلى الأرض؛ إنما كان بسبب إغوائه ووقوعه في المنهي عنه وهو الأكل من الشجرة، وكان ذلك دلالة انحطاط رتبة المأمور عما كان عليه بتنويهه بذكر اسمه والله أعلم بمراده.(٣)

(١) انظر في هذا التوجيه الكشاف للزمخشري ونظم الدرر للبقاعي (٣٥٣/١٢).

(٢) انظر مفاتيح الغيب (٣٥٣/٢).

(٣) انظر البحر المحيط (٣١٤/١).

السؤال٤٦٢: بم يوحي التعبير بالتلقي في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾؟ [البقرة: ٣٧]

الجواب: فيه إيحاء بأن آدم عليه السلام كان في ذلك الوقت في مقام البعد؛ لأن التلقي استقبال من جاء من بعيد(١). والله أعلم بمراده

السؤال ٤٦٣: ما المراد من تلقي الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾؟ [البقرة: ٣٧]

الجواب: المراد استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها والحرص عليها، وهذه استعارة تصريحية؛ حيث شبه أخذ الكلمات وقبولها بتلقي الأحباب بعد طول غياب وحذف المشبه وذكر المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية. والله أعلم

السؤال٤٦٤: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾؟ [البقرة: ٣٧]

الجواب: تدل على مبادرته للأخذ بتلك الكلمات والعمل بها فور تلقيها من الله تعالى وتعليمه إياها. والله أعلم

السؤال٤٦٥: ما دلالة التنكير في قوله: ﴿كَلِمَٰتٍ﴾؟

الجواب: تفخيم تلك الكلمات وتعظيمها. والله أعلم.

السؤال٤٦٦: ما سر ذكر وصف الربوبية وإضافتها إلى آدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾؟ [البقرة: ٣٧]

الجواب: هذا ملائم أشد الملاءمة للمقام؛ لأن من معاني الربوبية التوجيه والإصلاح، فلقد وجه آدم عليه السلام للدعاء بما فيه صلاحه وتوبته، لذا فإن ذكر الربوبية

---

(١) حاشية الشهاب (١/ ١٣٩).

هنا واقع أحسن موقع؛ لأن هذا الاجتباء وقبول التوبة إصلاح وتربية ورعاية لآدم وذريته. والإضافة إلى ضمير آدم عليه السلام إضافة تشريف وتكريم. والله أعلم.

السؤال ٤٦٧: ماذا أفادت الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؟ [البقرة: ٣٧]

الجواب: السببية؛ لما في معنى التلقي من التوبة؛ لذا كانت توبة الله تعالى على آدم مسببة عن توبته. والله أعلم.

السؤال٤٦٨: ما سر وروود النص على توبة آدم عليه السلام في سورة البقرة كما يدل عليه صراحة قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ؟ [البقرة: ٣٧]، **وما السر في عدم التعرض لقبول توبة آدم في الأعراف كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾** [الأعراف: ٢٣]

الجواب: لاختلاف المقام في الموضعين؛ فمقام القصة في البقرة مقام تكريم لآدم عليه السلام وبيان لفضله واستخلافه، والمعصية لا تناسب ذلك؛ لذا لم يصرح بوسوسة الشيطان لآدم تفصيلا، ولم يصرح بمعصيته واكتفى في ذلك بالإجمال في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ كما لم يذكر في البقرة معاتبة الله تعالى لآدم وزوجه على معصيتهما مراعاة لمقام التكريم. واستدعى المقام في البقرة بيان توبة آدم وقبولها لصلاحيته للخلافة.

وفي البقرة تلقى آدم كلمات من ربه فتاب عليه، وفي الأعراف طلب آدم من المغفرة والرحمة ولم يذكر أنه تاب عليه؛ لأن المقام مقام عتاب، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وفي الأعراف إقرار من آدم وزوجه وتصريح بالمعصية ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وهذا مناسب لمقام العتاب، كما أن المقصود الأعلى في سورة الأعراف الإنذار والتحذير من عداوة إبليس -عليه اللعنة- ووسوسته؛ لذلك قال -سبحانه- بعد انتهاء القصة فيها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ومقام التحذير والإنذار والتخويف من عداوة إبليس وسوء عاقبة من اتبعه غير مناسب للحديث صراحة عن قبول التوبة التي قد يغري الحديث في هذا المقام بالتجرؤ على المعاصي(١) والله أعلم بمراده.

السؤال٤٦٩: ما السر في ورود الحديث عن توبة آدم في سورة طه، وعدم ورود الحديث عنها وقبولها في سور الحجر والإسراء والكهف وص ؟

الجواب: ذكرت توبة آدم في سورة «طه» في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]، والسر في ذلك -والله أعلم- أنه صرح فيها بالمعصية، وإن كانت على وجه النسيان؛ فاقتضى التصريح بها بيان التوبة منها وإزالة آثارها فاقتضى بالنسبة للجزاء الأخروي، وإن ترتب على هذه المخالفة في الظاهر آثار في الدنيا بالخروج من الجنة والاستمرار في الدنيا.

وهذا مبدأ عظيم من مبادئ التربية الإسلامية، ففي الوقت الذي يحث الإسلام فيه على الصفح عن المسيء ينبغي ألا يترك مطلقاً دون إشعار بتحمل تبعة مخالفته كأن يعفى عن العقوبة المترتبة على المخالفة، ولكن يطالب المذنب بإزالة آثار هذه المعصية حتى لا يغري الصفح المطلق بالمخالفة، فمن أتلف شيئًا فعليه إصلاحه، ولهذه الحكمة

---

(١) راجع متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام (ص٢١٣) د.عبد الجواد محمد طبق

وغيرها -عمارة الأرض- لم يعد آدم عليه السلام إلى الجنة مرة أخرى بعد توبته والتصريح بها. والله أعلم بمراده.

أما عن عدم ورود الحديث عن التوبة وقبولها في سور الحجر والإسراء والكهف وص التي وردت فيها قصة آدم عليه السلام؛ فلعدم ورود الحديث عن سكنى الجنة ومخالفة آدم لما أمره ربه فيها، بخلاف الحال في كل من الأعراف وطه والبقرة. والله أعلم بمراده.

السؤال ٤٧٠: لماذا قال سبحانه: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: عليهما، فحواء كانت مشاركة لآدم في الذنب، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، **و﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾** [الأعراف: ٢٣]**؟**

الجواب: لأن المرأة حرمة ومستورة؛ فأراد الله الستر لها، ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وأيضاً لأن المرأة تابعة للرجل في غالب الأمر، ولأن آدم عليه السلام لما خوطب في أول القصة بقوله: ﴿اسْكُنْ﴾ خصه بالذكر في التلقي ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ﴾؛ فلذلك كملت القصة بذكره وحده. وقيل: إنه دل بذكر التوبة عليه أنه تاب عليها؛ إذ أمرهما سواء [١]. والله أعلم.

السؤال٤٧١: ما الحكمة من توسيط الحديث عن توبة آدم عليه السلام بين أمري الإهباط في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] **وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ ؟** [البقرة: ٣٨]

الجواب: لكمال العناية بشأن آدم عليه السلام، وللإشارة إلى وجوب المبادرة إلى التوبة

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣٢٥).

بعد المعصية، وإبراز الرغبة في صلاح حاله عليه السلام، وفراغ باله بعد حيرته[1] والله أعلم.

السؤال٤٧٢: ما سبب إخراج آدم عليه السلام من الجنة ؟

الجواب: السبب المباشر مخالفة أمر الله تعالى بالأكل من الشجرة المنهي عنها، لكن له سبب آخر، وهو ما تقرر في علم الله تعالى من عمارة هذا الكون بالخلافة الموعود بها؛ فتوبة آدم وإن كانت تمحو المؤاخذة على هذه المخالفة، وترفع قدره عند الله تعالى، وتمهد لاصطفائه مع بقية الأنبياء؛ لأنه سبحانه سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في عين غضبه، كما أنه تعالى جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه بالاصطفاء، وبُعْده سبب قربه بالنبوة.

إن التوبة وإن كان يترتب عليها كل ذلك لكنها لا تزيل أمر الهبوط؛ لأنه مرتبط بحكمة أخرى فوق المخالفة وهي عمارة الكون. [2] والله أعلم بمراده.

السؤال٤٧٣: جاءت الصياغة في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]؛ لتفتح باب الأمل في قبول التوبة لعباده المذنبين. وضح ذلك

الجواب: يتضح ذلك من خلال الجملة الاسمية المؤكدة بإن وضمير الفصل وتعريف المسند - الخبر -، والإتيان به من صيغ المبالغة للإشارة إلى أنه سبحانه كثير قبول التوبة لكثرة التائبين. والجمع بين صفتي التوبة والرحمة للإشارة إلى مزيد الفضل. والله أعلم.

---

(١) متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام (صـ٢١٤). د عبد الجواد طبق

(٢) متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام (ص ٢١٤، ٢١٥).

السؤال٤٧٤: لم قدم ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ على ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ؟

الجواب: لمناسبته لما قبله وهو قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ والله أعلم.

السؤال٤٧٥: ما علة إرداف ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ بـ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ في الآية ؟

الجواب: «لأن الرحيم جار مجرى العلة للتواب، إذ قبوله -سبحانه- التوبة عن عباده ضرب من الرحمة بهم، وإلا لكانت التوبة لا تقتضي إلا نفع التائب نفسه بعدم العود إلى الذنب حتى تترتب عليه الآثام، وأما الإثم المترتب فكان من العدل أن يتحقق عقابه لكن الرحمة سبقت العدل هنا بوعد من الله» (١). والله أعلم.

السؤال ٤٧٦: هل يجوز أن يطلق على الله تعالى وصف «تائب» ؟

الجواب: لا يجوز، وإن صح معناه في حقه سبحانه وصح إسناد فعله إليه كما في قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾، وعلة المنع أن أسماءه تعالى وصفاته توقيفية. والله أعلم

السؤال٤٧٧: لماذا جاء قوله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾ [البقرة: ٣٨] مفصولاً عما قبله ؟

الجواب: لكمال الاتصال. والله أعلم

السؤال ٤٧٨: لماذا كرر الأمر بالهبوط ؟

الجواب: للتأكيد على الهبوط واستمراره حتى بعد التوبة، ولذلك ورد التكليف بعد الأمر الثاني بالهبوط؛ لأنه لا تحقق للخلافة بدون هذا التكليف. والله أعلم

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٣٩).

السؤال٤٧٩: كيف خالف آدم عليه السلام النهي الإلهي بالأكل من الشجرة مما كان سببًا في إخراجه من الجنة وهو نبي معصوم؟

الجواب: يجاب على هذا السؤال بوجوه منها:

أنه اعتقد أن النهي للتنزيه لا للتحريم، ومنها أنه نسي بدليل قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

ومنها أن تلك المخالفة كانت قبل أن تعهد إليه النبوة. ومنها أنه اعتقد نسخه بسبب مقاسمة إبليس له إنه له لمن الناصحين؛ فاعتقد أنه لا يحلف أحد بالله كذبًا. والله أعلى وأعلم(١).

السؤال ٤٨٠: ورد الأمر الإلهي لآدم وزوجه بالخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض وكذلك لإبليس -عليه اللعنة- فما صيغة الهبوط التي وجهت لكل؟ وما دلالتها ؟

الجواب: هناك فرق كبير في هذا المقام، حيث إن الأمر بالهبوط عندما يتوجه إلى آدم عليه السلام وزوجه يكون بصيغة الهبوط، ولكن إذا ما أفرد إبليس بالأمر يكون التعبير بالخروج أو هبوطا مقترنًا بالخروج كما في قوله تعالى: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] ، وقوله تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، وقوله: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤]. وقوله: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص: ٧٧]. وبذلك اختص إبليس بلفظ الخروج وحده أو مصاحبًا للهبوط، ولم يرد هذا اللفظ في حق آدم، وهذا فيه لإبليس من الهوان والصغار والتقريع والإهانة والتوبيخ ما فيه.

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية (١/ ٤٢-٤٣).

وأما بالنسبة لآدم وزوجه فكان الأمر بالهبوط دون الخروج وهو أقل وطأة وأهدأ نبرة، وأخف حدة في التأنيب من لفظ الخروج؛ فكان أمر كل منهما على قدر مخالفته لأمر الله تعالى، ولذلك جمع لإبليس بين الأمر بالخروج صراحة وما صحبه من الذلة والهوان والدحر لتكبره على أمر الله تعالى.

أما بالنسبة لآدم وزوجه؛ فالهبوط يعني الانتقال من النعيم الهائل إلى مشاق الدنيا ومتاعبها، وهو إن كان فيه نوع من العقوبة غير أن هناك بونًا شاسعًا بين العقوبتين لكل منهما، كما أن هبوط آدم وزوجه كان كذلك لحكمة سامية وهي الخلافة في الأرض وتعميرها، وكان هبوطه هذا تمهيدًا لارتفاعه بعد ذلك بالعودة إلى الجنة مرة أخرى بالتوبة بخلاف إبليس الذي قضى عليه باللعن الأبدي لكفره وتكبره(١). والله أعلم بمراده.

السؤال٤٨١: لماذا جيء بـ«إن» الشرطية التي للشك دون «إذا» لتحقق الوقوع في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾؟ [البقرة: ٣٨]

الجواب: «إما» مركبة من «إن» الشرطية وما للتأكيد، وجيء بحرف الشك «إن» وإن كان الهدى كائنًا لا محالة؛ للإشارة إلى أن الله تعالى لا يجب عليه شيء بل إن شاء هدى وإن شاء ترك. والله أعلم.

السؤال٤٨٢: ما سر تقديم الجار والمجرور ﴿مِّنِّي﴾ على الفاعل «هدى» في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾؟ [البقرة: ٣٨]

الجواب: لإفادة القصر، أي مني لا من غيري، وعليه فطريق القصر التقديم حيث قصر الهدى على كونه من الله تعالى قصر صفة على موصوف. والله أعلم.

---

(١) متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام (ص١٩٨-١٩٩).

السؤال٤٨٣: ما الغرض من التنكير في «هدى»؟

الجواب: التعظيم. والله أعلم.

السؤال٤٨٤: ما سر العدول عن المضمر إلى الظاهر في قوله: ﴿ هُدَاىَ ﴾ «هداي»حيث كان الظاهر أن يقول: فإما يأتينكم مني هدى فمن تبعه؟

الجواب: «للإشارة إلى العلية؛ لأن الهدى بالنظر إلى ذاته واجب الاتباع»[1] والله أعلم. أو لأنه أعم من الأول؛ فالأول مراد به الكتب المنزلة والرسل المرسلة، والثاني مراد به ما يعم ذلك وما يشمل عمل العقل أيضًا؛ لأنه لا غنى عن العقل في الهداية بالكتب والرسل. وأيضًا لتتأتى الإضافة إليه تعالى لتدل على التعظيم، وللإغراء باتباع هداه سبحانه. والله أعلم.

السؤال٤٨٥: لماذا لم يقل سبحانه: فمن تبع الهدى، بتعريفه بأل؟

الجواب: لئلا يتبادر أنه عين الهدى الأول في قوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾؛ فالنكرة إذا أعيدت معرفة بأل كانت عين الأول غالبًا، مع ما في الإضافة إلى ضميره سبحانه من التشريف والتعظيم. والله أعلم

السؤال٤٨٦: ورد الفعل «تبع» في البقرة بالتخفيف من دون الألف فقال سبحانه: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ... ﴾ [البقرة: ٣٨]، وورد الفعل بالتشديد «اتبع» في قوله سبحانه: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ﴾ [طه: ١٢٣]؛ فما السر في هذا التغاير؟

الجواب: وراء هذا التغاير الضئيل جدًا المتمثل في زيادة الألف لطائف وأسرار

(١) روح المعاني (١/ ٣٨).

نذكر منها ما يأتي: ورد الفعل «تبع» بالتخفيف في البقرة؛ مراعاة لسياق التكريم، فاكتفى في البقرة بالأخف من الحدث، ولم يشدد على البشر مراعاة لمقام التكريم، وجاء هذا متلائمًا مع إسناد القول إلى نفسه سبحانه في البقرة ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨] مع ما يفيده هذا من التلطف بعباده سبحانه. وجاء التشديد في «طه» متناغمًا مع إسناد القول إلى الغائب ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه: ١٢٣].

ومن تلك اللطائف: أن نهاية الآية في البقرة تتعلق بالآخرة وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي في الآخرة، ونهاية الآية في «طه» تتعلق بالدنيا والآخرة وهو قوله: ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، فقوله: ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ متعلق بالدنيا لكون الضلال فيها، وقوله: ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ متعلق بالآخرة؛ لأن الدنيا لا تخلو من الشقاء، بدليل قوله تعالى لآدم: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أي: إذا خرجت من الجنة شقيت...

ولما كانت آية «طه» تتعلق بالدنيا والآخرة بخلاف آية البقرة زاد في بناء الفعل إشارة إلى زيادة متعلقه.كما أن آية طه، تتضمن أمرين: مجاهدة الضلال في الدنيا والفوز في الآخرة، وآية البقرة تتضمن الفوز في الآخرة، والحالة الأولى تتطلب عملاً أكثر وأشق، فجاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للأمر الشاق، وجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف(١).

ومن الأسرار لهذا التغاير أيضًا أن «تبع» بالتخفيف في البقرة جاء مناسبًا للسياق قبله مقارنة بالسياق السابق في «طه»؛ حيث لم يذكر في البقرة سوى إشارة مجملة إلى

---

(١) التعبير القرآني (٢٩٤-٢٩٣) د. فاضل صالح السامرائي.

مخالفة آدم وزوجه بالتعبير عنها بالزلة من دون ذكر تفاصيلها على النحو الوارد في الأعراف وطه؛ فلم يرد في البقرة إصرار الشيطان على الوسوسة لآدم وتفصيل السبل التي سلكها في إغرائه وإغوائه، والمعالجة في تنفيذ مراده، ولذلك كان من الملائم التخفيف «تبع» لا «اتبع».

وأما في «طه» فقد ورد شيء من تفصيل هذه الوسوسة مع التصريح بها، وبأن آدم عليه السلام عصى وغوى، وتقرأ هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٥-١٢٣].

هذا تفصيل في الحديث عن الوسوسة، وعن عصيان آدم، وهذا شيء خارج عن الفطرة النقية السليمة؛ فلما كان هناك حمل للوقوع في المعصية ناسب هذا الدلالة على أن اتباع الهدى أمر يحتاج إلى شيء من المشقة والمقاومة والمجاهدة للنفس التي عصت وغوت، هذا عن السياق السابق لكلتا الآيتين ومدى تجاوبه مع الفعل الوارد فيهما.

وأما عن السياق اللاحق فمن ملامح اتساقه مع «تبع» في البقرة أنه اكتفى بنفي الخوف والحزن عن التابعين للهدى من دون كبير عناء أو معالجة، فالمدعو إليه هنا مطلق العبادة، وأما في «طه» فكان جزاء المتبعين للهدى نفي الضلال وعدم الشقاء، ونفي الشقاء يستلزم نفي الخوف والحزن، وزيد هنا نفي الضلال، ولذلك قيل: ﴿فَمَنِ

﴿ٱتَّبَعَ﴾؛ لأن هذه منزلة أعلى مما في البقرة، لأنه يدخل فيها التحرز من المعصية ولو على وجه النسيان في قوله: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾. وكان التوعد للمُعْرِض عن الذكر في «طه» بالعقاب في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]. أما في البقرة فقد اقتصر الوعيد فيها على عقوبة الآخرة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩] والله أعلى وأعلم (١).

السؤال٤٨٧: ما الفرق بين الخوف والحزن؟

الجواب: الخوف؛ غم يلحق الإنسان من توقع أمر في المستقبل، والحزن؛ غم يلحقه من فوات أمر في الماضي. والله اعلم(٢).

السؤال٤٨٨: لم قدم سبحانه نفي الخوف على نفي الحزن عمن اتبع هداه في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٣٨]

الجواب: لأن الخوف مما هو آتٍ أكثر من انتفاء الحزن على ما فات(٣). والله أعلم

السؤال٤٨٩: لم قدم ضمير الرفع المنفصل «هم» في قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٣٨]

الجواب: لإفادة القصر بنفي الحزن عنهم من دون غيرهم، والمراد بيان دوام انتفاء الحزن عن المؤمنين المتبعين هدى الله لا بيان انتفاء دوام هذا الحزن؛ لأن النفي إذا دخل على الفعل المضارع يفيد الدوام والاستمرار بدلالة المقام. والله أعلم.

---

(١) انظر متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام (صـ٢٢١-٢٢٠). د. عبد الجواد طبق.

(٢) الفتوحات الإلهية (١/ ٤٤).

(٣) روح المعاني (١/ ٣٨٠)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٩٣).

السؤال٤٩٠: ما المقصود بانتفاء الخوف والحزن عن عباد الله الطائعين في الآية الكريمة؟

الجواب: نفي الخوف كناية عن نفي العقاب، ونفي الحزن كناية عن نفي الثواب، والمعنى: لا خوف عليهم من أن يحل بهم مكروه، ولا أن يفوت عنهم محبوب فيحزنوا، وعدل عن هذا التصريح إلى الكناية؛ لأنها أبلغ من التصريح، حيث تذكر الدعوة مشفوعة بالدليل عليها، وفي الجملة إشارة لطيفة إلى أن الله تعالى يدخلهم الجنة التي هي دار السرور والأمن، إذ لا خوف فيها ولا حزن ولا نصب، وبذلك يظهر التقابل بين جزاءي: المؤمنين الطائعين المخلصين - كما تشير إليه هذه الآية - وبين الكافرين المكذبين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، والله أعلم.

السؤال٤٩١: علام عطف قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ..﴾[البقرة: ٣٩]؟

الجواب: عطف على قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ...﴾ [البقرة: ٣٨] حيث ذكر جزاء الكافرين بعد ذكر جزاء المتقين ليتم التقابل بين الفريقين. والله أعلم.

السؤال٤٩٢: لماذا لم يقل -سبحانه-: «ومن لم يتبعه أولئك أصحاب النار» ليتناسب مع المعطوف عليه ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ ؟

الجواب: أوثر ما ذكر في الآية الكريمة للتنفير من الكفر والضلال، ولإظهار غاية القبح في ذلك. والله أعلم

السؤال٤٩٣: قال تعالى في الآية السابقة على الآية المذكورة: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ بصيغة المفرد؛ فلماذا عدل عن هذا المفرد إلى الجمع في

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ [البقرة: ٣٩] وكان ظاهر السياق أن يقول: «والذي كفر وكذب بآياتنا..» ؟

الجواب: للإشارة إلى كثرة الكفار والمكذبين، والله أعلم.

السؤال٤٩٤: ما المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ ؟

الجواب: القرآن الكريم، أو الكتب السماوية المنزلة. والله أعلم

السؤال٤٩٥: ما سر التعبير بنون العظمة -الجمع- في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾؟

الجواب: لتربية المهابة. والله أعلم

السؤال٤٩٦: لماذا لم يقل سبحانه: والذين كفروا وكذبوا بالآيات؟

الجواب: لإبراز كمال شناعة وقبح التكذيب بها، ووقاحة من تجرأ على ذلك. والله أعلم

السؤال٤٩٧: ما سر التعبير باسم الإشارة للبعيد «أولئك» في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ...﴾ ؟ [البقرة: ٣٩]

الجواب: للإشعار ببعد منزلتهم في الضلال والكفر والتكذيب. والله أعلم

السؤال٤٩٨: ما المراد من الصحبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾؟ [البقرة: ٣٩]، وبم يوحي التعبير بها؟

الجواب: ليس المراد من الصحبة في الآية مطلق الاقتران أو الاجتماع، بل المراد الخلود، وعليه ففي العبارة كناية عن صفة، وقد أكد سبحانه دوام هذا الخلود صراحة بقوله: ﴿خَٰلِدُونَ ﴾. والله أعلم

السؤال٤٩٩: بم أكد خلود هذا الصنف في النار؟

الجواب: بالجملة الاسمية ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وبالقصر بتقديم الجار والمجرور «فيها»، حيث قصر خلودهم عليها -النار- والعياذ بالله. والله أعلم

السؤال٥٠٠: التكذيب يأتي متعديا بنفسه فيقال: كذب المشركون الرسول ﷺ، فما السر إذن في تعدي الفعل «كذب» في الآية الكريمة بالباء -وهذا شائع في القرآن الكريم- في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾؟

الجواب: لتأكيد اللصوق للمبالغة في التكذيب، فتكون كالباء في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] [١]. والله أعلم

السؤال٥٠١: لم فصلت جملة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩] عما قبلها؟

الجواب: لما بين الجملتين من كمال الاتصال، حيث إن قوله سبحانه: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ بيان لمضمون قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ فجاءت الجملة الثانية بمنزلة البيان للجملة الأولى، لذلك فصلت. والله أعلى وأعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٤٦).

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: ٤٠-٤٣].

السؤال٥٠٢: لماذا جاء خطاب بني إسرائيل بعد قصة آدم؟

الجواب: لأنهم على الرغم من إيتائهم الكتاب «التوراة» وأمرهم فيه باتباع النبي ﷺ إلا أنهم كفروا به فخرجوا عن جنة الإيمان، وهبطوا إلى أرض الطبيعة. والله أعلى وأعلم.

السؤال٥٠٣: ما الغرض من نداء ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بني إسرائيل في الآية ؟

الجواب: ليلفت انتباههم، ويشحذ هممهم ويحفزهم لسماع ما يلقى عليهم من الأوامر والنواهي. والله أعلى وأعلم.

السؤال٥٠٤: من المراد بإسرائيل ؟

الجواب: يعقوب عليه السلام، وإسرائيل لقبه. والله أعلى وأعلم

السؤال٥٠٥: لماذا خاطب سبحانه اليهود بلقب يعقوب عليه السلام «إسرائيل» ولم يخاطبهم بـ«يا أيها اليهود»؟

الجواب: لترغيبهم في طاعته سبحانه ،وحثهم على ذلك بتذكيرهم أنهم من نسل بيت النبوة، وأن ذلك يقتضي أن يكونوا في مثل شرف يعقوب عليه السلام النبي، وأن يكونوا مثله شاكرين لله. والله أعلى وأعلم

السؤال ٥٠٦: من المقصود بالخطاب في الآية الكريمة ؟

الجواب: الكفرة من اليهود المعاصرين للنبي عليه السلام. والله وأعلم.

السؤال٥٠٧: لماذا أضيفت النعمة إلى ضميره -سبحانه- في قوله: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ... ﴾؟

الجواب: لتشريف النعمة، وللإشعار بإيجاب شكرها به -سبحانه- والله وأعلم

السؤال٥٠٨: ما المقصود بذكر النعمة في الآية الكريمة ؟

الجواب: المقصود شكرها، ونسيانها الجحود بها. والله وأعلم

السؤال٥٠٩: ما المراد بالنعمة في الآية؟ ولماذا قيدت بكونها على المخاطبين؟

الجواب: المراد بالنعمة جميع ما أنعم الله على المخاطبين وعلى أسلافهم ومنها إنجاؤهم من بطش فرعون وآله، وجعلهم أنبياء وملوكًا بعد أن كانوا عبيدًا؛ فأهلك أعداءهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، وأنزل عليهم كتبًا عظيمة ما أنزلها على أمة سواهم بدليل قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص٤-٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠].

تلك بعض النعم على أسلاف المخاطبين من اليهود، ومن أعظم النعم على المخاطبين أنفسهم إدراكهم زمن خاتم الأنبياء وأشرفهم محمد ﷺ وبناء على ما سبق فإن فائدة تقييد النعمة في الآية بكونها عليهم أنها أوجب للشكر؛ «لأن النعمة على الأسلاف نعمة على الأبناء لأنها سمعة لهم، وقدوة يقتدون بها وبركة تعود عليهم منها، وصلاح حالهم الحاضر كان بسببها، ولولا تلك النعم لهلك أسلافهم، أو لساءت حالهم فجاء أبناؤهم في شر حال فيشمل هذا جميع النعم التي أنعم الله بها عليهم فهو بمنزلة: اذكروا نعمتي عليكم. وهذا

العموم مستفاد من إضافة نعمة إلى ضمير الله تعالى»[١] والله وأعلم

السؤال٥١٠: ما سر التعبير عن نعم الله تعالى الكثيرة على بني إسرائيل بالمفرد ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] بدلا من الجمع «نعم» أو«أنعم» ؟

الجواب: أشير أولًا إلى أن القرآن الكريم ذكر النعمة مفردة في سبعة وأربعين موضعًا، وجمعها في ثلاثة مواضع فقط. إن سر إيثار المفرد «نعمة» في كل آيات القرآن الكريم ما عدا المواضع الثلاثة يعود إلى أن إضافة النعمة إلى الله تعالى يفرغ عليها من التعظيم والتكثير ما لا يمكن حصره، مما يجعل المنعم عليه يخر ساجدًا لربه شكرًا عليها.

إن النعمة الواحدة من نعم الله تعالى تشتمل على نعم كثيرة أو لا يمكن عد تفاصيلها؛ فنعمة الله الواحدة لعظمها وشرفها المستمدين من جلال وعظمة المنعم سبحانه بمثابة النعم الكثيرة التي يعجز أحد عن عدها. والله أعلم

السؤال ٥١١: ما وجه بلاغة قراءة الزهري: «أُوَفِّ» بالتشديد في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ ؟

الجواب: فيها إشارة إلى فيض كرمه سبحانه، وعظيم إحسانه حيث يعطي الكثير في

---

(١) التحرير والتنوير (١/٤٥١). أنعم الله تعالى عليهم بالنعم الكثيرة التي كان من شأنها أن تدفعهم إلى الشكر والطاعة، ولكنهم وهم أهل حقد وحسد وعناد اتخذوها ذريعة للكفر والعصيان والطغيان، وحسبوها اختصاصا من الله تعالى وتدليلا، وقالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾؛ فزادوا بالنعمة كفرا وظلما وطغيانا. وكان المخاطبون منهم في عصر النبي ﷺ وفي عهده صورة لأسلافهم يفعلون مثل ما كانوا يفعلون، ويرضون عما كان عليه أسلافهم، ويقولون بقولهم. وهكذا اليهود هم اليهود في كل عصر وزمان أهل نفاق وخداع وظلم وطغيان، أهل زور وبهتان، ونقض للعهود والمواثيق وسفك للدماء واعتداء على الأبرياء وانتهاك للحرمات.

مقابلة القليل، كما صرح سبحانه بذلك في قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. والله أعلم.

السؤال٥١٢: ماذا أفاد تقديم الضمير «إياي» على الفعل في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾؟ [البقرة: ٤٠]

الجواب: أفاد القصر؛ حيث أمروا بقصر الرهبة عليه سبحنه والقصر هنا بالتقديم من باب قصر الصفة على الموصوف. والله أعلم.

السؤال ٥١٣: ما المعاني التي تضمنتها الآية الكريمة؟

الجواب: وجوب شكر المنعم -سبحانه- والوفاء بالعهد، والوعد والوعيد، وعدم الخوف إلا من الله تعالى. والله أعلم.

السؤال٥١٤: المقصود من قوله: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ التوراة؛ فلم عبر عنها بذلك، ولم يذكرها صراحة؟

الجواب: للإيذان بعلمهم بتصديق القرآن لها، فإن صحبتهم للتوراة دافع لهم لتكرار النظر فيها ومراجعتها للتيقن من كون القرآن مصدقًا لها. ومعنى تصديقه لها أنه -القرآن الكريم- مطابق لها في الدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش. وفي التعبير عنها بذلك إشارة أيضًا إلى أنهم آمنوا بالقرآن الكريم المنزل من عند الله يؤمنون بما عندهم، وأنهم إن كفروا به يكفرون بما عندهم. والله أعلم.

السؤال٥١٥: لماذا قيل: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾ [البقرة: ٤١] ولم يقل مثلًا: آمنوا بالقرآن، وهو المراد صراحة من الأمر بالإيمان؟

الجواب: لسببين، أولهما: لتعظيم شأنه لأنه من عند الله. وثانيهما: لتعليل الأمر بالإيمان به، وهو أنه منزل من الله وهم أوصوا بالإيمان بكل كتاب أنزله الله تعالى. والله أعلم.

السؤال ٥١٦: ما سر العدول عن الجمع إلى الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١] حيث كان الظاهر أن يقال: أول كفار به ؟

الجواب: لأن المراد من «كافر» فريق ثبت له الكفر لا فرد واحد، والمعنى: ولا تكونوا أول فريق كافر. ولم يصرح بهذا إيجازًا. والله أعلم.

السؤال ٥١٧: ما المقصود من النهي في قوله تعالى في خطاب اليهود المعاصرين للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ ؟ [البقرة: ٤١]

الجواب: المقصود توبيخهم على تأخرهم في اتباع الإسلام، ودعوتهم إلى المبادرة إلى الإيمان بالإسلام وبما جاء به الرسول ﷺ من الشريعة وبما أنزل عليه؛ فتلك الجملة كناية تعريضية. وليس المقصود النهي عن أن يكونوا مبادرين إلى الكفر ولا سابقين به غيرهم؛ أي لإيراد تقييد النهي عن الكفر بحالة أو لَيتِهم فيه، وكأنهم إن لم يكونوا من أول فرق الكفر بأن كانوا آخرها مثلا لم يتناولهم النهي، ليس ذلك مرادًا كما قلنا بدلالة السياق، وإنما القصد أن يكونوا أول المؤمنين؛ فوصف «أول» من لوازم معناه السبق والمبادرة، ولما كان الإيمان والكفر نقيضين إذا انتفى أحدهما ثبت الآخر كان النهي «أول الكافرين» يستوجب أن يكونوا أول المؤمنين، وفي ذلك كما قلت تعريض بهم وتوبيخ غير مباشر لهم؛ لمبادرتهم إلى الكفر به أي القرآن الكريم أو الإيمان بالإسلام. والله أعلم[١].

السؤال ٥١٨: ما المقصود من الاشتراء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾؟ [البقرة: ٤١]

الجواب: المقصود الاستبدال، فالاشتراء مستعار للاستبدال والاستعارة تصريحية

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٤٦٠).

تبعية. والمعنى: ولا تستبدلوا بآياتي العظيمة أشياء حقيرة خسيسة. والله أعلم.

السؤال ٥١٩: لم وصف الثمن بالقليل في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ؟

الجواب: لأن ما حصل عوضًا عن آيات الله مهما كان عظيمًا أو كثيرًا فإنه لا يكون إلا قليلاً، وإن بلغ ما بلغ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾. والله أعلم بمراده.

السؤال ٥٢٠: ما سر إضافة «آيات» إلى ضمير الجلالة في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾؟ [البقرة: ٤١]

الجواب: لتشريف الآيات، وللزجر عن استبدالها. وفيها تعريض بخسارة المخاطبين إذْ استبدلوا نفيسًا بخسيس. وفي الجملة لطيفة؛ إذ عظم سبحانه الآيات بشيئين: الجمع والإضافة إلى ضمير الجلالة. وحقَّر العوض بتحقيرين: التنكير والوصف بالقلة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾(١). والله أعلم بمراده.

السؤال ٥٢١: ما نوع اللام في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ ؟ [البقرة: ٤١]

الجواب: اللام في «الحق والباطل» للعهد: والمعنى: لا تخلطوا الحق المنزل في التوراة بالباطل الذي اخترعتموه وكتبتموه، أو لا تجعلوا ذلك ملتبسًا مشتبهًا غير واضح لا يدركه الناس بسبب الباطل (٢). والله أعلم بمراده

السؤال ٥٢٢: ما فائدة تقييد النهي بالعلم في الجملة الحالية في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٤١]

الجواب: لزيادة تقبيح حال اليهود؛ لأن الإقدام على تلك الأشياء القبيحة المذكورة

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٦٥).

(٢) روح المعاني (١/ ٣٩٠).

في الآية مع العلم بعدم جواز الإقدام عليها أشنع من الإقدام عليها مع الجهل، فالجاهل قد يعذر، وليس من يعلم كمن لا يعلم. والله أعلم بمراده

السؤال٥٢٣: ما المقصود بالصلاة والزكاة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؟ [البقرة: ٤٣]

الجواب: المقصود صلاة المسلمين وزكاتهم؛ لأن غيرهما مما نسخه القرآن كالعدم. وفي هذه الآية أمر الله تعالى اليهود بفروع الإسلام بعد الأمر بأصوله[١]. والله أعلم بمراده.

السؤال٥٢٤: لم عبر بالركوع عن الصلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؟

[البقرة: ٤٣]

الجواب: احترازًا عن صلاة المخاطبين -اليهود-؛ فإنها لا ركوع فيها، وإنما قيد ذلك بكونه مع الراكعين؛ لأن اليهود كانوا يصلون فرادى فأمروا بالصلاة جماعة مع المسلمين لما فيها من الفوائد. والله أعلم بمراده[٢].

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/٩٧).

(٢) انظر روح المعاني (١/٣٩٢).

قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤- ٤٨].

السؤال٥٢٥: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ ... ﴾ ؟ [البقرة: ٤٤]

الجواب: الغرض التوبيخ والتعجيب. والله أعلم

السؤال٥٢٦: من المخاطب في الآية الكريمة ؟

الجواب: أحبار بني إسرائيل وعلماؤهم. وهذا من باب وضع العام موضع الخاص؛ فلفظ ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ عام يشمل بني إسرائيل كلهم والمراد به الخاص وهم أحبارهم كما قلنا. والغرض البلاغي منه هنا أن الفعل وإن كان صادرًا عن بعضهم إلا أنه نسب إلى جميعهم لسكوت ذلك الجمع ورضاهم بقول وفعل علمائهم وعدم لومهم على أمرهم بالبر، وتركهم العمل به. والله أعلم

السؤال٥٢٧: ما المقصود بالبر؟

الجواب: الأمر بجميع الطاعات والنهي عن جميع المعاصي؛ ففيها إيجاز قصر. والله أعلم

السؤال٥٢٨: ما وجه البلاغة في قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ ؟ [البقرة: ٤٤]

الجواب: إما أن تكون استعارة، حيث شبه فيها الترك بالنسيان بجامع انعدام النفع في كل، والاستعارة تصريحية تبعية. أو أن تكون كناية عن صفة «الترك». والله أعلم

السؤال ٥٢٩: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٤٤]

الجواب: التوبيخ والإلهاب والتهييج أي تحفيز المخاطب وإثارته وترغيبه لتحقيق ما نفي عنه. والله أعلم

السؤال٥٣٠: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ؟

الجواب: الفاء للسببية، أي بسبب حالهم هذه من أمر الناس بالبر وترك أنفسهم يحكم عليهم بأنهم لا يعقلون. والله أعلم

السؤال ٥٣١: من المخاطب في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ ؟ [البقرة: ٤٥]

الجواب: اليهود أو أحبارهم وعلماؤهم، ولكنه أيضًا عام لكل مسلم والله أعلم.

السؤال٥٣٢: ما علاقة هذه الآية ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ...﴾ بما قبلها ؟ [البقرة: ٤٥]

الجواب: في السياق السابق على الآية الكريمة أمر لليهود المعاصرين للرسول ﷺ بذكر نعمة الله عليهم، ثم أمرهم بالإيمان بالقرآن الكريم والانخراط في جماعة المسلمين، ثم نهاهم عن استبدال الخسيس بالنفيس، وأن يؤثروا الحق الذي يعلمونه على المكانة الخاصة التي يتمتعون بها في المدينة، وعلى الثمن القليل سواءً أكان ماديًا أم معنويًا، وأن يدخلوا في الإسلام وهو يدعون بني دينهم إليه، ولما كان هذا كله يقتضي قوة وشجاعة وتجردًا لأنه شاق عليهم لما فيه من فوات مصالحهم؛ دلهم القرآن على ما يساعدهم لمواجهة مرضهم هذا بالاستعانة بالصبر والصلاة. والله أعلم.

السؤال٥٣٣: لم قدم الاستعانة بالصبر على الاستعانة بالصلاة ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾؟ [البقرة: ٤٥]

الجواب: لمناسبته لحال المخاطبين من اليهود، أو لأنها -أي الصلاة- لا تكمل إلا بالصبر، فهو مقدمة لها؛ فمن لا صبر عنده لا يقدر على إمساك نفسه عن الملاهي حتى يشتغل بالصلاة. والله أعلم

السؤال٥٣٤: ما سر إفراد الصلاة بالذكر في الآية الكريمة؟

الجواب: تعظيمًا لشأنها؛ لأنها جامعة لأنواع العبادات النفسية والبدنية من الطهارة وستر العورة، وصرف المال فيها، والتوجه للكعبة، والعكوف للعبادة، وإظهار الخشوع بالجوارح، وإخلاص النية بالقلب، ومجاهدة الشيطان، ومناجاة الله، وقراءة القرآن، والنطق بالشهادتين، وكف النفس عن شهوتي الفرج والبطن [١].

السؤال٥٣٥: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾، وما المقصود بالكبيرة؟

الجواب: الصلاة؛ لأنها أقرب مذكور للضمير، وهذا هو الأرجح. وقيل: الضمير يعود إلى الاستعانة المفهومة من «استعينوا». والله أعلم ومعنى كبيرة ثقيلة، أي ثقلها وصعوبتها على من يفعلها. والله أعلم.

السؤال ٥٣٦: لماذا لم تثقل الصلاة على الخاشعين، والخشوع في نفسه مما يثقل؟

الجواب: لأنهم يتظرون ما ادخره الله تعالى للصابرين هلى متاعبها فتهون عليهم مشاقها.

---

(١) الفتوحات الإلهية (١/ ٤٨).

السؤال٥٣٧: لماذا عبر عن العلم اليقيني بالظن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ...﴾ [البقرة: ٤٦]؟

الجواب: التعبير عن العلم بالظن يفيد مع اليقين توقع الأمر؛ فمعنى ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ...﴾ أنهم يتوقعون هذا اللقاء وقتًا بعد وقت، وينتظرونه متوقعين له، فيقينهم يقين المتوقع المترقب (١). والله أعلم

السؤال ٥٣٨: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦] **بما قبله ؟**

الجواب: جاء قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ...﴾؛ بيانًا لثمرة الخشوع في قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾. والله أعلم

السؤال ٥٣٩: ما سر ذكر وصف الربوبية مضافًا إلى ضمير الخاشعين في قوله تعالى: ﴿...أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦]؟

الجواب: للإشعار بفيض نعمه -سبحانه- وإحسانه عليهم؛ لأنه -سبحانه- هو الذي رباهم وأنشأهم وتعهدهم في الوجود. وفي التعرض بوصف الربوبية «إشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم»(٢). والله أعلم

السؤال٥٤٠: ماذا أفاد تقديم الجار والمجرور على خبره الفعلي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ ؟

الجواب: للدلالة على أنه -سبحانه- وحده الذي يرجعون إليه، فأفاد التقديم إذن

---

(١) زهرة التفاسير (١/ ٢٢١).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٩٨).

القصر، والجملة من باب قصر الصفة على الموصوف، وطريق القصر التقديم. والقصر حقيقي تحقيقي. والله أعلم

السؤال٥٤١: ما علة مجيء خبر «أنَّ» اسمًا في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ و ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ؟

الجواب: للدلالة على رسوخ اعتقاد الخاشعين على حتمية اللقاء والرجوع إلى الله تعالى. والله أعلم

السؤال٥٤٢: لم كرر سبحانه تذكير بني إسرائيل بنعمه عليهم في قوله سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ..﴾ [البقرة: ٤٧]**؟**

الجواب: كرر التذكير للتأكيد وللإيذان «بكمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعمة، وليربط ما بعده من الوعد الشديد به لتتم الدعوة بالترغيب والترهيب، فكأنه قال –سبحانه-: إن لم تطيعوني لسوابق نعمتي فأطيعوني للخوف من لواحق عقابي، ولتذكير التفضيل الذي هو أجل النعم، فإنه لذلك يستحق أن يتعلق به التذكير بخصوصه مع التنبيه على أجليته بتكرير النعمة التي هو فرد من أفرادها»[(١)] والله أعلم.

السؤال٥٤٣: جاء قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] **معطوفًا على قوله: ﴿نِعْمَتِيَ﴾ فماذا يسمى هذا العطف؟**

الجواب: هذا من عطف الخاص «التفضيل على العالمين» على العام «النعمة»، والغرض من إفراده بالذكر على الرغم من أنه يندرج تحت النعمة التنويه بشأنه، والاهتمام به حيث إنه من أَجَل النعم؛ لذا كان حريًا أن يفرد بالذكر وحده ثانيًا بعد ذكره إجمالًا أولًا. والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (١/٣٩٧).

السؤال٥٤٤: من المقصود بالتفضيل في قوله سبحانه: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ؟ [البقرة: ٤٧]

الجواب: أسلاف وآباء اليهود المعاصرين للنبي ﷺ والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ...﴾ [البقرة: ٤٩]؛ فالمخاطبون لم يروا فرعون وآله ولم يعاصروهم، ولكنه تعالى أذكرهم أنه لم يزل منعمًا عليهم. وصح نسبة التفضيل إلى المخاطبين، باعتبار أن نعمة الآباء نعمة على الأبناء. والله أعلم

السؤال٥٤٥: ما المراد بالعالمين في الآية الكريمة ؟

الجواب: العالم اسم لكل موجود سوى الخالق سبحانه، ويحمل معنى «العالمين» في الآية الكريمة على الموجود زمان آبائهم في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يغيروا التوراة ويحرفوها ويكتموا أحكامها. ولا يلزم من الآية تفضيلهم على النبي ﷺ ولا على أمته التي هي خير أمة أخرجت للناس. والله أعلم

السؤال ٥٤٦: بم فضل بنو إسرائيل على سائر الأمم الموجودة وقت التفضيل ؟

الجواب: لم يفضل بنو إسرائيل على غيرهم لذواتهم كما توهموا، وزعموا أنهم شعب الله المختار، ودلوا على الناس بذلك بل دلوا على الله تعالى، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وأكلوا الحقوق، وسفكوا الدماء، ونظروا إلى غيرهم نظرة دونية، وعاملوهم شر معاملة، وقالوا ليس علينا في الأميين سبيل. ليس التفضيل إذن لذواتهم، إنما الفضل الذي اختصهم الله تعالى به في جيلهم أنه جيل فيهم أنبياء، وقد بعث الله منهم رسلاً كثيرة لم يبعثهم من أمة غيرهم ففضلوا لهذا النوع من التفضيل على سائر الأمم في زمانهم.

لقد دعاهم أولئك الأنبياء إلى توحيد الله تعالى، فقد كانوا موحدين، كما دعاهم موسى ومن جاء بعده من الأنبياء في وسط وثنيين، فكان كل من حولهم وثنيين، فالمصريون وثنيون يعبدون الشمس، ومن دونها، والفرس يعبدون النيران، والروم يعبدون الأوثان، واليونان من قبلهم على شاكلتهم، والبابليون يعبدون الكواكب. اختارهم الله تعالى أن يكونوا قوم موسى وأن يكون التوحيد فيهم، وكان مقامهم يمكنهم من نشر التوحيد، ولكنهم بعد ذلك غيروا وبدلوا وأفسدوا وقتلوا الأنبياء، ولم يحملوا عبء دعوة التوحيد، بل إنهم اعتبروا اليهودية جنسًا، ومن دخل معهم ديانة موسى عليه السلام من غيرهم كالسامرة لم يعترفوا به (١).

لقد منحهم الله العلم والإيمان والعمل الصالح وجعل منهم أنبياء وملوكًا عادلين في زمن موسى عليه السلام وبعده؛ لذلك فضلوا على الأمم المعاصرة لهم في ذلك العصر. إن تفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم، فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم، وعصوا أنبياءهم، وقتلوا من الأنبياء ما قتلوا، وجحدوا نعمة الله تعالى عليهم، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم، فقد أعلن الله تعالى حكمه عليهم باللعنة والغضب والمسخ والذلة والمسكنة، وقضى عليهم بالتشريد، وحق عليهم الوعيد.

إن تذكيرهم بتفضيلهم على العالمين هو تذكير لهم بما كان لهم من فضل الله وعهده، وإطماع لهم لينتهزوا الفرصة المتاحة لهم على يدي الدعوة الإسلامية فيثوبوا إلى رشدهم، ويلحقوا بركب الإيمان، ويعودوا إلى عهد الله شكرًا لتفضيله لآبائهم، ورغبة في العودة إلى مقام التكريم الذي يناله المؤمنون (٢). والله أعلم

---

(١) انظر زهرة التفاسير (١/ ٢٢٢-٢٢٣)، والفتوحات الإلهية (١/ ٤٩).

(٢) انظر في ظلال القرآن (١/ ٧٠).

السؤال ٥٤٧: ما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ...﴾ [البقرة: ٤٨] بما قبلها ؟

الجواب: هذا تحذير للمخاطبين من اليهود معطوف على التذكير بنعمة الله تعالى عليهم. ووجه المناسبة أنه سبحانه لما ذكرهم بالفضل والإنعام عليهم خاصة تفضيلهم على العالمين في زمن آبائهم، وكان ذلك منشأ غرورهم بأنه تفضيل لذواتهم فتوهموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرهم فعقب بالتحذير من ذلك (١). والله أعلم

السؤال٥٤٨: ما معنى قوله سبحانه: ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ ؟

الجواب: أي لا تؤاخذ نفس ولا تعاقب بذنب نفس أخرى ولا تدفع عنها شيئًا. والله أعلم.

السؤال ٥٤٩: لماذا خص الشفاعة والفدية والنصر بالذكر في قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؟ [البقرة: ٤٨]

الجواب: لأن الواقع في الشدة لا يتخلص منها إلا بأن يشفع له أو ينصر أو يفتدى. والعَدْل في الآية بمعنى الفداء، والعِدْل: المِثْل، فالعِدل: هو الذي يساوي الشيء من جنسه وفي وزنه. والله أعلم.

السؤال٥٥٠: لماذا عدل عن المفرد «ينصر» تبعًا للسياق، إلى الجمع ﴿يُنصَرُونَ﴾؟

الجواب: لاعتبار مجموع النفوس التي لا تجزي نفس منها عن نفس ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل. والله أعلم

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٤٨٤).

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: ٤٨-٤٩]

السؤال ٥٥١: ما علة العدول عن الخطاب في ﴿وَاتَّقُوا ...﴾ إلى الغائب في ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]؟

الجواب: للتعميم؛ لأن ما ذكر في الآية يشمل الناس جميعًا المخاطبين وغير المخاطبين. والله أعلم

السؤال ٥٥٢: في هذه الآية قال سبحانه: ﴿...وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] فقدم قبول الشفاعة على أخذ العدل أي الفدية، وفي آية أخرى في سورة البقرة قدم قبول الفدية على ذكر الشفاعة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ فما الحكمة من ذلك؟

الجواب: لبيان أن ما كان إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية، ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة، ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين (١). ويمكن أن يقال: قدم الشفاعة في البقرة قطعًا لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله. وأخر في الموضع الثاني في السورة نفسها؛ لأن التقدير: لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك

(١) مفاتيح الغيب (١/٧٨).

الشفاعة؛ لأن النفع بعد القبول، وقدم العدل في الآية الأخرى؛ ليكون لفظ القبول مقدمًا فيها[(١)] والله أعلم

السؤال٥٥٣: لماذا أتى بجملة ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨] مصدرة بالمسند إليه -المبتدأ- مخبرًا عنه بالمضارع؟

الجواب: تنبيهًا على المبالغة والتأكيد على عدم النصرة في ذلك اليوم العصيب. والله أعلم.

السؤال ٥٥٤: علام يدل الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ؟ ولماذا عاد الضمير مذكرًا ؟

الجواب: الضمير يعود إلى النفس. وعاد مذكرًا وإن كانت النفس مؤنثة؛ لأن المراد بها العباد والأناسي. والله أعلم

السؤال٥٥٥: ما الغرض من تنكير «نفس» و«شيء» في الآية الكريمة؟

الجواب: الغرض من تنكير«نفس» التعميم، ومن تنكير «شيء»؛ التعميم والتحقير، ففي يوم الحساب لا تغني أي نفس كائنة أي شيء من الحساب ولو كان تافهًا حقيرًا، فالمسؤولية فردية، والحساب شخصي، وكل نفس لا تحمل إلا وزر نفسها في ذلكم اليوم العصيب، وهذا مبدأ إسلامي عظيم قائم على العدل الإلهي المطلق. والله أعلم

(١) أسرار التكرار في القرآن (ص٢٧)، للكرماني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

السؤال٥٥٦: ما علاقة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ...﴾ [البقرة: ٤٩] بما قبلها ؟

الجواب: في السياق السابق على تلك الآية ذكر لنعمه –سبحانه– على بني إسرائيل إجمالًا، وفي الآية المذكورة وما بعدها تفصيل لتلك النعم وتعديد لها؛ ليكون ذلك أبلغ في التذكر وأوفى في الحجة. وقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ معطوف على ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ [البقرة: ٤٧]، فكأنه قال: اذكروا نعمتي عليكم، واذكروا إذ نجيناكم، واذكروا إذ فرقنا بكم البحر. والمذكور في هذه الآية هو الإنعام الأول، وبدأ به لأنه أعظم النعم عليهم. وفي السياق التالي لهذه الآية بيان لتفصيل تلك النعم، وكيفية استقبال بني إسرائيل لها وجحودهم بها. والله أعلم

السؤال ٥٥٧: كيف صحت نسبة التنجية إلى المخاطبين وهم اليهود المعاصرون للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ مع أنها كانت تنجية لأسلافهم وآبائهم؟

الجواب: لأن تنجية الآباء والأسلاف تنجية لهؤلاء الموجودين المخاطبين؛ إذ لو بقي آباؤهم وأسلافهم في عذاب فرعون لكان ذلك لاحقًا بهم؛ فتلك «كانت منة التنجية منتين: منة على السلف، ومنة على الخلف، فوجب شكرها على كل جيل منهم»[1]، إذن جاز تعدية فعل التنجية إلى المخاطبين؛ لأنهم نجوا بنجاة آبائهم. والله أعلم

السؤال ٥٥٨: لم قدم فعل الذبح على الاستحياء في قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ؟ [البقرة: ٤٩]

الجواب: لأن أصعب الأمور وأشقها؛ هو أن يذبح ولد الرجل أمام أبويه اللذين كانا يرجوان النسل منه. والله أعلم

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٨٩).

السؤال ٥٥٩: ما سر العدول عن الماضي إلى المضارع في الآية الكريمة فإن الأفعال المذكورة قد وقعت وانتهت قبل نزول الآية الكريمة من زمن بعيد، فما السر في ذلك ؟

الجواب: لتصوير تلك الوقائع والأحداث أمام المخاطبين وكأنها تحدث الآن استشعارًا بالمنة العظيمة عليهم. والله أعلم

السؤال٥٦٠: لماذا عبر عن البنات بالنساء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾؟

الجواب: عبر عنهن بالنساء باعتبار المآل أو ما سيكونن عليه؛ ففي اللفظ مجاز مرسل بعلاقة ما يؤول إليه. والله أعلم.

السؤال ٥٦١: لماذا نسب الله تعالى الأفعال المذكورة في الآية إلى آل فرعون، وهم إنما كانوا يفعلون بأمره ؟

الجواب: لتوليهم ذلك بأنفسهم، وليعلم أن أعوان الظالمين مأخوذون بظلمهم وبأفعالهم في المظلومين. والله أعلم.

السؤال ٥٦٢: ورد في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٤١]؛ **فلماذا قال -سبحانه- في البقرة: ﴿ نَجَّيْنَٰكُم ﴾ وفي الأعراف ﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾ ؟** [الأعراف: ١٧٥]

الجواب: في سورة البقرة لم يذكر سبحانه شيئًا من أحوال بني إسرائيل مع فرعون وآله سوى الآية المذكورة؛ لذا استعمل «نجّى» للتلبث والتمهل في التنجية، أما في سورة الأعراف فقد أطال سبحانه وفصل في بيان معاناتهم وأوضاعهم وحالاتهم مع

فرعون وقومه ابتداء من الآية الرابعة بعد المئة إلى الآية الحادية والأربعين، فقد ذكر في الأعراف مزيدًا من معاناة بني إسرائيل، وذكر حالة التوتر والقلق والأذى الذي استمر واقعاً عليهم حتى قال بنو إسرائيل لموسى كما حكى القرآن عنهم: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. إن إطباق تلك الحالة الشديدة من الأذى والمعاناة مع تعنت فرعون وآله وجبروتهم كان أدعى في الإسراع في إنجاء بني إسرائيل؛ لذا قال في الأعراف «أنجى» دون «نجَّى» والله أعلم[1].

وهناك علة لفظية لتعليل هذا التغاير؛ إذ إن التضعيف في «نجَّيناكم» في البقرة جاء مناسبًا لتضعيف الفعل بعده «يذبِّحون» بخلاف الفعل «أنجيناكم» في الأعراف؛ فإنه غير مضاعف ليناسب الفعل المضاعف بعده «يقتِّلون» فروعي مناسبة اللفظ لما بعده في كلا الموضعين. والله أعلم.

السؤال٥٦٣: لم قيل في البقرة ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، وفي الأعراف ﴿يُقَتِّلُونَ﴾؟

الجواب: لفظ الذبح من الألفاظ الكاشفة والواصفة فهو منبئ عن القتل -بإزهاق الروح- وصفته، أما لفظ القتل فلا يدل إلا على إزهاق الروح وإعدام الحياة؛ لذا جاء التعبير أولًا في البقرة بما يدل على المقصود من القتل وصفته بلفظ واحد أي الذبح مراعاة للإيجاز، فلو ذكر القتل وأتبع بصفته لفات غرض الإيجاز المناسب للمقام الذي لم يذكر شيئًا من أحوال بني إسرائيل مع فرعون وآله إلا هذه الآية في سورة البقرة -كما سبق القول-؛ لذا عدل إلى ما يحصل عنه من الإيجاز فقيل: «يذبحون». أما في الأعراف فعبر بالقتل «يقتلون» دون «يذبحون»؛ لسبق الحديث عن القتل وصفته في البقرة،

(١) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (ص٧٦)، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

فأصيب الإيجاز، وأحرز في كلا الموضعين، وجاء على ما يجب ويناسب. والله أعلم[(١)].

السؤال ٥٦٤: ما سر إسقاط الواو في «يذبحون» في البقرة، وإثباتها في سورة إبراهيم حيث قيل: ﴿... يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ...﴾ [إبراهيم: ٦]؟

الجواب: أسقط حرف العطف الواو في البقرة؛ لأن الفعل «يذبحون» جاء بيانًا لما قبله[(٢)]، أو استئنافًا كأنه قيل: ما الذي ساموهم إياه؟ فقال: «يذبحون...» الخ، أو جاء الفعل «يذبحون» بدلًا من الفعل «يسومونكم»كما في قوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٩-٦٨]، ولعل هذا يناسب الإيجاز في ذكر أحوالهم مع فرعون وآله في هذه الآية فقط في سورة البقـرة.

أما في سورة إبراهيم فأثبت حرف العطف «الواو»؛ لأن المقام فيها مقام تعداد لصنوف العذاب التي لا قوها -وليس في البقرة ما يقتضيه للإجمال المذكور-، إذن ما في البقرة من كلام الله فوقع بيانًا أو تفسيرًا لما قبله لذا ترك العطف، وما في سورة إبراهيم حكاية لكلام موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ...﴾ [إبراهيم: ٦]، وكان موسى مأمورًا بتعداد المحن على قومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، فناسب هذا ذكر حرف العطف -والله أعلم بمراده-؛ فجعل تذبيح

---

(١) انظر ملاك التأول (١/ ٥٥)لأحمد بن الزبير الغرناطي – تحقيق د. حمود كامل أحمد – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) المقصود البيان المعنوي أي التفسير لا البيان النحوي؛ لأن عطف البيان لا يكون في الأفعال ولا في الجمل.

الأبناء أمرًا آخرًا أو ابتلاء آخر غير سوء العذاب بناء على أن العطف يقتضي المغايرة[1]. والله أعلم

السؤال ٥٦٥: ما وجه بلاغة قراءة الجمهور ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بالتشديد؟ وقراءة ابن مُحَيْصِنٍ بالتخفيف «يذْبحون»؟

الجواب: قراءة «يذبِّحون» بالتشديد فيها دلالة على المبالغة في التذبيح وعلى تكراره. أما قراءة «يذْبَحون» بالتخفيف؛ ففيها إشارة إلى سهولة تناول الفعل ومعالجته دون مقاومة من الذين وقع عليهم الذبح لبطش آل فرعون ولضعف بني إسرائيل. والله أعلم.

السؤال ٥٦٦: إلام يعود اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُم﴾؟

الجواب: إما أن يعود على الاستحياء والتذبيح، وهذا هو الأرجح عندي -والله أعلم- بدليل قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ بتفخيم اسم الإشارة، واستخدام أداة البعد، ووصفه بالعظيم. وإما أن تعود الإشارة إلى الإنجاء أو كلا الأمرين معًا. والله أعلم.

السؤال ٥٦٧: ما الغرض من التنكير في قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾؟

الجواب: التفخيم. والعظم بالنسبة للمخاطب والسامع، لا بالنسبة إليه سبحانه وتعالى؛ لأنه العظيم الذي لا يستعظم شيئًا[2]. والله أعلم

---

(١) انظر الكشاف (١/٦٨)، ومعاني القرآن (٢/٦٨-٦٩) للفراء – مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

(٢) روح المعاني (١/٤٠٣).

السؤال ٥٦٨: لماذا مكن الله تعالى لفرعون وقومه من بني إسرائيل قبل أن ينجيهم منه - فرعون -؟

الجواب: لكي يعلموا أنهم ليس بهم فضل لذواتهم، ولكن لما محّصهم الله بالابتلاء وهيأهم لتلقي رسالته، وتبليغ كلمته، وهي كلمة التوحيد، والعمل بالأوامر الإلهية[1]. والله أعلم

السؤال٥٦٩: لماذا جعلت الإشارة بالكاف وعلامة الجمع في قوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ ؟

الجواب: للإشارة إلى ما نزل بالمخاطبين. والله أعلم

السؤال ٥٧٠: ما مدلول الوصف بالربوبية في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ؟ [البقرة: ٤٩]

الجواب: له مدلول عظيم لما يشمله من معنى الكلأ والرعاية والحفظ والحماية والتدبير. لقد أراد الله تعالى أن يلقي في حسهم وحس كل من يلاقي شدة أن إصابة العباد بالشدة هي امتحان وبلاء، واختبار وفتنة، وأن الذي ينتبه لتلك الحقيقة يفيد من الشدة، ويستنشق عبير المنحة في المحنة، ألا تشم معي في التعبير بوصف الربوبية في هذا المقام إيقاظًا للأمل في نفوس البائسين والمبتلين ؟!

السؤال ٥٧١: بم يوحي قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؟ [البقرة: ٤٩]

الجواب: الفعل سام مشتق من السَّوْم أي الدوام، ومنه سائمة الغنم لمداومتها الرعي. الكلمة توحي هنا وكأن العذاب كان هو الغذاء الدائم الذي يطعمه فرعون وآله لبني إسرائيل. والله أعلم.

---

(١) انظر زهرة التفاسير (١/ ٢٢٦).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥٠-٥٤].

السؤال ٥٧٢: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠] بما قبله؟

الجواب: هذا إكمال لمشهد نجاة بني إسرائيل من آل فرعون بمعجزة خارقة للعادة ألا وهي فلق البحر لهم وإطباقه على فرعون وقومه وإغراقهم. وما سبقه تصوير لإنجائهم من مشاهد التعذيب. ومما يلحظ في سياق تعداد النعم على بني إسرائيل وتفصيلها أن القرآن الكريم يصورها لهم ويذكرهم بها في مشاهد تصويرية حية نسجتها الكلمات والتراكيب؛ ليتأثروا بها وليستعيدوا تذكرها وكأنهم يرونها الآن شاخصة بارزة حية.

لقد أشعر القرآن الكريم المخاطبين من اليهود بأنهم هم الذين كانوا ينظرون إلى فلق البحر ونجاة بني إسرائيل بقيادة نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وليس آباؤهم. إن إحياء هذا الاستشعار بأن نجاة أسلافهم وآبائهم نجاة لهم ليشكروا الله تعالى، وتصوير ذلك في مشاهد حية مفعمة بالحركة وتنبض بالحياة من سمات الأسلوب القرآني الشائع في القرآن الكريم. والله أعلم

السؤال٥٧٣: ما نوع الباء في قوله تعالى: ﴿ فَرَقْنَا بِكُمُ ... ﴾ ؟

الجواب: أحسب -والله أعلم- أن الباء للإلصاق أو الملابسة، وفيه إيحاء بعظيم

قدرة الله تعالى، وفيض فضله على بني إسرائيل حيث فرق بهم البحر وهم ملاصقون لمصدر الهلاك ومتلبسون به فأهلك عدوهم وأغرقه وأنجاهم وهم قريبون جدًا منه والله أعلم.

السؤال ٥٧٤: لماذا لم يذكر -سبحانه وتعالى- غرق فرعون وذكر آله في قوله: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾؟

الجواب: لأن وجوده معهم مستقر، فاكتفى بذكر الآل وهم الجند والأعوان والأنصار؛ لأن محل المنة هو إهلاك الذين كانوا المباشرين لتسخير بني إسرائيل وتعذيبهم والذين هم قوة فرعون، ولأنهم ذكروا في الآية السابقة على هذه الآية، ونسب تلك الصفة القبيحة إليهم من سومهم قوم موسى العذاب وذبحهم أبناءهم واستحيائهم نساءهم فناسب هذا إفرادهم بالغرق[1].

وقد ذكر سبحانه وتعالى غرق فرعون في آيات أخرى منها قوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ...﴾ [يونس: ٩٠].

وضمن نجاة بني إسرائيل من عدوهم وخروجهم من البحر سالمين نجاة نبيهم موسى عليه السلام وخروجه سالما من البحر مرتين: مرة عندما ألقته أمه فيه وهو طفل خوفا من بطش فرعون وآله، ومرة عندما صار نبيا ودخله هو وقومه فانفلق وانفصل وصار طريقا يبسا بقدرة الله تعالى حتى خرج منه سالما هو وقومه، وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على حكم فقهي وهو أن الآمر بالقتل بغير حق والمباشر له شريكان في القصاص؛ فإن الله تعالى أغرق فرعون وهو الآمر بتسخير بني إسرائيل وتعذيبهم وآله هم المنفذون والمباشرون. والله أعلم

---

(١) راجع البحر المحيط (١/٣٥٦)، والتحرير والتنوير (١/٤٩٦).

السؤال٥٧٥: لماذا كان هلاك فرعون بالغرق دون أي وسيلة أخرى ؟

الجواب: لأنه لما كان الغرق من أعسر الموتات وأعظمها شدة؛ جعله الله نكالا وعقابا لمن ادعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]؛ إذ على قدر الذنب يكون العقاب، فكان من المناسب أن يكون هلاك من ادعى الربوبية والاعتلاء انحطاطه وتغييبه في قعر الماء. فتأمل يرعاك الله كيف أن ما به قوام الحياة وهو الماء كان سببا في إفناء حياة فرعون وآله. والله أعلم

السؤال ٥٧٦: كيف أسندت الأفعال في الآية إلى المخاطبين من اليهود المعاصرين والمراد أسلافهم ؟

الجواب: لأن النعمة على الآباء والسلف نعمة على الأبناء والخلف. والله أعلم

السؤال ٥٧٧: ما موقع جملة ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ ؟ وما دلالتها ؟

الجواب: جملة حالية، والمقصود بالنظر المشاهدة والإبصار الحسيين، والمعنى: أن تلك الخوارق العظيمة والنعم الجليلة لم تتواتر إليكم بطريق النقل، ففرق البحر بكم، وإنجائكم من الغرق ومن أعدائكم، وإهلاك أعدائكم بالغرق وقع وأنتم تبصرون ذلك وتشاهدونه، لم يصلكم ذلك بطريق النقل بل بالمشاهدة التي توجب العلم الضروري بأن ذلك خارق من عند الله على يد نبيكم الذي جاءكم(١).

أما دلالة تلك الجملة الحالية؛ فهي لزيادة تقرير تلك النعمة وتعظميها، فإن مشاهدتهم للنعمة لذة عظيمة، ومشاهدة إغراق عدوهم نعمة أخرى، كما أن مشاهدة فصل البحر وفلقه نعمة عظيمة لما فيها من معجزة تزيدهم إيمانا وحادثة قصرت

---

(١) انظر البحر المحيط (١/ ٣٥٦).

مشاهدتها عليهم لا تتأتى لغيرهم رؤيتها.(١) والله أعلم بمراده.

السؤال ٥٧٨: هل التراخي حقيقي في حرف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]؟

الجواب: لا ليس المقصود في الآية التراخي الحقيقي بوجود فاصل زمني بين المعطوف والمعطوف عليه بل التراخي في الآية مجازي يراد به الاستبعاد ودلالة «ثم» على الاستبعاد من باب المجاز يشبه فيها البعد المعنوي بالبعد الحسي المقدر بالزمن. ومفهوم مجاز الاستبعاد في «ثم» هو أن يكون ما بعد «ثم» أمرا مستبعد الوقوع بالنسبة لما قبلها أو: إذا كان ما قبل «ثم» من الأحداث والأفعال مهيئا لعدم حصول ما بعدها.

وإذا أردنا أن نطبق هذا على الآية الكريمة فإننا نقول: إن اتخاذ بني إسرائيل العجل إلها لم يتطاول زمنه عن ذهاب موسى لميقات ربه ليأتيهم بالتوراة؛ فبمجرد تركه لهم للقاء ربه حتى أسرعوا إلى عبادة العجل بدليل قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فهذا يوحي بإسراعهم إلى عبادة العجل الذي أخرجه السامري بمجرد ابتعاد موسى عنهم.

فالتراخي في حرف المهلة «ثم» ليس حقيقيا، وإنما هو مجاز استبعاد العقل وقوع عبادة العجل من قوم أفاض الله عليهم بنعمه وأراهم من المعجزات والآيات ما أراهم مما يستوجب منهم المزيد من الشكر. وآخر تلك النعم تكريمهم بمواعدة الله تعالى لنبيهم موسى عليه السلام لمناجاته وإلقاء التوراة عليه وذلك تشريف وتكريم لنبيهم عليه السلام ولهم. فالإعراض عن المنعم -سبحانه- ولما يجف أثر نعمته في أيديهم مما يستبعده العقل، وينفر منه أصحاب الفطر النقية السليمة، فكيف بمن لم يكتفوا بالإعراض حتى عبدوا العجل من دونه ؟ أهناك بعد أعظم، وتناقض أشد مما بين تكريم الله لهم على

(١) راجع التحرير والتنوير (١/ ٤٩٦).

هذا النحو الذي استدعى فيه نبيهم ليكرمهم بفيض وحيه، ويشرفهم بنزول التوراة وبين أوقح صورة للعبادة، وأخس مثل للمعبودات؟

«أو يكون دون «ثم» أداة تصور هذا البعد، وعمق التناقض بين جلال النعمة ووقاحة الكفران بها ؟»(١)

لقد نعى هذا الحرف عليهم صنيعهم هذا الممقوت، واستبعده واستنكر وقوعه منهم، وتعجب منه ووبخ فاعليه أشد توبيخ. والله أعلم

السؤال٥٧٩: لماذا حذف المفعول الثاني للفعل «اتخذ»؟ وما تقديره؟

الجواب: تقدير المفعول: معبودا أو إلها، والمعنى: ثم اتخذتم العجل معبودا أو إلها. وفي حذف هذا المفعول إشعار بشناعة ذكره وحذف أيضا لظهوره ولعلمهم به. والله أعلم

السؤال ٥٨٠: ما فائدة ذكر القيد «من بعد» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾؟ [البقرة: ٥١]

الجواب: لزيادة تقريعهم وتوبيخهم والتشنيع بهم بأنهم كانوا جديرين بانتظارهم التوراة -التي ذهب موسى عليه السلام لملاقاة ربه ومناجاته من أجلها - التي تزيدهم هدى لا بالنكوص على أعقابهم عما كانوا عليه من التوحيد والانغماس في نعم الله تعالى، وبأنهم كانوا جديرين بالوفاء لنبيهم -موسى- فلا ينقلبوا على ما دعاهم إليه من التوحيد، ولا يحدثوا ما أحدثوه في مغيبه بعد أن رأوا معجزاته، وبعد أن نهاهم عن هذه العبادة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ

---

(١) راجع من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (ص١٩٢)، د. محمد الأمين الخضري.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

تأمل كيف أن هؤلاء المنعم عليهم بأجل النعم يطلبون بكل وقاحة من نبيهم الذي أنقذهم باسم الله الواحد أن يجعل لهم إلها من العجل بمجرد إنجائهم من فرعون وآله، وإهلاك عدوهم؛ طلبوا ذلك فور خروجهم من البحر سالمين طلبوا ذلك بعد أن رأوا الآيات الحسية والمعجزات طلبوا ذلك ممن؟ من نبيهم موسى الداعي إلى التوحيد فأي وقاحة تلك ؟ وأي سخافة هذه؟! وهاهم أولاء لا يزدجرون ولا ينتهون بل يصرون على عبادة العجل من أول زمان غياب موسى عليه السلام، وهذا ما أفاده «من» في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فتلك «حالة غريبة؛ لأن شأن التغير عن العهد أن يكون بعد طول المغيب على أنه ضعف في العهد، ففي قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ تعريض بقلة وفائهم في حفظ عهد موسى عليه السلام »(١). والله أعلم

السؤال٥٨١: ما فائدة ذكر جملة الحال في قوله سبحانه: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ؟

الجواب: جملة الحال ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ مقيدة لـ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾ ليكون الاتخاذ مقترنا بالظلم من مبدئه إلى منتهاه. وجملة الحال فيها إشعار بانقطاع عذرهم فيما صنعوا وأن لا تأويل لهم في عبادة العجل.(٢) والله أعلم

السؤال٥٨٢: ماذا أفاد حرف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ..﴾ ؟ [البقرة: ٥٢]

الجواب: أفاد التراخي الرتبي؛ إذ بيّن التفاوت الشديد ما بين صنيعهم الخسيس

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٥٠٠).

(٢)التحرير والتنوير (١/ ٥٠٠).

وكرم الله تعالى ولطفه بهم، أو أن المعطوف «عفو الله عنهم بعد فعلهم الشنيع» أعظم رتبة من المعطوف عليه أي جميع ما ذكر من النعم السابقة، وعلى كل فالتراخي في الآية مجازي لا حقيقي.

السؤال٥٨٣: ما المقصود بالعفو في الآية الكريمة [البقرة: ٥٢]**؟**

الجواب: العفو؛ محو الذنب، وقد يكون قبل العقوبة وبعدها بخلاف الغفران؛ فإنه لا يكون معه عقوبة البتة، والمعنى في الآية: محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم. (١) والله أعلم.

السؤال٥٨٤: علام يعود اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٥٢] **، وما سر إيثاره في الآية الكريمة؟**

الجواب: يعود اسم الإشارة في الآية إلى اتخاذهم -عبادتهم- العجل، وأوثر لتجسيد ظلمهم بأن يجعل وكأنه شاخص للمخاطبين مشاهد أمامهم؛ لكمال العناية بتمييزه تبكيتًا لهم وزجرًا. والله أعلم.

السؤال ٥٨٥: لماذا عدل عن لام التعليل فلم يقل: لتشكروا - وهو المراد- وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ؟

الجواب: للإشعار بالشك في شكرهم، وأن تحققه أمر محتمل لا قطعي، وفيه إيحاء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٢٩٧)، وانظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادتي (عفا) (صـ٣٥١، ٣٥٢)، و(غفر) (صـ٣٧٤).

إلى نفسية اليهود المتعالية التي لا يكبح جماحها عفو، ولا تروضها نعمة، وتلك طبيعتهم في كل عصر. والله أعلم

السؤال ٥٨٦: لماذا جعلت توبة بني إسرائيل بقتل أنفسهم كما ينص عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] ؟

الجواب: لأن طبيعتهم الشاذة المنهارة الخاوية غير السوية لا تقومها إلا كفارة صارمة، وتأديب عنيف في طريقته، وفي حقيقته. اقتلوا أنفسكم، ليقتل الطائع منكم العاصي ليطهره ويطهر نفسه. إنه لتكليف شاق مرهق مزلزل أن يقتل الأخ أخاه فكأنما يقتل نفسه برضاه، ولكنه كذلك كان تربية لتلك الطبيعة المتمردة المنهارة الخوارة التي لا تتماسك عن شر، ولا تتناهى عن منكر، ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل، وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام وليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربيهم[١] فما أعظم نعمة التوبة تلك التي مَنَّ الله تعالى بها على أمة محمد ﷺ؛ فشتان ما بين النوبتين: توبة اليهود وتوبة المسلمين. والله أعلم

السؤال ٥٨٧: لماذا أوثر جمع القلة «أنفس» على جمع الكثرة «نفوس» في قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ ؟ [البقرة: ٥٤]

الجواب: لتحقير تلك الأنفس وللتقليل من شأنها لعصيانها وتمردها على بارئها، فقد أهدرت باتخاذ العجل إلها كرامتها، وألغت بكفرها نعم الله عليها، وبتمردها وجودها، وأسقطت بتعدي حدود الله حرمتها، فهي قليلة الشأن وضيعة المنزلة وإن كانت كثرة كاثرة، والله أعلى وأعلم.

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٧١). بتصرف يسير.

السؤال٥٨٨: ما معنى الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾؟ وفي قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ﴾ حيث وردتا في قوله: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] ؟

الجواب: الفاء الأولى في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾ للسببية؛ لأن الظلم سبب في أمر موسى عليه السلام لقومه بالتوبة لاتخاذهم العجل إلها من دون الله تعالى.

أما الفاء الثانية في قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فللتعقيب؛ لأن القتل من تمام التوبة والمعنى: فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم.

ويمكن أن يقال أيضا: إنه لما بلغت مفاسد بني إسرائيل وجناياتهم حدًا من الشناعة والفظاعة تجاوز كل حد وتصور؛ شدد الله تعالى عليهم في نوع هذه التوبة بما يتناسب مع عظم جرائمهم فاحتاجت إلى البيان ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ بعد الإجمال ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾. -وهذا من عطف المفصل على المجمل- ولما كان المعطوف نوعا غريبا غير معهود في التوبة عطف بالفاء؛ للإشارة إلى تفاوته عن المعطوف عليه وأنه درجة من التوبة لا يقدر عليها إلا من صح عزمه على تطهير نفسه وعتقها من النار؛ فهو تفاوت مجازي بين العزم على الإقلاع من الذنب وبين قتل النفس في الشدة والدلالة على كمال التوبة. والله أعلم(١).

السؤال٥٨٩: لماذا ذكر من أسمائه سبحانه التواب في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾؟ [البقرة: ٥٤]

الجواب: لأن البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ

---

(١) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (ص٤٨) بتصرف يسير د/محمد الأمين الخضري. وانظر الكشاف للزمخشري (١/٦٩)طبعة دار المعرفة بيروت لبنان، وجامع البيان لابن جرير الطبري (ص٢٢٧)ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (١/١٣٩). دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - القاهرة.

ﵟالرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖﵞ [الملك: ٣]، ومتميزا بعضه عن بعض بالأشكال والصور المتباينة؛ فكان ذلك تعريضا بغبائهم وسخافة أحلامهم وقلة دينهم؛ إذ تركوا عبادة الخالق العليم الحكيم وعبدوا البقر الذي يضرب به المثل في الغباوة. والله أعلم.

السؤال٥٩٠: ما سر تكرار اسم البارئ في قوله تعالى: ﵟذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡﵞ [البقرة: ٥٤]؟

الجواب: كرر اسم البارئ وعدل به عن الإضمار إلى الإظهار حيث كان الظاهر أن يقال: ذلكم خير لكم عنده؛ «اعتناء بالحث على التسليم له سبحانه والتفويض له في كل حال، وتلقي أوامره ونواهيه وكل ما يرد من قبله سبحانه بالإذعان والقبول والرضا»(١). والله أعلم

السؤال ٥٩١: ما سر الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: ﵟفَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚﵞ [البقرة: ٥٤] حيث كان مقتضى الظاهر أن يقال: فوفقتكم فتبت عليكم؟

الجواب: أحسب -والله أعلم- أن السر في العدول عن التكلم إلى الغيبة في الآية الكريمة؛ هو الإعراض عن اليهود وعدم تشريفهم بالخطاب حتى وهم في مقام التوبة وقبولها منهم فلم يقل: فتبت عليكم، وكأن انصرافهم إلى عبادة العجل كانت سببا في انصراف الخطاب الإلهي عنهم حتى بعد قبول توبتهم بقتل أنفسهم. فهل يا ترى أن وراء ذلك الالتفات والانصراف عنهم علم الله تعالى المسبق بهشاشة توبتهم وسرعة نكوصهم عنها ؟ ! الله أعلم بمراده.

---

(١) روح المعاني (١/٤١٣) بتصرف.

السؤال٥٩٢: ما موقع جملة: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ في الآية الكريمة؟ وما غرضها ؟

الجواب: جملة اعتراضية بين قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، والغرض منها تعليل التوبة أو حث المخاطبين عليها. والله أعلم.

السؤال٥٩٣: ما الفرق بين البارئ والخالق ؟

الجواب: البارئ هو الخالق الخلق على تناسب وتعديل فهو أخص من الخالق، ولذلك أتبع به الخالق في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]. والخالق؛ هو المبدع من غير أصل ولا احتذاء كما قال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وهو المقدر الناقل من حال إلى حال. والله أعلم[١].

السؤال٥٩٤: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؟ وما دلالتها؟

الجواب: الفاء تسمى الفاء الفصيحة وهي التي تنبئ عن كلام محذوف، وتقديره في الآية: فامتثلتم فتاب عليكم. وهي تدل على المبادرة بقبول توبته تعالى على بني إسرائيل وعدم تأخيرها إلى ما بعد قتل جميع الذين عبدوا العجل والله أعلم.

السؤال٥٩٥: ما سر التعبير بحرف الاستعلاء «على» في قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ؟

الجواب: للإشارة إلى علوه سبحانه وتعالى عليهم في كفرهم وتوبتهم، وأن ذلك لرحمته بهم لا لحاجته إلى طاعتهم والله أعلم.

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٥٠٤)، والمفردات للراغب مادة (خلق) (ص١٥٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٤٠٢).

السؤال٥٩٦: لماذا أكد التذييل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ؟

الجواب: لأن التوبة بالقتل لما كانت شاقة على النفس «هونها سبحانه بأنه هو الذي يوفق إليها ويسهلها ويبالغ في الإنعام على من أتى بها»(١)، ولذا جاء التوكيد اعتناء بمضمون الكلام أو يمكن أن يرد التوكيد إلى تنزيل بني إسرائيل منزلة من يشك في حصول التوبة عليهم وقبولها منهم؛ لأن حالهم في عظم جرمهم وتطاولهم وتجرئهم على الله تعالى حال من يشك في قبول التوبة عليه والله أعلم(٢).

السؤال٥٩٧: ما علة الجمع بين وصفي التواب والرحيم في الآية ؟

الجواب: لأن توبة الله تعالى على بني إسرائيل كانت بالعفو عن جريمة عبادتهم العجل، وتلك جريمة لا يغفرها إلا التواب الذي يكثر قبول التوبة من المذنبين ويوفقهم إليها.

وختمت الآية بصفة الرحمة «الرحيم»؛ لإنه سبحانه استجاب لدعاء موسى عليه السلام بوقف الأمر بقتل أنفسهم بعد سقوط الآلاف منهم قتلى بأيدي بعضهم بعضا؛ فكان نسخ ذلك رحمة منه سبحانه ببني إسرائيل لئلا تستأصل شأفتهم والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (١/ ٤١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٥٠٥). بتصرف يسير.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٧].

السؤال٥٩٨: ما سر تعدية فعل الإيمان باللام دون الباء في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ... ﴾ [البقرة: ٥٥]؟

الجواب: للدلالة -والله أعلم- أن المخاطبين لن ينقادوا لموسى عليه السلام تمام الانقياد ولن يذعنوا له كامل الإذعان، ولن يؤمنوا بتفاصيل ما جاءهم به من التوراة إلا إذا رأوا الله تعالى رؤية بصرية حسية. وما ذهبنا إليه مستقى من أشهر معانيها وهو الاختصاص فكأنهم قالوا له: لن نخصك بتمام الإذعان والتصديق والانقياد إلا إذا رأينا الله جهرة والله أعلى وأعلم.

السؤال٥٩٩: من المخاطب في قوله -سبحانه -: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ... ﴾ [البقرة: ٥٥] ؟

الجواب: اليهود في عهد النبي محمد عليه السلام، ووجه الخطاب لهم مع أن ما ذكر في هذه الآية وفي السابق لها واللاحق من صنيع أسلافهم؛ لأنهم يلتزمون نهجهم في التعنت والاغترار والكفر والجحود فما أشبه تعنتهم القديم مع رسولهم بتعنتهم الجديد مع رسولنا الكريم، وطلبهم الخوارق منه للتثبت من صدقه!! والله أعلم.

السؤال٦٠٠: علام يدل مناداتهم نبيهم عليه السلام باسمه مجردا ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ ﴾؟

الجواب: يدل على جفائهم وقسوتهم، وغلظتهم وسوء أدبهم مع نبيهم الذي شرفه

الله بالنبوة وبكلامه معه، والذي أكرمهم على يديه فقادهم إلى النجاة من بطش فرعون وآله وتسخريهم لهم بخوارق ومعجزات إكراما لنبيهم موسى عليه السلام، ومع ذلك فإنهم يدعونه باسمه كما يدعو بعضهم بعضا، ولم يخصوه بما يدل على توقيره واحترامه. والله أعلم.

السؤال٦٠١: ما المقصود بقوله: ﴿جَهۡـرَةٗ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةٗ﴾ ؟

الجواب: أصل الجهر: الظهور، ومنه الجهر بالقراءة أي إظهارها والجهر بالمعاصي: المظاهرة بها. والمراد بها في الآية الكريمة عيانا؛ ففي الكلمة استعارة تصريحية حيث استعير الجهر بمعنى الظهور للمعاينة البصرية بجامع الوضوح والانكشاف في كل. وفي ذكر الجهر هنا دلالة على أن طلبهم هو رؤية العيان لا رؤية المنام. والله أعلم

السؤال٦٠٢: علام يدل التعبير بالأخذ في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] **؟**

الجواب: يدل على شدة الأخذ وقوته وبطشه؛ فالأخذ تناول الشيء بجملته بقوة وشدة. وإنما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم؛ لأنهم تجرؤوا فطلبوا ما لم يأذن الله به من رؤيته في الدنيا، فكان في طلبهم من الفظاعة وانتهاك الحرمة ما فيه لذا عوقبوا بالصاعقة. والله أعلم.

السؤال٦٠٣: ما مدلول الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ ؟

الجواب: الفاء للسببية؛ فأخذ الصاعقة لهم كان بسبب قولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةٗ﴾، وفي التعبير بالفاء دلالة على شدة الغضب الإلهي عليهم، حيث بادرهم بالأخذ بالصاعقة فور طلبهم المتعنت. والله أعلم.

السؤال ٦٠٤: من من بني إسرائيل الذي طلب أن يرى الله جهرة ؟ وعلام يدل هذا الطلب ؟

الجواب: الذي طلب هذا الطلب -والله أعلم- هم السبعون رجلا المختارون منهم، الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربه بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٥]؛ فتأمل -يرعاك الله- طلب صفوة الصفوة، وخيرة الخيرة من بني إسرائيل، تأمل صلفهم وسوء أدبهم، وتجاسرهم وانتهاكهم الحرمة؛ فإذا كان هذا طبع علمائهم ومصلحيهم فما بالك بطباع عوامهم وسفهائهم !!

تلك طباع اليهود، وسوء استقامة أسلافهم مع أنبيائهم على الرغم من كثرة معاينتهم من آيات الله عز وجل ومعجزاته الحسية مما تثلج بها الصدور، وتطمئن بها القلوب وتوقن بها النفوس ولكن الآيات الكثيرة والنعم الإلهية الجليلة والعفو والمغفرة كلها لا تغير من تلك الطبيعة القاسية التي لا تؤمن إلا بالمحسوس، والتي تظل مع ذلك تجادل وتناطح وتعاند وتماحل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل، مما يوحي بأن فترة الإذلال التي قضوها تحت حكم فرعون الطاغية وتنكيله بهم وتسخيره لهم قد أفسدت فطرتهم إفسادا عميقا. وليس أشد إفسادا للفطرة من الذل الذي ينشئه الطغيان الطويل، والذي يحطم فضائل النفس البشرية، ويحلل مقوماتها، ويغرس فيها طباع العبيد: خضوعا تحت سوط الجلاد واستسلاما، وتمردا حين يرفع عنها السوط ونكوصا، وتبطرا وصلفا حين يتاح لها شيء من النعمة والقوة... وهكذا كان بنو يهود وهكذا هم في كل حين[١].

---

(١) راجع في ظلال القرآن (١/ ٧٢) بتصرف.

السؤال٦٠٥: ما دلالة التعبير بنون العظمة وبحرف التراخي «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦]؟

الجواب: لأنه لما كان إحياء المخاطبين من بني إسرائيل من بعد موتهم في الدنيا أمرا خارقا للعادة، وفي غاية البعد عبر عنه بنون العظمة وبحرف «ثم» والتراخي في «ثم» تراخ رتبي وليس حقيقيًا، فقد يستعار التراخي في الزمان للتراخي في الرتبة وهو يشير إلى التفاوت والبعد بين منزلة المعطوف ومنزلة المعطوف عليه، وإذا أردت أن نطبق هذا على حرف التراخي في الآية الكريمة هنا، قلنا: إن المعطوف وهو إحياء الله المخاطبين من بني إسرائيل في الدنيا بعد موتهم بالصاعقة عقابا لهم لطلبهم رؤية الله تعالى جهارا أعظم مرتبة، وأرفع درجة وأدل على قدرة الخالق سبحانه من أخذهم بالصاعقة وهو المعطوف عليه ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]؛ فقد أومأ البعد الزماني المدلول عليه ب «ثم» إلى عظم التفاوت بين المتعاطفين وهذا ما يسمى بـ «التراخي الرتبي»، ولا تنس أنه ضرب من التجوز بالاستعارة(١). والله أعلم

السؤال٦٠٦: لم عبر بجمع القلة «أنفس» دون جمع الكثرة «نفوس» في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]؟

الجواب: لتحقير تلك الأنفس العاصية الظالمة وتقليلها والله أعلم.

---

(١) وقد جمع الزركشي الأغراض البلاغية للاستعارة في حرف التراخي «ثم» بقوله: «والحاصل أنها للتراخي في الزمان وهو المعبر عنه بالمهلة وتكون للتباين في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمنية؛ بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله، وأنه لو انفرد لكان كافيا فيما قصد فيه ولم يقصد في هذا ترتيب زماني بل تعظيم الحال فيما عطف عليه وتوقعه وتحريك النفوس لاعتباره» البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٦٨/٤) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل – بيروت – ١٩٨٨م.

السؤال٦٠٧: ما سر تقديم المفعول ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ على فعله ﴿يَظْلِمُونَ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]؟

الجواب: للدلالة على القصر؛ قصر ظلمهم على أنفسهم لا يتعداه إلى الله تعالى، فهم ظالمون أنفسهم وحدها بجحودهم نعم الله تعالى عليهم وبكفرهم وعنادهم والله أعلم.

السؤال ٦٠٨: ما الغرض من الجمع بين الفعلين: الماضي ﴿كَانُوٓاْ﴾ والمضارع ﴿يَظْلِمُونَ﴾ في الآية الكريمة ؟

الجواب: للإشارة إلى تمادي بني إسرائيل في الظلم واستمرارهم عليه. والله أعلم بمراده.

السؤال٦٠٩: ما غرض الالتفات من الخطاب في ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ إلى الغائب في ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]؟

الجواب: لأنهم لما لم يشكروا تلك النعم ويرعوها أعرض بالخطاب عنهم؛ للإيذان باستحقاقهم الغضب. والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)﴾ [البقرة: ٥٧- ٦٠]

وقال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢)﴾ [الأعراف: ١٥٩ – ١٦٢]

السؤال٦١٠: وردت قصة بني إسرائيل في عدة سور منها سورتي البقرة والأعراف، فما سياق القصة في السورتين؟

الجواب: إن المتأمل لسياق القصة في السورتين؛ يلحظ أنها وردت في سورة البقرة في سياق تعديد النعم التي منَّ الله تعالى بها على بني إسرائيل بدءًا من إنجائهم من فرعون وآله، وإغراق عدوهم، وتفضيلهم على سائر الأمم في زمانهم ثم العفو عنهم بعد عبادتهم العجل، ثم إنزال التوراة التي فيها هدايتهم على نبيهم موسى ثم بعثهم برد الروح إليهم بعد موتهم بالصاعقة في الدنيا إلى تظليل الغمام عليهم، وإنزال المن

والسلوى عليهم ليأكلوا من طيبات رزق الله تعالى. وهذا ما دلت عليه الآيات (٤٠ – ٥٧) في سورة البقرة. المقام إذن مقام تكريم وتفصيل لنعم الله تعالى عليهم وتعدادها.

أما السياق في الأعراف فسياق زجر وتوبيخ وتقريع وتأنيب لهم؛ فإنهم بمجرد إنجائهم من عدوهم وخروجهم من البحر سالمين بعد إغراق فرعون وآله وبعد أن عاينوا من المعجزات الحسية الباهرة ما عاينوا وهم في طريق الخروج من مصر فإنهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم أوثانًا يعبدونها من دون الله،وهذا ما نص عليه قوله سبحانه: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، كما أنهم عبدوا العجل بعد أن ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه لتلقي التوراة، كما انتهكوا حرمة السبت وأخذوا يصطادون الحيتان. إذن السياق في الأعراف سياق تقريع وتوبيخ. وتذكر دائمًا أن اختلاف السياقين في السورتين هو الأساس في اختلاف بعض الألفاظ في الآيات المتشابهة في قصة بني إسرائيل في السورتين: البقرة والأعراف. والله أعلم.

السؤال ٦١١: ما سر إسناد القول إلى نون العظمة -الجمع- في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟﴾ [البقرة: ٥٨]؟ وما سر بناء القول لمجهول في قوله – سبحانه -: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟﴾ [الأعراف: ١٦١]؟

الجواب: أسند القول إلى نون العظمة «قلنا» في البقرة لورودها في سياق ذكر النعم عليهم، حيث قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]؛ لذا كان الملائم في مقام التشريف والتكريم والإنعام أن يسند القول إلى الله تعالى بنون العظمة. ولأنهم لا يستحقون هذا التكريم في الأعراف بُني الفعل للمجهول، ولم يكرمهم بشرف الخطاب فلم يظهر اسمه تعالى فيها. أما في البقرة

فأكرمهم بشرف الخطاب لمناسبته لسياق التكريم. والله أعلم.

السؤال٦١٢: لماذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ﴾ [البقرة: ٥٨] **بالعطف بالفاء ﴿فَكُلُواْ﴾؟ ولماذا قال في** [الأعراف: ١٦١]: **﴿ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ﴾ بالعطف بالواو؟**

الجواب: في عطف الأكل بالفاء «فكلوا» إشارة إلى أن الأكل يكون عقب دخول بني إسرائيل القرية مباشرة، فبمجرد دخولهم يأكلون، أما عطف الأكل بالواو في الأعراف «وكلوا»؛ ففيه دلالة على أن الأكل لا يكون إلا بعد السكن وليس بعد الدخول، كما أنه ليس محددًا بزمن ولا بوقت، فالأكل في البقرة معد ومهيأ قبل السكن والاستقرار؛ أما الأكل في الأعراف فلا يتأتى لهم إلا بعد السكن والاستقرار؛ لذا فمقام التكريم في البقرة أفضل. والله أعلم.

السؤال٦١٣: لماذا أثبت لفظ «رغدًا» في البقرة، ولم يثبته في الأعراف حيث قال في [البقرة: ٥٨]: **﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، وقال في** [الأعراف: ١٦١]: **﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾؟**

الجواب: قال سبحانه: «رغدًا» في البقرة؛ لأنه مناسب لمقام التكريم وتعداد النعم، ولأن النعم تكون بهذا اللفظ أتم؛ لأن معناه: الواسع الهنيء، ففي «رغدًا» ترخيص لهم بالأكل الواسع الكثير، وليس عليهم القناعة لسد الجوعة. ولم يقل «رغدًا» في الأعراف؛ لأن المقام زجر وتوبيخ وأنهم لا يستحقون إلا ما يسد جوعتهم من الأكل. والله أعلم.

«ثم انظر إلى تناظر قصة موسى عليه السلام مع قصة آدم عليه السلام فقد قال سبحانه في قصة آدم في البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [آية: ٣٥]، فذكر الرغد في الآية نظير ما ذكر في قصة موسى عليه السلام في البقرة؛ لأن الجو

فيها جو تكريم لآدم وتكريم لذريته من بني إسرائيل، ولم يذكر سبحانه ذلك في قصة آدم في الأعراف فلم يثبت «رغدًا»؛ مثلما لم يذكرها في قصة موسى فقال سبحانه: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ [الأعراف: ١٩] ، والعلة في ذلك أن السياق في الأعراف سياق عقوبات وتأنيب»(١).

السؤال٦١٤: لِمَ قدم السجود على القول في البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ [البقرة: ٥٨] ؟ ولمَ عكس ذلك في الأعراف فقدم القول وأخر السجود في قوله سبحانه: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ [آية: ١٦١] ؟

الجواب: قدم السجود في البقرة؛ لأن في السياق السابق حديثًا عن الصلاة والركوع، لذا كان من الملائم –والله أعلم– تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع، حيث ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٣٦ – ٤٣] ، أما في سورة الأعراف فلا يوجد حديث عن الصلاة؛ لذا والله أعلم أخر السجود فيها.

السؤال٦١٥: لماذا كان التعبير بجمع الكثرة في قوله تعالى في [البقرة: ٥٨]: ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ ﴾ ؟ ولماذا جاء التعبير بجمع الله في الأعراف ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٦١]؟

الجواب: عبر بجمع الكثرة «خطايا» في البقرة لمناسبته للتكريم ولسياق تعديد

(١) انظر التعبير القرآني (صـ٣١٩). بتصرف يسير – د.فاضل صالح السامرائي

النعم على بني إسرائيل، فالله يغفر لهم الخطايا الكثيرة في هذا السياق. وعبر بجمع القلة «خطيئاتكم» في الأعراف؛ لمناسبته لسياق التوبيخ والتقريع والتأنيب فيها. والله أعلم.

السؤال ٦١٦: لماذا قال سبحانه في سورة البقرة ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ بإثبات الواو، وقال في سورة الأعراف ﴿سَنَزِيدُ﴾ بدون الواو؟

الجواب: أثبت الواو في البقرة في «وسنزيد»؛ لمناسبته لسياق التكريم وتعديد النعم وضروب الآلاء والامتنان بالإحسان إلى بني إسرائيل والعفو عن زلاتهم، وهذا التنوع والتعداد يناسبه ذكر الواو. ولم تثبت الواو في الأعراف لما سبق قوله من أن السياق فيها سياق تأنيب وزجر وليس سياق تعداد للنعم ليناسبه ذكر الواو. والله أعلم.

السؤال ٦١٧: لِمَ قال تعالى في سورة البقرة (٥٩): ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا﴾ بدون «منهم»؟ ولِمَ قال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا﴾ [البقرة: ١٦٢] بإثبات «منهم»؟

الجواب: أثبت «من» في (الأعراف: ٥٩)؛ لأنه سبحانه قال فيها: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾، ثم قال تعالى في الأعراف أيضًا: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ فيكون الظالمون من قوم موسى عليه السلام بإزاء الهادين منهم، ففي الآية الأولى [الأعراف: ١٥٩] ذكر أمة عادلة، وههنا [الأعراف: ١٦٢] ذكر أمة ظالمة، وذكر بعدها قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]؛ فكان هذا إشارة إلى أنهم -بني إسرائيل- لم يكونوا ظالمين؛ لذا كان من الملائم إثبات «من» للدلالة على التبعيض. أما في سورة البقرة فلم يذكر سبحانه في الآيات التي قبل ذكر ذلك التخصيص بذكر «من» في الآية الكريمة المشار إليها. والله أعلم بمراده[1].

---

(١) راجع مفاتيح الغيب للرزاي (١/ ١٣١) بتصرف، ودرة التنزيل وغرة التأويل (صـ١٢) لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكاني – المكتبة التوفيقية– القاهرة.

ولعل مما اقتضى حذف «من» في البقرة في قوله سبحانه-: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ المناسبة لمقام ولسياق التكريم لهم فلم يصرح فيها بأن الظالمين منهم. وأثبت «من» في الأعراف بالتصريح بأن الظالمين من بني إسرائيل؛ لأن هذا ملائم لمقام التوبيخ والتنكير والتأنيب. والله أعلم.

السؤال ٦١٨: لماذا قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ...﴾ [البقرة: ٥٩] ؟ ولماذا قال في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢] ؟

الجواب: استعمل الإنزال في البقرة، والإرسال في الأعراف؛ لأن الإرسال أنكى في العقوبة وأفظع من الإنزال بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٣-٥]، فاستعمل الإرسال في سياق البطش وتسليط العذاب. إذن فذكر الإرسال في سورة الأعراف جاء مناسبًا لسياقها. ولأن الإنزال يفيد حدوث العذاب -على حسب مقام الآية- في أول الأمر فكان أخف وأهون منه في الآية الأخرى -في الأعراف- وهذا ينسجم مع سياق سورة البقرة.[1] والله أعلم وهناك تعليل آخر لذا الاختلاف، وهو تعليل لفظي أشار إليه الكرماني بقوله: «وفي هذه السورة -البقرة- ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [البقرة: ٥٩]، وفي الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ [آية: ١٦٢]؛ لأن لفظ الرسول والرسالة كثرت في الأعراف فجاء ذلك وفقًا لما قبله، وليس كذلك في سورة البقرة»[2]. والله أعلم

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للرازي (١/ ١٣٢).

(٢) أسرار التكرار في القرآن للكرماني (ص٣٠).

السؤال٦١٩: لم قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾، وقال في الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ بحذف الجار والمجرور في البقرة وإثباته في الأعراف ؟

الجواب: «قال في سورة الأعراف: «عليهم» وهو أعم من الأول.. أي أن العقوبة أعم وأشمل وهو المناسب لمقام التقريع»[(١)] والله أعلم

السؤال٦٢٠: لماذا قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩]، **وقال في الأعراف: ﴿بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ ؟** [الأعراف: ١٦٢]

الجواب: «لأن الظلم أشد من الفسق، وهو المناسب لـ «إرسال» العذاب، فذكر في كل سياق ما يناسبه» والله أعلم [(٢)].

السؤال٦٢١: ما الغرض من وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩]، **وكان الظاهر أن يقال: فأنزلنا عليهم.... ؟**

الجواب: للمبالغة في تقبيح شأنهم، وللإشعار بعلة عذابهم وذلك بظلمهم وإضرارهم أنفسهم بترك ما يوجب نجاتها. والله أعلم[(٣)].

السؤال ٦٢٢: ترد القصة في القرآن الكريم -في كثير من المواضع- أحداثها غير مرتبة كما هي عليها في الواقع، فما تفسير ذلك؟

الجواب: لا يلتزم في ذكر القصة في القرآن الكريم بتتابع أحداثها، وإنما يذكر منها الأهم فالمهم، وذلك جريا على سنن العرب. والله أعلم

---

(١) التعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرائي (صـ٣٢١).

(٢) التعبير القرآني (صـ٣٢٢).

(٣) انظر تفسير الجلالين (١/ ٥٧) الجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي بهامش الفتوحات الإلهية – طبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – بدون تاريخ، وانظر وروح المعاني (١/ ٤٢٣).

السؤال٦٢٣: لماذا قال سبحانه في سورة [البقرة: ٦٠]: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، **وفي** [الأعراف: ١٦٠]: ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾؟

الجواب: الانبجاس ابتداء الانفجار فيكون للماء القليل، والانفجار غاية له فيكون للماء الكثير[1]، وكلا اللفظين تطلبه مقامه، فالمقام في البقرة مقام تكريم وامتنان؛ لذا ناسبه الامتنان عليهم بالماء الكثير، وفي البقرة موسى عليه السلام هو الذي طلب السقيا لقومه فكان من الملائم إكرامًا له أن تكون السقيا بالماء الكثير، كما أن الله تعالى أمر موسى مباشرة بأن يضرب بعصاه الحجر ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾؛ فناسب ذلك انفجار الماء الكثير.

أما في الأعراف فلأن المقام تأنيب وتوبيخ فناسبه ذكر الماء القليل الذي يطفئ غلتهم، هذا من ناحية، ولأمر آخر هو أن قوم موسى عليه السلام هم الذين طلبوا السقيا من موسى ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾؛ فكان طلبهم ابتداء منهم فاختير اللفظ الذي يشبه ذلك الابتداء بالدلالة على ابتداء خروج الماء، كما أن مقام القوم لا يرقى أبداً إلى مقام موسى عليه السلام؛ لذا كان ماء السقيا قليلاً عندما طلبوه، وكثيرًا غزيرًا عندما طلبه موسى عليه السلام فجاء بالانبجاس في الأعراف، وبالانفجار في البقرة.

ومن جهة ثالثة؛ فإن الله تعالى لم يشافه موسى عليه السلام بالقول مباشرة بأن يضرب بعصاه الحجر كما في الأعراف قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فالقول المباشر من الله أكمل وأشرف من الإيحاء؛ فموسى عليه السلام في سورة البقرة كان في مقام أرقى فناسب ذلك إجابة سؤاله بالماء الغزير المعبر عنه بالانفجار، وفي سورة الأعراف كان في مقام أقل لعدم المشافهة

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٤١٩).

مباشرة؛ لذا كان من الملائم ذكر ما يدل على الماء القليل وهو الانبجاس. والله أعلم بمراده [١]. ويمكن أن يضاف أيضًا لتعليل هذا الاختلاف -بجانب ما سبق- أن الله تعالى قال في سورة البقرة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٠]؛ فجمع لبني إسرائيل بين الأكل والشرب فناسب ذلك أن يبالغ في الماء فقال سبحانه: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾، وفي الأعراف ذكر الأكل فقط فقال سبحانه: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠] فلم يذكر الشرب؛ لذا لم يبالغ في الماء فقال سبحانه: ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ [٢]. والله أعلم

(١) انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (١/٨٧-٨٨)، تحقيق محمد علي البجاوي – دار الثقافة العربية للطباعة.

(٢) انظر أسرار التكرار في القرآن للكرماني (ص٣٠)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١ ﴾ [البقرة: ٦٠-٦١].

السؤال٦٢٤: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ [البقرة: ٦٠]

الجواب: الفاء الفاء الفصيحة، وهي التي تنبئ عن كلام محذوف قبلها، وتقدير المحذوف المعطوف عليه في الآية الكريمة: فضرب فانفجرت ... فقد طوت الفاء الحدث -المعطوف عليه-، ومن بلاغة هذا الحذف الذي دلت عليه الفاء في الآية الكريمة ما أشارت إليه من ربط المسببات بالأسباب؛ فإن انفجار الحجر مرتب في الظاهر على الضرب بالعصا لا على الأمر بالضرب، إذ لو كان مرتبا على الأمر لَوجَّهَهُ الله تعالى إلى الحجر مباشرة، فالله تعالى قادر على تفجير الماء وفلق العصا من غير ضرب ولكن الله تعالى أراد أن يكون الضرب بالعصا معجزة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يجريها على يديه مع العلم بأن الضرب بالعصا ما هو إلا سبب ظاهر، وليس مؤثرا حقيقيا، ولو فجَّر سبحانه الماء مباشرة بأمر التكوين منه سبحانه دون أن يكون فعل ظاهر من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كان ذلك معجزة له.

وفي حذف المعطوف عليه -الضرب الواقع من موسى بالعصا-؛ إشعار بأن انفجار الحجر بالماء كان مطاوعة لأمر الله تعالى، وكأن الأمر وُجِّه إليه فاستجاب، وكأنه انفعل انفعالا ذاتيا وحقق ما أراده الله تعالى فور سماع أمر الضرب لموسى.(١) والله أعلم

وفي حذف الحدث «الضرب» -المعطوف عليه- تنبيه على أن السبب الأصلي في انفجار الحجر بالماء هو أمره تعالى لا ضرب موسى الحجر بعصاه، فليست في العصا قدرة خاصة تتميز بها عن غيرها من العصي «وإنما هي قارنت قدرة الله تعالى المؤثرة لتكون سببا ظاهرا تربط فيه الأعين بالعقول بين الأسباب ومسبباتها، ففي حذف ضرب موسى حث للعقول على الربط بين الأثر والمؤثر الحقيقي حتى يدفع الوهم بأنه في عصا موسى يقبع الإعجاز والحق أنه بأمر الآمر كان الانفجار».(٢)

وأخيرا فمن خلابة الفاء هنا ما أشارت إليه -بحذف الضرب الواقع من موسى- من إسراع موسى عليه السلام ومبادرته لتنفيذ أمر الله تعالى فور سماعه لتلبية رغبة قومه ورغبته في الحصول على الماء. وما قلناه في الفاء في آية البقرة في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] والله أعلم.

السؤال٦٢٥: لماذا أوثر النفي بـ«لن» في قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ...﴾؟ [البقرة: ٦١]

الجواب: أوثرت «لن» في الآية الكريمة على غيرها من أدوات النفي؛ لدلالتها على

---

(١) انظر حاشية القطب التحتاني على الكشاف (١/٢٢٨) لقطب الدين الرازي تحقيق د.إبراهيم الجعلي - مخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) من أسرار حروف العطف (ص ٧٦). د. محمد الأمين الخضري.

توكيد النفي واستمراره في المستقبل فهي تكشف عن سوء طوية بني إسرائيل، وخبايا أنفسهم من قوة الإصرار على العناد والتمرد واللجاجة في الطلب حتى مع الله تعالى ورسله الكرام. والله أعلم

السؤال٦٢٦: علام عطف قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ...﴾؟ [البقرة: ٦١]**، وما سبب العطف ؟**

الجواب: عطفت هذه الآية على ما قبلها من الآيات؛ لأن السياق سياق تعداد لنعم الله تعالى على بني إسرائيل وتذكيرهم بها وبجحودهم وإنكارهم وعنادهم. والسبب في عطفالآية على ما قبلها اتفاقها معها -الجمل التي قبلها- في الخبرية لفظا ومعنى، وهو ما يسمى عند أهل البلاغة بالتوسط بين الكمالين.[1] والله أعلم

السؤال٦٢٧: علام يدل قولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ...﴾ ؟ [البقرة: ٦١]

الجواب: يدل على كراهيته ذلك الطعام وكان المن والسلوى، فكأنهم طلبوا زواله ومجيء غيره. والله أعلم

السؤال ٦٢٨: لماذا قال بنو إسرائيل: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: ٦١] **ولم يقولوا: فادع لنا ربنا ؟ وما سر ذكر وصف الربوبية في الآية ؟**

الجواب: أوثر لفظ «رب» ؛لما فيه من معاني اللطف والرعاية والإنعام. وإنما طلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعو لهم؛ لمكانته عند الله تعالى، ولأن دعاء الأنبياء أدعى للقبول وأقرب للإجابة. وقالوا: «ربك» ولم يقولوا: ربنا؛ «لأن في ذلك من الاختصاص به ما

---

(١) التوسط بين الكمالين من مواضع الوصل وهو أن تتفق الجملتان - المعطوفة والمعطوفة عليها - خبرا وإنشاء لفظا ومعنى.

ليس فيهم من مناجاته وتكليمه وإيتائه التوراة، فكأنهم قالوا له: ادع لنا المحسن إليك بما لم يحسن به إلينا، فكما أحسن إليك من قبل نرجو أن يحسن إليك في إجابة دعائك»(١).

هذا ما علل به الألوسي قولهم: «ربك» دون: ربنا. ولكنني أكاد أستشف من عدم قولهم: «ربنا» عجرفة وتعاليا حتى على ربهم وهم في التيه في جوف الهلاك وفي فم الموت. كان الأولى بهم وهم في التيه بعد أن كتبه الله عليهم أربعين عاما لرفضهم دخول الأرض المقدسة أن يقولوا: ادع لنا ربنا، فهم في موقف المستغيث المتضرع، ولكنهم لسوء أدبهم قالوا: ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ وقد تكرر هذا منهم، فقد قالوا لموسى عليه السلام: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]. ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ... ﴾ [البقرة: ٧٠]. وكأنه ربه وحده وليس ربهم أيضا. والله أعلم بمراده.

السؤال ٦٢٩: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿ تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾؟ [البقرة: ٦١]

الجواب: مجاز عقلي؛ لأن المنبت هو الله تعالى. وعلاقة هذا المجاز المكانية؛ لأن الأرض مكان الإنبات. والله أعلم

السؤال ٦٣٠: ما الغرض من الاستفهام في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ... ﴾؟ [البقرة: ٦١]

الجواب: الغرض الإنكار المشوب بالتعجب، حيث زهد بنو إسرائيل في الطعام اللذيذ الطيب الذي أنزله الله عليهم وهم في التيه من غير كد وتعب، ورغبوا في الخسيس وهذا لا يقوله عاقل راشد بل سفيه أحمق. والله أعلم

(١) روح المعاني (١/٤٣٣).

السؤال٦٣١: ما المراد بقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾؟

الجواب: المراد: ادخلوا، وعليه ففي اللفظ استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه الدخول بالهبوط بجامع الدنو. والله أعلم

السؤال ٦٣٢: كيف قال -سبحانه- على لسان موسى: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ...﴾ [البقرة: ٦١] **والتبديل ليس لهم، وإنما مرجع ذلك إلى الله تعالى؟**

الجواب: لأن التبديل لما كان يحصل بسؤالهم أضافه إليهم. والله أعلم

السؤال٦٣٣: ما نوع الاستعارة في قوله سبحانه: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾؟ [البقرة: ٦١]

الجواب: استعارة مكنية، حيث شبهت الذلة والمسكنة في إحاطتها به وملازمتها لهم بالخيمة المضروبة على قوم، فحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه «الضرب». والله أعلم

السؤال٦٣٤: لم أوثر العطف بالواو في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ...﴾؟ [البقرة: ٦١]

الجواب: لإبرازه في معرض الاستقلال عما قبله، وأنه ليس متفرعا على قول موسى عليه السلام والله أعلم

السؤال٦٣٥: ما علة الجمع بين الفعلين: الماضي والمضارع في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١] **حيث عطف ﴿يَعۡتَدُونَ﴾ على ﴿عَصَواْ﴾؟**

الجواب: للدلالة على دوام عصيانهم وتجدد اعتدائهم، وتعمدهم ذلك والله أعلم

السؤال٦٣٦: ما علاقة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] بما قبله ؟

الجواب: جاء علة لما قبله من ضرب الذلة والمسكنة على اليهود وإلحاق الغضب بهم.

السؤال٦٣٧: ورد قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] فأتبع الذلة بالمسكنة، وفي قوله سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [آية: ١١٢] أخر المسكنة ولم تتبع الذلة كما في البقرة فما السر في ذلك ؟

الجواب: نشير أولا إلى أن الخطاب في الآيتين لبني إسرائيل، ولعل السر في هذا الاختلاف الوارد في السؤال أنهم لما طلبوا من موسى عليه السلام في سورة البقرة أن يسأل ربه أن يبدلهم مأكلهم الذي كان يتنزل عليهم من السماء عند الحاجة، وكان طعام ترفه -المن والسلوى- وكانوا لا يبذلون جهدا ولا يجدون عناء في تحصيله لما طلبوا منه أن يبدلهم مأكلهم بمأكل فيه خسة، ويستلزم الذلة والصغار والمهانة في سبيل تحصيله والتوصل إلى الانتفاع به؛ لذا أنكر عليهم موسى فقال موبخا لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ فلما سألوا ما يستلزم مهانة النفس، ودناءة الحال؛ لأنه لا يتوصل إليه إلا بتكلف عمل ومشقة فلما سألوا ما حاصله خسة وامتهان ناسب ذلك أن يبنى عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم، ثم أردف ذلك بذكر ما باءوا به من غضب الله الذي سبق به القدر عليهم.

وفي سورة آل عمران، لما تقدم قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن

يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آية: ١١]؛ ناسب هذا تقديم ما لا مضرة لهم معه ولا فلاح، وهو ما باءوا به من غضب الله عليهم، فقال سبحانه: وباءوا بغضب من الله عليهم، فقال سبحانه: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فجاء كل على ما يناسب مقامه(١) والله أعلم بمراده

السؤال٦٣٨: لم قال -سبحانه-: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] وقتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق ؟

الجواب: المعنى: بغير الحق في اعتقادهم؛ فالإتيان بالباطل قد يكون حقا؛ لأن الآتي به اعتقده حقا لشبهة وقعت في قلبه، فقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا، فأما أن يقدم عليه مع علمه بقبحه فذلك في غاية الشناعة، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فهؤلاء اليهود قتلوا أشرف خلق الله وهم الأنبياء دون أن يكون لهؤلاء القتلة مسوغا لهم في اعتقادهم، ولا مبررا في كتابهم الذي لا يبيح قتل النفس بغير الحق، هذا وجه، وهناك تعليل آخر لذكر قوله - تعالى -: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو أن التصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ في ذمهم، وإن كانت تلك الصفة لازمة الفعل(٢).

السؤال٦٣٩: ورد قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [آية: ٦١] بتعريف كلمة «الحق»، ووردت تلك الكلمة نكرة في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] ، فما سبب هذا التغاير؟

الجواب: المذكورون في الآيتين بنو إسرائيل، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) انظر ملاك التأويل للغرناطي (١/ ٧٠) بتصرف.

(٢) انظر من غرائب آي التنزيل لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (صـ١٥)المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، وانظر ملاك التأويل (١/ ٧٢).

﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ بتنكير «حق» زيادة في حملة التشهير بهم والتشنيع بأفعالهم القبيحة التي بلغت مداها بقتلهم الأنبياء بغير سبب ولا شبهة، وذلك أوغل في ذمهم وسوء حالهم؛ لأنهم لا يمكنهم أبدا تبرير ذلك. إذن المقام في آل عمران مقام توبيخ وزجر لهم، ولا يوجد فيه ذكر لفضائلهم ولا تعداد لنعم الله عليهم، لأنها كانت في اليهود الذين عاشوا في زمنه ﷺ ولم يؤمنوا به، أما آية البقرة فنزلت في أسلافهم الذين لم يشاهدوا أمر محمد ﷺ ولم يعاصروا بعثته ولا دعوته.

ولقد عرفت سابقا أن قصة بني إسرائيل في سورة البقرة قد وردت في سياق تكريم لهم وتعداد لنعم الله تعالى عليهم، وقد ورد في سورة البقرة تعديد لهم بالمخالفات التي ارتكبوها، والموبقات التي اقترفوها والمَنّ عليهم بالعفو عن بعضها، ولكن لأن السياق سياق تكريم لهم فقد استثني بعضهم من الوصف بالكفر والظلم والفسق بدليل قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [البقرة: ٥٩] ، وقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]. فهم وإن وصفوا بالكفر والاعتداء إلا أنهم ليسوا في ارتكاب البهت والمجاهرة بالباطل وموالاة التمرد والاعتداء حال أشباههم من المعاصرين لنبي ﷺ؛ لذا ناسب حالهم في سورة البقرة التعبير بقوله: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾؛ إذ ليس المعرف في قوة المنكر المرادف لقولك: بغير سبب.

وأوجز لك ما سبق فأقول: إن تعريف الحق في قوله: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ معناه: بغير وجه الحق المبيح للقتل في شريعتهم، وهذا أخف في الإنكار من تنكير «حق» في قوله: ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾؛ لأن معناه: بغير سبب ولا مبرر قتلوا الأنبياء، ولا وجه للحق المبيح للقتل في شريعتهم، وإنما اقترفوا ذلك طغيانا وكفرا وتمردا وتماديا في الضلال، فجاء التعبير بكل مناسبا لسياقه والله أعلم(١).

---

(١) انظر ملاك التأويل (١/ ٧١-٧٣)ومفاتيح الغيب (١/ ١٤٥).

إن قوله تعالى في وصف قتلهم للأنبياء بأنه «بغير الحق» أو «بغير حق» وصف؛ لإفادة عتوهم وكفرهم وتجبرهم وتمردهم لا لبيان أن القتل للنبيين قد يكون بوجه حق لأن الأنبياء عليهم السلام مبرؤون مما يوجب القتل بل لبيان أن فعلهم إثم وليس له مبرر، وأن كونه بغير حق للتشنيع على فعلهم وقبيح تصرفاتهم، وقد علل الله ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]. وما ذكر في الآية جريمة أخرى من جرائم بني إسرايل فهم لا يكتفون بعصيان الله وكفرهم بآياته بل يزيدون على ذلك لرسوخهم في الضلال بقتلهم النبيين الأبرار الذين أرسلهم الله تعالى إليهم لهدايتهم. والله أعلم

السؤال٦٤٠: ما سر التعبير بالجمع في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ٦١]

التعبير بالجمع ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ فيه دلالة على أنهم قتلوا عددا كثيرا منهم كلما خالفوا هواهم، لا يرعون مقامهم ولا شرفهم عند الله تعالى.

السؤال٦٤١: ما دلالة التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ٦١].

الجواب: للدلالة على استمرار كفرهم وتكرره بتكرار الآيات فما جاءتهم آية إلا وكفروا بها. وللدلالة على تكرار القتل، وكأن قتلهم أنبياءهم كان عادة لهم وشأنا لتغلغل الكفر والعصيان في نفوسهم؛ فالقتل والاعتداء والعصيان من طباعهم التي جلبوا عليها. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن
تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ
﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا
تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا
قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٦٢-٧١].

السؤال٦٤٢: لماذا قدم سبحانه ذكر النصارى في قوله في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]؟ **ولماذا أخرهم في سورة المائدة في قوله -سبحانه-:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]؟

الجواب: قدم النصارى على الصابئين في سورة البقرة في قوله -سبحانه-: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾؛ لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة؛ لأنهم أهل

كتاب فقدمهم في البقرة،وأخر ذكر الصابئين لتأخرهم عن الأصناف المذكورة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ لأنهم ليسوا أهل كتاب وليسوا مثلهم في أحوالهم.

وقدم ذكر الصابئين في سورة المائدة على ذكر النصارى فقال: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾؛ لأنهم متقدمون عليهم في الزمان فقد كانوا قبلهم. واعلم أن ترتيب الطوائف المذكورة في آية سورة البقرة جاء على حسب ترتيب الكتب المنزلة إليهم، فأخر المجوس؛ لأنهم لا كتاب لهم. فإن قلت: لم قدم المؤمنين في السورتين ؟ قلت: لشرفهم. وجاء ترتيب الطوائف في المائدة على حسب الكتب المنزلة وعلى حسب الترتيب بالزمان، بيان ذلك أن تقديم الصابئين فيها على النصارى يدل على ترتيب الزمان؛ لأنهم كانوا قبلهم، ومجيء اللفظ «الصابئون» مرفوعا بين المنصوبات يدل على نية تأخيرهم والترتيب بالكتب السماوية. وجاء ترتيب هذه الطوائف في سورة الحج على حسب الأزمنة؛ فقدم«الصابئين» على «النصارى»؛ لأنهم قبلهم، ولم يقصد الترتيب بالكتب؛ لأن أكثر المذكورين ممن لا كتب لهم، فالمجوس والصابئين والذين أشركوا لا كتب لهم، تجد هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وأخر ذكر المشركين في آية الحج، وإن تقدمت لهم أزمنة؛ لأنهم كانوا أكثر من ابتلى بهم الرسول ﷺ فكانوا أهل زمانه أيضا.والله أعلم

السؤال٦٤٣: ما سر ترتيب الطوائف المذكورة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ..﴾ [البقرة: ٦٢]

الجواب: بدأ -سبحانه- بالمؤمنين وقدمهم لشرفهم؛ لإيمانهم بكل ما جاء به النبي محمد عليه السلام ولإيمانهم بكل الرسل والأنبياء والكتب السماوية السابقة، ثم ثنى

بذكر أهل الكتابين: اليهود والنصارى؛ لأنهم ليسوا كافرين بكل الرسل، ولا منكرين لكل ما أنزل من الكتب، فكانوا أقرب إلى المؤمنين لولا التبديل والتغيير والتحريف. وقدم اليهود على النصارى؛ لأن السياق السابق في آية سورة البقرة كان خطابا لهم، ولأنهم كانوا أولى الناس بأن يكونوا في صفوف المؤمنين الداعين إلى الله تعالى لعظيم ما رأوا من المعجزات الحسية، ولأنهم كانوا أهل علم. والنصارى أقرب إلى الصابئين من حيث التثليث وعدم الإيمان بوحدانية الخالق - سبحانه - ومن حيث سوء نظرهم في ذلك وقصورهم، ولأمر آخر تأخر ذكر النصارى عن اليهود في الآية ألا وهو أنهم لم يجر لهم ذكر في السياق السابق للآية، بخلاف اليهود، لذا قدم اليهود عليهم، وإن كانت يهود شر الطائفتين. والله أعلم[١].

السؤال٦٤٤: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٦٣] فقد ختمت الآية بقوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ﴾ وفي قوله -سبحانه-: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٩٣]. ختمت الآية بقوله: ﴿وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ فما السر في هذا التغاير؟

الجواب: الخطاب في الآية الأولى لأسلاف اليهود المعاصرين للنبي محمد ﷺ، وقد ذكر قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة: ٥٣]. والكتاب: التوراة، وهم بلا شك سمعوه، لذا جاء بقوله: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ﴾ فكان هذا مناسبا عقب ذكر كتابهم، أما الخطاب في الآية الثانية فكان اليهود المعاصرين للنبي ﷺ والذين لم يؤمنوا بدعوته وأعرضوا عن سماع القرآن

(١) انظر ملاك التأويل (١/ ٧٧).

الكريم المنزل من عند الله، والدليل على ذلك قوله تعالى -قبل الآية الثانية-: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١]؛ فهم يكفرون بالقرآن وهو الحق المصدق لما جاءهم في التوراة، فلما تقدم ذكر القرآن وهم معرضون عن سماعه ناسب أن تختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿وَٱسْمَعُوا﴾ حثا لهم على سماع القرآن الكريم. والله أعلم بمراده.

السؤال٦٤٥: ما سبب العدول عن الجمع إلى المفرد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ [البقرة: ٦٣]؟

الجواب: لم يقل -سبحانه-: مواثيقكم؛ لأن ما أخذ على كل واحد من بني إسرائيل أخذ على غيره، فكان ميثاقا واحدا. والمراد بالميثاق: العهد، وكان بالانقياد لموسى عليه السلام والعمل بالتوراة[١]. والله أعلم بمراده

السؤال ٦٤٦: لم فصلت جملة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣] عما قبلها ؟

الجواب: لأنها علة الأمر في قوله تعالى: ﴿ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٦٣]. والله أعلم.

السؤال٦٤٧: بم يوحي استخدام «لعل» في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٦٣]

الجواب: يوحي -والله أعلم- بأن حدوث التقوى منهم أو اتصافهم بها بعد كل ما رأوا من المعجزات الحسية، وبعد إسباغ نعم الله تعالى عليهم أمر غير متيقن أو مستبعد، والدليل على ذلك تكرر التعبير بـ«لعل» في قصة بني إسرائيل عدة مرات بعد ذكر نعمة من نعمه تعالى عليهم، أو جريمة من جرائمهم وإتباعها بالتوبة عليهم، وعفو

---

(١) روح المعاني (١/٤٤٣).

الله عنهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٢] بعد قوله: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، بعد قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣]، فلو لم يكن شك في شكرهم وفي هدايتهم وتقواهم لقيل: لتشكروا، ولتهتدوا، ولتتقوا. والله أعلم بمراده.

السؤال٦٤٨: ماذا أفاد حرف التراخي «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؟ [البقرة: ٦٤]

الجواب: أفاد استبعاد إعراضهم عن الوفاء بالميثاق بعدما رأوا الجبل مرفوعا فوقهم. والله أعلم.

السؤال٦٤٩: لِمَ لم يبدأ قوله -سبحانه-: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ...﴾ [البقرة: ٦٥] بـ«إذ» المشعرة بزمن القصة وبتحقق وقوعها جريا على نهج السياق السابق كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم ...﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا ...﴾ [البقرة: ٥١] ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ...﴾ [البقرة: ٥٣]؟

الجواب: «أن هذه القصة - والله أعلم - المشار إليها في هذه الآية ليست من القصص التي تضمنتها كتب التوراة مثل القصص الأخرى المأتي في حكايتها بكلمة «إذ»؛ لأنها متواترة عندهم، بل هذه القصة وقعت في زمن داوود عليه السلام فكانت غير مسطورة في الأسفار القديمة، وكانت معروفة لعلمائهم وأحبارهم فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ عليها، وتلك معجزة غيبية، وأوحى إليه في لفظها ما يؤذن بأن العلم بها أخفى من العلم بالقصص الأخرى، فأسند الأمر فيها لعلمهم إذ قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾»(١).

(١) التحرير والتنوير (١/٥٤٣).

السؤال٦٥٠: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ؟

[البقرة: ٦٥]

الجواب: الأمر للتسخير والتكوين؛ فالأمر ليس على حقيقته؛ لأن صيرورة هؤلاء المخاطبين من بني إسرائيل إلى قردة وخنازير ليس لهم تكسب فيه؛ لأنهم ليسوا قادرين على قلب أجسادهم وأعيانهم، بل المراد تعلق القدرة الإلهية بنقلهم من حقيقة البشرية إلى حقيقة القردة. وفي التعبير بالأمر التكويني -كن-؛ إشارة إلى سرعة هذا التكوين وهذا التحول، وأنهم صاروا كذلك كما أراد -سبحانه- من غير امتناع ولا لبث؛ فقد استحالوا قردة وخنازير بمجرد صدور الأمر. والله أعلم(١).

لقد حق على بني إسرائيل جزاء نكث عهدهم مع الله، والنكوص عن مقام الإنسان ذي الإرادة، فانتكسوا بهذا إلى عالم الحيوان والبهيمة، الحيوان الذي لا إرادة له، والبهيمة التي لا ترتفع عن دعوة البطون انتكسوا بمجرد تخليهم عن الخصيصة الأولى التي تجعل من الإنسان إنسانا. خصيصة الإرادة المستعلية المستمسكة بعهد الله.(٢). والله أعلم

السؤال ٦٥١: لماذا أكد الخبر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ...﴾ ؟ [البقرة: ٦٧]

الجواب: لرد الإنكار الذي تولد في نفوس قوم موسى عن هذا الأمر غير المألوف عندهم. والله أعلم

السؤال٦٥٢: ما دلالة التنكير في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ ؟

الجواب: الغرض التيسير عليهم بذبح أي بقرة مبهمة غير متعينة. والله أعلم

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية (١/ ٦٢)، و روح المعاني (١/ ٤٤٧).

(٢) انظر في ظلال القرآن (١/ ٤٤٧).

السؤال٦٥٣: ما الغرض من الاستفهام في قوله -سبحانه-: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ...﴾؟ [البقرة: ٦٧]

الجواب: الاستفهام مجازي غرضه الإنكار والاستخفاف. والله أعلم

السؤال٦٥٤: لم فصلت جملة ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا﴾ عما قبلها ؟

الجواب: للاستئناف البياني -شبه كمال الاتصال- حيث وقعت جوابا عن سؤال مقدر تقديره: فماذا قالوا ؟ والله أعلم

السؤال٦٥٥: ماذا تلمح في رد موسى عليه السلام على استفهام قومه بقوله -كما حكاه القرآن عنه-: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ ؟ [البقرة: ٦٧]

الجواب: نفى موسى عليه السلام عن نفسه ما توهمه قومه فيه من أنه يهزأ بهم؛ لأن هذا لا يليق في أثناء تبليغ أمر الله تعالى، لأنه حينئذ جهل وسفه. نفى موسى عن نفسه هذا الوهم منهم والذي يدل على سوء أدبهم مع نبيهم،وسوء اعتقادهم فيه وتكذيبهم له إذ لو كانوا موقنين من صدقه لما استفهموا هذا الاستفهام نفاه على أبلغ وجه وأكده بإخراجه ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه، وأخرجه في صورة الاستعاذة استفظاعا له واستعظاما لما أقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها، ولسوء ظنهم به، وشكهم في صدقه.(١) والله أعلم

السؤال٦٥٦: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ ؟ وقوله: ﴿مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ ؟ [البقرة: ٦٨-٦٩]

الجواب: الاستفهام حقيقي. والله أعلم

---

(١)انظر إرشاد العقل السليم (١/ ١١١)، وروح المعاني(١/ ١٤٥).

السؤال٦٥٧: علام يدل تكرار الاستفهام من بني إسرائيل في شأن ذبح البقرة؟

الجواب: يدل هذا على لجاجتهم وتعنتهم وتباطئهم في تنفيذ ما يؤمرون به، ولو سارعوا بذبح أية بقرة لأجزأ هذا عنهم، ولكن لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم حيث ترتب على تعنتهم نسخ الحكم الأول بذبح أية بقرة بالثاني بأنها بقرة صفراء فاقع لونها، والثاني بالثالث بأنها: بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك لقد ضيقوا على أنفسهم سعة الاختيار فأصبحوا مكلفين أن يبحثوا لا عن بقرة مجرد بقرة بل عن بقرة متوسطة السن، وهي بعد ذلك صفراء فاقع لونها.(١) والله أعلم

السؤال٦٥٨: تكرر الجمع بين المضمر والمظهر لشيء واحد هو البقرة في قوله سبحانه على لسان موسى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ ثلاث مرات، وكان يكفي أن يقول «إنها» دون أن يذكر المظهر «بقرة»؛ فما السر في ذلك ؟

الجواب: يدل على غباء القوم، وأن مقتضى حالهم الإطناب، كما أن فيه تقريرا لشأن تلك البقرة، وقطع طرق التحايل أمامهم.(٢) والله أعلم

السؤال٦٥٩: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٧١]

الجواب: الفاء فاء الفصيحة حيث أنبأت عن كلام محذوف تقديره: فحصلوا البقرة فذبحوها. ولا يخفى أن المقدر -المحذوف- جملة معطوف عليها، وفي الآية إيجاز بالحذف. والله أعلم

---

(١) «إن السمات الرئيسة لطبيعة بني إسرائيل تبدو واضحة في قصة البقرة هذه: انقطاع الصلة بين قلوبهم، وذلك النبع الشفيف الرقراق نبع الإيمان بالغيب، والثقة بالله ولاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل، ثم التلكؤ في الاستجابة للتكاليف، وتلمس الحجج والمعاذير، والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب، وسلاطة اللسان».

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم د. عبد العظيم المطعني (١/٦٨).

السؤال٦٦٠: الفعل «كاد» من أفعال المقاربة، ونفي مقاربة الفعل -أي ذبح البقرة- في قوله -سبحانه-: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ يفيد عدم وقوعه بالأولى، وهنا الاستشكال؛ إذ كيف يتفق نفي مقاربة الفعل -الذبح- مع وقوع ذبح البقرة بنص قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ ؟!

الجواب: يمكن الرد برأي أحد أئمة اللغة وهو الزجاجي، وبرأي كثيرين من النحاة بأن «كاد» له خصوصية في النفي والإثبات بمعنى أن نفيه إثبات، وإثباته نفي، فقولنا: «كاد يفعل كذا» معناه: قرب من أن يفعل لكنه ما فعله، وقولنا: «ما كاد يفعله»، معناه كـ «قرب» من أن لا يفعل لكنه فعل.(١) وعليه فالمعنى في الآية: ذبحوا البقرة وما كادوا يذبحونها. والله أعلم.

السؤال٦٦١: ما دلالة التعبير بفعل المقاربة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٧١]

الجواب: يدل على أنهم ذبحوها مكرهين أو كالمكرهين؛ لما أظهروا من المماطلة، فقد ذبحوها في حال تقرب من حال من لا يفعل(٢)؛ لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم لنبيهم عليه السلام. والله أعلى وأعلم والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر مفاتيح الغيب (١/١٦٩).

(٢) انظر التحرير والتنوير (١/٥٥٧).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٥]

السؤال٦٦٢: علام يدل العطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٧٢]؟

الجواب: يدل على سرعة التدارؤ أي التخاصم في شأن النفس بمجرد قتلها. والله أعلم

السؤال٦٦٣: لم نسب القتل إلى المخاطبين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ ؟

الجواب: لوجوده فيهم على طريقة العرب في نسبة الأشياء إلى القبيلة إذا وجد من بعضها ما يذم به أو يمدح. والله أعلم

السؤال٦٦٤: يدل قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ على أنه سبحانه مظهر لا محالة ما كان المخاطبون من اليهود يكتمونه من أمر القاتل والقتيل، ومن المعلوم أن ذلك القتيل لم يكن دمه بأول دم يهدر ظلمًا في الأمر؛ فما الحكمة من تعلق إرادة الله تعالى بكشف حال قاتلي أو قاتل هذا القتيل؟

الجواب: لعل الحكمة في ذلك والله أعلم أن فيه إكرامًا لموسى عليه السلام أن يضيع دم في قومه وهو بينهم، ومرأى منه ومسمع، ولاسيما وقد قصد القاتل استغفال موسى، ودبر الأمر بليل في إظهاره المطالبة بدية عمه الذي قتله ليرثه؛ فلو لم يظهر الله تعالى

القاتل لضعف يقين بني إسرائيل برسولها -ويقينهم أصلاً ضعيف-، ولكان ذلك مما يزيدهم شكًا في صدقه فينقلبوا على أعقابهم كافرين، فكان إظهار هذا القاتل وكشفه كرامة لموسى عليه السلام ورحمة بالأمة لئلا تضل.

وعلى الرغم من أنه قد ضاع دم في زمن نبينا محمد ﷺ إلا أنه لم يتكفل سبحانه بإظهاره؛ لظهور الفرق بين الحالين بانتفاء تدبير المكيدة، وانتفاء شك الأمة في رسولها ﷺ وهي خير أمة أخرجت للناس. والله أعلم(١).

السؤال٦٦٥: ما الغرض من الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] **إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾** [البقرة: ٧٣]؟

الجواب: الالتفات لتربية المهابة. والله أعلم

السؤال٦٦٦: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿اضْرِبُوهُ﴾ وقوله: ﴿بِبَعْضِهَا﴾؟ [البقرة: ٧٣]

الجواب: الضمير في «اضربوه» يعود إلى القتيل. والضمير في «ببعضها» يعود إلى البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها. والله أعلم

السؤال٦٦٧: بم يشعر التعبير بحرف الترجي «لعل» في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؟

الجواب: الشك أو عدم القطع في انتفاعهم بما رأوا من آيات الله ومعجزاته؛ لطبيعتهم العنيدة المتأبية. والله أعلم

---

(١) انظر التحير والتنوير (١/ ٥٦١).

السؤال ٦٦٨: ما الحكمة من اشتراط ضرب القتيل لإحيائه ببعض من البقرة المذبوحة مع كمال قدرة الله تعالى على إحيائه من أول الأمر بلا واسطة ؟

الجواب: لاشتماله «على التقرب إلى الله تعالى، وأداء الواجب ونفع اليتيم حيث كانت البقرة التي اشتراها بنو إسرائيل من أمه له، والتنبيه على بركة التوكل على الله... وأن المؤثر هو الله، وإنما الأسباب أمارات لا تأثير لها»(١).

إن هذه البضعة من البقرة المذبوحة لا حياة فيها، ولا قدرة لها على الإحياء، ولكنها مجرد سبب ظاهر يكشف لبني إسرائيل عن كمال قدرة الله تعالى التي يشاهدون آثارها ولا يدركون كنهها، و﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كذلك بمثل الذي يرونه واقعًا أمامهم، ولا يدرون كيف وقع، وبمثل هذا اليسر الذي لا مشقة فيه ولا عسر. والله أعلم

السؤال٦٦٩: ما الحكمة من أمر بني إسرائيل بذبح البقرة ؟

الجواب: ليكشف بجزء منها عن قاتل النفس المحرمة بغير حق، ولاختبار مدى انقيادهم للتكاليف، واستجابتهم لأوامر الله تعالى، ولتعريتهم أمام أنفسهم بكشف تلكؤهم في الاستجابة، وتعنتهم وتمحل المعاذير، وتلمس الحجج، ولفضح بذاءتهم وسلاطة ألسنتهم، وصفاقة قلوبهم. والله أعلم.

السؤال ٦٧٠: يفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] أن قتل النفس وقع قبل ذبح البقرة، وكأنه قيل: وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها؛ فقلنا: اذبحوا بقره اضربوه ببعضها. فما السر في تغيير ترتيب الحكاية ؟

الجواب: غَيَّر الله تعالى ترتيب الحكاية بقصد -والله أعلم- تكرير التوبيخ

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ١١٤) بتصرف يسير.

والتقريع؛ فإن ما ذكر من قتل النفس المحرمة والاستهزاء بموسى عليه السلام، والشك في صدقه، وترك المبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى، والتلكؤ في تنفيذه، وكثرة مراجعاتهم لموسى عليه السلام؛ فكل واحد منها جناية عظيمة تستوجب إفرادها بالتوبيخ والتشنيع، ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها وإفراده بما يخص بها من التوبيخ. والله أعلم.

السؤال٦٧١: ما دلالة حرف التراخي «ثم» في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة: ٧٤]؟

الجواب: لاستبعاد قسوة قلوبهم بعد ما رأوا من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى ما من شأنه أن يقتلع تلك القسوة من تلك القلوب المتحجرة. فالتراخي في الآية مجازي، وهو الترتيب الرتبي، -وقد شرحنا معناه في أكثر من إجابة سابقة- والله أعلم.

السؤال٦٧٢: من المقصود بالخطاب في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ ؟ [البقرة: ٧٤]

الجواب: اليهود المعاصرون للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. والله أعلم

السؤال ٦٧٣: بم شبهت قسوة قلوب اليهود في الآية الكريمة ؟

الجواب: بالحجارة. ووجه الشبه القسوة، وقد قدم في الآية ما يهيئ لوجه الشبه وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ والله أعلم.

السؤال٦٧٤: لماذا أوثر تشبيه قلوب بني إسرائيل بالحجارة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ؟ [البقرة: ٧٤].

الجواب: لأن صلابة الحجر محسوسة ومشاهدة؛ فهي أعرف للناس وأشهر. كما أن الحجارة التي تشبه قلوبهم بها، فإذا قلوبهم أقسى منها. هي حجارة لهم بها سابق عهد

ومعرفة، فقد رأوا الحجر ينفجر منه الماء، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله تعالى، وخر موسى صعقًا. والله أعلم بمراده.

السؤال ٦٧٥: جاء التعبير عن قسوة قلوب اليهود بالجملة الفعلية في قوله -سبحانه-: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ وبالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ فما السر في ذلك؟

الجواب: للدلالة على استمرارهم في الثبات على قساوة قلوبهم. والله أعلم بمراده

السؤال٦٧٦: ما دلالة «أو» في قوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ؟

الجواب: «أو» في الآية بمعنى «بل» حيث بني وجه الشبه على القسوة والشدة والصلابة، ثم عقب التشبيه بالترقي إلى التفضيل في وجه الشبه [١]. والله أعلم

السؤال٦٧٧: ما وجه تفضيل قلوب اليهود على الحجارة في القساوة ؟

الجواب: أن قلوب اليهود قلوب صلدة يابسة لا يتسرب إلى داخلها شعاع هداية، ولا تلين لموعظة فاشتركت مع الحجارة في جنس القساوة إلا أنها فاقت تلك الحجارة في قساوتها لما سبق ذكره؛ أما الحجارة فقد يعتريها التحول عن صلابتها وقسوتها وشدتها بالتفرق والتشقق كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ ﴾ أما قلوبهم فلا تنقاد لمعجزة، ولا تخشع لآية؛ فلم تتأثر بشيء ففاقت قسوتها قسوة الحجارة من هذا الوجه. والله أعلم.

---

(١) راجع التحرير والتنوير (١/ ٥٦٣).

السؤال٦٧٨: لم ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ [البقرة: ٧٤] بعد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٧٤] أليس في هذا تكرارًا للمعنى ؟

الجواب: نعم، ليس في هذا تكرار؛ لأن التفجر يدل على خروج الماء بغزارة وكثرة، وأما التشقق فيدل على بداية خروج الماء وهما متغايران فلا تكرار إذن. والله أعلم(١).

السؤال ٦٧٩: ما المقصود من هبوط الحجارة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ؟ [البقرة: ٧٤]

الجواب: هنا مجاز عن الانقياد لأمر الله والخضوع له. وهذا مجاز مرسل بعلاقة الإطلاق والتقييد، أو استعارة تمثيلية. وذهب بعض المفسرين إلى أن خشية الحجارة من الله تعالى حقيقية ولا مجاز فيها، فإن الله تعالى جعل لهذه الأحجار التي تهبط من خشيته -سبحانه- تمييزًا أقام لها مقام الفعل المودع فيمن يعقل. وهذا ما أرجحه -والله أعلم- ؛ فقد وصف -سبحانه- بعض الحجارة بالخشية وبعضها بالإرادة ووصف جميعها بالنطق والتحميد والتأويب والتصدع، وكل هذه صفات لا تصدر إلا عن أهل التمييز والمعرفة، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] ، وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. والله أعلم بمراده(٢).

السؤال ٦٨٠: علام يدل قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٧٤]

الجواب: فيه وعيد شديد لهؤلاء اليهود لقسوة قلوبهم. والله أعلم

---

(١) انظر مسائل الرازي وأجوبتها (ص١٦).

(٢) راجع البحر المحيط (١/ ٤٣١- ٤٣٢).

السؤال٦٨١: من المقصود بالخطاب في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ...﴾ [البقرة: ٧٥]؟

الجواب: الخطاب للمؤمنين بالنبي ﷺ المعاصرين له، وهم الأنصار وكانوا حلفاء اليهود، وبينهم جوار ورضاعة وكانوا يطمعون في إسلامهم. والمعنى: أفترجون يا معشر المؤمنين بمحمد ﷺ أن يصدقكم يهود بني إسرائيل بما جاءكم به نبيكم من عند ربكم ؟[1] والله أعلم.

السؤال ٦٨٢: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ ﴾؟

الجواب: الإنكار والاستبعاد. والمقصود إنكار الواقع أي طمع المؤمنين في إيمان اليهود؛ لا انحرافهم عن الفطرة السوية ولتحريفهم ما يسمعونه من كلام الله بعد أن فهموه واستوعبته عقولهم. والله أعلم

السؤال ٦٨٣: ما سر تعدية فعل الإيمان باللام في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾؟ [البقرة: ٧٥]

الجواب: في تعدية الفعل باللام دلالة على الانحياز إلى الرأي والاستجابة والتصديق، وذلك انطلاقًا من طبيعة اللام الدالة على اختصاصه بهذا المعنى، واستحقاقه للتصديق وهذا ما لا يكون إلا من بشر لمثله، فلا يقال: آمن لله ولا لكتبه. والمعنى بناء على ما سبق: إنكار واستبعاد إذعان وانقياد وتصديق هؤلاء اليهود لما يدعوهم إليه المسلمون. والله أعلم

---

(١) راجع جامع البيان لابن جرير الطبري (١/ ٢٩٠).

السؤال ٦٨٤: كيف ينكر الطمع في إيمان اليهود، والرسول ﷺ والمسلمون مأمورون بدعوتهم إلى الإيمان؟

الجواب: الإنكار واقع على الطمع في إيمانهم لا على دعوتهم للإيمان، لأننا ندعوهم للإيمان وإن كنا آيسين منه لإقامة الحجة عليهم. والله أعلم

السؤال ٦٨٥: بم علل إنكار الطمع في إيمان بني إسرائيل المعاصرين للنبي ﷺ؟

الجواب: بقوله سبحانه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] والمراد بالفريق منهم أحبارهم من أسلافهم، والمعنى: إن هؤلاء اليهود قد سلفت لآبائهم أفاعيل سوء وعناد حيث كانوا يسمعون التوراة ويفهمونها ثم يحرفونها وهم واعون عالمون بجريمة ذلك، ومخالفته لأمر الله ونبيه، فكيف تطمعون أيها المؤمنون في إيمان اليهود الذين بين أظهركم وهم على سنن آبائهم وأسلافهم سائرون؟ لأن قومًا توارثوا تلك الصفة لا يطمع في إذعانهم لأمر رسولكم وإيمانهم به. والله أعلم

السؤال ٦٨٦: ما دلالة «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ....﴾؟ [البقرة: ٧٥]

الجواب: تدل على الاستبعاد والتوبيخ مجازًا، والتراخي في الآية تراخ رتبي، أي يبعد من العقل اجتراؤهم على تبديل كلام الله وتغييره عن مقصده بعد سماعه ووعيه وفهمه. والله أعلم

السؤال ٦٨٧: ما الغرض من جملة الحال ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؟ [البقرة: ٧٥]

الجواب: زيادة التشنيع على هؤلاء اليهود، وتسجيل لخيانتهم أمانة الوحي على أتم وجه من الخيانة، وفي هذا زيادة تأييس من إيمان اليهود المعاصرين للنبي ﷺ -ولا يعكر هذا إيمان بعضهم-؛ فالمراد: لا طمع لكم أيها المؤمنون في إيمان حلفائكم من اليهود؛ لأن قومًا هذه صفات علمائهم وأحبارهم وخاصتهم، وقد بلغت الغاية في التجرؤ والخسة والانحراف والانحطاط، فما بالكم بصفات عوامهم ودهمائهم ؟! والله أعلم

السؤال ٦٨٨: ما الغرض في حذف مفعول «يعلمون» في قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؟ [البقرة: ٧٥].

الجواب: لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، حيث يمكن تقديره بـ: وهم يعلمون أنهم كاذبون، أو أنهم حرفوه أو أنه الحق، أو ما في تحريفه من العقاب. وحذف المفعول أيضًا مراعاة لفواصل الآيات التي تنتهي بالنون. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [البقرة: ٧٦- ٨٠].

السؤال٦٨٩: كشف -سبحانه- في قوله: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ... ﴾ [البقرة: ٧٦] عن جانبين من قبائح أفعال اليهود في زمن الرسول محمد ﷺ وضح ذلك.

الجواب: كشفت الآية عن جانب من محاولة منافقي اليهود خداع أصحاب النبي ﷺ بقولهم لهم إذا لاقوهم: «آمنا» بالذي آمنتم به، ونشهد بأن محمدًا ﷺ صادق، وأن قوله حق، وأننا نجد نعوته وأوصافه في كتابنا. كما كشفت في الجانب الثاني عن شيء من أسرارهم التي كانت تدور بينهم، حيث كان رؤساؤهم يسارعون في لوم منافقي اليهود؛ لكشفهم للمؤمنين عن شهادة التوراة عن نبوة محمد ﷺ. والله أعلم

السؤال ٦٩٠: ما سر إيثار التعبير بالماضي «آمنا» في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾؟ [البقرة: ٧٦]

الجواب: للمبالغة -من اليهود- في خداع المؤمنين؛ بإظهار دعوى إيمانهم -اليهود- مخرج الأمر الثابت الواقع المتحقق. والله أعلم

السؤال ٦٩١: ما الغرض من التعبير عن البيان والفهم بالفتح في قوله تعالى: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؟ [البقرة: ٧٦]

الجواب: «للإيذان بأنه سر مكنون، وباب مغلق لا يقف عليه أحد» ولا ينبغي له أن يفتحه.(١) والله أعلم

السؤال ٦٩٢: ما نوع اللام في قوله سبحانه: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ...﴾؟ [البقرة: ٧٦]

الجواب: اللام للتعليل، وهي ترشيح لاستعمال الاستفهام في الإنكار والتوبيخ في قوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ والمراد تأكيد إنكار رؤساء اليهود، وتشديد توبيخهم لمنافقي قومهم؛ حيث إن مجرد التحديث بما بينه الله لهم من نعوت النبي محمد ﷺ وبصحة نبوته في توراتهم وإخبارهم المؤمنين بذلك لاستمالة قلوبهم، مجرد التحدث بهذا منكر في نفسه، لكن التحديث به لأجل أن يكون حجة للمؤمنين على اليهود مما لا يكاد يصدر عن عاقل. ومما لا يكاد يخفى أن ذلك ليس بمقصد هؤلاء المنافقين من اليهود، ولكن فعلهم هذا لما كان مستتبعا له أنزلهم مُوَبِّخِيهم من قومهم منزلة القاصدين لهذا الغرض المذكور ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ إظهارا لكمال سخافة عقولهم، وسوء تقديرهم. والله أعلم

السؤال٦٩٣: ما الغرض من الاستفهامين ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ في الآية الكريمة؟

الجواب: الغرض من الاستفهام الأول ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ التسفيه والإنكار والتوبيخ. وهذا هو الغرض نفسه من الاستفهام الثاني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. والله أعلم

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/١١٧).

السؤال٦٩٤: لِمَ لم يذكر في الآية الكريمة جواب الملومين من اليهود للائميهم من أحبارهم بالتبرؤ من التحدث للمؤمنين بما فتح الله به عليهم ؟

الجواب: لأن القرآن ليس بصدد حكاية مجادلاتهم وأحوالهم وأحواله بالتفصيل -فيما بينهم-؛ فإنها أقل من ذلك، وإنما يحكى منها ما فيه شناعة حالهم وسوء سلوكهم، ودوام إصرارهم وانحطاط أخلاقهم، فتبرؤهم مما نسب إليه كبراؤهم من التهمة معلوم.(١) والله أعلم

السؤال٦٩٥: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٧٧]

الجواب: التوبيخ والتسفيه لهؤلاء اليهود لأن الله تعالى يعلم تلك الحقائق المسطرة عندهم في التوراة سواء أفشوها أم كتموها. والله أعلم

السؤال ٦٩٦: لماذا أكد الخبر في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ...﴾ ؟

الجواب: لتنزيلهم منزلة المنكر لما بدا عليهم من أمارات الإعراض والإنكار والله أعلم.

السؤال ٦٩٧: لم قدم الإسرار على الإعلان في قوله: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ؟

[البقرة: ٧٧]

الجواب: لأنهم أسروا الكفر أمام المؤمنين، وأعلنوه أمام أنفسهم وإخوانهم من

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٥٧٢).

اليهود. ففي الجملة لف ونشر مرتب.(١) والله أعلم

السؤال٦٩٨: ما الغرض من الطباق في قوله: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؟

الجواب: بيان إحاطة علمه -سبحانه وتعالى- وشموله. والله أعلم

السؤال٦٩٩: ما سر تقديم الجار والمجرور «منهم» في قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ...﴾؟ [البقرة: ٧٨]

الجواب: للتشويق إلى المؤخر «أميون» والمقصود طائفة العوام من اليهود. والله أعلم

السؤال٧٠٠: ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾؟ [البقرة: ٧٨].

الجواب: الاستثناء منقطع؛ لأن المستثنى منه «أماني» من غير جنس المستثنى «الكتاب» والمعنى: لا يعلمون شيئا من كتابهم التوراة إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فقلبوها واعتمدوها. والله أعلم

السؤال٧٠١: ما نوع الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؟ [البقرة: ٧٨]

الجواب: أسلوب أكد به جهل طائفة العوام - الذين لا يقرؤون ولا يكتبون - من اليهود، والمعنى: ليس علمهم إلا ما يظنونه علما وما هم بمتيقنين. وقد أكد -سبحانه-

---

(١) اللف والنشر: هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع مع يرده إليه والنشر ضربان: إما أن يكون على ترتيب اللف كقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]. والثاني: إما أن يكون على غير ترتيب اللف كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

قصر علمهم على الظن الذي يتجدد لهم حالا بعد حال؛ لذا عبر بالمضارع إشارة إلى ظنهم يتجدد ويستمرون في أكاذيب يبتدعونها وظنونا يختلقها لهم أحبارهم. وقد استخدم أقوى أساليب القصر وهو النفي والاستثناء لتأكيد المعنى المذكور.

السؤال٧٠٢: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ٧٩] ؟

الجواب: الفاء سببية، فما بعدها مترتب على قوله سبحانه: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الدال على وقوع تحريف منهم عن قصد فرتب عليه الإخبار باستحقاقهم سوء المصير أو رتب عليه إنشاء استفظاع حالهم. والله أعلم(١).

السؤال٧٠٣: ما نوع التراخي في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٩] ؟

الجواب: التراخي في «ثم» رتبي؛ لأن ادعاءهم بأن ما حرفوه هو من عند الله أشد من كتابتهم الكتاب وأفظع، فقد تجوز ببعد الزمان عن البعد في الحال والمنزلة، وهذا معنى يختص به حرف التراخي «ثم»، ولو قيل: فيقولون هذا من عند الله؛ لذهب المعنى المشار إليه. وقد أشاع التراخي هنا التوبيخ والتقريع لهؤلاء الذين يكتبون ما لم يأتهم من رسلهم ثم ينسبونه إلى الله تعالى زورا وبهتانا؛ لذا أكد وعيدهم وتوعدوا بعذاب مبهم يذهب العقل في تصوره كل مذهب والله أعلم.

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٥٧٥).

السؤال٧٠٤: ما فائدة ذكر القيد ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ والكتابة لا تكون إلا باليد، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾؟

الجواب: لتأكيد الكتابة، وأنها كتابة حقيقية لا مجازية وأنهم قاصدون ذلك. وفيه تصوير لحالهم وهم يكتبون بأيديهم وهذا ما دل عليه التعبير بالمضارع ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦].

السؤال ٧٠٥: ما المقصود بالثمن في قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؟ ولماذا وصف الثمن بأنه قليل؟

الجواب: المراد بالثمن عرض الدنيا أو الرشا والمآكل التي كانت لهم؛ والضمير في «به» عائد على المكتوب المحرف الذي نسبوه إلى أنه من عند الله. ووصف الثمن بالقلة؛ لكونه حقيرًا أو فانيًا أو حرامًا أو لا يوازنه شيء؛ لا ثمن ولا مثمن والله أعلم.

السؤال ٧٠٦: لم تكرر الوعيد لأحبار اليهود في الآية الكريمة؟

الجواب: لأنهم ضلوا بتحريفهم كتابهم -التوراة-، وأضلوا عوامهم بأن غيروا لهم أحكام الدين على ما يوافق أهواءهم، ولأنهم كذبوا على الله تعالى، وضموا إلى ذلك حب الدنيا الفانية. إذن عرفت أن ذلك الوعيد مرتب على كتابة الكتاب المحرف، وعلى إسناده إلى الله تعالى، وكلاهما منكر، والجمع بينهما أشد نكارة والله أعلم.(١)

---

(١) انظر البحر المحيط (١/ ٤٤٤).

السؤال٧٠٧: جاء وصف الأيام بالمفرد ﴿مَّعۡدُودَةٗ﴾ في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾ [البقرة: ٨٠]. وجاء في سورة آل عمران وصف الأيام بالجمع ﴿مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [آل عمران: ٢٤] فما السر في هذا التغاير مع أن الموصوف في الموضعين ﴿أَيَّامٗا﴾ واحد ؟

الجواب: القائل في الموضعين هم اليهود قالوا ما قالوا استهزاءا واستخفافا وجرأة واستهانة بعذاب الله تعالى وقبل الإجابة نشير بداية إلى أن الإفراد ﴿مَّعۡدُودَةٗ﴾ قائم مقام جمع الكثرة؛ لأن في التعبير بالإفراد إرادة الجنس الصالح للقليل والكثير لما لا يتسع له الجمع القليل وأن جمع القلة يوصف بالقلة؛ وذلك على عادة العرب ذهابا منهم إلى أن جمع القلة نص في الدلالة على قلة الموصوف(١). ونعود الآن لبيان وجه البلاغة في إيثار الوصف بالمفرد في البقرة، والوصف بالجمع في آل عمران، فنقول – والله أعلم –: إن كل سياق هو الذي استدعى ما ذكر فيه.

فسياق آل عمران سياق تعجب وتشنيع على اليهود؛ فاقتضى ذلك مبالغتهم في تهوين العذاب وتقليله فأوثرت صيغة الجمع ﴿مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ آية آل عمران جاءت عقب حجاج أهل الكتاب ومجادلتهم رسول الله ﷺ بالباطل ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ

---

(١) انظر البحر المحيط (١/٤٤٥). وقال الحريري: «كذلك اختاروا –العرب– أيضا أن ألحقوا بصفة الجمع الكثير الهاء فقالوا: أعطيته دراهم كثيرة، وأقمت أياما معدودة، وألحقوا بصفة الجمع القليل الألف والتاء فقالوا: أقمت أياما معدودات وكسوته أثوابا رقيقات وأعطيته دراهم يسيرات وعلى هذا جاء في سورة البقرة: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾ وفي سورة آل عمران ﴿إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ كأنهم قالوا أولا بطول المدة التي تمسهم فيها النار ثم تراجعوا عنه فقصروا تلك المدة» درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (ص١٠١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار نهضة مصر للطبع والنشر.

لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]. ثم أتبع بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤].

وفي هذا تعجب من إعراضهم عن الحق، وتوليهم عن الاحتكام إلى كتاب الله تعالى؛ ففي مقام اللجاج والجدال والمعاندة اندفع اليهود إلى أقصى حد من المبالغة، زاعمين إلى أن أيام تعذيبهم تقف عند أقل العدد. ومما يدل على شدة مبالغتهم في النفي في آل عمران تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

أما سياق الآية في سورة البقرة؛ فهو أقل توترا حيث وردت في سياق إخبار من الله تعالى عن جنايات اليهود وتعديد لجرائمهم، ومنها قولهم هذا اغترارا واستخفافا بعذاب الله، فجاء تهوينهم للعذاب في هذا السياق أقل مبالغة في النفي وقد أعقب قولهم في البقرة بقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فوصفهم بالتقول على الله، وهو أقل حدة من صريح الافتراء؛ لذا كان من الملائم في هذا المقام استخدام صيغة المفرد الدالة على الكثرة والله أعلم[1].

السؤال٧٠٨: بم يوحي إيثار المس على الإصابة في قوله تعالى -حكاية عن اليهود-: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]؟

الجواب: أوثر «تمسنا» على تحرقنا أو تصيبنا؛ لما في المس من الخفة واليسر، وهذا ما يقتضيه المقام الذي يزعمون فيه عدم خلودهم في النار والله أعلم.

---

(١) انظر البحر المحيط (١/٤٤٥)، والإعجاز البياني في صيغ الألفاظ د. محمد الأمين الخضري (ص٢٢٥، ٢٢٦)، مطبعة الحسين الإسلامية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

السؤال٧٠٩: ما نوع المجاز في إسناد المس إلى النار في قوله تعالى: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ [البقرة: ٨٠] ؟

الجواب: مجاز عقلي؛ لأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى في إسناد اليهود العذاب إلى النار وتحويله من الله تعالى وهو فاعله الحقيقي؛ تهوين من شأن العذاب، وإشعار بأن الله تعالى لن يريد بهم سوءًا والله أعلم.

السؤال٧١٠: ما منهج القرآن الكريم في استعمال «اللمس» و«المس»؟

الجواب: تشترك الكلمتان في أصل الدلالة، وهو ملاقاة جسم لآخر وبالنسبة ل «لمس»؛ فلم يرد في القرآن إلا خمس مرات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

ويمكن بيان منهج القرآن الكريم في استعمال «المس» من خلال هذه الآيات الكريمة في النقاط الآتية:

١. جاء اللمس في القرآن مقصودا منه ملاقاة جسم لآخر مع المبالغة فيه فمثلا الذين كفروا لو أنزل إليهم كتابا مكتوبا من السماء فإنهم يلمسونه بشدة بقصد الاختبار والتأكد.

٢. جاء اللمس فيه كناية عن الطلب أو استعارة له.

٣. ندرة ورود «اللمس» في القرآن بالنسبة للمس «مس».

ثانيا: المس: من الآيات القرآنية التي ورد فيها المس قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة ٧٨- ٧٩].

ويتضح من خلال استقراء هذه الكلمة في لغة القرآن الكريم ما يلي:

١. كثرة ورودها فيه.

٢. ترددها بين المعاني الحقيقية والكنائية والمجازية.

٣. استعمالها في مقام الشرور أكثر من مقام الخيور.

٤. اشتراكها مع «لمس» في أصل الدلالة وتفردها بخفة الملاقاة بين الماس والممسوس.

٥. تردد إسنادها بين الخالق والمخلوق بخلاف «لمس»؛ فلم تسند إلى الله قط لا حقيقة ولا مجازا.

٦. المس المسند إلى الله تعالى معناه ابتلاءاته نعما كانت أو نقما، وليس بمعنى ملاقاة جسم لآخر رعاية لتنزيه الله تعالى وتقديسه عن صفات الحوادث وهذا مما يلفت النظر إلى سمو لغة القرآن المعجزة وحسن وفائها لعقيدة التوحيد[1].

السؤال ٧١١: ما الفرق بين المس والإصابة؟

الجواب: المس أدنى درجات الإصابة والله أعلم.

السؤال ٧١٢: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة: ٨٠]؟

الجواب: الإنكار والتوبيخ والله أعلم.

السؤال٧١٣: ما المراد بالعهد؟

الجواب: الوعد المؤكد بقسم، وعليه فإن إطلاق العهد عليه استعارة تصريحية أصلية والله أعلم.

---

(١) دراسات في إعجاز القرآن (ص٨٦، ٩٢) د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

السؤال ٧١٤: لم أوثر النفي بلن في قوله تعالى: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [البقرة: ٨٠]؟

الجواب: لتأكيد انتفاء خلودهم في النار، أو عذابهم فيها أزمانا طويلة، وهذا مأخوذ من دلالة «لن» على استغراق الأزمان والله أعلم.

السؤال٧١٥: لم قيل «أتخذتم» ولم يقل مثلا: أعاهدكم أو أعاهدتم؟

الجواب: لأن في الاتخاذ توكيدا للعهد، وزيد هذا التوكيد بالظرف «عند» والله أعلم.

السؤال٧١٦: ما سر التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]

الجواب: للدلالة على تكرر هذا القول المفترى منهم والله أعلم.

السؤال ٧١٧: لم أوثر النفي بـ«لا» في قوله سبحانه: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠] ؟

الجواب: للدلالة على جهلهم الممتد مع كل الأزمان، وأن التمرد ملازم لهم. ولو قيل: ما لم تعلموا، لجاز انفكاكهم عن هذا الجهل الذي وصفوا به في الماضي، لما هو معروف من أن «لم» تقلب المضارع إلى المضي والله أعلم(١).

السؤال ٧١٨: بم يشعر التعبير بالقول في ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ **؟**

الجواب: بأنه قول مختلق لا أساس له من الصحة والله أعلم.

السؤال٧١٩: ما نوع الفاء في قوله: ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ **؟**

الجواب: الفاء هي الفصيحة أنبأت عن شرط محذوف تقديره: إن اتخذتم عند الله

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٧٨).

عهدا فلن يخلف، وفي حذفه إيجاز بالحذف وأومأ حذفه إلى تأكيد عدم اتخاذهم عند الله عهدا بألا يعذبهم إلا أياما قليلة، وذلك بعدم النص عليه لفظا لعدم وقوعه أصلا. والله أعلم.

السؤال٧٢٠: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]؟

الجواب: التقرير والله أعلى وأعلم بمراده.

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨١ - ٨٥]

السؤال ٧٢١: ما علاقة قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١] بما قبله ؟

الجواب: جاء جوابًا عن قول اليهود: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ ﴾ [البقرة: ٨٠] وإبطالًا له، والمعنى: بل تمسكم النار مدة طويلة. والله أعلم

السؤال ٧٢٢: استدل فريق بالآية الكريمة: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ [البقرة: ٨١] على خلود صاحب الكبيرة في النار، وهذا على غير معتقد أهل السنة والجماعة فما تأويل ذلك ؟

الجواب: المراد بالسيئة في الآية الكفر -والعياذ بالله- بدليل العطف عليه بقوله -سبحانه-: ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾، والخطيئة اسم لما يقترفه الإنسان من الجرائم.

والإحاطة مستعارة لعدم الإفلات ولشدة الإحكام. وإحاطة الخطيئات هي حالة الكفر؛ لأنها تجرؤ على جميع الخطايا، ولا يعتبر مع الكفر عمل صالح، فلذلك لم تكن هذه الآية حجة للزاعمين خلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار؛ إذ لا يكون المسلم محيطة به الخطيئات بل هو لا يخلو من عمل صالح، ويكفي براءته من الكفر، وسلامة لسانه من النطق بكلمة الكفر(١). والله أعلم

السؤال٧٢٣: الكسب استجلاب منفعة، والسيئة لا تكون منفعة بل هي ضرر بحت، فكيف جاز أن يقال في الآية: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ ؟ [البقرة: ٨١]

الجواب: جاء هذا الإسناد على سبيل الاستعارة التهكمية نحو قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤] والله أعلم

السؤال ٧٢٤: ما نوع القصر في قوله تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ؟ [البقرة: ٨١]

الجواب: قصر إضافي؛ لقلب اعتقاد اليهود بأنهم لن يخلدوا في النار. والله أعلم

السؤال٧٢٥: علام تدل الإضافة في قوله تعالى: ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ ؟

الجواب: توحي بملازمة السيئة لصاحبها حتى تستحيل صفة من صفاته اللازمة له. والله أعلم

السؤال٧٢٦: ما وجه بلاغة قراءة خطيئاته وخطاياه بالجمع ؟

الجواب: للإشارة إلى كثرة جرائم صاحبها، وتنوع فنون كفره. والله أعلم

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٥٨١).

السؤال٧٢٧: ما سر التعبير باسم الإشارة للبعيد «أولئك» في قوله: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؟ [البقرة: ٨١]

الجواب: للتنبيه على بعد منزلة اليهود في الكفر والضلال. «وفي التعبير باسم الإشارة أيضًا المنبئ عن استحضار المشار إليه ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ بماله من الأوصاف إشعار بعليتها لصاحبية النار»(١). والله أعلم

السؤال ٧٢٨: لماذا عدل عن التعبير بالمفرد في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ إلى الجمع في قوله: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؟ [البقرة: ٨١]

الجواب: أحسب والله أعلم بمراده أن العدول عن المفرد إلى الجمع يتناسب ومقام الوعيد لليهود، وكأن التعبير بالفرد ثم الجمع يوحي بأنه لا لنجاة من الخلود في النار لهؤلاء اليهود ومن على شاكلتهم سواء أكانوا أفرادًا أو جماعات لاشتراكهم جميعًا في سببية أو علية الخلود في النار وهو كسب السيئة وإحاطة الخطيئة، ولا يخفى أن سياق الآية الكريمة سياق تعديد لجرائم بني إسرائيل؛ لذا كان من الملائم -والله أعلم- أن يشملهم الوعيد جميعًا حتى لا يظن أحد أنه بمنأى عن الخلود. والله أعلم.

وقد علل كثير من المفسرين بأن الغرض من العدول من الإفراد على الجمع في الآية؛ هو مراعاة لفظ «من» -الإفراد-؛ لذا قيل بالإفراد: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ ومراعاة معناها -الجمع-؛ لذا كان العدول إليه سبحانه: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٢). وهذا التعليل مسوغ لصحة المعنى، ولكنه لا يكشف عن سر البلاغة في هذا العدول. والله أعلم

---

(١) إرشاد العقل السليم ١/ ١٢٢

(٢) انظر مثلاً الكشاف (١/ ١٤)، والبحر المحيط (١/ ٤٤٦)، وإرشاد العقل السليم (١/ ١٢٢).

السؤال ٧٢٩: لماذا لم يقل مثلا: بلى أنهم أصحاب النار، بتخصيص الرد صراحة على مزاعم اليهود بأنه لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة ؟

الجواب: لأن في التعميم تهويلاً وتفخيمًا، وبيانًا لحالهم بالبرهان والدليل، ولما فيه من الإشعار بالتعليل للحكم عليهم بأنهم ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[(١)]. والله أعلم

السؤال ٧٣٠: في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢] وعد لأهل الإيمان، والآية قبلها وعيد لأهل الكفر من اليهود وغيرهم، وهذا دأب القرآن في إرداف الوعيد بالوعيد فما علة ذلك ؟

الجواب: الحكمة في اتباع الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب؛ إظهار عدل الله تعالى، وكمال رحمته -سبحانه- بوعده، وكمال حكمته بوعيده. والله أعلم.

السؤال ٧٣١: ما إعراب جملة ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾ [البقرة: ٨٣]؟

الجواب: ذكر المفسرون في إعرابها وجوهًا كثيرة، لعل أظهرها أنها خبر -أي نفي- في معنى النهي على إرادة القول، والتقدير: قلنا أو قائلين: لا تعبدون إلا الله ... كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وبلاغة العدول عن الخبر إلى النهي ما فيه من إيحاء أن المنهي جدير بأن يسارع إلى الانتهاء عما نهى، فكأنه قيل: انتهى عنه فيخبر به الناهي، أي وكأنه سورع إلى لامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه. وفي التعبير عن الجملة الطلبية بصيغة الخبر نكتة أخرى وهي الإشارة إلى أن الإجابة أمر فطري طبعي، وأنه كان

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/ ١٢٢).

الطلب وكانت الإجابة فعبر بما هو دال على الإجابة، ومن شواهده أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ... ﴾ [البقرة: ٢٣٣][(١)]. والله أعلم

السؤال٧٣٢: مما يلحظ في الحديث عن قبائح بني إسرائيل وتعديد جرائمهم وإخلافهم العهد مع الله تعالى في كل مرة أنه يبدأ بقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ... ﴾ [البقرة: ٨٣] و﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٤]؛ **فما تعليل ذلك؟**

الجواب: هذا يدل على جفاء طباعهم، وقسوتهم ونفورهم وعلى تأبيهم على الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه، وعدم قبول ذلك إلا بالأيمان الغليظة والعهود الموثقة. والله أعلم.

السؤال٧٣٣: كيف أمر الله تعالى اليهود بما أمر به المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴾ [البقرة: ٨٣]، **فالمسلمون مأمورون -في آيات كثيرة- بمثل ما أمر به بنو إسرائيل، فما تفسير ذلك؟**

الجواب: لأن ما ذكر من أصول الدين التي أمر بها في كل شريعة؛ لاشتمالها على المصالح العامة في كل زمان ومكان فلا يدخلها نسخ كأصل الدين وثوابته وأركانه.[(٢)] والله أعلم

---

(١) راجع الكشاف (١/ ٧٩)، والبحر المحيط (١/ ٤٥٠-٤٥١)، والتحرير والتنوير (١/ ٥٨٢)، وزهرة التفاسير (١/ ٢٩٠).

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٥٨) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – الدمام – السعودية – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

السؤال ٧٣٤: ما دلالة اتباع الأمر بتوحيده سبحانه بالأمر بالإحسان إلى الوالدين في قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

الجواب: فيه دلالة صريحة على عظيم حق الوالدين، ووجوب طاعتهما في غير معصية والتواضع لهما بالإحسان إليهما وبرهما. وقيل في تعليل ذلك أيضًا: «لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني وهو التربية من جهة الوالدين، ولهذا قرن الله تعالى الشكر لهما بشكره فقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]. وفي عطف بر الوالدين والإحسان إليهما على الأمر بعبادته إشارة إلى أن شكر المنعم واجب، ولله تعالى على عبده أعظم النعم؛ لأنه أوجده من عدم، فيجب تقديم شكره على شكر غيره، ثم إن للوالدين على ولدهما نعمة عظيمة؛ لأنهما السبب في وجوده، فحقهما يلي حق المنعم -سبحانه- بالوجود الحقيقي؛ فقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ من باب ذكر الخاص قبل العام، إشارة لفضله ومزيته على غيره لذكره مرتين مرة بالخصوص ومرة بالعموم، بيان هذا أنه جاء النص صريحًا بالإحسان إلى الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ثم جاء الأمر -ضمنًا- ثانية بالإحسان إليهما في قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ والوالدان مندرجان تحت الناس فيشملها الأمر بالإحسان إليهما، وهذا للتأكيد على عظيم مكانتهما». والله أعلم.

السؤال٧٣٥: ما سر عطف الإحسان إلى ذي القربى على الإحسان إلى الوالدين ومجيئه بعد الأمر بالإحسان إليهما في قوله تعالى: ﴿...لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]؟

الجواب: لأن حق القرابة تابع لحق الوالدين، والإحسان إليهم إنما هو بواسطة الوالدين. والله أعلم.

السؤال ٧٣٦: ما دلالة «ثم» في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٣].

الجواب: للاستبعاد أي استبعاد إعراضهم عن الميثاق بعد توثيقه وتأكيده بالإيمان المغلظة. وفي هذا توبيخ شديد لهم، وعليه فالتراخي في الآية مجازي للترتيب الرتبي. والله أعلم.

السؤال٧٣٧: علام يدل الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾؟ [البقرة: ٨٣]

الجواب: هذا من باب إنصاف الخصم في القرآن الكريم، حيث لم يعمهم التوبيخ والذم في هذه الآية إنصافًا لمن حافظ على العهد والميثاق.

السؤال٧٣٨: ما سر التعبير بالجملة الاسمية الحالية في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾؟

الجواب: للدلالة على أن إعراض اليهود عن الالتزام بالعهود والمواثيق أمر راسخ عندهم، وصفة ثابتة لهم، وعادة معروفة منهم. ومازالت تلك جبلتهم حتى في عصرنا الحاضر. والله أعلم.

السؤال٧٣٩: ما الغرض من تعديد جرائم اليهود وقبائحهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ... ﴾ [البقرة: ٨٣]، **وقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ... ﴾** [البقرة: ٨٤]؟

الجواب: لقطع طمع المؤمنين في إيمان اليهود الموجودين بينهم ظهرانيهم في المدينة بتعداد قبائح أسلافهم، ولتوبيخ الأخلاف بسوء أفعال الأسلاف. والله أعلم

السؤال ٧٤٠: من المخاطب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]؟

الجواب: إما أن يكون خطابًا لبني إسرائيل جميعًا، وعليه ففي الآية التفات من الغائب إلى المخاطب بتغليب أخلاقهم على أسلافهم؛ لجريان ذكر كلهم حينئذ على طريق الغائب وكأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فووجهوا بها ووبخوا. وإما أن يكون الخطاب لليهود المعاصرين ﷺ؛ فيكون تعميمًا للخطاب بتنزيل الأسلاف من اليهود منزلة أخلافهم، كما أنه تعميم للتولي بتنزيل الأخلاف منزلة الأسلاف للتشديد في التوبيخ.(١) والله أعلم

السؤال ٧٤١: ما الغرض من التعبير عن القتل بسفك الدماء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]؟

الجواب: في قوله سبحانه: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ كناية عن القتل، وأوثرت على التصريح بالقتل؛ لزيادة التنفير من القتل بتصويره في صورة مشاهدة بشعة والله أعلم.

السؤال٧٤٢: كيف ساغ التعبير بنهي بني إسرائيل عن سفك دماء أنفسهم وإخراجها من ديارهم ؟!

الجواب: ليس المراد النهي عن أن يسفك الإنسان دم نفسه أو يخرج نفسه من داره، وإنما أن لا يسفك أحد دم غيره، ولا يخرج غيره من داره على غرار قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، أي فليسلم بعضكم على بعض. وقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، وإنما ساغ التعبير عن هذا المعنى بما ورد في الآية الكريمة المذكورة باعتبار أنه من تشبيه غير الشخص بنفسه لشدة اتصال غيره بنفسه في الأصل

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/ ١٢٣).

أو الدين، فإذا قتل المتصل به نسبًا أو دينًا فكأنما قتل نفسه (١). والله أعلم

السؤال ٧٤٣: من المقصود بالخطاب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ...﴾ [البقرة: ٨٤]؟

الجواب: اليهود المعاصرون للنبي ﷺ والله أعلم

السؤال٧٤٤: علام يدل التعبير بـ«ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤] ؟ وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ ..﴾ [البقرة: ٨٥]؟

الجواب: دل حرف «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على توبيخ اليهود الذين أقروا بالعهد، واعترفوا على أنفسهم بلزومه بعد طول انتظار وتردد وتمهل؛ فهم لم يسارعوا إلى الامتثال الفوري بل بعد تلكؤ وتردد، وعليه فالتراخي هنا حقيقي. أما دلالة التراخي في ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ..﴾ فهو لاستبعاد ما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم، وبناء على هذا المعنى فالتراخي رتبي. تأمل توالي حرف التراخي والمهلة، ثم الذي كشف لنا عن طبيعة اليهود المتمردة فهم لم يكتفوا بالتمرد والتلكؤ في قبول الميثاق والعمل به مدة يسيرة حتى نقضوه وعملوا بما يخالفه. والله أعلم

السؤال ٧٤٥: ما دلالة التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ ..﴾ [البقرة: ٨٥]؟

الجواب: للدلالة على تجدد هذه الأفعال منهم. والله أعلم

---

(١) انظر الكشاف (١/ ٧٩).

السؤال ٧٤٦: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ...﴾ [البقرة: ٨٥]؟

الجواب: الغرض التقريع والتوبيخ والتهديد لليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وذلك لأنهم فرقوا بين أحكام الله تعالى، إذ العهد إليهم كان بثلاثة أشياء: ترك القتل، وترك الإخراج، ومفاداة الأسرى، فقتلوا وأخرجوا على خلاف العهد، وفدوا بمقتضاه؛ لذا استحقوا التهديد والتوبيخ والتعنيف. والله أعلم بمراده [١].

السؤال٧٤٧: لم أوثرت صيغة «فُعالى» فقيل: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ على صيغة «فَعلى»؛ فلم يقل: وإن يأتوكم أسرى، في الآية الكريمة؟ [البقرة: ٨٥].

الجواب: جاء لفظ الأسير جمعا -في الآية الكريمة- على وزن «فعالى»؛ حملا للأسير على الكسلان فجمعوه جمعه، ووجه الشبه أن الأسر يدخل على المرء مكرها كما يدخل الكسل، و«فُعالى» إنما يجيء فيما كان فيه آفة تدخل على المرء[٢]، وبيان ذلك أن الكسل آفة مذمومة تقيد حركة الإنسان وتقضي على نشاطه؛ فأشبه الكسل الأسر من هذا الوجه، فاستعيرت صيغة الكسل لصيغة الأسر الذي فيه جمود عن الحركة وتقييد لها ولحرية الإنسان ونشاطه.

أما عن سر إيثار صيغة «فعالى» في آية البقرة؛ لأن حرف المد الزائد بالألف فيها يجسد شدة الأسر وعنفه، كما أن في زيادة المد في «كسالى»؛ تصويرا حسيا للإغراق في الكسل وتباديا في التثاؤب والتمطي، وهذا ما أشار إليه أبو عمرو ابن العلاء ففرق في

---

(١) انظر ورح المعاني (١/ ٤٩٤-٤٩٥).

(٢) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٤٣) أبو محمد عبد الحق بن عطية – تحقيق أحمد صادق الملاح – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

المعنى بين الأسرى والأسارى فقال: ما نقله عنه أبو حيان: «الأسرى من في اليد، والأسارى من في الوثاق»(١)؛ فتأمل كيف دلت الزيادة في المبنى على الزيادة في المعنى، فالأسير في الوثاق أعجز حركة، وأشد معاناة وأكثر تألما من الأسير في اليد. وهذا ما يكشف عن رحمة المسلمين بأسراهم وحسن معاملتهم امتثالا لهدي نبيهم ﷺ ترى هذا في بيان القرآن الكريم في إيثاره لفظ «أسرى» على أسارى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]. حيث دل على أن الأسرى بين أيدي المسلمين يتمتعون بحسن المعاملة، ولا يغلظ معهم بشد الوثاق كما هو حالهم بين أيدي غير المسلمين من اليهود وغيرهم بما دل عليه بصيغة «أسارى» في خطاب اليهود؛ يؤيد تلك المعاملة الحسنة للأسرى في أيدي المؤمنين ما جاء في خطاب الله تعالى لهم على لسان نبيه ﷺ من التطرية في الكلام واللطف والتسلية،وفتح أبواب الأمل وبوارق الهداية لهم بوعدهم بما ينتظرهم من الخير إن هم أخلصوا النية وطووا صفحة الشرك والعداوة للمسلمين ولرسولهم ﷺ(٢)، والله أعلم بمراده.

السؤال٧٤٨: ما سر التعبير بمادة الإتيان دون مادة المجيء في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] حيث لم يقل: وإن يجيئكم أسارى ؟

الجواب: لأنه مجيء فيه يسر وسهولة على الآتي بالأسارى وهم المؤتى بهم لعدم قدرتهم على المقاومة فهم مستسلمون لآسرهم لا يستطيعون إبداء أية مقاومة لأن أسرهم في الوثاق. والله أعلم بمراده

---

(١) البحر المحيط (١/ ٤٦٠).

(٢) انظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ (ص١٨٥) د. محمد الأمين الخضري.

السؤال٧٤٩: علام تعود الإشارة في قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥] ؟

الجواب: تعود إلى كفر بني إسرائيل ببعض الكتاب -التوراة- وإيمانهم ببعضه أو إلى ما فعلوه من مخالفات الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم من القتل والإخراج ومفاداة الأسارى. والله أعلم بمراده

السؤال٧٥٠: ما الغرض من تنكير «خزي» في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥]

الجواب: لتهويل الخزي وتفخيمه وأنه من البشاعة والفظاعة والشدة ما لا يكاد يوصف أو يحيط به وصف، ولا يخفى ما في العبارة من تهديد ووعيد شديدين لهؤلاء اليهود الذين نكثوا العهود وأخلفوا الوعود. والله أعلم بمراده

السؤال٧٥١: لم تقدم ذكر اليوم على ما يقع فيه وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]، حيث لم يقل مثلا: وأشد العذاب يوم القيامة ؟

الجواب: للإشعار بالتباين الشديد بين جزاء اليهود المخالفين في الدنيا، وبين جزائهم في الآخرة، فعذابهم أشد في الآخرة وأنكى والعياذ بالله. وتقدم لفظ «اليوم» على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من أول الأمر، والله أعلم بمراده(١).

السؤال٧٥٢: ما الغرض من التذييل في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] ؟

الجواب: لتأكيد الوعيد في الجملة السابقة عليه. والله أعلم بمراده

---

(١) روح المعاني (١/ ٤٩٦).

قال تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ٨٦-٨٩].

السؤال ٧٥٣: ما سر التعبير باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ ... ﴾؟ [البقرة: ٨٦]

الجواب: المقصود باسم الإشارة «أولئك»: اليهود الذين سفكوا دماءهم وأخرجوا أنفسهم من ديارهم ونقضوا عهود الله تعالى. والتعبير باسم الإشارة للبعيد للدلالة على بعدهم في الضلال والغي والله أعلم.

السؤال٧٥٤: ما علاقة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ .. ﴾ بما قبله؟ [البقرة: ٨٧]

الجواب: يأتي هذا في سياق تعديد بعض جرائم بني إسرائيل وجناياتهم، وهذه الآية تتحدث عن مواقفهم تجاه أنبيائهم. والله أعلم

السؤال ٧٥٥: ما علة تصدير الآية بالقسم -من خلال اللام الموطئة له- في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ .. ﴾ [البقرة: ٨٧]؟

الجواب: لإظهار كمال العناية بالخبر. والله أعلم.

السؤال ٧٥٦: لماذا أوثر التعبير بمادة الإتيان دون المجيء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ..﴾ [البقرة: ٨٧]

الجواب: لأن مادة الإتيان تدل على السهولة واليسر، كما أن الإتيان يكون عن مكنة الآتي وقدرته عليه، وهذا ما يشهد به إسناد الفعل «آتى» أي نون العظمة. والله أعلم.

السؤال ٧٥٧: لم أجمل الله تعالى ذكر الرسل في هذه الآية ثم فصل ذكر عيسى عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ...﴾ [البقرة: ٨٧]

الجواب: لأن الرسل الذين جاءوا قبل عيسى عليه السلام حكموا بشريعة موسى أو جاءوا بها فكانوا متبعين له، بخلاف عيسى عليه السلام؛ فشرعه نسخ أكثر شرع موسى عليه السلام والله أعلم(١).

السؤال٧٥٨: ما الغرض البلاغي للاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ...﴾ ؟ [البقرة: ٨٧]

الجواب: الغرض الإنكار والتعجيب من أفعال اليهود تجاه رسالته تعالى ورسله إليهم. والإنكار منصب على ثلاثة أمور مجتمعة وهي: مجيء رسول، ومخالفة الرسالة لأهواء بني إسرائيل، والاستكبار، وفي التعبير بكلما إشارة إلى تجدد استكبارهم وتكرره والله أعلم.

---

(١) انظر مفاتيح الغيب (٢/٢٤٤٣).

السؤال٧٥٩: لم قيل: ﴿جَآءَكُمۡ رَسُولٞ﴾ ولم يقل: أتاكم رسول؟

الجواب: أوثرت مادة المجيء في العبارة السابقة؛ لأن المجيء إتيان بصعوبة، وهذا ما يدل عليه اشتقاق المادة[1]، ولأن مجيء الرسل -عليهم السلام- ذا شأن وخطر؛ لاصطفاء الله تعالى لهم وتمييزهم عن سائر الخلق فصار ذلك بمنزلة الصعوبة في الحركة. وكان من الملائم أن يسند الفعل «جاء» إلى «رسول». ومما يدل على مكانة مجيئهم وخطره ما نجده من ردود أفعال أقوامهم عند إرسالهم؛ لما يتضمنه مجيئهم من صعوبة ترجع إلى تغيير ما رسخ من عادات وتقاليد فيهم، وإلى إزالة مظاهر الشرك والانحراف فيهم؛ لذلك عاندوا وكرهوا أن يؤمنوا بهم، وخير دليل على هذا موقف اليهود من رسلهم فاليهود المعاندون يستكبرون ويكذبون مجيء رسلهم ويذهبون إلى إيذائهم وقتلهم وهذا مما لا شك فيه بالغ الدلالة على صعوبة مجيء الرسل وتحملهم له[2] والله أعلم.

السؤال٧٦٠: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ ؟

الجواب: مجاز عقلي علاقته الحالية لأن فاعل «الهوى» ذواتهم. وفي إسناد الهوى إلى أنفسهم دون ذواتهم؛ إشارة إلى أن حب اليهود للمعاصي يجري فيهم مجرى الدم في الشرايين، فهو راسخ فيهم، وسجية من سجاياهم والله أعلم.

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب (ص٨) ومقاييس اللغة (٤٩٧/١) لابن فارس الشدياق تحقيق عبد السلام هارون – الطبعة الثالثة – مكتبة الخانجي. والأفعال للسرقسطي – تحقيق د.حسين شرف، د.مهدي علام – المطابع الأميرية – مصر.

(٢) انظر الإتيان والمجيء فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم (ص٤٣) د. محمود موسى حمدان – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

السؤال ٧٦١: لماذا عبر عن الحب والميل بالهوى في قوله تعالى: ﴿تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾؟

الجواب: للدلالة على الزيغ والضلال، وأنه ميل أنفسهم لم يكن عن مصلحة أو منفعة دينية بل كان عن هوى أنفسهم وضلالها والله أعلم.

السؤال ٧٦٢: لم عبر بجمع القلة «أنفسكم» دون جمع الكثرة «نفوسكم» في قوله تعالى: ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ [البقرة: ٨٧] **؟**

الجواب: للدلالة على حقارة أنفسهم وقلتها؛ بتمردها وتجرئها واستكبارها والله أعلم.

السؤال ٧٦٣: ما علة التعبير بالماضي: ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ دون المضارع «تستكبرون» في الآية الكريمة [البقرة: ٨٧]**؟**

الجواب: للإشارة إلى تأصل الاستكبار وتحققه في اليهود والله أعلم.

السؤال ٧٦٤: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٨٧]

الجواب: الفاء للسببية؛ فالتكذيب والقتل كانا نتيجة لاستكبار اليهود والله أعلم.

السؤال ٧٦٥: ما سر تقديم «فريقا» في الآية الكريمة؟.

الجواب: للاهتمام بالمقدم، ولتشويق السامع لمعرفة ما فعل اليهود بهذين الفريقين من الرسل من جرائم، ولمراعاة فواصل الآيات والله أعلم.

السؤال ٧٦٦: ما سر تقديم التكذيب على القتل في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٨٧]

الجواب: للتدرج في إدانتهم من الفظيع إلى الأفظع أي من التكذيب إلى القتل والله أعلم.

السؤال ٧٦٧: لم لم يصرح بتكذيب اليهود للرسل الذين قتلوهم غدرا وخيانة وبطشا وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾؟ [البقرة: ٨٧]

الجواب: لأنه ذكر أقبح منه -التكذيب- في الفعل، وهو القتل والله أعلم.

السؤال ٧٦٨: ما مغزى الجمع بين الماضي والمضارع في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾؟ [البقرة: ٨٧]

الجواب: في هذا إلماح إلى أن تكذيب اليهود للرسل؛ هو الذي زين لهم القتل لتحقق وقوع التكذيب في الماضي مع استمراره، ولتصوير جريمة قتلهم الأنبياء لبشاعتها وكأنها تصدر عنهم في كل زمان إما بالفعل كقتل زكريا ويحيى -عليهما السلام-، وإما بالعزم كمحاولتهم قتل نبينا محمد عليه السلام بالسم -شاهت وجوههم-(١).

السؤال ٧٦٩: ما الغرض البلاغي للعدول عن الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ إلى الغائب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾؟ [البقرة: ٨٨]

الجواب: لإبعادهم عن رتبة الخطاب بعد تفصيل جرائمهم الموجبة للإعراض عنهم. والقائلون هم اليهود الموجودون في عصره ﷺ فبعد أن فضح الله تعالى موقفهم مع أنبيائهم، شرع سبحانه في بيان موقفهم من رسالة النبي محمد ﷺ فإذا بالقوم هم هم، طبيعتهم المتمردة المتأبية لم تتغير بتطاول الأزمان كأنهم أولئك الذين عاندوا الأنبياء من قبل، وتمردوا عليهم وفعلوا بهم ما فعلوا. والله أعلم !!

---

(١) انظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٨٥).

السؤال ٧٧٠: ما الغرض من قول اليهود -كما حكى القرآن عنهم-: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾؟ [البقرة: ٨٨]

الجواب: لتعليل عدم استجابتهم لدعوة الرسول محمد ﷺ ولتيئيس المؤمنين والرسول الكريم ﷺ من دعوتهم للإسلام. والمعنى قلوبنا ممتلئة علما لا تحتاج إلى علم محمد ﷺ ولا غيره - قاله ابن عباس رضي الله عنهما[١]، وقيل: المعنى قلوبنا مغشاة بأغطية مانعة من وصول أثر دعوتك إليها[٢]، وقد رد سبحانه زعمهم بقوله: ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ فبين سبحانه السبب الحقيقي في نفورهم عن قبول دعوته ﷺ ألا وهو أنهم لعنوا لسابق كفرهم واجترائهم والله أعلم.

السؤال٧٧١: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾؟ [البقرة: ٨٨]

الجواب: الفاء لسببية أي سببية لعن الله تعالى لليهود لعدم إيمانهم والله أعلم.

السؤال٧٧٢: ما دلالة «ما» في قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾؟ [البقرة: ٨٨]

الجواب: «ما» صلة للمبالغة في القلة، وتأكيدها والمراد بالتقليل هنا قلة عدد الذين آمنوا من اليهود أو قلة ما يؤمنون به والله أعلم.

السؤال٧٧٣: لماذا أوثر التعبير بالفعل «جاء» دون الفعل «أتى» في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾؟ [البقرة: ٨٩]

الجواب: لأن مجيء القرآن الكريم مجيء له شأنه؛ لغلبة حجته وبراهينه الدامغة. والله أعلم.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٥).

(٢) انظر مفاتيح الغيب (٢/ ٢٤٥).

السؤال ٧٧٤: ما الغرض من تنكير «كتاب» ووصفه بأنه من عند الله في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؟ [البقرة: ٨٩]

الجواب: التنكير للتفخيم ووصف الكتاب -القرآن الكريم- بأنه من عند الله؛ لتشريف الكتاب والله أعلم.

السؤال ٧٧٥: ما الغرض من تفصيل وصف الكتاب -القرآن الكريم- في قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾؟ [البقرة: ٨٩]

الجواب: لزيادة توبيخهم -اليهود- المعاصرين للنبي ﷺ، والنعي عليهم لكفرهم بذلك الكتاب وبمن جاء به والله أعلم.

السؤال ٧٧٦: ما فائدة التعبير بالجملة الحالية في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾؟ [البقرة: ٨٩]

الجواب: لاستحضار حالتهم العجيبة وهي أنهم كذبوا بالقرآن الكريم المصدق لما معهم من التوراة بذكر أوصافه ﷺ وذلك في حال ترقبهم لمجيئه ﷺ وانتظار النصر به، وهذا غاية التناقض ومنتهى الخذلان والبهتان.(١) والله أعلم.

السؤال ٧٧٧: لم عبر سبحانه عن التوراة بالكناية في قوله: ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾؟ [البقرة: ٨٩]

الجواب: لأن المصاحبة -المعية- وطولها من أسباب التعرف على ما تشتمل عليه من إخبار بصفات النبي محمد ﷺ المؤدي إلى العلم بكون القرآن الكريم مصدقا لما معهم في إثبات نعوته ﷺ، وفي التبشير به والله أعلم.

(١) التحرير والتنوير (١/٦٠٢) بتصرف يسير.

السؤال٧٧٨: لم قيل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] ولم يقل: فلما جاءهم الكتاب الذي عرفوه كفروا به ؟ وما سر التعبير بـ«ما» الموصولة ؟

الجواب: «ليكون اللفظ أشمل؛ فيشمل الكتاب والرسول الذي جاء به، فإنه لا يجيء كتاب إلا مع رسول. ووقع التعبير بـ«ما» الموصولة دون «من»؛ لأجل هذا الشمول، ولأن الإبهام يناسبه الموصول الذي هو أعم، فإن الحق أن «ما» تجيء لما هو أعم من العاقل»(١). والله أعلم.

السؤال٧٧٩: ما سر التعبير بالجملة الشرطية في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ ؟ [البقرة: ٨٩]

الجواب: للدلالة على سرعة كفرهم بالقرآن وتحقق ذلك منهم بمجرد مجيئهم القرآن بما عرفوه من أوصافه ﷺ والله أعلم.

السؤال ٧٨٠: لم جيء بحرف الاستعلاء «على» في قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]؟

الجواب: للدلالة على أن اللعنة قد استولت عليهم وشملتهم واستعلت عليهم وفي هذا إشارة إلى شدة غضب الله تعالى على هؤلاء اليهود المكذبين لنبينا محمد ﷺ ولما جاء به. والله أعلم

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٠٢).

السؤال٧٨١: ما علة تكرار «لما» في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ ...﴾ [البقرة: ٨٩]؟

الجواب: لضبط معاقد الكلام لطوله، وهذا يفيد تقرير ذنبهم وتأكيده. والله أعلم

السؤال٧٨٢: ما سر العدول من الإضمار إلى الإظهار في قوله سبحانه: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **حيث كان الظاهر أن يقال: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله عليهم ؟**

الجواب: للتنبيه على السبب المقتضي للعنهم من الله تعالى ألا وهو الكفر. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة: ٩٠-٩٥].

السؤال٧٨٣: ما سبب كفر اليهود بالرسول ﷺ وبما جاء به كما ورد في قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...﴾ [البقرة: ٩٠].

الجواب: كفروا بغيا أي حسدا على خروج النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل «العرب»، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ٩٠] والله أعلم

السؤال ٧٨٤: لم أوثرت صيغة التفعيل في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلَ﴾ ؟

الجواب: للإشعار بتجدد حسدهم «بغيهم»؛ بتجدد الإنزال وزيادته حسب زيادة المنزل من عند الله تعالى. والله أعلم

السؤال٧٨٥: علام يدل قوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾؟ [البقرة: ٩٠]

الجواب: الفاء للسببية، وفي الآية دلالة على استحقاقهم ترادف الغضب، وذلك بسبب كفرهم وحسدهم أفضل الخلق نبينا محمد ﷺ. والله أعلم

السؤال ٧٨٦: ما سر العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟ [البقرة: ٩٠]

الجواب: للإشارة إلى سبب استحقاقهم لما حل بهم. والله أعلم

السؤال ٧٨٧: ما نوع المجاز؟ وما علاقته في قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟ [البقرة: ٩٠]

الجواب: مجاز عقلي بعلاقة السببية، والغرض المبالغة في شدة العذاب وذلته لهم. والله أعلم

السؤال٧٨٨: ماذا أفاد تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟ [البقرة: ٩٠]

الجواب: أفاد قصر العذاب المهين على الكافرين. أما عذاب عصاة المسلمين فيكون للتطهير. والله أعلم.

السؤال٧٨٩: ما سبب العدول عن الخاص «القرآن» إلى العام ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؟ [البقرة: ٩١]

الجواب: لبناء الأمر على علته الأولى، وهي كون المنزل هو الله تعالى، وذلك إشعارا بوجوب الامتثال بالإيمان بالقرآن من حيث مشاركته لما آمن به اليهود وهو

كونه أنه من عند الله، وتنبيها على أن الإيمان بما عداه من غير إيمان به ليس إيمانا بما أنزل الله.[١] والله أعلم

السؤال ٧٩٠: ما الغرض من التعبير بالمضارع «يكفرون» دون الماضي «كفروا» في قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُۥ﴾؟ [البقرة: ٩١]

الجواب: لحكاية الحال الماضي استغرابا للكفر بالشيء بعد العلم بحقيته، وللتنبيه على أن كفر اليهود المعاصرين للنبي محمد ﷺ مستمر إلى زمن الإخبار.[٢] والله أعلم

السؤال٧٩١: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾؟ [البقرة: ٩١].

الجواب: الاستفهام مجازي غرضه التكذيب والتقريع والتشنيع. والله أعلم

السؤال٧٩٢: لم أسند -سبحانه- قتل الأنبياء إلى اليهود المعاصرين للنبي ﷺ والقاتل هم أسلافهم وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾؟ [البقرة: ٩١]

الجواب: لأن أخلاف اليهود رضوا بجرائم أسلافهم وأقروا أفعالهم فصاروا شركاء لهم في قتل الأنبياء مجازا كما شاركوهم في الكفر بالحق حقيقة، ولغرض آخر هو تعييرهم بما اقترفه أسلافهم لسوء طويتهم مثلهم. والله أعلم

---

(١) انظر روح المعاني (١/ ٥١٠).
(٢) انظر روح المعاني (١/ ٥١٠).

السؤال ٧٩٣: ما الغرض من إضافة الأنبياء إلى الله ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ في الآية الكريمة؟

الجواب: لتصوير بشاعة جرائم اليهود وللمبالغة في تشنيع فعلهم؛ لأنه كان ينبغي لمن جاء من عند الله أن يعظم وأن ينصر لا أن يُقتل. والله أعلم

السؤال ٧٩٤: لم أوثر التعبير بالمضارع ﴿تَقۡتُلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾؟ [البقرة: ٩١]

الجواب: لاستحضار صورة القتل الشنيعة، وكأن الجريمة تحدث أمامهم الآن. والله أعلم

السؤال٧٩٥: ما دلالة «ثم» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾؟ [البقرة: ٩٢]

الجواب: لاستبعاد اتخاذ اليهود العجل إلها من دون الله من بعد ما رأوا من المعجزات الحسية التي أجراها الله تعالى على يد نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي هذا توبيخ لهم وتقريع، وعليه فالتراخي في الآية مجازي أي رتبي.. والله أعلم

السؤال ٧٩٦: لم ختمت الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢] **ولم تختم بقوله: وأنتم كافرون؟**

الجواب: لأنه كفر مشوب بظلم فاحش، فقد ظلموا الحق وظلموا من أجرى الله على يده إنقاذهم، فهو كفر يتضمن ظلما. والله أعلم

السؤال٧٩٧: ما علاقة الآية: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ ...﴾ [البقرة: ٩٣] **بالسياق قبلها؟**

الجواب: أنها وردت في سياق توبيخ اليهود على كفرهم، وتكذيب لهم في ادعائهم

الإيمان بما أنزل عليهم؛ بتذكيرهم بجناياتهم الناطقة بتكذيبهم(١). والله أعلم

السؤال٧٩٨: علام يدل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في قوله سبحانه: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾؟ [البقرة: ٩٣]

الجواب: تقدير المضاف المحذوف هو «حب» أو «عبادة»، والتعبير القرآني يدل على شدة شغفهم بعبادة العجل حتى وكأنهم أشربوا العجل نفسه. إنها صورة غليظة التي ترسمها: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾، «فهي صورة فريدة: لقد أشربوا، أشربوا بفعل فاعل سواهم. أشربوا العجل! أشربوه في قلوبهم! ويظل الخيال يتمثل تلك المحاولة العنيفة الغليظة، وتلك الصورة الساخرة الهازئة: صورة العجل يدخل في القلوب إدخالا، ويحشر فيها حشرا، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهني الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤديه، وهو حبهم الشديد لعبادة العجل، حتى لكأنهم أشربوه إشرابا في القلوب. هنا تبدو قيمة التعبير القرآني المصور بالقياس إلى التعبير الذهني المفسر، إنه التصوير، السمة البارزة في التعبير القرآن الجميل»(٢) والله أعلم

السؤال٧٩٩: لم جاء التعبير بالشرب دون الأكل في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾؟ [البقرة: ٩٣]

الجواب: لأن المشروب تغلغل في باطن الشيء بخلاف المأكول فإنه يجاوره(٣). والله أعلم

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/ ١٣١).

(٢) انظر في ظلال القرآن (١/ ٩١- ٩٢).

(٣) الفتوحات الإلهية (١/ ٧٩).

السؤال ٨٠٠: لماذا جاء الفعل «أشربوا» مبنيا للمجهول في الآية؟

الجواب: لكثرة الأسباب الباطلة التي أشربته قلوبهم، فالشيطان زين لهم عبادة العجل وعشرتهم الطويلة للمصريين الذين كانوا يقدسونه، وضلال نفوسهم، كل هذا سهل عبادة العجل إليهم؛ لذلك قال -سبحانه-: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم المستقر في قلوبهم ونفوسهم. والله أعلم

السؤال ٨٠١: ما سر تقديم الجار والمجرور ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ على المفعول ﴿الْعِجْلَ﴾؟

الجواب: للتشويق إلى المؤخر. والله أعلم

السؤال ٨٠٢: ما تفسير جواب اليهود ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ على أمره تعالى لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾؟ [البقرة: ٩٣]

الجواب: أي أنهم قالوا سمعنا بأفواههم، وهذا كناية عن قولهم «آمنا» وقالوا «عصينا» بأفعالهم؛ فأعمالهم الكفرية ناقضت ادعاءهم الالتزام بالميثاق بأفواههم - فعصيانهم كان بلسان الحال لا بلسان المقال-. والله أعلم

السؤال ٨٠٣: ما دلالة الباء في قوله تعالى: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾؟

الجواب: الباء للسببية، أي كان ذلك الإشراب بسبب كفرهم عقوبة لهم وخذلانا. والله أعلم

السؤال ٨٠٤: علام يدل إسناد الأمر إلى الإيمان في قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾؟ [البقرة: ٩٣].

الجواب: يدل على التهكم بهؤلاء اليهود، وفي إسناد الأمر إلى الإيمان استعارة مكنية، حيث شبه الإيمان بشخص وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه «يأمر»

وقرينة المكنية «يأمر» استعارة تبعية. والله أعلم

السؤال٨٠٥: ما الغرض من إضافة الإيمان إلى المخاطبين من اليهود في قوله تعالى: ﴿إِيمَٰنُكُمْ﴾؟

الجواب: للقدح في إيمانهم؛ بأنه ليس بإيمان حقيقة كما يدل عليه تعليق الشرط بـ «إن» في قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهذا يوحي بالتشكيك في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم من التوراة وإبطال لها. وإيضاح هذا: إن كنتم مؤمنين بالتوراة عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به إيمانكم بها، وإذ لا يُسَوِّغ الإيمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا. والله أعلم

السؤال٨٠٦: لم فصلت الآية في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ ...﴾ [البقرة: ٩٤] عما قبلها؟

الجواب: لاختلاف السياق؛ لأن هذه الآية إبطال لحجة اليهود بأن الجنة لن يدخلها أحد سواهم. والآيات السابقة تفظيع لأحوالهم وتعديد لجرائمهم، فكان الانتقال من أسلوب أو سياق إلى سياق محسنا للفصل دون العطف لا سيما مع افتتاح الاحتجاج بـ «قل».(١) والله أعلم

السؤال٨٠٧: ماذا أفاد تقديم خبر كان «لكم» على اسمها في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ...﴾ [البقرة: ٩٤]؟

الجواب: أفاد القصر؛ بناء على اعتقاد اليهود، والمعنى: قصر الجنة ونعيمها عليهم

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٦١٤).

-كما يزعمون- وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ توكيد للقصر. والله أعلم

السؤال ٨٠٨: ما نوع الإيجاز في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ؟ [البقرة: ٩٤]

الجواب: إيجاز بالحذف، والمحذوف أكثر من جملة، والتقدير: إن كنتم صادقين في زعمكم أن الجنة لكم دون غيركم فتمنوا الموت. والله أعلم

السؤال٨٠٩: لم علق تمنيهم -اليهود- على شرط مفقود وهو كونهم صادقين، وهم ليسوا بصادقين بأن الجنة خالصة لهم دون غيرهم من الناس فلا يقع التمني ؟

الجواب: لأن المقصود من ذلك هو التحدي وإظهار كذبهم؛ لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها، وأن يخلص من المقام في دار المشاق والأكدار، وأن يصل إلى دار القرار.(١) والله أعلم

السؤال٨١٠: يعتبر قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ...﴾ [البقرة: ٩٥] **من المعجزات. وضح ذلك.**

الجواب: هو من المعجزات؛ لأنه إخبار بالغيب ولو تمنوه لنقل إلينا ذلك، ولتواترت به الأخبار. والله أعلم

السؤال٨١١: ما الغرض من العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، **حيث كان الظاهر أن يقال: ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بهم؟**

الجواب: للتشنيع بهم ولذمهم، وللتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في جميع الأمور

---

(١) انظر البحر المحيط(١/٤٧٨).

التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم.[١] والله أعلم

السؤال٨١٢: قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]. وقال - سبحانه - في سورة الجمعة: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: ٧]. فلماذا جاء النفي بـ«لن» في البقرة، وبـ«لا» في الجمعة؟

الجواب: لأنه لما كانت دعوى اليهود في آية سورة البقرة بالغة قاطعة، وهي: كون الجنة لهم خالصة دون غيرهم، فبلغوا في وقاحتهم وتألههم على الله تعالى أقصى درجة كان من الملائم المبالغة في الرد عليهم، فجيء بأبلغ ألفاظ النفي «لن» التي هي للقطع والحسم والبتات. أما دعواهم في سورة الجمعة فقاصرة مترددة، وهي زعمهم أنهم أولياء الله وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ [الجمعة: ٦]، فدعواهم هنا ليست بالمطلوب الذي ليس وراءه مطلوب كدعواهم في البقرة، فهم يزعمون هنا أنهم أولياء لله من دون الناس، ولم يصرحوا بأن الجنة لهم خالصة دون غيرهم؛ لذا كانوا أقل تطاولا وإيغالا في الزعم والادعاء، فلم يحتج في نفي هذا الزعم وإبطاله إلى ما هو الغاية في بابه فاقتصر على «لا» والله أعلم بمراده[٢].

ويمكن أن يضاف في تعليل هذا التغاير: أنه لما كان الوارد في آية سورة البقرة جوابا لحكم أخروي يستقبل ناسبه النفي بـ«لن» التي هي لنفي المستقبل، ولما كان

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ١٣٢).

(٢) انظر أسرار التكرار في القرآن للكرماني (ص٣٢-٣٣)، ودرة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي (ص١٦-١٧).

الوارد في آية سورة الجمعة جوابا لزعمهم أنهم أولياء لله من دون الناس وذلك حكم دنياوي، ووصف حالي لا استقبال فيه ناسبه النفي بـ «لا» التي هي لنفي الحال.[١] والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

السؤال٨١٣: ما نوع الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ؟ [البقرة: ٩٥]

الجواب: الباء للسببية، والمراد ما قدموه هم بأنفسهم من كفر قلوبهم، وجحودهم بآيات الله تعالى، واعتدائهم في يوم السبت، وتأييدهم لأسلافهم في ذلك والله أعلم

السؤال ٨١٤: لماذا قيل: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ولم يقل: بما قدمت أنفسهم ؟

الجواب: لأن فيه إشارة إلى الناحية الحسية فيهم، فهم أيد باطشة آثمة، وليس لهم قلوب مدركة عالمة - ولأن اليد أظهر جوارح الإنسان في العمل، فهي التي بها البطش والاعتداء، وارتكاب المآثم الجماعية، وهذا من باب المجاز المرسل بعلاقة الجزئية. والله أعلم

السؤال٨١٥: ما مدلول قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ؟ [البقرة: ٩٥]

الجواب: الجملة خبرية وغرضها التهديد والوعيد. وفي الاقتصار على تعليق علم الله تعالى بالظالم دليل على حصول الوعيد. وذكر الظالمين؛ لأن الظلم هو تجاوز حدود الله، ولا شيء أبلغ في التعدي من ادعاء خلوص الجنة لمن لا يعمل لها بأي عمل صالح وانفراده بذلك دون الناس[٢] والله أعلم

---

(١) انظر ملاك التأويل للغرناطي (١/ ٨٤).

(٢) البحر المحيط (١/ ٤٨٠).

قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٩٦-١٠١].

السؤال٨١٦: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ ﴾ ؟

الجواب: اليهود الذين أخبر سبحانه عنهم بأنهم لا يتمنون الموت. والله أعلم

السؤال٨١٧: ما سر التعبير بصيغة التفضيل «أفعل» من الفعل «حرص» في قوله تعالى:

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ... ﴾ ؟ [البقرة: ٩٦]

الجواب: للمبالغة في شدة حرصهم على دوام الحياة، وطمعهم في البقاء في الدنيا. والله أعلم

السؤال٨١٨: ما نوع اللام في «الناس» ؟

الجواب: للجنس فتشمل جميع الناس، أو للعهد والمراد بها إما المجوس أو إما مشركو العرب، لأنهم لا يؤمنون ببعث. والله أعلم

السؤال٨١٩: ما الغرض من التنكير في قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ ؟

الجواب: للتعميم، فهؤلاء اليهود يحرصون على أية حياة مهما كانت صورتها سواء

أكانت حياة ذل أم حياة عز، وسواء أكانت حياة استعباد أم حياة حرية، وسواء أكانت تحكمها الفضيلة أم تحكمها الرذيلة إنهم يحرصون على مطلق الحياة، وهذا يدل على كمال الحرص عليها ويدل كذلك على حرصهم على حياة طويلة، فلأن يكون أحرص على حياة طويلة أولى.(١) والله أعلم

السؤال٨٢٠: جاء قوله سبحانه في الآية الكريمة بالتخصيص ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ بعد التعميم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾ -إن أريد به عموم الناس- لتوبيخ اليهود، وضح ذلك

الجواب: في هذا التخصيص توبيخ شديد من الله تعالى لليهود؛ لأن هؤلاء الذين أشركوا وثنيون لا يؤمنون ببعث، فحرصهم على الحياة لا يستبعد، وأولئك اليهود أهل كتاب يؤمنون بذلك جملة؛ ولكنهم مع ذلك أحرص على الحياة والبقاء فيها من أولئك المشركين؛ لأنهم يريدون مطلق حياة، ولأنهم غارقون في الذنوب فهم عالمون بأن مصيرهم إلى العذاب، فكانوا أكثر الناس حرصا في البعد عنه؛ لأن من توقع شرا كان أنفر الناس عنه، فلما كانت الحياة سببا في تباعد العقاب كان أحرص الناس عليها(٢). والله أعلم

السؤال٨٢١: ما موقع جملة ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟ [البقرة: ٩٦] وما فائدتها؟

الجواب: جملة مستأنفة لبيان شدة حرص اليهود على الحياة المتطاولة وقد فصلت عما قبلها لكونها بيانا لها. والله أعلم

---

(١) انظر البحر المحيط (١/ ٤٨١)، وزهرة التفاسير (١/ ٣٢٤).

(٢) الكشاف (١/٨٣)، وانظر البحر المحيط (١/ ٤٨١).

السؤال٨٢٢: لم نص على ذكر الألف في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ...﴾ ؟ [البقرة: ٩٦]

الجواب: الألف كناية عن أكبر عدد؛ لأنهم لا يعرفون عددا أكبر منه. والله أعلم

السؤال٨٢٣: لم قال سبحانه: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ولم يقل مثلا: ألف عام ؟

الجواب: لمناسبة أصل المادة لسياق الآية، بيان ذلك أن أصل مادة السنة واشتقاقها يدل إما على التغير والتعفن، يقال: تَسَنَّه الخبز أو الشراب أو غيرهما: تغير وتعفن فهو مُتَسَنِّه. وإما أن يدل على القحط وسوء الزمان كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]. ومنه الإسنات: أي القحط والجدب.وإما أن يدل أصل المادة واشتقاقها على الدوران الذي فيه كد وتعب إن كان أصلها من سنا يسنو إذا دار حول البئر[١]. فتلك المعاني المأخوذة من اشتقاقات كلمة «السنة» تتناسب وسياق الآية المراد به ذم اليهود بتهالكهم على بقائهم في الدنيا على أي حالة كانت علما منهم بأنها ولو كانت أسوأ الأحوال خير لهم مما بعد الموت لتحقق شقائهم حينذاك. ولا تجد تلك المعاني المتناسقة مع هذا السياق لو قال سبحانه: ألف عام، أو حجة. فتأمل يرحمك الله قمة الإعجاز بوضع كل لفظة في موضعها المناسب لها، وصدق الله القائل عن قرآنه الكريم: ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]. والله أعلم

السؤال٨٢٤: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ...﴾ ؟ [البقرة: ٩٧]

الجواب: نزلت في اليهود جوابا عنهم وردا عليهم؛ إذ زعموا أن جبريل عدو لهم،

(١) انظر مادة (سنو) في لسان العرب، ومقاييس اللغة.

وأن ميكائيل ولي لهم، قالوا: لأن جبريل يأتي بالخسف والدمار والهلاك. وميكال يأتي بالخير والنماء [١] والله أعلم

السؤال٨٢٥: علام يعود الضمير في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ ...﴾ ؟

الجواب: على جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ والله أعلم

السؤال٨٢٦: ما مرجع الضمير في قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ ؟

الجواب: للقرآن الكريم. وهذا النوع من إضمار ما لم يسبق ذكره فيه دلالة على فخامة شأن صاحبه ومكانته، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته[٢]. والله أعلم

السؤال٨٢٧: لم أوثر التعبير بحرف الاستعلاء «على» فقيل: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] ولم يستعمل حرف الانتهاء «إلى» فيقال: نزله إليك ؟

الجواب: أوثر حرف «على»؛ لأن القرآن مستعل على القلب، إذ القلب سامع له ومطيع يمتثل ما أمر به، ويجتنب ما نهي عنه. وكان التعبير بـ«على» أبلغ من «إلى»؛ لأن «إلى» تدل على الانتهاء فقط، و«على» تدل على الاستعلاء، وما استعلى على الشيء يضمن الانتهاء إليه[٣]. والله أعلم

---

(١) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري (١/ ٣٤٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٥٧-١٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٦).

(٢) انظر الكشاف (٨ ١/ ٨٤).

(٣) انظر البحر المحيط (١/ ٤٨٨).

السؤال٨٢٨: لم خص ذكر القلب في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ ؟ [البقرة: ٩٧]

الجواب: لأنه أشرف أعضاء الإنسان وخيارها. والله أعلم

السؤال٨٢٩: ما السر في تخصيص جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة وهما منهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ ؟ [البقرة: ٩٨]

الجواب: خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة؛ لقصد تشريفهما وللدلالة على فضلهما، وأنهما وإن كانا من الملائكة فقد صارا باعتبار مالهما من المزية والفضل والشرف بمنزلة جنس آخر أشرف من جنس الملائكة، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات. وهذا من باب عطف الخاص على العام، وقد علمت النكتة فيه، وعلى غراره قوله سبحانه: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] والله أعلم

السؤال٨٣٠: ما المقصود من عداوة العبد لله، وعداوة الله للعبد في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ ؟ [البقرة: ٩٨]

الجواب: كلا العداوتين مجاز، فعداوة العبد لله معناها: عصيانه ومخالفة أوامره، ومعاداة رسله وأوليائه. وعداوة الله للعبد معناها: مجازاته على عصيانه وتعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه. والله أعلم

السؤال٨٣١: بم رد -سبحانه- على مزاعم اليهود وإعلان عداوتهم لجبريل عليه السلام؟

الجواب: رد -سبحانه - عليهم بوعيد شديد مزلزل جاء في جملة شرطية -هذا

الشرط - وجوابه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾. فهذا وعيد وتهديد وذم لليهود معادي جبريل عليه السلام وإعلان أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله تعالى لهم. وأكد - سبحانه- بقوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ أمر جبريل، إذ اليهود قد أخبرت أنه عدوهم من الملائكة؛ لكونه يأتي بالهلاك والعذاب، فرد عليهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] بأن جبريل أتى بأصل الخير كله، وهو القرآن الكريم الجامع لتلك الصفات الشريفة من موافقته لكتبهم، وكونه هدى وبشرى؛ فكانت تجب عليهم محبته. ورد عليهم في هذه الآية بأن قرنه باسمه تعالى مندرجا تحت عموم ملائكته، ثم ثانيا تحت عموم رسله، ثم ثالثا بتخصيصه بالذكر مع من يدعون أنهم يحبونه «ميكال» فصار جبريل مذكورا ثلاث مرات، ودلت الآية الكريمة على أنه - سبحانه - عدو لمن عادى واحدا ممن ذكر؛ إذ معاداة واحد منهم معاداة للجميع.(١) والله أعلم

السؤال٨٣٢: جاء الترتيب في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ...﴾ [البقرة: ٩٨] في غاية الدقة والحسن وضح ذلك.

الجواب: لأنه ابتدئ بذكر الله تعالى، ثم بذكر الوسائط التي بينه وبين الرسل وهم الملائكة، ثم بذكر الوسائط التي بين الملائكة وبين المرسل إليهم وهم الرسل. فهذا ترتيب بحسب الوحي. ولا يدل تقديم الملائكة في الذكر على تفضيلهم على الرسل من بني آدم؛ لأن الترتيب المذكور ترتيب بالنسبة إلى الوسائط لا بالنسبة إلى التفضيل. والله أعلم.

---

(١) راجع البحر المحيط (١/ ٤٩٠).

السؤال٨٣٣: كان الظاهر في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] أن يقال: فإنه نزله على قلبي فلم عدل عن هذا الظاهر إلى ما ورد في الآية الكريمة ؟

الجواب: لأن الكلام جاء على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به، كأنه قيل للنبي -محمد ﷺ-: قل ما تكلمتُ به من قولي: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. والله أعلم بمراده(١).

السؤال٨٣٤: ما سر العدول عن المضمر إلى الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وكان ظاهر السياق أن يقال: عدو لهم ؟

الجواب: ليدل على سبب معاداة الله تعالى لهم وهو الكفر ببعض ملائكته، وأن عداوة المذكورين في الآية الكريمة كفر بين لا يحتاج إلى الإخبار به. والله أعلم

السؤال٨٣٥: ما الغرض من ذكر الظاهر مكان المضمر في جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، حيث كان من المتبادر أن يقال: فإني عدو للكافرين؟

الجواب: لدلالة الاسم الظاهر على المهابة والقدرة العظيمة حثا على الامتثال.(٢) والله أعلم

---

(١) الكشاف (١/ ٨٤).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٢٤).

السؤال ٨٣٦: ما الغرض من التنكير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ...﴾؟ [البقرة: ٩٩]

الجواب: التفخيم والتعظيم. والله اعلم

السؤال ٨٣٧: ما مناسبة «بينات» للكفر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾؟ [البقرة: ٩٩]

الجواب: العلاقة بين الكلمتين علاقة تضاد أبرز به المعنى في صورة واضحة جلية، فالشيء البين: الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض، فعدم الإيمان بها هذا وصفه ليس لشبهة فيه؛ لأنه بين ولكنه كف؛ لأن الكفر هو التغطية، فعدم الإيمان بالظاهر البين سببه الكفر لأنه تغطية وستر وحجب لما هو واضح بين وستر الواضح لا يقع إلا من متمرد في فسقه. وكنى بالفسق عن الكفر هنا؛ لأن الفسق خروج الإنسان عما حُدَّ له(١).

السؤال ٨٣٨: من المقصود بالحديث في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ﴾؟ [البقرة: ١٠٠]

الجواب: اليهود. والله أعلم

السؤال ٨٣٩: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾؟ [البقرة: ١٠٠]

الجواب: الإنكار والتوبيخ. والله أعلم

---

(١) انظر البحر المحيط (١/ ٤٩١).

السؤال٨٤٠: بم يوحي التعبير بالنبذ في قوله تعالى: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ ؟

[البقرة: ١٠٠]

الجواب: يوحي بالإهمال والترك والازدراء. والنبذ في الآية مستعار لنقض العهد، فشبه إبطال العهد وعدم الوفاء به بإلقاء شيء كان ممسوكا باليد. والاستعارة تصريحية تبعية. والله أعلم

السؤال ٨٤١: ماذا أفاد التعبير بـ«كلما» في الآية الكريمة ؟

الجواب: يدل على تأصل نقض العهود عند اليهود، فهو مغروس في سلوكهم، وسمة من سمات شخصياتهم. والله أعلم

السؤال ٨٤٢: ما دلالة «وراء ظهورهم» في قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠١] ؟

الجواب: فيه تمثيل وتصوير لإعراض اليهود؛ لأن من أعرض عن شيء تجاوزه فخلفه وراء ظهره. وإضافة الوراء إلى الظهر لتأكيد بعد المتروك بحيث لا يلقاه بعد ذلك فجعل للظهر وراء، وإن كان هو هنا بعنى الوراء، فالإضافة كالبيانية.(١) والله أعلم

السؤال٨٤٣: ما الغرض من التنكير في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ ؟

[البقرة: ١٠١]

الجواب: التنكير للتفخيم. وأكد هذا التفخيم والتعظيم بالوصف «من عند الله»

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٢٦).

فأفاد مزيد تعظيم الرسول محمد ﷺ ما أفاده التنكير «رسول» من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية. والله أعلم

السؤال ٨٤٤: ما سر تكرار «نبذ» في قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة: ١٠١] **بعد قوله:** ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠]؟

الجواب: لأن النبذ أي نقض العهود سجية في اليهود؛ ولأنه معظم جناياتهم؛ ولأنه تمهيد لذكر اتباعهم الشياطين وإيثارهم له عليه.(١) والله أعلم

السؤال ٨٤٥: ما الغرض من العدول عن الضمير إلى الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة: ١٠١] **بدلا من: فريق منهم ؟**

الجواب: للإشعار بكمال التناقض بين ما أثبت لهم من إيتاء الكتاب وما صدر عنهم من النبذ(٢). والله أعلم.

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/ ١٣٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ١٣٥).

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ
وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ
هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ
مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ
ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾
وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ
عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ
مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ
ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠٢ - ١١٠].

السؤال٨٤٦: ما دلالة حرف الاستعلاء «على» في قوله تعالى:

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾ [البقرة: ١٠٢]؟

الجواب: دل الحرف «على» على ما ألحقه الشياطين من ضرر بسمعة سليمان عليه السلام والافتراء على ملكه، وتشويه حقائق التاريخ وما ألصقوه بهذا النبي الكريم من زيف وتزوير وأباطيل في محاولة لطمس معالم الإعجاز الإلهي بتسخير الجن والإنس لسليمان عليه السلام وخلط خوارق القدرة الإلهية بأباطيل السحر وفتن المشعوذين. و«على» تدل بطبيعة الاستعلاء فيها على الضرر، وتحميل مجرورها أثقالًا حسية أو معنوية. فالاستعلاء هنا جار على سبيل التجوز، باعتبار أن ما نسب إلى سليمان وعهده بمثابة تحميله أوزارًا تسيء إلى ملكه، وتَضُرُّ به، وتشوه معالمه، وفيه إشارة خفية إلى أن تزييف التاريخ، وتشويه معالم الأمم خاصة ما يتعلق منها بوحي السماء، إنما هو من فعل الشياطين وعبدة الطاغوت[1]. والله أعلم

السؤال٨٤٧: كيف نفى الله تعالى الكفر عن نبيه سليمان عليه السلام وهو نبي معصوم يستحيل أن يكفر وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة: ١٠٢]؟

الجواب: في هذه الآية الكريمة تبرئة من الله تعالى لساحة نبيه سليمان عليه السلام من الكفر؛ لأن اليهود نسبته إلى السحر، ولكن لما كان السحر كفرًا صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر، ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ فأثبت كفرهم بتعليم السحر. والله أعلم

السؤال ٨٤٨: ما الفرق بين السحر والمعجزة ؟

الجواب: السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يتمكن جماعة من معرفته ومن الإتيان به في وقت واحد. والمعجزة: أمر خارق للعادة يجريها الله تعالى على يد نبي أو

---

(١) انظر من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم (ص٦٧- ٦٨).

رسول وشرطها اقتران دعوى النبوة، والتحدي بها. والمعجزة لا يمكِّن الله تعالى أحدًا أن يأتي بمثلها وبمعارضتها. والساحر لم يَدَّع النبوة، فالذي يصدر منه يغاير المعجزة(١). والله أعلم

السؤال ٨٤٩: علام يدل عطف قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ على قوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾؟ [البقرة: ١٠٢]

الجواب: في العطف إشعار بأن السحر شر خالص، وضرر محض لا كبعض المضار المشوبة بنفع وضرر؛ لأن الذين يتعلمونه لا يقصدون به التخلص عن الاغترار بأكاذيب السحرة، ولا إماطة الأذى حتى تكون فيه شائبة نفع. وفي الإتيان بـ«لا» إشارة إلى أن السحر غير نافع في الدارين؛ لأنه لا تعلق له بانتظام المعاش ولا المعاد. وفي الجملة تحذير شديد عن تعلمه، وتحريض على تجنبه تعلمًا وتعليمًا(٢). والله أعلم

السؤال ٨٥٠: لم أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب «لو» في قوله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣] **؟**

الجواب: تقدير المحذوف: ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا، إلا أنه أوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها. ولم يقل: لمثوبة الله خير؛ لأن المراد - والله أعلم- لشيء من ثواب الله خير لهم. والله أعلم

السؤال ٨٥١: ما علة حذف المفضل عليه؟ وما تقديره في قوله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣] **؟**

الجواب: تقديره المفضل عليه المحذوف هو: لأثيبوا مثوبة من عند الله خيرًا مما

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٧).

(٢) روح المعاني (١/ ٥٤٤) بتصرف يسير.

شروا به أنفسهم. وحذف المفضل عليه إجلالًا للمفضل من أن ينسب إليه [١]. والله أعلم

السؤال٨٥٢: ما الغرض من التنكير في قوله تعالى: «مثوبة» ؟

الجواب: الغرض التقليل أي الأدنى مثوبة من عند الله خيرًا لهم. والله أعلم

السؤال ٨٥٣: لمَ نهى الله تعالى المؤمنين عن أن يقولوا «راعنا» وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ ﴾ ؟ [البقرة: ١٠٤]

الجواب: «راعنا» بمعنى راقبنا واحفظنا، أي: احفظنا ولنحفظك وارقبنا لنرقبك، ويجوز أن يكون من أرْعِنا سمعك، أي فرِّغ سمعك لكلامنا، وكان المسلمون يقولون هذه الكلمة للنبي ﷺ على جهة الطلب والرغبة من المراعاة، أي التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًا أي: اسمع لا سمعت، فلما سمعوا المسلمين يقولونها للنبي ﷺ قالوها له مبطنين بها السب للرسولﷺ فنزلت الآية الكريمة[٢]، ونهي المسلمون عن التلفظ بتلك الكلمة نهيا تحريميًا لئلا يتخذها اليهود ذريعة لسب النبي الكريم ﷺ بأن يقولوها له مظهرين أنهم يريدون المعنى العربي، مبطنين السب بعدم السماع أو نسبته ﷺ إلى الرعن وهو: الحمق والهوج كما تدل عليه الكلمة في لغتهم -لعنهم الله-. وأمر الله تعالى المؤمنين بأن يخاطبوا نبيهم ﷺ بكلمة أخرى بديلة تدل على إجلاله وتقدير مقامه الشريف وهي «انظرنا» أي أقبل علينا وانظر إلينا، وفي هذا التوجيه

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ١٤٠).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٥٧).

للمؤمنين دلالة على مكانة الرسول ﷺ وعلو مقامه السامي عند ربه تعالى.

وفيها دلالة على وجوب تجنب الألفاظ المحتملة للسب والنقص، وإن لم يقصد المتكلم بها ذلك المعنى المفيد للشتم والسب والتنقيص سدًا للذريعة[١]. وفي الآية إشارة كذلك إلى سوء أخلاق اليهود، وفساد طويتهم، وسوء أدبهم، ودسائسهم ونفاقهم. وفي الآية كذلك تأنيب للمؤمنين، وتطهير لغوي رباني للغتهم مما لا يناسب مقام النبوة، وأخيرًا في الآية تعريض باليهود وبسوء أدبهم وبنفاقهم، وإشعار لهم بأن الله تعالى قد فضح كيدهم، وكشف عن نواياهم الخبيثة باطلاع نبيه ﷺ على ذلك. والله أعلم

السؤال ٨٥٤: لم بدئ بالنهي في قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾؟
[البقرة: ١٠٤]

الجواب: لأنه من باب التروك فهو أسهل، ثم أتى بأمر بعده الذي هو أشق لحصول الاستئناس قبل بالنهي. والنهي لم يكن عن شيء سبق تحريمه[٢].

السؤال ٨٥٥: ما علة وضع الموصول موضع الضمير في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ [البقرة: ١٠٥] **حيث كان ظاهر السياق أن يقال:** ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] **ما يودون... ؟**

الجواب: للإشعار بسبب عدم ود المذكورين الخير للمؤمنين. والله أعلم

---

(١) جمع الذريعة الذرائع، وتعني لغة: الوسيلة والسبب إلى الشيء، وشرعًا: عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع.
(٢) البحر المحيط (١/٥٠٨).

السؤال٨٥٦: ما علاقة الآية بما قبلها ؟

الجواب: ما قبلها تأديب للمؤمنين مع رسولهم مع التعريض بلؤم اليهود، وهذه الآية لبيان حسد اليهود وغيرهم للمؤمنين، فوجه المناسبة بين الآيتين ظاهر لاتحاد المآل، ولأن الباعث للسب والأذى هو الحسد [1]. والله أعلم

وفصلت الآية عما قبلها وإن اشتركتا في بيان قبائح اليهود مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ لاختلاف الغرضين كما أشرنا آنفًا.

السؤال ٨٥٧: لماذا جاء النفي بـ «ما» في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ؟

[البقرة: ١٠٥]

الجواب: لأن «ما» لنفي الحال، ففي النفي بها دلالة على أن الذين كفروا والمشركين ملتبسين بالكراهية أن ينزل الله خيرًا على المؤمنين. والله أعلم

السؤال٨٥٨: ما فائدة عطف قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ؟

الجواب: جاء العطف للاحتراس؛ لئلا يتوهم أن الكافرين من غير أهل الكتاب لا يحسدون المسلمين، فجيء بالعطف؛ ليشمل الحكم لجميع هؤلاء المذكورين. والله أعلم.

السؤال٨٥٩: لماذا لم يقل -سبحانه-: ما يود أهل الكتاب ؟

الجواب: لتحريفهم كتبهم، ولعدم اتباع الحق فيها بالإيمان بالنبي ﷺ وبما جاء به،

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٦٥٢).

ولحسدهم النبي على النبوة وحسدهم المسلمين، فلما فعلوا ذلك فقد كفروا بها أمرت به كتبهم. والله أعلم

السؤال٨٦٠: ما المقصود من قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ﴾؟ وما المراد بالخير والرحمة في قوله: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]؟

الجواب: الود: محبة الشيء وتمني كونه -كما قال الراغب في مفرداته-[١] ونفي هذا المعنى في الآية الكريمة كناية عن صفة هي الكراهية.. والمراد بالخير في الآية الكريمة الوحي أو النبوة وما أيدها من الوحي والقرآن والنصر. ويراد بالرحمة الوحي كذلك[٢]. ومعنى الآية أن هؤلاء الكفار من أهل الكتاب والمشركين يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم، وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي. وحسد اليهود بسبب زعمهم أن النبوة لا تليق إلا بهم لكونهم أبناء الأنبياء. وحسد العرب بسبب ما عندهم من الرياسة ونفاذ الكلمة والغنى والفخر فقالوا: لا تليق النبوة إلا بنا. والله أعلم

السؤال ٨٦١: تكررت «من» في الآية الكريمة [البقرة: ١٠٥] ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وقوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾، وقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فما معنى كل واحدة منها؟

الجواب: «من» الأولى بيانية؛ لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون بدليل قوله سبحانه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١].

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب مادة (ودّ) (ص٥٥٣).

(٢) راجع تفسير النسفي (١/ ٦٧)، والتحرير والتنوير (١/ ٦٥٣).

و«من» الثانية: صلة لاستغراق الخير. والثالثة: لابتداء الغاية [١] والله أعلم

السؤال ٨٦٢: ما سر إثبات «لا» في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥]؟ وما سر حذفها من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١]؟

الجواب: أثبت «لا» في آية سورة البقرة؛ لأن مبنى النفي فيها الحسد، واليهود أكثر الناس اتصافًا بهذا الداء، وقد تقدم ما يفيد ابتلاءهم به، فلا يلزم من نفي ودادتهم ودادة المشركين لها، ولم يكن ذلك في سورة البينة [٢]. والله أعلم

السؤال٨٦٣: ماذا أفاد ذكر وصف الربوبية، وإضافته إلى ضمير المخاطبين «المؤمنون» في قوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾؟

الجواب: تشريف المخاطبين أي المؤمنين. والله أعلم

السؤال٨٦٤: ما سر الجمع بين لفظي «الله» و«رب» في قوله تعالى: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]؟

الجواب: في ذكر لفظ الجلالة تنبيه على أن تخصيص بعض الناس بالخير دون بعض يلائم الألوهية. كما أن إنزال الخير على العموم يناسب الربوبية بما فيها من معاني التقدير والتدبير. والله أعلم [٣].

---

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٨٧).
(٢) انظر روح المعاني (١/ ٥٥١).
(٣) انظر روح المعاني (١/ ٥٥٢).

السؤال٨٦٥: ما الغرض من ذكر قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ... ﴾ [البقرة: ١٠٦]؟

الجواب: الآية الكريمة؛ لبيان سر النسخ في بعض آيات القرآن الكريم؛ ولإبطال مقالة الطاعنين فيه من اليهود أو المشركين أو هما معًا. والنسخ في اللغة: الإزالة والنقل. ونسخ الآية معناه: بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعًا. وإنسائها: إذهابها من القلوب. ومعنى الآية: أن كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة، والمصلحة من إزالة لفظها، أو حكمها، أو كليهما معًا إلى بدل، أو إلى غير بدل نأت بخير منها، أي نوحي إليك أخرى هي خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الآية المنسوخة (١). والله أعلم

السؤال ٨٦٦: ما الغرض من الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] حيث كان الظاهر أن يقال: ألم تعلم أني على كل شيء قدير؟

الجواب: لقذف المهابة في القلوب، ولتعليل الحكم. والله أعلم

السؤال٨٦٧: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]؟

الجواب: استفهام مجازي غرضه التقرير. والله أعلم

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية (١/ ٩١).

السؤال ٨٦٨: ما سر توكيد الخبر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]؟ **وفي قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [البقرة: ١٠٧]؟

الجواب: لاشتمال مضمون الخبرين على حقيقة راسخة جليلة الشأن، وهي قدرته سبحانه على كل شيء، ومطلق ملكيته للسماوات والأرض وما فيهن. ومن شأن تلك الأخبار العظيمة الشأن أن يحتفى بها بأسلوب مؤكد. والله أعلم.

السؤال ٨٦٩: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [البقرة: ١٠٧]؟

الجواب: التقرير. والله أعلم

السؤال٨٧٠: من المخاطب بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؟ **وقوله:** ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب: الخطاب ليس لمخاطب معين، بل لكل من يتأتى له الخطاب «على طريقة المجاز بتشبيه من ليس حاضرا للخطاب وهو الغائب منزلة المخاطب في كونه بحيث يصير مخاطبًا لشهرة هذا الأمر. والمقصد من ذلك؛ ليعم كل مخاطب صالح له، وهو كل من يظن به أو يتوهم منه أنه لا يعلم أن الله على كل شيء قدير ولو بعدم جريانه على موجب علمه» (١). والله أعلم

السؤال ٨٧١: ما سر تقديم الجار والمجرور «له» في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [البقرة: ١٠٧]؟

الجواب: لإفادة التخصيص، أي: قصر ملك السماوات والأرض على الله تعالى.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٦٤).

والقصر حقيقي تحقيقي؛ طريقه التقديم من باب قصر الصفة على الموصوف. والله أعلم

السؤال ٨٧٢: لماذا أثبتت «من» في قوله تعالى: ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧]؟

الجواب: لتأكيد نفي الولي والنصير، فـ «من» تدل على استغراق النفي وشموله، والمعنى: ليس للمعاندين لآيات الله تعالى والجاحدين بها أي ولي كان، مهما كان شأنه، ولا أي نصير. وأكد هذا النفي «لا» في الآية الكريمة: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. والله أعلم

السؤال٨٧٣: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ...﴾ [البقرة: ١٠٨]؟

الجواب: الغرض الإنكار والتوبيخ، أي: إنكار الوقوع لا الواقع لأن المسلمين لم يسألوا الرسول ﷺ، فتوجهت الهمزة لإنكار وقوع الإرادة منهم واستبعاده؛ لما أن قضية الإيمان وازعة عن إرادة تلك الأسئلة المتعنتة. وفي توجيه الإنكار إلى السبب أي إرادة تلك الأسئلة دون المسبب وهو وقوع الأسئلة المحظورة مبالغة في الإنكار والاستبعاد والتوبيخ؛ لأن انتفاء السبب يستوجب انتفاء المسبب. والمعنى: أتريدون أن تسألوا تلك الأسئلة وأنتم مؤمنون[١]. والذي سوغ هذا الإنكار هو جيشان السؤال في صدورهم. وتشم في هذا الاستفهام أيضًا رائحة التحذير للمسلمين، ولعل بعض ما علق في نفوس بعض المسلمين جاء نتيجة لانخداعهم بحملات التشكيك والتضليل التي أرادها اليهود في المدينة، مما حدا ببعض المسلمين أن يقدموا على توجيه أسئلة

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/ ١٤٤).

للرسول ﷺ لا تتفق مع الثقة واليقين، فجاء الإنكار الإلهي لهم؛ ليقتلع تلك البذور ويئدها في مهدها، وهي تجيش في صدورهم حتى لا تستفحل فتستحيل إلى عناد وتعنت وشك كما كان عليه اليهود. والله أعلم

السؤال٨٧٤: ما نوع «أم» في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾؟

الجواب: «أم» منقطعة بمعنى «بل»، والمعنى: بل تريدون أن تسألوا. والله أعلم

السؤال٨٧٥: لم أوثر المصدر المؤول ﴿أَن تَسْـَٔلُوا ﴾ على المصدر الصريح «سؤال» في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ ...﴾ [البقرة: ١٠٨]**؟**

الجواب: لأن المخاطبين لم يكونوا قد سألوا، ولكن يتوقع منهم السؤال؛ ولأن المصدر المؤول يفسح المجال لدخول الأسئلة المتعددة في الإنكار، ولو قيل: «سؤال» لتبادر إلى الذهن أن المنكر إنما هو سؤال واحد(١). والله أعلم

السؤال ٨٧٦: ما سر إيثار الفعل المبني للمجهول في قوله تعالى: ﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾؟ [البقرة: ١٠٨]

الجواب: لأن فيه إيجازًا بالحذف أغنى عن ذكر كثير من الطلبات التي طلبها اليهود من موسى عليه السلام تعنتًا ولجاجة. والله أعلم

السؤال٨٧٧: ما وجه الشبه في الصورة التشبيهية في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾؟ [البقرة: ١٠٨]

الجواب: وجه الشبه: الخروج عن المباح طلبه أو اللجاجة الممقوتة. وهو تشبيه فيه

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٩٦).

معنى الاحتراس؛ لئلا يتوهم أن مجرد السؤال محظور، ولكن كل سؤال لم يلتزم فيه حسن الأدب واللياقة. والله أعلم

السؤال٨٧٨: ما الغرض من الخبر في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]؟

الجواب: التهديد والوعيد. والله أعلم.

السؤال ٨٧٩: ما وجه بلاغة الالتفات من الخطاب ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ إلى الغيبة في ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ ؟ [البقرة: ١٠٨]

الجواب: كراهة أن يوصف المخاطبون وهم المسلمون بالضلال والزيغ.(١) والله أعلم

السؤال ٨٨٠: لم قيل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ...﴾ [البقرة: ١٠٩]، **ولم يقل: ود أهل الكتاب ؟**

الجواب: الاستثناء من آمن منهم. والمراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة اليهود، كما يفهم من أسباب نزول هذه الآية. والله أعلم.

السؤال ٨٨١: ما السر في إيثار الظرف «بعد» في قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] **وكان الظاهر أن يقال: لو يردونكم عن إيمانكم ؟**

الجواب: لإظهار كمال فظاعة ما أراده اليهود، وغاية بعده عن الوقوع؛ لممانعة الإيمان له، كأنه قيل: من بعد إيمانكم الراسخ، وفيه ما فيه من تثبيت المؤمنين في مواجهة

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٩٦).

محاولات اليهود لزعزعتهم عن دينهم.[١] والله أعلم

السؤال٨٨٢: ما دلالة قوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾؟ [البقرة: ١٠٩]

الجواب: علة لـ «ودَّ» لا «ليردونكم»؛ لأن اليهود كانوا يودون ارتدادهم مطلقًا لا ارتدادهم المعلل بالحسد[٢]. والله أعلم

السؤال ٨٨٣: ما سر إثبات «من» في قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾؟ وما نوعها؟

الجواب: «من» في الآية ابتدائية، وفي إثباتها إشارة إلى رسوخ الحسد في نفوس اليهود وتأصله فيهم، وصدوره عن أنفسهم. وأكد ذلك بكلمة «عند» الدالة على الاستقرار[٣]. والله أعلم

السؤال٨٨٤: ما الفرق بين العفو والصفح ؟

الجواب: العفو: ترك العقوبة على الذنب، والصفح: ترك اللوم والعتاب عليه. والله أعلم

السؤال ٨٨٥: لم أمر الله تعالى المسلمين بالعفو والصفح عن اليهود في قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ..﴾ [البقرة: ١٠٩]؟

الجواب: حملاً للمسلمين على مكارم الأخلاق، وحتى يكونوا قدوة لأعدائهم في

(١) انظر روح المعاني (١/ ٥٦٢).

(٢) روح المعاني (١/ ٥٦٢).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٦٧٠) إذن إنه الحسد الأسود الخسيس الذي تفيض به قلوب اليهود تجاه الإسلام والمسلمين. وهو الذي انبعثت منه مكائدهم ودسائسهم ومؤامرتهم الدنيئة وما زالت، وهذا ما كشفه القرآن الكريم للمسلمين ليعرفوه، وليعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم، وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي عاشوا فيه، والذي أنقذهم الله منه بالإيمان، وخصهم بأعظم الفضل وأجل النعم التي تحسدهم عليها اليهود. انظر في ظلال القرآن (١/ ١٠٢).

الحلم والعفو والصفح. والله أعلم.

السؤال ٨٨٦: لماذا أوثر العفو على الصبر في الآية الكريمة ؟

الجواب: للإشعار بأن عفو المؤمنين وصفحهم عن أعدائهم ليس عن ضعة وضعف وذلة، وإنما عن قدرة وتمكن، وفيه ترهيب لأعدائهم. والله أعلم

السؤال ٨٨٧: ما المقصود بالأمر في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩]؟

الجواب: المقصود الإذن في قتالهم، وضرب الجزية عليهم، أو قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير. وهذا يدل على أن الآية نزلت قبل الإذن بالقتال. والله أعلم[١].

السؤال٨٨٨: علام عطف قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾ [البقرة: ١١٠]؟

الجواب: عطف على قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُوا۟﴾، ووجه مناسبة العطف، أنه لما أمر الله تعالى المؤمنين بالعفو والصفح وذلك مما يحتاج إلى رياضة نفسية وطهارة روحية وإلف اجتماعي، كان من الملائم إتباع هذا الأمر بالأمر بالعبادة البدنية والمالية، فالصلاة -العبادة البدنية- رمز للطهارة والنقاء النفسي، وإيتاء الزكاة -العبادة المالية- رمز للطهارة الجماعية والائتلاف. والله أعلم

السؤال٨٨٩: في قوله تعالى: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] **مضاف محذوف تقديره: ثوابه، فما السر في حذف هذا المضاف ؟**

الجواب: للمبالغة في تفخيم ثواب الخير وتجسيمه. والله أعلم.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/٧٣).

السؤال٨٩٠: ما علة العدول عن المضمر إلى المظهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ١١٠] حيث كان ظاهر السياق أن يقال: وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير؟

الجواب: للدلالة على استقلال الجملة، فتكون تذييلاً مستقلاً بنفسه مستغن عما قبله؛ لأهمية مضمون الجملة. والله أعلم.

السؤال٨٩١: ما المقصود من قوله: ﴿بَصِيرٞ﴾ ؟

الجواب: كناية على إحاطة علمه -سبحانه وتعالى- الذي لا تخفى عليه خافية. وكنى عن ذلك بقوله: ﴿بَصِيرٞ﴾ لذكر الدليل على علمه -سبحانه -، فمن كان مبصرًا لفعلك، لا يخفى عليه عملك سرًا كان أو جهرًا، ولهذا عبر سبحانه عن علمه بالإبصار. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ وعد للمؤمنين، وذلك أنه أعلمهم أنه -سبحانه- بصير بجميع أعمالهم ليجتهدوا في طاعته، إذ كان ذلك مذخورًا لهم عنده؛ حتى يثبتهم عليه. والله أعلم

السؤال ٨٩٢: لماذا قال -سبحانه-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ١١٠] ولم يقل: إن الله بما تعملون مبصر؟

الجواب: للدلالة على التمكن إن كان «بصير» من «بصر»، أو للدلالة على المبالغة أي التكثير؛ لأن «فعيل» للمبالغة في «مَفْعَل». والله أعلم بمراده (١).

---

(١) انظر البحر المحيط (١/ ٥١٩).

السؤال٨٩٣: بم أكد الله تعالى إحاطة علمه في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؟ [البقرة: ١١٠]

الجواب: أولًا: بالتعبير بـ «ما» الدلالة على العموم والشمول.

ثانيًا: بالجملة الاسمية المؤكدة بإن.

ثالثًا: بالتعبير عن العلم بالبصير، فمعناه علم كأنه مبصور مشاهد بالبصر، يعلم السر وأخفى، والدقيق والجلي فلا يخفى عليه سبحانه شيء من عمل خلقه، ويعلمه علم من يبصره. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [البقرة: ١١١-١١٣]

السؤال ٨٩٤: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ... ﴾ [البقرة: ١١١]؟

الجواب: يعود الضمير على أهل الكتابين اليهود والنصارى، وقد بين سبحانه وتعالى اغترارهم بما هم فيه، حيث زعمت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، كما ادعوا في سورة المائدة بقولهم كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ ﴾ [المائدة: ١٨] فأبطل الله تعالى دعواهم في كل موضع قالوا فيه هذا. والله أعلم

السؤال٨٩٥: في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ... ﴾ [البقرة: ١١١] محسنًا بديعيًا. وضحه وبين نوعه.

الجواب: في الآية لف ونشر غير مرتب، وهو من المحسنات البديعية المعنوية. وبيان ذلك أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ﴾ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين القولين؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنًا من الالتباس لما علم من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحد منهما للآخر.

ومن شواهده أيضًا قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥]، فالضمير في قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ عائد على أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ولفّ بين القولين من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يرده إليه؛ لما علم من أن اليهودي لا يأمر بالنصرانية، ولا النصراني يأمر باليهودية.(١) والله أعلم

السؤال ٨٩٦: لم قدم ذكر اليهود على النصارى في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ..﴾ [البقرة: ١٣٥]؟

الجواب: قدم ذكر اليهود على النصارى لفظًا؛ لتقدمهم زمانًا. والله أعلم

السؤال ٨٩٧: لم أوثر النفي بـ «لن» دون أدوات النفي الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾؟ [البقرة: ١١١]

الجواب: أوثرت «لن» دون أدوات النفي الأخرى؛ لإفادتها النفي المؤكد المستغرق لآماد طويلة من أزمنة المستقبل. والله أعلم

السؤال ٨٩٨: ما سر العدول عن المفرد إلى الجمع في قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ حيث إن قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا ...﴾ أمنية واحدة، فلم عبر عنها بالجمع؟

الجواب: لعل السر في العدول عن المفرد «أمنية» إلى الجمع «أماني» في الآية الكريمة هو: أن اليهود والنصارى لشدة تمنيهم لهذه الأمنية ومعاودتهم لها، وإلحاحهم على تحققها جمعت؛ ليشير جمعها إلى أنها متأكدة في قلوبهم وأنهم عايشوها ليلهم

---

(١) انظر الكشاف (١/٨٨)، وشروح التلخيص. القاهرة ١٩٣٧م، والمطول لسعد الدين التنفازاني – تركيا – ١٣٣٠هـ.

ونهارهم، حتى كبرت تلك الأمنية الزائفة، حتى استحالت إلى أماني، فكان التعبير بالجمع عن المفرد إشارة إلى تنامي تلك الأمنية في أفئدتهم الجوفاء، وفي عقولهم المضطربة حتى صارت أماني [١].

وفي التعبير عن المفرد بالجمع إشارة أيضًا إلى تناقض الأماني بين اليهود والنصارى، وتناقضها وتصارعها، وأنهم على الرغم من عداوتهم للإسلام، واجتماعهم على محاربته، فإن أهدافهم مختلفة، وأمانيهم متباينة، ولو قيل: تلك أمنيتهم، لدل على اتفاقهم على دخول الجنة، وامتناع غيرهم من أهل الأديان الأخرى، فكان الجمع دليلاً على اختلاف أهوائهم، وأن لكل طائفة هوى غير الأخرى، وأن كل فريق متمناه دخول أتباع دينه وحده. وقد دل البيان القرآني على ذلك التناقض فيما بينهم بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣][٢]. والله أعلى وأعلم

السؤال ٨٩٩: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ؟

الجواب: التعجيز والتبكيت. والله أعلم

السؤال٩٠٠: لماذا وسّط الرسول ﷺ في طلب البرهان أي الدليل القاطع من أهل الكتابين حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ...﴾ ولم يقل: هاتوا برهانكم، بطلب البرهان منهم مباشرة ؟

(١) انظر حاشية ابن المنير علي الكاشف (١/ ٨٩).

(٢) انظر المفردات للراغب (ص٥٤٨)، والإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، د. محمد الأمين الخضري (ص١٢٤).

الجواب: لم يوسط الرسول ﷺ في طلب البرهان من اليهود والنصارى على ادعائهم باختصاصهم بدخول الجنة ليقتنع بزيف ادعائهم، وإنما وسط ليبين كذبهم؛ وليكشف زعمهم أمام المؤمنين، فيزدادوا يقينًا بصدق ما جاء به رسولهم ﷺ، وبكذب وبهتان الفريقين من أهل الكتاب. والله أعلم بمراده.

السؤال ٩٠١: لماذا أوكل سبحانه طلب البرهان إلى اليهود والنصارى ولم يتكفل سبحانه ببيان كذبه ؟

الجواب: لأنه سبحانه عالم الغيب والشهادة، فعلمه سبحانه شامل محيط، فهو تعالى يعلم افتراء ادعائهم وزيفه وكذبه، وقد حكم سبحانه على أمنيتهم وادعائهم بأنه ما يتمنونه لا ما يستحقون، لذا فلا يطلب الدليل من يعلم. والله أعلم بمراده.

السؤال ٩٠٢: ما سر تعليق الشرط بـ«إن» في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]؟

الجواب: للشك في صدقهم مع القطع بكذبهم؛ إذ لا دليل عند اليهود والنصارى في ادعاء استحقاقهم الجنة دون غيرهم ممن لا يحمل شارات اليهودية أو النصرانية، فاستدرج أهل الكتابين؛ حتى يعلموا أنهم كاذبون حين يعجزون عن إثبات دعواهم بالبرهان، ولأن كل اعتقاد بلا دليل اعتقاد كاذب.

السؤال ٩٠٣: ماذا أفاد حرف الجواب «بلى» في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ...﴾ ؟ [البقرة: ١١٢]

الجواب: إبطال لدعوى أهل الكتابين، ونقض لقولهم، وإثبات لنفي ما توهموه من قصر دخول الجنة عليهم دون غيرهم. والله أعلم

السؤال ٩٠٤: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾؟ وما وجه بلاغته؟

الجواب: مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث أطلق الجزء «الوجه» وأريد الكل «الذات». وفي التعبير بالمجاز دلالة على شرف الوجه؛ لأنه مجمع المشاعر، وموضع السجود، ومظهر آثار الخضوع الذي هو من أخص خصائص الإخلاص[1]. ومعنى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: إخلاص النفس وانقيادها وخضوعها لكل أوامر الله تعالى ونواهيه، استسلامًا لله تعالى وحده استسلامًا معنويًا وتسليمًا وتفويضًا عمليًا مقترنًا بدليل ظاهر عليه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[2].

السؤال ٩٠٥: ما فائدة التعبير بالجملة الحالية ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢]؟

الجواب: لبيان عدم غناء العقيدة بنقائها عن العمل بإخلاص لله تعالى وحده، فكلا الأمرين لا غناء عنهما للفوز بجنة الله تعالى ورضوانه بذلك القيد؛ عقيدة نقية صافية وعمل خالص لله تعالى دون رياء ولا سمعة، وقبل ذلك فضل الله ورحمته للفوز بجنته. والله أعلى وأعلم

السؤال ٩٠٦: لم عبر -سبحانه- عن دخول الجنة بالأجر في قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢]؟

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/١٤٧).

(٢) وفي الآية الكريمة تبرز سمة الإسلام ألا وهي (الوحدة بين الشعور والسلوك، بين العقيدة والعمل، بين الإيمان القلبي والإحسان العملي، بذلك تستحيل العقيدة منهجًا للحياة كلها، وبذلك تتوحد الشخصية الإنسانية بكل نشاطها واتجاهاتها، وبذلك يستحق المؤمن هذا العطاء كله: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾).

الجواب: عبر بالكناية «الأجر» عن دخول الجنة؛ للإشعار بقوة ارتباط الأجر «الثواب» بالعمل الخالص لوجه الله تعالى، وعدم استحقاقه بدونه. والله أعلم بمراده

السؤال ٩٠٧: بم يوحي التعبير بوصف الربوبية وإضافته إلى ضمير ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾؟

الجواب: للإشعار بمزيد الرعاية والعناية واللطف والتدبير. والله أعلم

السؤال٩٠٨: ما علة العدول عن المفرد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، حيث كان ظاهر السياق أن يقال: ولا خوف عليه ولا هو يحزن؟

الجواب: أحسب -والله أعلم- أن السر في العدول عن المفرد إلى الجمع في الآية الكريمة هو: التعظيم، فمن يجمع بين إخلاص الوجه لله تعالى والانقياد له سبحانه وبين إخلاص العمل لله تعالى؛ أي: من يجمع بين نقاء العقيدة وإخلاص العمل فإنه يستحيل إلى جماعات كثيرة وكأنه أمة بنفسه في آثارها ومآثرها، فقد نُزِّلت الكثرة أي الزيادة في الحدث منزلة الكثرة في العدد، فيصير بها الفرد جماعة، والمفرد جموعًا ولا غرو في هذا فالعبد المستسلم المنقاد لأمر ربه المخلص له في كل أعماله، والمستحق لرضوان الله تعالى في ميزان الإسلام يضاهي أمة بأسرها(١). والله أعلم

---

(١) ومن شواهد التعبير عن المفرد بالجمع قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]. فالمقصود بالناس الذين حسدهم أهل الكتاب، النبي ﷺ والفضل هو النبوة. فقد عبر عن الواحد بالجمع تعظيمًا للنبي ﷺ. انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥١٣) والله أعلم بمراده.

السؤال ٩٠٩: ما الفرق بين الخوف والحزن ؟

الجواب: الخوف: توقع مكروه عن أمارة متوقعة أو معلومة، ولا يكون إلا من المستقبل.

والحزن: الخوف من الواقع أو الماضي. والله أعلم

السؤال ٩١٠: لماذا قدم الله تعالى نفي الخوف عمن أسلم وجهه له على نفي الحزن، وذلك في قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]؟

الجواب: ضمن الله تعالى في هذه الآية الكريمة لعباده المؤمنين المخلصين تحصيل الأجور، وآمنهم مما يخافونه من المحذور فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما مضى مما يتركونه. وبدئ بنفي الخوف عنهم؛ لأنه الأهم، فخوف الإنسان من مجهول ينتظره أشد من خوفه على ما مضى، فقدم سبحانه نفي الأشق عنهم لزيادة تثبيتهم ولنشر الطمأنينة في نفوسهم. وهكذا نبه الله تعالى بالأمرين ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «على نهاية السعادة؛ لأن النعيم العظيم إذا دام وكثر وخلص من الخوف والحزن، فلا يحزن على أمر فاته، ولا على أمر يناله، ولا يخاف انقطاع ما هو فيه وتغيره، فقد بلغ النهاية، وفي ذلك ترغيب في هذه الطريقة، وتحذير من خلافها الذي هو طريقة الكفار المذكورين من قبل»(١).

---

(١) مفاتيح الغيب (٢/ ٣٤٠) وفي قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢]، تقرر قاعدة من قواعد العدل الإسلامي في ترتيب الجزاء على العمل بلا محاباة لأمة ولا لطائفة ولا لفرد، إنما هو الإسلام والإحسان، لا الاسم والعنوان والله أعلم انظر في ظلال القرآن (١/ ١٠٣).

السؤال٩١١: ما علاقة قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ...﴾ [البقرة: ١١٣] بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ...﴾ [البقرة: ١١١] ؟

الجواب: جاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ...﴾ معطوفًا على قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ...﴾؛ لزيادة بيان طبع أهل الكتاب، وأن المجازفة دأبهم وأن رمي المخالف لهم في أي شيء بأنه ضال؛ صفة متأصلة فيهم، فهم يرمون المخالف بالزيع والضلال؛ لمجرد المخالفة، فقديمًا رمت اليهود النصارى بالضلال، ورمت النصارى اليهود بمثله، فلا عجب من حكم كل فريق منهم بأن المسلمين لا يدخلون الجنة. وفي ذلك تسفيه لأهل الكتاب، وتسلية للمؤمنين، ودفع الشبهة عن المشركين بأنهم يتخذون من طعن أهل الكتاب في الإسلام؛ حجة لأنفسهم على مناوأته وثباتًا على شركهم (١).

السؤال ٩١٢: ما سر تأنيث الفعل في قوله «ليست» ؟

الجواب: لضعف قولهم. والله أعلم.

السؤال٩١٣: علام يدل وقوع النكرة «شيء» بعد النفي «ليست» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ...﴾ [البقرة: ١١٣]؟

الجواب: وقوع النكرة «شيء» في سياق النفي أفاد العموم، والغرض مبالغة كل

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٦٧٥).

فريق من أهل الكتاب أن الفريق الآخر ليس على شيء ذي بال يعتد به. والله أعلم.

السؤال ٩١٤: ما نوع اللام في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١١٣]؟

الجواب: اللام للجنس، والمقصود أنهم أهل علم وتلاوة للكتب، فما كان يليق بهم التكذيب والتضليل والتناكر والمجازفة، وكان الواجب عليهم الإنصاف بأن يبينوا مواطن الخلل والخطأ عند مخالفيهم. ورائحة التوبيخ لهم جلية نفاذة في تلك الجملة الحالية ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التي تنعي عليهم تكذيبهم، فهم عالمون بصحة نبوة موسى وعيسى -عليهما السلام- وكذلك نبوة محمد ﷺ، ولكن أهواءهم هي التي تسيرهم وتحكمهم. والله أعلم

السؤال ٩١٥: ما دلالة التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١١٣] ؟

الجواب: فيه زيادة توبيخ لهؤلاء العالمين بما في كتبهم، المداومين للنظر فيها والمستمرين على ذلك؛ لذا كان الأحرى بهم أن يتحلوا بالإنصاف. والله أعلم

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: ١١٣-١١٦]

السؤال ٩١٦: من المقصود بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ﴾ [البقرة: ١١٣]؟

الجواب: الأميون من مشركي العرب. والله أعلم

السؤال ٩١٧: في الآية صورة تشبيهية، فما توضيحها ؟ وما الغرض من التشبيه؟

الجواب: شبهت مقالة الجهلة من المشركين بأن المسلمين ليسوا على شيء يعتد به بمقالة اليهود في النصارى بأنهم ليسوا على شيء، وبمقالة النصارى في اليهود بأنهم ليسوا على شيء. والغرض من التشبيه تقبيح المشبه به وتشويهه؛ لمشابهته لقول الجهلة. وفي الجملة توبيخ شديد لأهل الكتاب حيث سلكوا أنفسهم مع علمهم في سلك الأميين من مشركي العرب الذين لا يعلمون، وفي تحكيم أهوائهم واتباعها. والله أعلم

السؤال ٩١٨: ماذا أفاد التعبير بـ«مثل» في قوله تعالى: ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ﴾ ؟

الجواب: أفاد التعبير بـ «مثل» في الآية الكريمة؛ تأكيد المشابهة -المستفادة بالكاف- بين قول الذين لا يعلمون وبين قول اليهود والنصارى. والله أعلم

السؤال ٩١٩: لم قدم الجار والمجرور «كذلك» على متعلقه «قال» في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾ ؟

الجواب: للاهتمام ببيان المماثلة في التشبيه. والله أعلم (١).

السؤال٩٢٠: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ؟ [البقرة: ١١٣]

الجواب: يعود الضمير على اليهود والنصارى ومشركي العرب. والله أعلم.

السؤال٩٢١: ما نوع الفاء في قوله سبحانه: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ ؟

الجواب: الفاء للسببية؛ لأن التوعد بالفصل بينهم يوم القيامة، وإظهار ما أسرته أنفسهم، وما أكنته ضمائرهم من الزيغ والضلال والهوى والحسد؛ متفرع عن هذه المقالات، ومسبب عنها. والله أعلم (٢).

السؤال ٩٢٢: ما الغرض من الخبر ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ؟

الجواب: التهديد والوعيد. والله أعلم

السؤال٩٢٣: ما المقصود بالمساجد في قوله سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ...﴾ [البقرة: ١١٤] ؟

الجواب: اختلف المفسرون، فقيل: المراد المسجد الأقصى، وقيل: المراد المسجد الحرام. وهذا هو الأرجح. والله أعلم(٣)

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٦٧٨).

(٢) انظر التحرير والتنوير (١/ ٦٧٨)، بتصرف يسير.

(٣) راجع تفسير ابن كثير (١/ ١٥٦)، وجامع البيان للطبري (٢/ ٥٢٠-٥٢١).

السؤال ٩٢٤: إذا كان المراد من المساجد في الآية الكريمة المسجد الحرام، فلماذا عدل عن الإفراد «مسجد» إلى الجمع «مساجد»؟

الجواب: العدول عن الإفراد إلى الجمع؛ للتعظيم؛ لأن المسجد الحرام قبلة المساجد، ولما له من مكانة سامية في قلوب المسلمين، فكان في التعبير بالجمع إشارة إلى شرف ذلك المسجد ومنزلته، وتحذير من أن تخريبه بمثابة تخريب لكل مساجد الأرض. والله أعلم.

السؤال ٩٢٥: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ...﴾ [البقرة: ١١٤]، وما الغرض منه؟

الجواب: الاستفهام مجازي، غرضه النفي، والمعنى: لا أحد أظلم من ذلك. والله أعلم.

السؤال ٩٢٦: ما سر إيقاع المنع على المساجد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ...﴾ [البقرة: ١١٤] حيث لم يقل: ومن أظلم ممن منع ذكر اسم الله في المساجد ؟

الجواب: في إيقاع المنع على المساجد، والمراد منع ذكر اسم الله فيها تفظيع لتلك الجريمة وتهويل لها وتقبيح، حتى لكأن المانعين يمنعون إقامة المساجد أصلا، وهم يخربون القائم منها فعلاً، ولو قيل: منع ذكر اسم الله في المساجد لاقتصرت جريمتهم على صد المسلمين عنها دون التعرض للمساجد نفسها (١). والله أعلم

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/٩٨-٩٩) بتصرف يسير.

السؤال ٩٢٧: لماذا عدي الفعل «سعى» بحرف الظرفية «في» دون حرف الانتهاء «إلى» في قوله تعالى: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤]**؟**

الجواب: للمبالغة في بيان شدة حرصهم على السعي في خراب المسجد، وتهالكهم عليه، واستغراقهم في التدبير لذلك، ولو قيل: وسعى إلى خرابها، لدل على مجرد السعي إلى الخراب دون حرص على ذلك. والله أعلم وأعوذ به من الزلل.

السؤال٩٢٨: ما نوع الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ ؟ [البقرة: ١١٤]

الجواب: استعارة تصريحية تبعية حيث شبه قصدهم ورغبتهم وتدبيرهم لتعطيل المساجد وخرابها بالسعي الحسي، وهو المشي في سرعة بجامع الإقدام والقصد في كل. وسر جمالها إبراز المعنوي في صورة محسوسة مصورة؛ اعتناء به، وتهويلاً لوقوعه. والله أعلم

السؤال ٩٢٩: ما سر العدول عن المفرد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤]**، فقد جاء التعبير بالمفرد في «سعى»، و«منع» ثم عدل عنه إلى الجمع في «أولئك...» فما السر في هذا العدول ؟**

الجواب: أحسب -والله أعلم- أن السر في هذا العدول؛ ترهيب كل من ساعد أو ارتضى بما فعله هؤلاء المخربون لمساجد الله، وسكت عن ذلك بانطوائه تحت الحكم الذي حكم به على هؤلاء بأنهم بعيدون عن رحمة الله تعالى، وأن لهم الخزي والعذاب في الآخرة. والله أعلم بمراده

السؤال٩٣٠: ما نوع اللام في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ﴾ ؟ [البقرة: ١١٤]

الجواب: اللام للاستحقاق، والتقدير: ما كان يحق لهم دخول المساجد إلا في حالة واحدة هي: حالة الخوف من المؤمنين. وهذه بشرى بانتهاء ولاية المشركين على المسجد الحرام، وهذا من باب الإخبار بالغيب، وقد تحقق بفضل الله. وقيل اللام للاختصاص. والله أعلم بمراده.

السؤال٩٣١: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]؟

الجواب: يعود الضمير على هؤلاء المانعين لمساجد الله أن ترفع، وأن يذكر فيها اسمه، وأن يسعى في خرابها. والله أعلم.

السؤال٩٣٢: لم جاء قوله سبحانه: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ مفصولا عما قبله ؟

الجواب: لكمال الاهتمام به، وليكون مقصودًا معناه من أول الأمر. والله أعلم بمراده.

السؤال ٩٣٣: ما الغرض من التنكير في «خزي» و«عذاب» ؟

الجواب: التهويل والتفظيع. والله أعلم.

السؤال ٩٣٤: ما علة تقديم الجار والمجرور ﴿فِي ٱلْأَٓخِرَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْأَٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ؟

الجواب: للتشويق إلى الحكم بعده، وهو الخزي والعذاب. والله أعلم.

السؤال٩٣٥: ما سر تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ... ﴾ [البقرة: ١١٥]؟

الجواب: القصر أي الاختصاص، فهو -سبحانه- خالق المشرق والمغرب وما بينهما ومالكهما لا أحد غيره -سبحانه-، والجملة كناية عن ملكيته -سبحانه وتعالى- كل الأرض. والله أعلم

السؤال٩٣٦: لم خص -سبحانه- المشرق والمغرب بالذكر في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ... ﴾ [البقرة: ١١٥]؟

الجواب: لأنها محل الآيات الباهرات في مطالع الأنوار ومغاربها، فإذا كان سبحانه مالكا لها؛ كان مالكا لكل الجهات(١). والله أعلم

السؤال٩٣٧: جاء التعبير بالمشرق والمغرب في القرآن الكريم في مواضع منه مفردًا ومثنى وجمعًا، فما السر في ذلك؟

الجواب: من مواضع إفراد «المشرق» و«المغرب» في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩]، ولعل السر في الإفراد في هذين الموضعين هو: ترادف توحيد اللفظ وتجاوبه مع الدعوة إلى وحدانية الله تعالى في سياق يصدح بوحدة الكون، ووحدة خالقه. ومن شواهد تثنية «المشرق» و«المغرب» قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٧-١٨]، والسر في تثنيهما -والله أعلم- تجاوب التثنية مع التثنية في التكليف وتزاوجه والخطاب بين الإنس والجان. وجاء اللفظان مجموعين في

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١/ ٧٣).

مقام إظهار عظمة الخالق سبحانه وسعة ملكه، وعظيم سلطانه، فقد تناسب الجمع بدلالته على سعة الكون وهيبة السلطان مع ضمائر الجمع الدالة على عظمة الخالق سبحانه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤٠-٤١]. وجاء اللفظان مجموعين في مقام آخر هو: الامتنان على بني إسرائيل بكثرة ما وهبهم الله من الخير والبركة والنماء، وسعة ما ملكهم من الأرض وما مكنهم منها، وما أغدق عليهم فيها من النعم، وما أنزل عليهم من بركات السماء، استدعى ذلك صيغة الجمع بدلالتها على الكثرة والتعدد، تجد هذا في قوله سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، لتكون المقابلة الرائعة بين عهدين: عهد الاستذلال والاستضعاف والفقر، وعهد العزة والسعة والقوة والسلطان، ولو عبر هنا بالمفرد «مشرق ومغرب» لما نهض أن يصور ما صوره الجمع من النماء وكثرة الخيرات والبركات. والله أعلم بمراده[1].

السؤال٩٣٨: ما الغرض من إضافة الوجه إلى الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]؟

الجواب: الإضافة للتشريف كبيت الله، وناقة الله، والمراد بالوجه المضاف إليه سبحانه: الخلق والإيجاد، وعبر عنه بالوجه مجازًا، إذ إن الوجه أظهر الأشياء في الشاهد وأعظمها قدرًا. وقيل: المعنى: فثم رضا وثوابه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] أي لرضائه وطلب ثوابه[2]. وقيل أيضًا: المراد من إضافة الوجه إلى الله تعالى جهته التي أمر بها ورضيها، والمعنى: أنكم أيها الموحدون إذا مُنِعتم أن تصلوا في

---

(١) راجع الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ د. محمد الأمين الخضري (صـ٢٤١)، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، توزيع دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٨٣-٨٤).

المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدًا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها؛ فإن التولية ممكنة في كل مكان.(١) والآية تمهيد لنسخ القبلة، وتنزيه له تعالى أن يكون في جهة وإلا كانت أحق بالاستقبال. والله أعلم

السؤال ٩٣٩: ما سر التعبير بالفعل «اتخذ» في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ [البقرة: ١١٦] ؟

الجواب: للتعريض بفساد قول القائلين بهذا القول من اليهود والنصارى والمشركين، فقد قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله، وفي التعبير عن قول هؤلاء واعتقادهم بالاتخاذ سخرية من كلامهم، واستهزاء لهم، وبفساد قولهم وتناقضه. بيان ذلك أن «اتخذ» صيغة افتعل تكون بمعنى «صيّر» أو بمعنى «عمل وصنع» وكلا المعنيين يستلزم استحالة الولد، فإن جعلت «اتخذ» بمعنى عمل وصنع استحال ذلك؛ لأن الله تعالى منزه عن الحدوث، قديم لا أولية لقدمه، وما عمله من اتخاذ الولد محدث فاستحال أن يكون ولدًا له؛ ولأن الولد يكون من جنس الوالد. وإن جعلت «اتخذ» بمعنى «صيّر» استحال ذلك أيضًا - أي الولدية في حقه سبحانه-؛ لأن التصيير نقل من حال إلى حال، وهذا لا يكون إلا فيما يقبل التغيير، وفرضية الولد به -سبحانه- تقتضي أن يكون من جنس الوالد لا تقتضي التغيير فقد استحال ذلك. والله أعلم (٢).

---

(١) تفسير النسفي (١/ ٧٠).

(٢) راجع البحر المحيط (١/ ٥٣٢)، ومفاتيح الغيب (٢/ ٣٦٧، ٣٦٨)، ويمكن إبطال قولهم عقلا بأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد، فكيف يكون لله تعالى أن يتخذ ولدًا من مخلوقاته وهو لا يشبهه شيء، فالولدية تقتضي الجنسية والحدوث، والقدم يقتضي الوحدانية والثبوت، فهو سبحانه القديم الأزلي الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. ثم إن البنوة تنافي الرق والعبودية، فكيف يكون ولد عبدًا!!! هذا محال، وما أدى إلى المحال محال. راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٨٥).

السؤال ٩٤٠: علام دل قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ١١٦] **؟**

الجواب: دل على تنزيه سبحانه عما قالوه، ولإبطال قولهم واعتقادهم باتخاذه -سبحانه- ولدًا، ونقض هذا الاعتقاد الفاسد. وجاء قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ دليلاً على ذلك الإبطال ونقضًا له، وردًا عليهم. والله أعلم بمراده.

السؤال٩٤١: لم عبر -سبحانه- بـ«ما» التي لغير العاقل مع قوله: ﴿قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] **وهو للعاقل ؟**

الجواب: لاستدعاء المقام ذلك، فالمقام للاستهزاء بسخافة عقول واعتقاد المتقولين؛ لذا كان التعبير بـ«ما» تغليبًا لما لا يعقل، أي للإعلام بأن هؤلاء في غاية القصور عن فهم معنى الربوبية، وفي نهاية النزول إلى معنى العبودية إهانة لهم، وتنبيهًا على إثبات مجانستهم بالمخلوقات التي لا تعي(١).

السؤال٩٤٢: ما سر التعبير بصيغة جمع العقلاء ﴿قَٰنِتُونَ﴾ بعد التعبير بصيغة غير العقلاء «ما» في الآية الكريمة ؟

الجواب: من باب تغليب العاقل، أي إشعارًا بأن الأشياء كلها في التسخير والانقياد بمنزلة العاقل المطيع المنقاد الذي يؤمر فيمتثل. والله أعلى وأعلم(٢).

---

(١) راجع الفتوحات الإلهية (١/ ٩٩).

(٢) الفتوحات الإلهية (١/ ٩٩).

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧-١١٩]

السؤال ٩٤٣: علام يدل التعبير بصيغة المبالغة «فعيل» في قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧]؟

الجواب: في التعبير بالإبداع وبصيغة فعيل دلالة على كمال قدرة الخالق -سبحانه-؛ ولأن الإبداع اختراع الشيء وإنشاؤه وإيجاده من غير حد ولا مثال. والله أعلم.

السؤال ٩٤٤: ما الفرق بين الاختراع والابتداع والصنع؟

الجواب: الاختراع: هو الإيجاد من غير سبب، وأصله في العربية: اللين والسهولة، فكأن المخترع قد تهيأ له الفعل وسهل فأوجده من غير سبب يتوصل به إليه.

والابتداع: إيجاد شيء لم يسبق إلى مثله، أو إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء. وإذا استعمل في جانب الله تعالى: فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله، والبديع يقال للمبدع نحو قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له: مبدع. وسميت البدعة بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير فعل أو مقال إمام.

والصنع: فهو إجادة الفعل، وهو الإيجاد بعد العدم. ولا ينسب الصنع إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. والله أعلم[1].

---

(١) راجع الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص١٠٨، ١٠٩). تحقيق/دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان حسام الدين المقدسي – والمفردات للراغب (ص٣٦، ٢٩٤) وحاشية الشهاب (٢/٢٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢/٨٦).

السؤال ٩٤٥: ما المقصود من القضاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [البقرة: ١١٧]؟

الجواب: المقصود الإرادة، والمعنى: إذا أراد شيئا. وفي إطلاق القضاء على الإرادة مجاز مرسل بعلاقة المسببية حيث إن الإيجاد الذي هو إتمام الشيء ناتج عن تعلق الإرادة ومسبب له، لأنه يوجبه(١).

السؤال ٩٤٦: ما نوع الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]؟

الجواب: استعارة تمثيلية حيث شبهت هيئة حصول المراد بعد تعلق الإرادة بلا تراخ ولا امتناع ولا توقف بهيئة المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل بلا إباء ولا توقف(٢).

السؤال٩٤٧: ما المراد بقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]؟

الجواب: المراد سرعة نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الأشياء، وأنه تعالى يخلق الأشياء بكمال القدرة على سبيل سرعة نفاذ قدرته تعالى بلا ممانعة. والله أعلم.

السؤال٩٤٨: ما سر التعبير بالمضارع: «فيكون»؟

الجواب: للإشارة إلى: «تمادي الكائن في أطوار وأوقات وأسنان يمتد تواليها في المكون إلى غاية الكمال»، ولتصوير الحال(٣).

---

(١) انظر روح المعاني (١/ ٥٧٩).
(٢) انظر الكشاف (١/ ٩١) وروح المعاني (١/ ٥٨٠).
(٣) نظم الدرر (١/ ٢٢٩).

السؤال ٩٤٩: ما نوع «لولا» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨]؟

الجواب: «لولا» في الآية الكريمة تحضيضية، والمعنى: هلا يكلمنا الله بنبوة محمد ﷺ فنعلم أنه نبي فنؤمن به أو يأتينا بآية تكون علامة على نبوته[١].

السؤال ٩٥٠: ما الفرق بين «لولا» في التحضيضية و«لولا» الشرطية؟

الجواب: «لولا» التحضيضية يليها الفعل، ولولا الشرطية يليها الاسم، ويعرب مبتدأ والخبر محذوف. كما أن «لولا» الشرطية تحتاج إلى جملتين: جملة الشرط، وجملة الجواب، ومن شواهدها قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص: ٨٢] ونحو لولا المطر لهلك الزرع.

السؤال ٩٥١: ما الغرض المفاد من «لولا» التحضيضية في الآية الكريمة؟

الجواب: التعجيز، وفيها دلالة أيضا على شدة عنادهم، وتعنتهم وعتو كفرهم وجحودهم برسالة النبي ﷺ واستكبارهم. والله أعلم

السؤال ٩٥٢: علام عطف قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...﴾؟ وما مناسبة العطف؟

الجواب: عطف على قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ووجه المناسبة أن المعطوف عليه كان قدحا في التوحيد، والمعطوف قدح في النبوة. والقائلون مشركو مكة أو العرب. والله أعلم.[٢]

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٩٢) وتفسير ابن كثير (١/ ١٦١).

(٢) انظر روح المعاني (١/ ٥٨٢).

السؤال ٩٥٣: ما سر حذف مفعول العلم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ... ﴾ [البقرة: ١١٨]؟

الجواب: نزل الفعل المتعدي منزلة الفعل اللازم في الآية الكريمة لتعميم جهلهم أي لتعميم نفي نسبة العلم إليهم لا نفي علمهم بشيء معلوم أو مخصوص، وكأنهم لا يعلمون شيئا وذلك تجهيلا لهم، وتسفيها لقولهم، وتقبيحا لفساد معتقدهم، ونعيا لعقولهم. والله أعلم بمراده.

السؤال ٩٥٤: ما الغرض من التنكير في قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ ﴾ ؟

الجواب: التنكير للنوعية. والله أعلم.

السؤال ٩٥٥: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩]؟

الجواب: وقعت الآية الكريمة اعتراضا بين حكايات أحوال المشركين وأهل الكتاب، وكأنها اعتراض ورفض لتلك الأحوال ومج لها بقصد تأنيس الرسول ﷺ وتثبيته لأسفه وحزنه على جحود أهل الكتاب، وعنت المشركين وأذاهم. والله أعلم.

السؤال٩٥٦: بم أكد الخبر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ ﴾ [البقرة: ١١٩] **؟ وما السر في ذلك ؟**

الجواب: تعددت المؤكدات في الآية الكريمة، حيث أكدت باسمية الجملة الدالة على الثبوت، وبإن، وبالإخبار عن ضمير العظمة «المسند إليه» بالجملة الفعلية «أرسلنا» التي أعيد فيها ضمير العظمة فاعلا وفي ذلك تأكيد على تأكيد بتكرار الإسناد، كل ذلك للدلالة على أهمية الخبر وزيادة الاهتمام به؛ لما فيه من تنويه بشأن الرسول

ﷺ وبيان وظيفته. والقصد من كثرة المؤكدات أيضا تحقيق المخبر به، وتقوية مضمون الكلام عند المخاطب، وتقريره في نفسه، وإن كان غير منكر ولا شاك، فالمخاطب في الآية النبي ﷺ. وفي التأكيد لغير المنكر تأكيد من باب أولى لمنكري الرسالة. والله أعلم بمراده[1].

السؤال٩٥٧: ما سر العدول عن المفرد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ [البقرة: ١١٩]؟

الجواب: في العدول عن المفرد إلى الجمع «ضمير العظمة -نا-» مواكبة لعظمة موضوع الحديث وهو الرسالة وصاحبها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ و﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾. كما أن في تكرار ضمير الجمع وفي هذه الغنة القوية في النون المشددة ما ملأ نفس الرسول ﷺ بنور اليقين وبرد التثبيت وحلاوة التأنيس لأن القصد من الخبر تسلية النبي ﷺ وتهنئة خاطره لما لقيه من عنت أهل الكتاب والمشركين والله أعلم.

السؤال ٩٥٨: بم يوحي التعبير بكاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ [البقرة: ١١٩]؟

الجواب: نقلت كاف المخاطب في «أرسلناك» رسول الله ﷺ إلى الحضرة الربانية وألغت الواسطة في مقام التكلم مع الجليل -عز شأنه- وهذا يتناسب مع مقام تسلية النبي ﷺ، والله أعلم.

---

(١) من مشتبه النظم القرآني ص(٢١)، د. عادل أحمد صابر الرويني، مكتبة عباد الرحمن، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

السؤال ٩٥٩: ما مدلول الباء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ١١٩]؟

الجواب: دلت الباء بما فيها من معنى الإلصاق على شدة التلازم والارتباط بين ما أنزل على الرسول ﷺ وبين الحق فالحق متلبس بالقرآن لا ينفك عنه. والله أعلم.

السؤال٩٦٠: ما نوع اللام في قوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾؟ وما دلالتها؟

الجواب: اللام للجنس، ودلت على أن الحق كل الحق وجنسه إنما التبس مع ما أنزل على الر سول ﷺ والتصق به، حتى تغلغل في كل جزئية من القرآن الكريم وسرى فيه حتى غدا حقا محضا، وهذا يناسب مقام التأنيس. والله أعلم.

السؤال ٩٦١: ما السر في التعبير عن صفتي التبشير والإنذار بصيغة المبالغة «فعيل» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة: ١١٩]؟ وما سر تقديم التبشير على الإنذار؟

الجواب: عبر عن الإنذار بصيغة المبالغة «فعيل» باعتبار كثرة المنذرين؛ لأنهم أكثر عددا من المؤمنين المبشرين في أغلب الأوقات. وأتي وصف التبشير بصيغة المبالغة «بشيرا» ليتساوق مع التعبير بصيغة المبالغة «نذير» وللتعبير بصيغة المبالغة في الآية الكريمة تجاوب مع مقام آية البقرة وهو تسلية الرسول ﷺ وإيناسه بعدم سؤاله عن أصحاب الجحيم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩]، وهذا يقتضي التوازن بين صفتي التبشير والإنذار؛لأن في الآية تمهيدا لتأييسه ﷺ من إيمان أهل الكتاب،وكأن الخطاب القرآني يريد أن يقدم العذر له ﷺ إذ إنه سلك معهم في دعوتهم إلى الإسلام أقصى ما يمكن من التبشير والترغيب، لذا قدمت صفة التبشير «بشيرا» بصيغة المبالغة على الرغم من أن الآية اعتراض بين أخبار الجاحدين والمنكرين -لتهدئة خاطره-

ﷺ وألمح في التعبير عن التبشير بصيغة المبالغة وبتقديمها برهانا ودليلا على عدم محاسبته أو سؤاله ﷺ عن أصحاب الجحيم. والله أعلم بمراده.

السؤال ٩٦٢: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢]، **لماذا قدم الإنذار على التبشير في سورتي الأعراف وهود وعكس ذلك في البقرة ؟**

الجواب: عرفنا سر تقديم التبشير على الإنذار في سورة البقرة في إجابة السؤال السابق، أما عن السر في تقديم صفة الإنذار على التبشير في الأعراف فإننا بنظرة فاحصة نجد أن السياق السابق على آية الأعراف فيه إخبار عن بعض أحوال الجاحدين الكافرين مع الرسول ﷺ من رميه بالجنون، ومحاولة تعجيزه لذا ناسب المقام تقديم صفة الإنذار على التبشير، كما أن في الحديث عن مس السوء ورعاية الفاصلة مدخلا في ذلك وإليك السياق السابق للآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٣-١٨٧].

أما آية سورة هود، فتجد السياق اللاحق لآية هود في خطاب العاصين والمكذبين، وفي ذكر بعض أحوالهم تعليلا لتقديم الإنذار على التبشير؛ لأن في ذلك تخويفا لهم، ولأن الإنذار أعلق بأحوالهم التي كانوا عليها، ولتقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ

تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٖ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٣-٥].

السؤال٩٦٣: ما وجه بلاغة قراءة النهي ﴿وَلَا تُسْـَٔلْ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]؟

الجواب: قرأ نافع ويعقوب ﴿وَلَا تُسْـَٔلْ﴾ بصيغة النهي، والنهي يراد به التهويل، أي أن أصحاب الجحيم في خطر عظيم لا تسأل عنه. ومن سنة العرب أن تنهى عن السؤال عن الشيء حين تريد الإبلاغ في تهويله أو تفخيمه أو تعظيمه. ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم: **«ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن»** فالكلام ظاهره النهي وباطنه التعظيم، وعلى ذلك تكون الواو في الآية على قراءة نافع ويعقوب عاطفة جملة إنشائية لفظا خبرية معنى على إنشائية لفظا ومعنى(١). والله أعلم بمراده.

السؤال٩٦٤: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] بأول السورة ؟

الجواب: جاء قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ...﴾ ناظرا إلى قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] وكأن الآيتين تبينان الفرق بين حال أهل الإيمان، وحال أهل الكفر من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولعل هذا وجه ارتباط الآية بمطلع السورة والله أعلم.

---

(١) انظر صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، د محمود توفيق (ص٤٥) بتصرف يسير.

السؤال٩٦٥: ما إعراب قوله تعالى: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾ [البقرة: ١١٩]؟

الجواب: وقع حالا إما من ضمير المتكلم «نا» في «أرسلناك» والتقدير: محقين غير لاعبين، أو من كاف الخطاب، والتقدير: محقا أنت غير كاذب، أو صفة لمصدر محذوف، أي إرسالا ملابسا بالحق لا يشوبه شيء من الباطل. والله أعلم بمراده[١].

(١) التحرير والتنوير (١١/٢٩٦).

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة ١٢٠-١٢٣].

السؤال ٩٦٦: ما سر النفي بـ«لن» في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ ...﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

الجواب: للمبالغة في تأييس النبي ﷺ من إيمان أهل الكتاب؛ لأنها لنفي المستقبل. والله أعلم.

السؤال ٩٦٧: لم صرح بلا النافية بعد حرف العطف في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ حيث كان من الممكن أن يقال: ولن ترضى عنك اليهود والنصارى ؟

الجواب: للإشارة إلى اختلاف الأهواء بين اليهود والنصارى، فكلا الفريقين له هوى ورضى مخالف للآخر؛ لذا جاء مستقلاً عنه، مغايرًا له، وذلك عن طريق «لا» النافية، كما أن تكرار النفي مع حرف العطف الواو يفيد «أنهم لن يرضوا عنه لا مجتمعين ولا متفرقين» (١). وفي التصريح بـ «لا» النافية أيضًا دفع لما قد كان يظن بالنصارى من احتمال إيمانهم لإظهارهم شيئًا من المودة والمحبة للمسلمين. والله أعلم.

(١) مغنى اللبيب لابن هشام (١/ ٣١).

السؤال٩٦٨: ما دلالة الغاية «حتى» في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

الجواب: كناية عن اليأس من اتباع اليهود والنصارى لما جاء به الرسول ﷺ «فإنهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل أملوا منه ﷺ ما لا يكاد يدخل تحت الإمكان من اتباعه عليه السلام لملتهم، فكيف يتوهم اتباعهم لملته ﷺ وهذه حالتهم في أنفسهم ومقالتهم...»(١).

هذه الكناية عن المبالغة في إقناطه عليه السلام من إسلامهم هي ما أوحى بها حرف الغاية «حتى». والله أعلم.

السؤال٩٦٩: علام يشير استخدام صيغة الافتعال «تَتَّبع» بتشديد التاء، وإيثارها على «تَتبع» بتخفيف التاء؟

الجواب: أوثرت صيغة الافتعال «تَتَّبع» مراعاة للمقام؛ وذلك لأن اليهود والنصارى لم يكن ليرضهم مجرد اتباع الرسول ﷺ لهم، وإن كانوا يطمعون أن يكون ذلك برغبة تامة منه !! كما أفهمته صيغة الافتعال. وأكاد أتسمع إلى ما أوحى به الحرف المشدد -التاء- من الانخراط والتداخل والتبعية، وانطماس للهوية في هذا الاتباع. هذا وحده فقط ما يرضي أهل الكتاب عن الرسول إن فعله، ولن ينال منهم هذا الرضا بمجرد اتباعه ملتهم فقط، وهذا كله يوحي ببغضهم الشديد للرسول ﷺ وإعراضهم عن دينه وجحودهم له. وتلك الجملة ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ قمة المبالغة في تأييسه ﷺ من إيمانهم. والله أعلم.

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/١٥٣).

السؤال ٩٧٠: لم أفردت الملة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

الجواب: للإشارة إلى أن الكفر ملة واحدة، حيث إن اليهود والنصارى يجمعهما الكفر وإن كان لهما ملتان(١).

السؤال ٩٧١: ما الغرض من الإضافة في قوله تعالى: ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

الجواب: الإضافة للتشريف، والمراد الإسلام، وفيها تعريض بأن ما هم عليه - أهل الكتاب- يومئذ شيء حرفوه ووضعوه، وأن ما يدعون إليه ليس من الهدى بشيء بل هو هوى. والله أعلم (٢).

السؤال ٩٧٢: ما نوع القصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

الجواب: القصر للقلب، حيث أجيب به أهل الكتاب ردًا على زعمهم المفهوم من الآية لا المنطوق به من أن دينهم حق وغيره باطل، فقلب اعتقادهم بهذا القصر. والله أعلم.

السؤال ٩٧٣: جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]، جوابًا عن مقالة اليهود والنصارى مؤكدًا بحشد من المؤكدات. فما هي؟ وما دلالتها؟

الجواب: أكد الجواب بإن واسمية الجملة، وإعادة لفظ «الهدى» وجعله نفس

---

(١) ينظر روح المعاني (١/٥٨٥)، إن قوى الكفر على اختلاف منازعها، وتباين مشاربها، وعلى الرغم من اختلافها فيما بينها، وصراعها الداخلي تتحد فتستحيل إلى جبهة واحدة في مواجهة قوافل الإيمان، ومشاعل الهداية والنور. هذا الإيحاء فيه استنهاض لأمة الإسلام واستنفار لهممها، وإحماء لغرائمها؛ لتكون كتيبة واحدة ترفع راية واحدة في معاركها القتالية والثقافية والسياسية ضد جحافل الباطل، وقوى البطش، وكأني بإفراد (الملة) في الآية الكريمة يخاطب أمتنا الإسلامية في عصرنا الحاضر بعد تشرذمها وتفرقها وتقوقعها؛ لتكون يدًا واحدة على من سواها.

(٢) انظر التحرير والتنوير (١/٦٩٣).

الهدى، وتوسيط ضمير الفصل «هو»، وتعريف «الهدى» الواقع خبرًا، كل تلك المؤكدات لتحقيق الخبر، ولقمع جحود أهل الكتاب بنبوة محمد ﷺ. وكأني بتلك المؤكدات بمثابة معاول لهدم أقوالهم، وتقويض مزاعمهم بأن ملتهم هدى.

السؤال ٩٧٤: لم أطلق القول في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ **حيث لم يقيد بقوله: لهم ؟**

الجواب: أطلق في الجواب إعراضًا عن أهل الكتاب، ونأيا عن ذكرهم لما أظهروه من عظيم العداوة والبغض للرسول ﷺ، والله أعلم.

السؤال ٩٧٥: ما نوع «أل» في قوله: ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] **؟**

الجواب: «أل» للاستغراق الحقيقي، وكأن الهدى بناء على هذا التأويل قد تمثل في ذلك الكتب «القرآن الكريم»، وفي هذا إشارة إلى كماله [١].

السؤال ٩٧٦: ما علة ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ وتعريف الخبر ﴿الْهُدَىٰ﴾ ؟

الجواب: لتأكيد القصر وتحقيقه. والله أعلم.

السؤال ٩٧٧: ما سر وضع المظهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ حيث كان ظاهر السياق أن يقال: ولئن اتبعتها ؟

الجواب: للإيذان بأن أهل الكتاب «غيروا ما شرعه الله -سبحانه- تغييرا أخرجوه

---

(١) انظر البلاغة القرآنية في الحديث عن الرسول ﷺ (ص٥٢٣)، د. عادل أحمد الرويني، مكتبة عباد الرحمن، ومكتبة العلوم والحكم، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
الاستغراق الحقيقي ينظر فيه إلى استيعاب أفراد الجنس حقيقة أو ادعاء، وقد يعبر عنه بالاستغراق العرفي.

به موضوعه»[(١)]. وفي العدول إلى الظاهر «أهواءهم» أيضًا دلالة على الشمول، حيث شملت أهواؤهم التكذيب بالرسول ﷺ وبما جاء به، واعتقادهم أن ملتهم لا ينقضها شرع آخر[(٢)].

السؤال٩٧٨: ما الغرض من العدول عن المثنى «أهواءهما» إلى الجمع «أهواءهم» في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ ؟

الجواب: للإشارة إلى كثرة المنازعات بين أهل الكتاب اليهود والنصارى، وإلى شدة اختلافهم، وإلى تكفير بعضهم بعضًا. وفي هذا إغراء للمسلمين بتوحيد صفوفهم، وتناسي خلافاتهم كما يفعل أعداؤهم حين مواجهتهم.

السؤال ٩٧٩: لم صدرت الجملة ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ﴾ بإن الشرطية التي لا يجزم بوقوع شرطها ؟

الجواب: لأن فرض اتباع النبي ﷺ لأهوائهم فرض ممتنع، ولا يكون أصلاً.

السؤال٩٨٠: ما سر التعبير بالمجيء دون الإتيان في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

الجواب: المراد بالعلم الدين المعلوم صحته بالبراهين الدامغة، والدلالة القاطعة، وجعله عِلمًا؛ لأنه معلوم بالبراهين الصحيحة، وهو في كل ذلك مجيء فيه قوة ووضوح؛ لذا ناسبه الفعل «جاء». والله أعلم[(٣)].

---

(١) روح المعاني (١/٥٨٦).

(٢) انظر التحرير والتنوير (١/٦٩٤)، وروح المعاني (١/٥٨٥)، ونظم الدرر (٢/١٤١).

(٣) انظر الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم د. محمود موسى حمدان ص(٦٤).

السؤال٩٨١: لم عبر -سبحانه- باسم الموصول «الذي» في قوله: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟ ولم عبر سبحانه باسم الموصول «ما» في قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

الجواب: المقصود بالعلم في الآية الأولى العلم الشامل الكامل الذي ليس وراءه علم أي علم الدين؛ لذا ناسبه الاسم الأشهر من الاسمين الموصولين وهو «الذي»؛ لأن «الذي» في التعريف أبلغ، وفي الوصف أمكن وأثبت، لأنه تعرَّف صلته فلا تنكّر، وتتقدمه أسماء الإشارة نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ [تبارك: ٢٠]، فيكتفف «الذي» بيانان: الإشارة قبله، والصلة بعده، ويلزمه الألف واللام. وخص الموضع الثاني بـ«ما»؛ لأن المقصود بالعلم بعض الشرع أي الدين لا جملته، فالمعنى: من بعد ما جاءك من العلم بأن قبلة الله هي الكعبة. فإذا كان ذلك بعض العلم ولم يكن كالعلم في الآية الأولى الذي هو العلم الشامل، بل كان واقعًا على بعض منه؛ لذا كان من الملائم أن يعبر عنه باللفظ الأقصر والأوجز «ما». والله أعلم بمراده (١).

السؤال ٩٨٢: ما سر إسقاط «من» في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟ وما سر إثباتها في قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

الجواب: أسقطت «من» التي هي لابتداء الغاية في الآية الأولى؛ لأن العلم الذي وقع الوعيد معه على اتباع أهواء أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ

---

(١) أسرار التكرار للكرماني ص(٣٣)، ودرة التنزيل وغرة التأويل للكرماني ص(١٩)، وملاك التأويل للغرناطي (١/ ٨٤).

﴿أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ليس مؤقتًا بوقت ولم يكن يتطرق إليه النسخ لأنه علم بالدين وأصوله؛ فلما لم يتخصص وجوبه بوقت دون آخر لم يحتج معه إلى «من» التي هي لابتداء الغاية. أم الموضع الثاني فالحديث فيه عن القبلة، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. والقبلة بعض من شرع كان مما يجوز نسخه فكأنه قيل: ولئن اتبعت أهواءهم من الوقت الذي جاءك فيع العلم بالقبلة التي أمرت بالتوجه إليها وهي الكعبة إنك من الظالمين؛ لأن القبلة الأولى «بيت المقدس» نسخت بهذه الآية، فلما تخصص العلم بالقبلة، وأمر القبلة مخصوص بفرائض محددة، وأوقات مخصوصة لها في اليوم والليلة كان من الملائم إثبات «من» التي هي لابتداء الغاية. والله أعلم بمراده[1].

السؤال٩٨٣: لماذا أضيفت الأهواء إلى أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾؟

الجواب: لأنها بدعهم وضلالتهم وافتراءاتهم.

السؤال ٩٨٤: ما علة «النصير» على «الولي» في قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

الجواب: عطف «النصير» على «الولي» احتراس؛ «لأن نفي الولي لا يقتضي نفي كل نصير». وهذا من باب الإلهاب والتهييج [2]؛ لأنه لا يتخيل إمكان اتباع النبي ﷺ لملتهم أي اليهود والنصارى.

---

(١) راجع درة التنزيل (١٩، ٢٠)، وأسرار التكرار (٣٤).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٩٥).

السؤال٩٨٥: ما الغرض من التعبير بـ«من» في قوله تعالى: ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ حيث كان من الممكن أن يقال: مالك من الله ولي ونصير؟

الجواب: لتوكيد نفي الولاية. والله أعلم.

السؤال٩٨٦: ما سر إثبات «لا» في قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ حيث كان الظاهر أن يقال: مالك من الله ولي ونصير؟

الجواب: لتوكيد النفي؛ لأن نفي الولي لا يقتضي نفي كل نصير. والله أعلم.

السؤال ٩٨٧: جاء تحذير النبي ﷺ من اتباع أهواء أهل الكتاب على طريقة الإلهاب والتهييج مؤكدًا بحشد من المؤكدات في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فما هذه المؤكدات؟

الجواب: أكد التحذير الإلهي للنبي الأعظم ﷺ من الطمع في استدناء اليهود أو النصارى وتقريبهم بشيء من استرضائهم رغبة في إسلامهم بتألف قلوبهم بهذا القطع الحاسم، والتهديد المرعب؛ للإشارة إلى أن الإيمان لا ينبغي أن يشترى، أو تقدم التنازلات من أجل استهواء أو استرضاء غير المسلمين ليدخلوا في دين الله تعالى؛ لأن دين الله عزيز، والغالب غالب على أمره. وقد جاء التحذير الشديد مؤكدًا بعشرة مؤكدات - تحقيقًا للمعنى المذكور آنفا وهي: القسم المدلول عليه باللام الموطئة للقسم، وبإنّ، وبلام الابتداء، واسمية جملة الجزاء في قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وتأكيد النفي بـ﴿مِنَ﴾، والإجمال ثم التفصيل بذكر اسم الموصول ﴿مَا﴾ وتفصيله وتبيينه بقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، وجعل الذي أنزل عليه ﷺ هو العلم كله لعدم الاعتداء بغيره لنقصانه، وبتأكيد ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ بعطف ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ فهو كالتأكيد

بالمرادف. والله أعلم بمراده (١).

السؤال ٩٨٨: جاء قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ بالبناء للمعلوم وجاء كذلك الفعل بالبناء للمفعول ﴿ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ وكلا الفعلين في آيات كثيرة، فما مقام استعمال كلا الفعلين في القرآن الكريم؟

الجواب: بنظرة فاحصة لمقام ورود الفعلين بالبناء للفاعل والبناء للمفعول تبين الآتي: أنه إذا كان المقام مقام مدح وثناء وتزكية أسند الفعل إلى نون العظمة، ونسب إيتاء الكتاب إلى الله تعالى فقيل: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾. ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [القصص: ٥٢]، أما إذا كان المقام مقام ذم وتقريع وتوبيخ فإن فعل الإيتاء يبنى للمجهول، ومن شواهده، قوله تعالى: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٠١] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ ﴾ [الحديد: ١٦](٢).

ولعل السر في تعليل ذلك أن المتحدث عنهم -أهل الكتاب- إن كانوا في مقام طاعة واستسلام وانقياد لله تعالى وإيمان به استحقوا شرف نسبة الإيتاء إلى الله تعالى لأهليتهم لذلك فيأتي فعل الإيتاء مبنيا للفاعل مسندًا إلى ضميره تعالى. أما حين

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١/ ٦٩٥).

(٢) راجع التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي صـ(٣١٥).

يكونون في مقام رفض ونفور وكفر به -سبحانه- فإنهم لا يستأهلون شرف إظهار فاعل الإيتاء سبحانه بتمردهم وعتوهم فيأتي الفعل مبنيًا للمفعول. والله أعلم.

السؤال٩٨٩: ما سر فصل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ...﴾ [البقرة: ١٢١] عما قبله ؟

الجواب: جاء الكلام مفصولًا عما قبله تنويهًا بكمال التباين والتغاير بين حال فريقين من أهل الكتاب: مؤمنيهم وكافريهم. والله أعلم (١).

السؤال ٩٩٠: هل المقصود من التلاوة القراءة في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾؟

الجواب: لا، بل المقصود الاتباع، والمعنى: يتبعونه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويتبعون أوامره، ويجتنبون نواهيه. والله أعلم.

السؤال ٩٩١: ماذا أفاد تقديم المسند إليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ على الخبر الفعلي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]؟

الجواب: أفاد التقديم القصر، حيث قصر الذين يتبعون كتابهم من أهل الكتاب دون تحريف له وكما أنزل على الإيمان به دون المحرفين له فإنهم غير مؤمنين بكتابهم. والقصر للإفراد.

السؤال ٩٩٢: ما سر تعريف المسند إليه باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]؟

الجواب: للتنبيه على أن ما وصفوا به من تلاوة الكتاب أي اتباعه دون تحريف كان

(١) انظر روح المعاني (١/ ٥٨٦).

موجبًا للحكم المسند لاسم الإشارة وهو إيمانهم بذلك الكتاب دون غيرهم ممن حرفوا التوراة والإنجيل.

السؤال ٩٩٣: ما الغرض من إيثار اسم الإشارة للبعيد ﴿أُولَٰئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]؟

الجواب: للإشعار ببعد منزلتهم في الإيمان ورسوخهم فيه. والله أعلم.

السؤال ٩٩٤: لم أعيد نداء بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٢١]، حيث ذكرت الآية بنصها في سورة البقرة نفسها الآية (٤٧)؟

الجواب: تكررت الآية لزيادة تنبيه المذكورين وتذكيرهم وإنذارهم وإرشادهم ونصحهم. والله أعلم.

السؤال ٩٩٥: جاءت الآية ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ...﴾ [البقرة: ١٢٣] مطابقة لآية قبلها، فما السر في تكرارها؟

الجواب: كررت الآية لأن كلا منهما سبقتها معصية وقعت في غير وقت الأخرى، وتقتضي تذكيرًا ووعظًا وتنبيهًا وتحذيرًا، فالمعصية التي ذكرت قبل الآية الأولى [البقرة: ٤٨]: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] والمعصية التي ذكرت قبل الآية الثانية ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ...﴾ [البقرة ١٢٠]. والله أعلم بمراده[1].

---

(١) انظر أسرار التكرار في القرآن للكرماني صـ(٣٤، ٣٥).

السؤال٩٩٦: لماذا قدم قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾، وأخر قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، **وعكس هذا في** [البقرة: ١٢٣]؛ **حيث قدم ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ وأخر لفظ الشفاعة فقيل: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ ؟**

الجواب: إذا تأملنا الآيتين وجدنا أن الآية الأولى [البقرة: ٤٨] جاءت الشفاعة فيها مسندة إلى نفي القبول، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ لذا قدمت على العدل، فنفي قبول الشفاعة لا يلزم منه نفي أخذ الفداء، فكان عطف نفي أخذ الفداء للاحتراس.

أما في آية البقرة هنا «١٢٣» فقدم الفداء لأنه أسند إليه نفي المقبولية ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ وهذا لا يقتضي نفي نفع الشفاعة فكان العطف على نفي قبول الفداء للاحتراس أيضًا. والحاصل أن الذي نفي عنه أن يكون مقبولًا قد جعل في الآيتين أولا، وذكر الآخر بعده. وأما نفي القبول مرة عن الشفاعة ومرة عن العدل فلأن أحوال الأقوام في طلب الفكاك عن الجناة تختلف، فمرة يقدمون الفداء، فإذا لم يقبل قدموا الشفعاء، ومرة يقدمون الشفعاء فإذا لم تقبل شفاعتهم عرضوا الفداء. والله أعلم [١].

---

(١) التحرير والتنوير (١/٦٩٨).

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤-١٢٩].

السؤال ٩٩٧: ما علة توجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما يقع فيه من الحوادث مع أنها مقصودة بالذات في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ [البقرة: ١٢٤]

الجواب: نشير أولا إلى أن المشهور في إعراب «إذ» أنه ظرف منصوب بمضمر مقدم تقديره: اذكر، أو اذكروا وقت ابتلائه عليه السلام، وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما يقع فيه من الحوادث مع أنها مقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا.(١) والله أعلم

السؤال ٩٩٨: الابتلاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ [البقرة: ١٢٤]. بمعنى الاختبار فهل المقصود المعنى الحقيقي أم المجازي؟

الجواب: المقصود -والله أعلم- المعنى المجازي، فإن إطلاق الابتلاء على الاختبار

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/٥٨٨).

مجاز مشهور؛ لأن الذي يكلف غيره بشيء يكون تكليفه متضمنا انتظار فعله أو تركه فيلزمه الاختبار فهو مجاز، وإذا قيل: ابتلى فلان كذا وأبلاه، فذلك يتضمن أمرين: أحدهما: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره، والثاني: ظهور جودته ورداءته.فإذا أطلق الابتلاء من قبل الله تعالى فقيل: ابتلاه الله أو أبلاه، فالمراد به الوجه الثاني من معنى الابتلاء وهو ظهور جودته ورداءته دون التعرف على ما يجهل من أمره لأن الله تعالى علام الغيوب، لا تخفى عنه خافية [(١)]؛ ولأن الاختبار حقيقة إنما يصح إطلاقه فيمن خفي عليه العواقب، والخلاصة: أن المراد بالابتلاء الاختبار على سبيل الاستعارة التمثيلية بتشبيه حال الله تعالى والعبد في تمكينه من الطاعة والمعصية وإرادة الطاعة منه بحال المُختِبِر مع المُختَبَر ثم عبر عنها بالاختبار كما قال الزمخشري[(٢)]. أو مجاز باعتبار إطلاقه على ما هو الغاية منه كما يفهم من كلام الراغب في مفرداته. والله أعلم بمراده.

السؤال ٩٩٩: بم يوحي لفظ الابتلاء في الآية؟ وبم يوحي التعبير بصيغة «لافتعال»؟

الجواب: فيه إشعار بصعوبة التكاليف ومشقتها وحاجتها إلى أناة وصبر وجلد وقوة تحمل، وفي التعبير بصيغة الافتعال مبالغة فيما يدل عليه لفظ الابتلاء. والله أعلم.

السؤال١٠٠٠: ما الغرض من تقديم المفعول به ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ على فاعله ﴿رَبُّهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ ؟ [البقرة: ١٢٤]

الجواب: للاهتمام ببيان من وقع عليه الابتلاء ولتجنب التعقيد المعنوي الذي كان سيحدث نتيجة عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة -المفعول به- والله أعلم.

---

(١) انظر المفردات للراغب (٦٠-٦٢).

(٢) راجع الكشاف (١/ ٩٢).

السؤال١٠٠١: أشهر الآراء في تفسير «الكلمات»(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤] أنها التكاليف التي كلف بها إبراهيم عليه السلام فما السر في إجمال الكلمات في الآية الكريمة ؟

الجواب: أجملت الكلمات؛ لأن الغرض بيان فضل إبراهيم عليه السلام ببيان ظهور عزمه وامتثاله للتكاليف الشرعية وليس الغرض تفصيل شريعة الخليل ﷺ ولا بسط القصة والحكاية.(٢) والله أعلم.

السؤال١٠٠٢: لم عبر -سبحانه- عن التكاليف التي كلفها إبراهيم ﷺ بالكلمات ؟

الجواب: لأنها كانت تكليفا عن طريق الكلام فسميت به والله أعلم.

السؤال١٠٠٣: ما الغرض من تنكير الكلمات وجمعها جمع مؤنث سالما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ ؟ [البقرة: ١٢٤]

الجواب: للإشعار بفخامة تلك الكلمات - التكاليف - وعظمتها لكونها من عند الله تعالى ولحاجتها إلى صبر وقوة تحمل لتنفيذها وإن كانت قليلة والله أعلم.

السؤال١٠٠٤: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ؟ [البقرة: ١٢٤]

الجواب: تدل الفاء في قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ إلى سرعة امتثال الخليل إبراهيم عليه السلام في القيام بتلك التكاليف على أتم وجه كما ينبئ عنه التعبير بقوله تعالى: «أتمهن» والله أعلم.

---

(١) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٩٧، ٩٨، ٥٤٦-٥٤٧) راجع مثلاً البحر المحيط (١/ ٢٣).

(٢) راجع التحرير والتنوير (١/ ٧٠٣).

السؤال١٠٠٥: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ؟

الجواب: مجاز عقلي «وهو من تعليق الفعل بحاوي المفعول لأنه كالمكان له فالإفعال هنا بمعنى إيقاع الفعل على الوجه الأتم، وليس المراد أنه صيرها تامة بعد أن كانت ناقصة فدل قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ مع إيجازه على الامتثال الفوري مع الإتقان والإحسان» (١) والله اعلم.

السؤال١٠٠٦: لم فصلت جملة ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ عما قبلها ؟ [البقرة: ١٢٤]

الجواب: فصلت عما قبلها إما لكمال الاتصال لكونها بيانا وتفسيرا لقوله: ﴿ابْتَلَى﴾ والجملة تبين فضل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام بعد نجاحه في الاختبار -الابتلاء- فأخبره الله تعالى أنه اختاره إماما للناس وقدوة لهم. وإما أن يكون الفصل للاستئناف البياني -شبه كمال الاتصال- حيث وقعت الجملة الثانية ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ جوابا عن سؤال مقدر تثيره الجملة الأولى تقديره: فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات ؟ فقيل: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ ...﴾ والأرجح عندي الوجه الأول؛ لبيانه مكانة الخليل إبراهيم عليه السلام وشرفه. والله أعلم بمراده.

السؤال١٠٠٧: لم لمْ تعطف جملة: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ ...﴾ على سابقتها بالفاء فلم يقل: فقال .... ؟

الجواب: للإشعار بأن هذه الإمامة بمحض فضل الله تعالى واصطفائه لا بسبب إتمام الكلمات فإن الإمامة هنا عبارة عن الرسالة وهي لا تنال بكسب الكاسب وجهده(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (١/٧٠٣).

(٢) تفسير المنار (١/ ٣٨٤)، للسيد محمد رضا رشيد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ١٩٧٣م.

السؤال١٠٠٨: ما سر التعبير باسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ ؟
[البقرة: ١٢٤]

الجواب: للإشارة إلى أن جعل إبراهيم عليه السلام إماما للناس أمر ثابت متقرر.

السؤال ١٠٠٩: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ التفاتان ما بيانهما ؟ وما الغرض البلاغي منهما ؟

الجواب: الالتفات الأول التفات من الغيبة «رب» إلى التكلم في «إني» والالتفات إلى التكلم فيه إشعار بأن الله تعالى ذو القدرة القاهرة الغالبة التي لا يعجزها شيء هو الذي جعل إبراهيم إماما للناس. أما الالتفات الثاني فهو من الغيبة حيث عبر عن إبراهيم عليه السلام بالاسم الظاهر «إبراهيم» والاسم الظاهر من قبيل الغيبة إلى الخطاب في ﴿جَاعِلُكَ﴾ وهذا الالتفات بالخطاب فيه ارتقاء بإبراهيم عليه السلام في درجات الحديث من مقام الغيبة قبل التكليف إلى مقام المشاهدة والحضور وشرف الخطاب المباشر بإسقاط الواسطة بعد قيامه عليه السلام بأداء التكاليف التي كلفه الله تعالى بها على أتم وجه. والله أعلم بمراده.

السؤال١٠١٠: المراد من الإمام في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] الرسول فلماذا عدل عن التعبير بالرسول إلى التعبير بالإمامة ؟

الجواب: المراد بالإمام الرسول، والرسالة أكمل أنواع الإمامة وأرقاها والرسول أكمل أفراد هذا النوع، وإنما عدل عن الرسول إلى «إماما» ليكون ذلك دالا على أن رسالته تنفع الأمة المرسل إليها بطريق التبليغ وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الاقتداء[1]. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١/٧٠٣، ٧٠٤).

السؤال ١٠١١: ما نوع الخبر في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾؟ [البقرة: ١٢٤] **وما وجه بلاغته؟**

الجواب: الخبر في معنى الطلب، والتقدير: واجعل بعض ذريتي، وفي العدول عن صيغة الأمر إلى صيغة الخبر مراعاة للأدب مع الله تعالى بالعدول عن صيغة الأمر المشعرة بالاستعلاء، وفي العدول أيضا مبالغة في الثبوت حيث جعل الخبر تتمة للكلام السابق وكأن الخبر مستحق وواقع مثل ما عطفت عليه.(١) والله أعلم.

السؤال١٠١٢: لماذا قيل: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ولم يقل: وذريتي؟

الجواب: لأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم أن حكمة الله تعالى لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدى بهم فلم يسأل ما هو مستحيل عادة لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء.(٢) وعلى كل ففي إسقاط حرف الجر دلالة على فطنة الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدعاء.

السؤال ١٠١٣: لم كررت «إذ» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾؟ [البقرة: ١٢٥]

الجواب: كررت «إذ» للإشارة إلى استقلال القصة، وأنها جديرة بأن تذكر منفردة لما ضمنته من أخبار عظيمة، ومناقب جليلة والله أعلم.

السؤال ١٠١٤: ما فائدة التعبير بالأمر في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾؟ [البقرة: ١٢٥].

الجواب: لاستحضار صورة المأمورين حاضرين والأمر يوجه إليهم مشافهة، فهو

---

(١) انظر روح المعاني (١/ ٥٩٢).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٧٠٥).

تصوير للماضي بصورة الحاضر؛ ليقع في نفس المخاطبين بالقرآن أن الأمر يتناولهم، وأنه موجه إليهم كما وجه إلى سلفهم في عهد أبيهم إبراهيم. والله أعلم[١].

السؤال ١٠١٥: ما علة الوصل بين قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وبين قوله تعالى في بداية الآية: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾؟ [البقرة: ١٢٥].

الجواب: الوصل بين الجملتين؛ للتوسط بين الكمالين، حيث اتحدت الجملتان في الخبرية مع التناسب، فجملة ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ إنشائية لفظا خبرية معنى. والله أعلم.

السؤال ١٠١٦: ما سر التعبير بالمصدر «أمنا» في قوله تعالى: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾؟ [البقرة: ١٢٥].

الجواب: للمبالغة في إثبات الأمنية للبيت الحرام على سبيل المجاز؛ كأنه نفس الأمن، وهو ذاته أمن وطمأنينة، ويمكن أن يكون من إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل أي آمنا فيكون مجازا عقليا من إسناد ما للمفعول إلى الفاعل، والمعنى: آمنا من حجه وزاره، أو على تقدير مضاف محذوف تقديره: ذا أي ذا أمن. والله أعلم.[٢]

السؤال ١٠١٧: ما سر مجيء جملة ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ بصيغة الأمر خلافًا للجملة قبلها والجملة بعدها؟

الجواب: للإشعار بأهمية ما تحتويه من حكم؛ لأنه يتعلق بعبادة عملية مستحبة من عموم المسلمين.

---

(١) تفسير المنار (١/ ٣٧٩).

(٢) انظر إرشاد العقل السليم (١/ ١٥٧)، وحاشية الشهاب (٢/ ٢٣٦).

السؤال ١٠١٨: لم أوثر العهد على الأمر في قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ [البقرة: ١٢٥]**، حيث لم يقل: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل؟**

الجواب: أوثر العهد على الأمر في الآية الكريمة؛ لأن العهد أقوى في الدلالة من الأمر؛ لأنه يقوم على الرضا من الطرفين، والأمر يأتي من طرف واحد[1]، وعلى كل فاستعمال العهد في الأمر استعارة تصريحية. والله أعلم.

السؤال ١٠١٩: ما نوع الإطناب في قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]**؟**

الجواب: التفسير بعد الإجمال في قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ﴾، ووجه بلاغته أن فيه تشويقًا للنفس، وإثارة ترقبها لمعرفة تفسير العهد في «عهدنا» وبوروده عليها بعد ترقب وانتظار يتمكن فيها فضل تمكن. والله أعلم.

السؤال ١٠٢٠: ما توجيه إسناد الأمر بتطهير البيت إلى إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- في آية البقرة: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ [البقرة: ١٢٥]**، وإفراد إبراهيم عليه السلام بإسناد الأمر بالتطهير إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؟** [الحج: ٢٦]

الجواب: لعل السر في هذا -والله أعلم- أن ما في سورة الحج واقع قبل بناء البيت الحرام كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، وكان

---

(١) انظر من خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام صـ(٣٧٧). د. الشحات محمد أبو ستيت- مطبعة الأمانة- مصر- الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ- ١٩٩١ م.

إسماعيل عليه السلام حينئذ بمعزل عن مثابة الخطاب لصغر سنه وعدم إدراكه؛ لذا لم يوجه إليه الأمر بالتطهير، ولم يشافه بالخطاب، أما الأمر في البقرة فظاهر أنه كان بعد بلوغ إسماعيل مبلغًا يعقل فيه ما يوجه إليه من أوامر ونواه.(١) والله أعلم بمراده.

السؤال ١٠٢١: لم عبر عن المصلين بالركع السجود في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؟ [البقرة: ١٢٥]

الجواب: لأنهما أقرب أحوال المصلي إلى الله تعالى لما فيهما من ذلة وخشوع وخضوع وانقياد لله تعالى، وهما أعظم أركان الصلاة، وكثيرًا ما يكنى بهما عن الصلاة، وإيثارهما على لفظ المصلين مع إيجازه للإشعار بأن المعتبر صلاة ذات ركوع وسجود لا صلاة أخرى كصلاة أهل الكتاب. والله أعلم.

السؤال ١٠٢٢: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؟ [البقرة: ١٢٥]

الجواب: مجاز مرسل بعلاقة الجزئية. والله أعلم.

السؤال ١٠٢٣: لم قدم الركوع على السجود في الآية الكريمة؟

الجواب: لتقدمه على السجود زمانًا. والله أعلم.

السؤال ١٠٢٤: ما سر إثبات حرف العطف «الواو» في قوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ وتركه في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؟

الجواب: أثبت العاطف بين الطائفين والعاكفين لتباين بينهما، وأسقط بين الركوع والسجود للتقارب بينهما ذاتًا وزمانًا، وتلازمهما في الصلاة، وترك العطف بينهما أيضًا

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم (١/١٥٨).

«لئلا يتوهم أن كل واحد عبادة على حيالها وليستا مجتمعتين في عبادة واحدة»[1]. والله أعلم.

السؤال ١٠٢٥: لم جمع الوصفان الأولان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ جمع مذكر سالم، وجمع الوصفان الآخران ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ جمع تكسير؟

الجواب: للمقابلة وتنويع الأسلوب والتفنن فيه[2]. والله أعلم.

السؤال ١٠٢٦: لم ترك التناسب مع الصيغة المجاورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ حيث لم يقل: الركع السجّد، وقيل: الركع السجود؟

الجواب: لمراعاة تناسب الفواصل؛ إذ الفاصلة قبلها وبعدها مبنية على المد، فكان الجمع «السجود» بما فيه من المد قبل الدال أنسب بتلاؤم الفواصل وتناسبها. والله أعلم.

السؤال ١٠٢٧: ما دلالة تنكير «بلدًا» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾؟ [البقرة: ١٢٦]

الجواب: التنكير للنوعية والمعنى: بلدًا من نوع البلاد الآمنة. والله أعلم.

السؤال ١٠٢٨: ما نوع الإسناد في قوله تعالى: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾؟

الجواب: إما أن يكون الإسناد مجازيًا فيكون مجازًا عقليًا بعلاقة المفعولية، والتقدير: مأمونًا أهله، وإما أن يكون الإسناد حقيقيًا فيكون من باب النسب والتقدير: ذا أمن. والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط (١/ ٥٥٤).

(٢) انظر التحرير والتنوير (١/ ٧١٣).

السؤال ١٠٢٩: ما نوع «أل» في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؟

الجواب: اللام للاستغراق العرفي، أي: من جميع الثمرات المعروفة للناس(١). والله أعلم.

السؤال ١٠٣٠: ما دلالة التعبير بجمع القلة ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؟

الجواب: فيه إيماء إلى إظهار للقناعة والرضا بالقليل. والله أعلم.

السؤال ١٠٣١: ما سبب الوصل بين قوله سبحانه: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقوله سبحانه قبله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا...﴾؟ [البقرة: ١٢٦]

الجواب: الوصل بين الجملتين للتوسط بين الكمالين؛ «كمال الاتصال وكمال الانقطاع» حيث اتحدت الجملتان في الإنشائية، «مع التناسب بينهما في كونهما دعاء للمكان وأهله»(٢). والله أعلم.

السؤال ١٠٣٢: ما سر التعبير بالمتعة دون الرزق في حق الكافر في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾؟ [البقرة: ١٢٦]

الجواب: للإشعار بأن ما يناله الكافر في الدنيا متعة زائفة زائلة، وأكد هذا بقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ الواقع صفة لمصدر مقدر، أو لظرف مقدر؛ أي: تمتيعا قليلاً أو زمانًا قليلاً. وفي وصف التمتيع بالقلة ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ تأكيد لقصر مدة المتعة وسرعة زوالها. والله أعلم.

---

(١) ينظر الكشاف (١/ ٩٣)، وحاشية الشهاب (١/ ٢٣٦).

(٢) انظر خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام (ص٣٨٠)، د. الشحات محمد أبو ستيت.

السؤال ١٠٣٣: ما سر ختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؟ [البقرة: ١٢٦]

الجواب: للاحتراس؛ لدفع توهم أن يغتر الكافر بما قد يرزقه الله تعالى من رزق وفير، ونعم دنيوية، ويظن ذلك من حب الله تعالى له، ورضاه عنه، ورضوانه عليه، فاحترس عن ذلك بالتنبيه على أن إفاضة الرزق عليه في الدنيا لا يمنع من عقابه وتعذيبه في الآخرة. والله أعلم.

السؤال ١٠٣٤: قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، **وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾** [إبراهيم ٣٥]، **فما السر في تنكير لفظ «بلد» في البقرة وتعريفه في سورة (إبراهيم)؟**

الجواب: يمكن أن يجاب عن ذلك بأن دعاء إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة قد صدر ولم يكن المكان قد جعل بلدًا، فكأنه قال: رب اجعل هذا الوادي بلدًا آمنًا. أما الدعوة الثانية في سورة إبراهيم فقد وقعت بعد أن صار الوادي بلدًا، فكأنه قال: رب اجعل هذا الوادي الذي صيرته بلدًا ذا أمن يأمن أهلها، ومن يأوي إليه. وعليه فتكون الدعوتان وقعتا في وقتين مختلفين(١). والله أعلم.

السؤال ١٠٣٥: لمَ لمْ يُقل: اجعل هذا بلدًا آمنًا للناس، بذكر «الناس» كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾؟ [البقرة: ١٢٥]

الجواب: للإشعار بشمول الأمن وعمومه لكل شيء، أي: اجعل هذا البلد أمنًا

---

(١) ينظر درة التنزيل للإسكافي ص(٢٩).

لكل شيء كائنًا ما كان من إنس وطير وحيوان. وفي حذف لفظ «الناس» أيضًا إشارة إلى سعة رحمة إبراهيم عليه السلام ورقة قلبه. والله أعلم.

السؤال ١٠٣٦: قال تعالى: ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فما السر في هذا التنوع؟

الجواب: سر هذا التنوع أن ما جاء في سورة إبراهيم ورد في مقام الدعاء لذريته وتكملة له، فقبله قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم ٣٧]، فناسب هذا أن يقول: ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم ٣٧]. وأتبع الدعاء برجاء الشكر؛ لأن ما تقدمه داعية للشكر، فقد أسكنهم بواد مقفر تنعدم فيه الحياة ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ فتوجيه الناس إلى الذهاب إليهم في شوق جارف، ورزقهم من الثمرات في هذا المكان الخالي من الحياة نعم جليلة تستوجب شكر المنعم عز وجل.

أما ما جاء في سورة البقرة فقد ورد ضمن الدعاء للبلد الحرام وأهله على العموم من ذريته أو من غيرهم ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ومن ثم أتبع هذا بقوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فخص الدعاء بالمؤمنين من أهل البلد بعد التعميم السابق؛ لأن أهل هذا المكان منهم المؤمن ومنهم غير المؤمن. وإنما لم يخصص الدعاء في سورة إبراهيم بالدعاء للمؤمنين؛ لأنه كان خاصًا بذريته الذين أسكنهم عند بيت الله الحرام وهم مؤمنون فلا داعي للتخصيص(١). والله اعلم.

---

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، (ص ٤٣١، ٤٣٢).

السؤال ١٠٣٧: لماذا قدّم -سبحانه- ذكر إبراهيم أولا على إسماعيل في الآية الكريمة؟

الجواب: للإشارة إلى أن الأصل في الرفع هو إبراهيم عليه السلام، وأن إسماعيل تبع له. والله أعلم.

السؤال ١٠٣٨: لماذا عدل البيان القرآني عن أسلوب حكاية خبر إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- إلى ذكر ما نطقا به مسندًا إليهما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؟ [البقرة: ١٢٧]

الجواب: لاستحضار الحكاية، وتصويرها شاخصة جلية، وكأن السامع يرى الخليل إبراهيم، وابنه البار إسماعيل -عليهما السلام- وهما حاضران يسمع صوتيهما وهما يتضرعان بالدعاء إلى الله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. وتلك سمة من سمات الأسلوب القرآني الفريد. والله أعلم.

السؤال ١٠٣٩: ما الغرض من حذف حرف النداء في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؟ [البقرة: ١٢٧]

الجواب: للإشعار بقربهما من الله تعالى الذي يجيب دعاء هما. والله أعلم.

السؤال ١٠٤٠: ما سر تغيير النظم في جانب الكافرين عنه في جانب المؤمنين حيث قال -سبحانه- في جانبهم: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ [البقرة: ١٢٦]**، فقدم الرزق أولًا ثم قيد بالمؤمنين، وفي جانب الكافرين قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾** [البقرة: ١٢٦] **فقدم الكفر أولًا ثم ذكر التمتع، فما السر في ذلك؟**

الجواب: قدم الكفر أولًا ثم ذكر التمتع في حق الكافرين؛ للإشعار بأن الكفر هو

سبب اضطرارهم إلى عذاب النار، ومن ثَم قدم السبب على المسبب. أما رزق المؤمنين فهو على سبيل التفضل والإكرام والإحسان لا على سبيل السبب والمسبب، ومن هنا قُدِّم الرزق على وصف الإيمان(١). والله أعلم.

السؤال ١٠٤١: لماذا أوثر الرفع على البناء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ...﴾؟ [البقرة: ١٢٧]

الجواب: للإشعار بأن قواعد البيت -أساسه- كانت موجودة أصلاً، وقام إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- برفعها والبناء عليها والله أعلم، كما أن في ذكر القواعد أولا تنبيه للذهن، وتنشيط له لطلب معرفة القواعد ما هي؟ وقواعد أي شيء هي؟ فإذا جاء البيان بعد ذلك كان أحسن وقعًا في النفس، وأشد رسوخًا في الذهن وتمكنًا. والله أعلم.

السؤال ١٠٤٢: لم قيل في الآية الكريمة: ﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ ولم يقل: قواعد البيت؟

الجواب: «لما في إبهام القواعد أولا ثم تبيينها ثانيًا من تفخيم شأنها»(٢).

السؤال ١٠٤٣: لماذا حذف مفعول «تقبّل» في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾؟
[البقرة: ١٢٧]

الجواب: للعموم، فهما يدعوان الله تعالى أن يتقبل دعاءهما وعملهما وكل ما يقدمان من خير. وفي هذا الدعاء إظهار لخشوعهما وخشيتهما لله تعالى، وخوفهما نتيجة العمل. وفي الدعاء إشارة إلى أن العبرة ليست بالعمل، ولكن بقبوله من الله تعالى(٣). والله أعلم.

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (١/١٩٥).

(٢) تفسير البيضاوي (١/٥١).

(٣) ينظر خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د. الشحات محمد أبو ستيت (ص٣٨٥).

السؤال ١٠٤٤: علام يدل تأكيد قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؟ [البقرة: ١٢٧]

الجواب: أكدت الجملة بإنّ واسمية الجملة وبضمير الفصل «أنت»، وفي هذا دلالة على كمال يقين الخليل وابنه إسماعيل -عليهما السلام- بما تضمنه دعاؤهما من تخصيصه -سبحانه- بصفتي السمع والعلم. والله أعلم.

السؤال ١٠٤٥: ما نوع الأسلوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؟ [البقرة: ١٢٧]

الجواب: أسلوب قصر بتعريف المسند «السميع العليم» باللام، فقد قصرت هاتين الصفتين أي السمع والعلم على الله تعالى، وأكد هذا القصر بضمير الفصل «أنت». وفي هذا الأسلوب دلالة على إظهار اختصاص دعائهما بالله تعالى، وفيه كذلك المبالغة في كمال الوصفين لله تعالى بتنزيل سمع غيره -سبحانه- وعلم غيره منزلة العدم فكأنه سبحانه هو المختص بهما دون غيره. وعليه فالقصر إضافي.

السؤال ١٠٤٦: ما تأويل طلب إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- من الله تعالى أن يجعلهما مسلمين له على الرغم من إسلامهما وإخلاصهما لله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ...﴾ [البقرة: ١٢٨]

الجواب: المقصود -والله أعلم- طلب الزيادة في ذلك، أو طلب التثبيت والدوام عليه. والله أعلم.

السؤال ١٠٤٧: ماذا يفيد قوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ...﴾؟ [البقرة: ١٢٨]

الجواب: القصر، أي: اجعلنا مسلمين أي: مخلصين أو منقادين لك لا لغيرك. والله أعلم.

السؤال ١٠٤٨: لماذا خص إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بعض ذريتهما بالدعاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٢٨]

الجواب: لأنهما عَلِما أن في ذريتهما ظلمة، وذلك من قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. والله أعلم.

السؤال ١٠٤٩: ما دلالة التعبير بالرؤية دون العلم في قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآ ...﴾ [البقرة: ١٢٨]

الجواب: للدلالة على أنهما يريدان أن يكون علمهما بالمناسك كالرؤية البصرية في الجلاء والوضوح. والله أعلم.

السؤال ١٠٥٠: لم أضيفت المناسك إلى إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- على الرغم من أنها مطلوبة في جميع المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ ؟ [البقرة: ١٢٨]

الجواب: في ذلك إشعار باهتمامهما بمعرفتها، وعنايتهما بتعلمها، كأنها مختصة بهما ومقصورة عليهما. والله أعلم.

السؤال ١٠٥١: كيف يطلب إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- التوبة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٢٨]**، وهما نبيان معصومان ؟**

الجواب: المقصود طلب الثبات والدوام على التوبة. والله أعلم.

السؤال ١٠٥٢: لم قدم التواب على الرحيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾؟ [البقرة: ١٢٨]

الجواب: لمجاورته للدعوة بالتوبة ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ولشمول صفة الرحمة للتوبة، ولمناسبة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ مع فاصلة الآية السابقة واللاحقة [1]. والله أعلم.

السؤال ١٠٥٣: لماذا قيل: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ...﴾؟ [البقرة: ١٢٩]**، ولم يقل ربنا وابعث لهم؟**

الجواب: لتكون دعوة هذا الرسول دعوة عامة شاملة لهم ولغيرهم، ولو قيل: وابعث لهم، لكانت دعوة الرسول خاصة، وإلى المدعو لهم فقط. والله أعلم.

السؤال ١٠٥٤: ما دلالة التنكير في ﴿رَسُولًا﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا...﴾؟ [البقرة: ١٢٩]

الجواب: التنكير للتعظيم. والرسول هو خاتم الأنبياء محمد ﷺ؛ لأنه هو الرسول الوحيد من ذرية إبراهيم وإسماعيل معًا وغيره من أنبياء بني إسرائيل ليس من ذرية إسماعيل.

السؤال ١٠٥٥: ما فائدة التعبير بهذا القيد ﴿مِّنْهُمْ﴾ في قوله: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ..﴾؟ [البقرة: ١٢٩]

الجواب: لتأكيد أن يكون الرسول من نفس هذه الأمة المذكورة، ولا يغني عن هذا

---

(١) ينظر خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د. الشحات محمد أبو ستيت (ص٣٩٠).

القيد قوله «فيهم»؛ لأن «البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم»(١). وكون الرسول من هذه الأمة فيه شرف لها وضمان لشفقته عليها. والله أعلم.

السؤال ١٠٥٦: ما الغرض من تقديم الجار والمجرور ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ على المفعول الصريح «آياته» في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٢٩]

الجواب: للعناية والاهتمام ببيان من يتلى عليهم. والله أعلم.

السؤال ١٠٥٧: بم يوحي التعبير بـ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٢٩]

الجواب: للإيذان بأن يكون الرسول المرجو صاحب كتاب يخرجهم من الظلمات إلى النور، وكان هذا الكتاب هو القرآن الكريم. والله أعلم.

السؤال ١٠٥٨: علام يدل عطف «الحكمة» على «الكتاب» في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٢٩]

الجواب: أفاد العطف العموم؛ لأن الحكمة تشتمل على ما في الكتاب وغيره مما بينه الرسول ﷺ. وعطفها على الكتاب من باب عطف العام «الحكمة» على الخاص «الكتاب» أي: القرآن الكريم(٢). والله أعلم.

السؤال ١٠٥٩: جاءت الجمل في الآية الكريمة موصولة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ...﴾ [البقرة: ١٢٩]**، فما سبب الوصل؟**

الجواب: الوصل للتوسط بين الكمالين، حيث اتحدت الجمل الثلاث في الخبرية مع التناسب بينها. والله أعلم.

---

(١) حاشية الشهاب (١/ ٢٣٩ب).

(٢) ينظر خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د. الشحات محمد أبو ستيت (ص٣٩٢).

السؤال ١٠٦٠: رتبت الجمل الثلاث السابقة في الآية الكريمة [البقرة: ١٢٩] **على حسب ترتيب وجودها، فما بيان ذلك؟**

الجواب: لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن، ثم يكون تعليمه، ثم العلم تحصل به التزكية، وهي في العمل بإرشاد القرآن الكريم(١). والله أعلم.

السؤال ١٠٦١: ما موقع جملة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] **بالنسبة لما قبلها؟**

الجواب: الجملة تعليل للدعاء المذكور، فإن وصف الحكمة مقتض لإفاضة ما تقتضيه الحكمة من الأمور التي من جملتها بعث الرسول، ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة(٢). والله أعلم.

السؤال ١٠٦٢: ما علة فصل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] **عما قبله؟ وما غرضه البلاغي؟**

الجواب: فصل عما قبله للاستئناف. وفي الفصل إشارة إلى استقلال جملة التذييل في الإفادة. والله أعلم.

السؤال ١٠٦٣: هل ترتيب الحوادث المحكية في القرآن الكريم كلها مرتب ترتيبًا زمانيًا؟

الجواب: لا؛ لأن القرآن ليس كتاب تاريخ يقص الحوادث حسب وقوعها، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد، وتشريعات. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١/٧٢٣).

(٢) يراجع إرشاد العقل السليم(١/١٦٢).

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى
ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ
بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ
مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١٣٤﴾ ﴾ [البقرة ١٣٠- ١٣٤].

السؤال ١٠٦٤: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ... ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٠]

الجواب: الإنكار والتوبيخ، واستبعاد أن يكون في العقلاء من يرغب عن ملة الخليل إبراهيم عليه السلام. والله أعلم.

السؤال ١٠٦٥: ما نوع الإضافة في قوله تعالى: ﴿ مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٠]

الجواب: الإضافة مجازية، وذلك لأنه لما أوحي بها إليه، وآمن بها -أي بملته أي دينه وهو الإسلام- ودعا الناس إليها، ودافع عنها وعُذّب من أجلها نسبت إليه. والله أعلم.

السؤال ١٠٦٦: علام انتصب ﴿ نَفْسَهُۥ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٠]

الجواب: انتصب اللفظ «نفسه» إما على أنه مفعول به، والتقدير أهملها واستخفها ولم يبال بإضاعتها في العاجلة والآجلة، وإما على التمييز المحول عن الفاعل، وأصله:

سفهت نفسه أي خفت وطاشت، فحول الإسناد إلى صاحب النفس على طريقة المجاز العقلي قصدًا للمبالغة، وهي أن السفاهة سرت من الناس إلى صاحبها من شدة تمكنها بنفسه حتى صارت صفة لجثمانه، ثم انتصب الفاعل على التمييز تفسيرًا لذلك الإبهام في الإسناد المجازي(١). والله أعلم.

السؤال ١٠٦٧: ما نوع الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٠]

الجواب: أسلوب قصر بالنفي -المستفاد من الاستفهام الإنكاري- والاستثناء -وهو أقوى طرق القصر- والقصر حقيقي تحقيقي من باب قصر الصفة على الموصوف أي فلا يرغب عن ملة إبراهيم عليه السلام أحد إلا من استخف نفسه وأوردها المهالك. وفي الجملة تعريض باليهود والنصارى والمشركين وتوبيخ لهم؛ حيث أعرضوا عن دعوة الرسول محمد ﷺ ولم يتبعوه مع أن ملته هي ملة أبيهم إبراهيم الذي ينسبون إليه، ويفخرون بذلك، فكيف يعرضون عنها ويجحدون بها ؟! والله أعلم.

السؤال ١٠٦٨: ما موقع جملتي ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] بالنسبة لما قبلها ؟

الجواب: تعليل للحكم في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] فقد علل هذا الحكم الذي تضمنته جملة القصر بجملتين: الأولى تبين مكانته في الدنيا ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وجاءت هذه الجملة ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ تعليلاً لسابقتها ومقررة لمضمونها، وأكدت باللام -الواقعة في جواب قسم محذوف- والقسم المدلول عليه باللام، وقد؛ وذلك لتأكيد اصطفائه عليه السلام اصطفاء

(١) يراجع الكشاف (١/ ٢٦)، والتحرير والتنوير (١/ ٧٢٦).

قويًا في مواجهة من يرغبون عن ملته.

والجملة الثانية: تبين مكانة إبراهيم عليه السلام في الآخرة: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. والله أعلم.

السؤال ١٠٦٩: ما علة زيادة المؤكدات في جملة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] بالنسبة لما قبلها؟

الجواب: أكدت هذه الجملة بإنَّ واللام زيادة على القسم السابق؛ لأن مضمونها من الأمور الأخروية، وهي غيب خفي على المخاطبين فحاجتها إلى التأكيد أشد من الأمور التي تشاهد آثارها، أما اصطفاء إبراهيم في الدنيا -وهذا هو مضمون الجملة الأولى- فقد شاهدوه ونقله جيل بعد جيل[1]. والله أعلم.

السؤال ١٠٧٠: ما الغرض من تقديم الجار والمجرور ﴿فِى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ على الخبر ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؟ [البقرة: ١٣٠]

الجواب: للعناية والاهتمام ببيان مكان وزمان الحكم الذي تضمنته الجملة، نظرًا لأهمية الآخرة وعلو مكانتها على الدنيا، وشوق الناس لمعرفة مصيرهم فيها، ولملاءمة «الصالحين» للفاصلة التي تنتهي بالياء والنون[2]. والله أعلم.

السؤال ١٠٧١: لم أوردت جملة ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِى ٱلدُّنۡيَا﴾ فعلية ماضوية، وأوردت جملة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ اسمية؟

الجواب: أوردت الجملة الأولى فعلية ماضوية لمضيها من وقت الإخبار، وأوردت

---

(١) يراجع إرشاد العقل السليم (١/ ١٦٣)، والفتوحات الإلهية (١/ ١٠٩).

(٢) من خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام (ص٣٩٧).

الجملة الثانية اسمية لعدم تقييدها بالزمان؛ لأن انتظام إبراهيم عليه السلام في زمرة صالحي أهل الآخرة أمر مستمر في الدارين لا أنه يحدث في الآخرة[1]. والله أعلم.

السؤال ١٠٧٢: بين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ..﴾ [البقرة: ١٣١] التفات من التكلم إلى الغيبة، فما غرضه البلاغي؟

الجواب: لتوجيهه عليه السلام إلى الطريق المستقيم، ولإظهار مزيد من الرعاية به والاعتناء بشأنه واللطف به، وذلك ينبئ عنه أيضًا ذكر وصف الربوبية وإضافته إلى ضميره عليه السلام. والله أعلم.

السؤال ١٠٧٣: ما سر حذف مفعول ﴿أَسْلِمْ﴾ ومتعلقه في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ..﴾؟ [البقرة: ١٣١]

الجواب: حذف مفعول «أسلم» ومتعلقه لدلالة المقام عليهما، والتقدير: أسلم وجهك لي. وفي حذفهما إيجاز بالحذف مع تنزيل الفعل المتعدي منزلة الفعل اللازم؛ لإثبات أمره بالإسلام على الإطلاق دون اعتبار تعلقه بمن وقع عليه. والله أعلم.

السؤال ١٠٧٤: ما الغرض من مجيء الكلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] على هيئة الأمر وجوابه؟

الجواب: للإيماء بأن إبراهيم عليه السلام بادر بالإجابة فور تلقيه أمر ربه دون تلكؤ أو تريث. والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (١/٣٨٨).

السؤال١٠٧٥: لم أجاب إبراهيم عليه السلام بقوله -كما حكاه القرآن- ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ولم يقل مثلاً: أسلمتُ أو أسلمت لك؟

الجواب: «ليكون قد أتى بالإسلام وبدليله» (١). والله أعلم.

السؤال ١٠٧٦: لماذا أوثرت الوصية على الأمر أو النهي في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ..﴾؟ [البقرة: ١٣٢].

الجواب: لأن الوصية أبلغ من الأمر أو النهي؛ لأنها تتعلق بصلاح الموصى وابتغاء الخير له عن أي طريق أمرًا أو نهيًا قولًا أو فعلاً. والله أعلم.

السؤال ١٠٧٧: ما سر تقديم الجار والمجرور «بها» على الفاعل والمفعول به في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾؟ [البقرة: ١٣٢]

الجواب: للاهتمام بمضمون الوصية والعناية بها. والله أعلم.

السؤال ١٠٧٨: علام يشير ذكر يعقوب عليه السلام في الآية الكريمة؟

الجواب: لتذكير بني إسرائيل بوصية جدهم وأعظم أنبيائهم الذي ينسبون إليه، وفيه كذلك تعريض بهم لإعراضهم عن الإسلام وهو ملة إبراهيم ويعقوب -عليهما السلام- ووصيتهما. والله أعلم.

السؤال ١٠٧٩: لم خص إبراهيم عليه السلام بنيه بهذه الوصية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؟ [البقرة: ١٣٢]

الجواب: لأن شفقة الرجل على أبنائه أشد من شفقته على غيرهم، كما أن غيرهم

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ١٦٣).

من الناس منتظمون في دعوته العامة إلى الإسلام[١]. والله أعلم.

السؤال ١٠٨٠: ما دلالة تعريف «الدين» باللام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾؟ [البقرة: ١٣٢]

الجواب: في تعريف «الدين» باللام دلالة على كماله وتمامه، أي الدين الكامل التام. والله أعلم.

السؤال ١٠٨١: ما سر تقديم الجار والمجرور على المفعول في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾؟ [البقرة: ١٣٢]

الجواب: للمسارعة ببيان أن هذا الاصطفاء لهم، وفائدته عائدة عليهم. والله أعلم.

السؤال ١٠٨٢: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؟ [البقرة: ١٣٢].

الجواب: الفاء للسببية؛ لأن جملة ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ مترتبة على الجملة الخبرية قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ ومبنية عليها. والله أعلم.

السؤال١٠٨٣: كيف صح أن يُنهى عن الموت على صفة، أو يؤمر به على صفة، والموت ليس في وسع الإنسان وقدرته، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؟

الجواب: معناه: اثبتوا على الإسلام حتى إذا جاءكم الموت متم على دين الإسلام. فهو

(١) من خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام ص(٤٠١).

أمر بالثبات على دين الإسلام والدوام عليه، أو نهي عن تركه(١).

وقد بين الزمخشري معنى هذه الجملة ووضحها فقال: «المعنى: لا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام: إذا ماتوا، كقولك: لا تُصَلِّ إلا وأنت خاشع، فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته. فإن قلت: فأي نكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها؟ قلت: النكتة فيه إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة، فكأنه قال: أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة.. وكذلك المعنى في الآية: إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام؛ موت لا خير فيه»(٢)، وبناء على كلام الزمخشري، فقد يكون النهي عن الفعل دالًا على شدة الرغبة في وقوعه موصوفًا بصفة معينة، حتى كأنه بدون هذه الصفة منهي عنه(٣). والله أعلم.

السؤال ١٠٨٤: لماذا أوثر أسلوب النفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؟ [البقرة: ١٣٢] **على: لا تموتن إلا مسلمين؟**

الجواب: لأن المقصور عليه في الآية الكريمة ﴿وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ جملة اسمية تفيد حكمًا راسخًا ثابتًا كاملاً، ومؤكدة بتكرير الضمير ﴿وَأَنتُم﴾ الذي أكد الضمير المستتر في الفعل. كما أن القصر أقوى أساليب التوكيد، والنفي والاستثناء أعلى طرق القصر وأقواها دلالة على التوكيد، ومضمون الجملة لعراقته وشدة أهميته احتاج إلى أقوى

---

(١) من غرائب آي التنزيل للرازي (ص١٧).

(٢) الكشاف (١/٢٧).

(٣) يراجع البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، للدكتور محمد محمد أبو موسى (ص٣١١)، طبعة دار الفكر.

المؤكدات. وقد أضاف التوكيد بالنون الثقيلة في آخر الفعل «تموتنَّ» قوة للمعنى وإثباتًا له لأهميته القصوى. والقصر في الآية من باب قصر الصفة على الموصوف، وهو يؤكد الحكم الذي تضمنته الجملة وهو حث المخاطبين على التمسك بالإسلام طول حياتهم، وعدم الموت على غيره. والله أعلم.

السؤال ١٠٨٥: ما نوع «أم» في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٣]

الجواب: «أَمْ» منقطعة بمعنى «بل» -وهذا هو الأشهر- وتفيد: الإضراب عن الكلام السابق وهو بيان الوصية إلى مجادلة اليهود وإبطال زعمهم في ادعائهم اليهودية على يعقوب عليه السلام وأبنائه. والله أعلم.

السؤال ١٠٨٦: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٣]

الجواب: الغرض الإنكار والتوبيخ. والمخاطَب: اليهود، حيث كانوا يدّعون أن يعقوب عليه السلام مات على اليهودية فوُبِّخوا على ذلك وأُنكر عليهم، والمعنى: ما كنتم شهداء احتضار يعقوب عليه السلام ووصيته لبنيه، فلِمَ تَدَّعون ما تدّعون ؟!

السؤال ١٠٨٧: ما نوع الصورة البيانية ؟ وما وجه بلاغتها في قوله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٣]

الجواب: استعارة مكنية؛ حيث شبه الموت بإنسان حاضر، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الحضور. وفي هذا تصوير للموت في صورة محسوسة مشاهدة وبهذا يتمكن المعنى في ذهن السامع. والله أعلم.

السؤال ١٠٨٨: ما سر تقديم المفعول به ﴿يَعۡقُوبَ﴾ على الفاعل ﴿ٱلۡمَوۡتُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٣]

الجواب: للاهتمام ببيان من حضره الموت، وللتشويق للفاعل. والله أعلم.

السؤال ١٠٨٩: لم قيل: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾ ولم يقل مثلاً: أم كنتم شهداء إذ قال يعقوب لبنيه عند الموت؟

الجواب: للإشعار باستقلال الخبر، وأهمية القصة وقصد حكايتها على ترتيب حصولها، وقصد الإجمال ثم التفصيل؛ لأن حضور الموت لا تخلو من حدث هام سيحكى بعدها فيترقبها السامع (١). والله أعلم.

السؤال ١٠٩٠: لم قال: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي﴾ [البقرة: ١٣٣]، **ولم يقل: من تعبدون من بعدي ؟**

الجواب: لأن «ما» هي الأصل عند قصد العموم؛ لأن يعقوب سأل بنيه عما يمكن أن يعبدوه.

وصيغت وصيته بأسلوب الاستفهام لينظر أولًا مقدار ثباتهم على الدين ويطلع على خالص طويتهم؛ ليلقي إليهم الوصية المناسبة لهم. وفي السؤال عن حالهم بعد موته؛ دليل على أن الغرض حثهم على ما كانوا عليه حال حياته من التوحيد والإسلام، وأخذ الميثاق منهم عليه(٢).

(١) يراجع الكشاف (١/ ٩٦)، وخصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام (ص ٤٠٥).
(٢) ينظر روح المعاني (١/ ٣٩١)، والتحرير والتنوير (١/ ٧٣٢).

السؤال ١٠٩١: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى﴾ [البقرة: ١٣٣]

الجواب: التثبت. والله أعلم

السؤال ١٠٩٢: ما سبب فصل جملة ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة: ١٣٣] عما قبلها؟

الجواب: للاستئناف البياني -شبه كمال الاتصال- حيث وقعت الجملة جوابًا عن سؤال تقديره: فماذا قال بنوه؟ والله أعلم.

السؤال ١٠٩٣: ما سر التعبير بـ﴿إِلَٰهَكَ﴾ وتعريفه بالإضافة دون التعبير بالاسم العلم بأن يقولوا: نعبد الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾؟ [البقرة: ١٣٣]

الجواب: في التعبير بإلهك وإضافته إلى ضمير يعقوب عليه السلام وآبائه دلالة على إثبات جميع الصفات القدسية التي كانوا يثبتونها لله تعالى، كما أن فيه إيماء إلى أنهم مقتدون بسلفهم، ومتمسكون بالملة القويمة التي ورثوها عنهم[1]. والله أعلم.

السؤال ١٠٩٤: ما الغرض من عطف ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ على ﴿إِلَٰهَكَ﴾ في الآية الكريمة؟

الجواب: للإشارة إلى اتفاق الجميع على وجود إله واحد مستحق للعبادة هو

---

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام (ص٤٠٦).

الله -عز وجل- [(١)]. والله أعلم.

السؤال١٠٩٥: ما إعراب ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ في قوله: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٣]

الجواب: بدل من ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾، وفائدته دفع توهم التعدد الناشئ من ذكر الإله مرتين، وتوضيح صفة الإله الذي يعبدونه. وفي إعادة لفظ الإله وعدم الاقتصار على الوصف ﴿وَٰحِدًا﴾ زيادة إيضاح؛ لأن المقام مقام إطناب، ففي الإعادة تنويه بالمعاد -المكرر- وتوكيد لما قبله، وهذا أسلوب من الفصاحة؛ إذ يعاد اللفظ ليُبْنى عليه وصف أو متعلق، ويحصل مع ذلك توكيد اللفظ السابق تبعًا، وليس المقصود من ذلك مجرد التوكيد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧][(٢)]. والله أعلم.

السؤال ١٠٩٦: ما الغرض من مجيء قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] جملة اسمية ؟

الجواب: للدلالة على ثبوت الوصف لهم ورسوخه ودوامه. والله أعلم.

السؤال ١٠٩٧: ما سر تقديم الجار والمجرور﴿لَهُۥ﴾ على ما تعلق به ﴿مُسْلِمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]

الجواب: لإفادة القصر، أي نحن مسلمون له لا لغيره. والله أعلم.

---

(١) ينظر روح المعاني (١/ ٣٩١)، والتحرير والتنوير (١/ ٧٣٣).

(٢) يراجع روح المعاني (١/ ٣٩١)، والتحرير والتنوير (١/ ٧٣٤).

السؤال ١٠٩٨: ما علة مجيء الخبر ﴿مُسْلِمُونَ﴾ اسم فاعل في الآية الكريمة؟

الجواب: للإشارة إلى ثبوت إسلامهم، واستمرارهم عليه. والله أعلم.

السؤال ١٠٩٩: ما المقصود باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ...﴾ [البقرة: ١٣٤]

الجواب: إبراهيم عليه السلام وأولاده، وتأنيثه باعتبار أنهم جماعة، وفي الإشارة إليهم بأداة البعيد لإعلاء شأنهم وتعظيم مكانتهم. و الله أعلم.

السؤال ١١٠٠: ما الغرض من إيثار لفظ ﴿أُمَّةٌ﴾ على الجماعة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ...﴾؟ [البقرة: ١٣٤]

الجواب: للإشعار بشدة وحدة إبراهيم عليه السلام وأولاده، وبقوة رابطتهم النسبية والدينية، ولتناسبها مع ما تقدم في دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨](١). والله أعلم.

السؤال ١١٠١: ماذا أفاد تقديم المسند على المسند إليه في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾؟ [البقرة: ١٣٤]

الجواب: أفاد قصر المسند إليه على المسند، أي: ما كسبته الأمة مقصور عليها لا يتجاوزها إلى غيرها، وما كسبتم مقصور عليكم لا يتجاوزكم إلى غيركم. وهو قصر الموصوف على الصفة قصرًا إضافيًا لقلب اعتقاد المخاطبين، فإنهم لغرورهم يزعمون أن ما كان لأسلافهم من الفضائل يزيل ما ارتكبوه هم من المعاصي، أو يحمله عنه أسلافهم (٢). والله أعلم.

---

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام ص(٤٠٩).

(٢) ينظر التحرير والتنوير (١/ ٧٣٥).

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: ١٣٥-١٤١].

السؤال ١١٠٢: ما نوع «أو» في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ...﴾؟ [البقرة: ١٣٥]

الجواب: «أو» للتنويع أي التفصيل والتقسيم، وفي الجملة إشارة إلى صلف أهل الكتاب وغرورهم؛ حيث حصروا الهداية في اليهودية، أو النصرانية؛ كما تدل على اختلافهم وصراعهم؛ حيث ترى كل طائفة أن دينها هو الحق وأن ما سواه هو الباطل. وفي الآية لف ونشر غير مرتب. والله أعلم.

السؤال ١١٠٣: ماذا أفادت جملة ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في قوله تعالى ردا على أهل الكتاب: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؟ [البقرة: ١٣٥].

الجواب: أفادت الاحتراس لأن كل واحد من اليهود والنصارى والمشركين ادعى أنه على دين الخليل إبراهيم عليه السلام، فلما ثبت أنه كان على دين الإسلام الداعي إلى

التوحيد، وثبت أن النصارى يقولون بالتثليث واليهود يقولون بالتشبيه، فثبت أنهم ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام وكذلك الأمر بالنسبة للمشركين الذين ادعوا أنهم على دين إبراهيم عليه السلام مع أنه لم يكن مشركا وهم مشركون. والله أعلم.

السؤال ١١٠٤: لم عبر بالجمع في قوله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ... ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٦] **ولم عبر بالإفراد في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ ؟** [آل عمران: ٨٤].

الجواب: عبر بالجمع في آية البقرة؛ لأن الخطاب لجماعة المؤمنين، وعبر بالإفراد في آية آل عمران لأن المخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم.

السؤال ١١٠٥: لماذا قدم الايمان في قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ... ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٦].

الجواب: لأن الإيمان بالله تعالى أصل الإيمان بالشرائع وشرط الإيمان بها، فمن لا يعرف الله تعالى استحال أن يعرف نبيا أو كتابا.(١) والله أعلم.

السؤال ١١٠٦: كيف جاز نسبة إنزال القرآن إلى المؤمنين وقد أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٦].

الجواب: لأن المؤمنين هم المخاطبون بتكاليفه من أوامر ونواه وإرشادات؛ لذا صحت نسبة إنزال القرآن إليهم. والله أعلم.

السؤال ١١٠٧: ما سر تعدية فعل الإنزال بحرف الانتهاء في قوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٦]، **وما سر تعديته بحرف الاستعلاء في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ؟** [آل عمران: ٨٤]

الجواب: في تعدية فعل الإنزال بإلى في هذا الموضع وغيره؛ إيماء إلى التشديد في

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب (٢/ ٤٥٠).

التكليف على الرسول ﷺ حيث نزل منزلة أمته وضرورة إنهاء ما أنزل إليه من الكتاب إلى المبلغين، وتقديمه إليهم في صورة واضحة بينة لا لبس فيها، ولا غموض؛ لأنه أمانة السماء فلا بد أن تسلم إلى أهلها في الأرض، والأمانة فيها من التشديد في الأداء والتكليف ما فيها. أما تعدية الإنزال بحرف الاستعلاء «على» فإن فيها إشعارا بمعنى التشريف وعظمة المنزل وشرف المنزل عليه ﷺ وتحمله المشاق في سبيل الإنزال كما يوحي هذا الحرف «على» بمدى الخضوع والاستسلام المطلق منه ﷺ ولعل هذا وجه التشريف الذي يدل عليه حرف الاستعلاء والله أعلم.

السؤال ١١٠٨: لم تكررت لفظة «أوتي» في آية البقرة: ﴿... وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ...﴾؟ [البقرة: ١٣٦] **ولم تركت في آية آل عمران: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾؟** [٨٤].

الجواب: تكررت كلمة «أوتي» في آية سورة البقرة؛ لأن آية البقرة وردت في سياق ذكر عدد من الأنبياء وأخبارهم؛ مثل: إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وبنيه، فلما جرى ذكر الأنبياء السابقين ناسب ذلك تكرار الإيتاء لهم، وذلك بخلاف آية آل عمران فإنها ليست في مثل هذا السياق. وكذلك لأن آية البقرة وردت بعد قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥]، فلما جرى ذكر هاتين الملتين ناسب ذلك تخصيص نبييهما بالإيتاء فأفرد ذكر إيتاء موسى وعيسى عن إيتاء الأنبياء الآخرين، ثم جاء بعدهما ذكر الإيتاء للأنبياء الآخرين. كما أن الآية في آل عمران وردت بعد ذكر أخذ الميثاق من النبيين على الإيمان بالنبي محمد ﷺ؛ إن هم أدركوه قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا

مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]، كما وردت في سياق التأكيد على الإسلام والإيمان به فقد جاء قبلها: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]. وجاء بعدها: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فناسب ذلك عدم تكرار الإيتاء للأنبياء فيها وذلك لأن السياق فيما أوتي سيدنا محمد ﷺ لا فيما أتي الأنبياء الآخرون، فأنت ترى أنه لما كان السياق في البقرة في ذكر الأنبياء ذكر الإيتاء لهم ولما كان السياق في آل عمران في الإيمان بالنبي ﷺ ودينه وأخذ الميثاق له من الأنبياء على الإيمان به؛ ناسب ذلك عدم تكرار الإيتاء للأنبياء. وأخيرا فقد وردت مشتقات مادة الإيتاء في البقرة أكثر مما في آل عمران، فقد وردت في البقرة في أربعة وثلاثين موضعا ووردت في آل عمران في تسعة عشر موضعا مما اقتضى تكرار الإيتاء في البقرة دون آل عمران والله أعلم(١).

السؤال ١١٠٩: لماذا كرر الموصول «ما» في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ...﴾ ؟ [البقرة: ١٣٦].

الجواب: لأن المنزل إلى أمة محمد ﷺ وهو القرآن الكريم غير تلك الصحائف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام فلو حذف الموصول لدل على أن المنزل إلينا عين المنزل على إبراهيم عليه السلام. والله أعلم(٢).

(١) يراجع التعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرائي ص(٢٠٧، ٢٠٨)، ودرة التنزيل للخطيب الإسكافي (٣٤-٤٦).

(٢) البحر المحيط (١/ ٥٧٩)، بتصرف يسير.

السؤال ١١١٠: كيف جاز عطف إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط على إبراهيم بما يوحي أنه أنزل إليهم كتاب أو صحف والمشهور أنه لم ينزل عليهم شيء من ذلك ؟

الجواب: جازعطف هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام- على إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ [البقرة: ١٣٦]؛ «لأنهم كلفوا بالعمل به والدعاء إليه؛ فأضيف الإنزال إليهم كما أضيف في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ »(١) والله أعلم.

السؤال ١١١١: لم أوثر التعبير بحرف الشرط «إن» المفيد للشك في قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٧].

الجواب: لأن إيمان أهل الكتاب وإقرارهم بإيمان المؤمنين من أتباع محمد ﷺ؛ أمر غير مأمول، ولا متوقع ومشكوك فيه. والله أعلم.

السؤال ١١١٢: لم قيل: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٣٧] ولم يقل: فإن آمنوا بما آمنتم به ؟

الجواب: للاستدراج وإرخاء العنان مع الخصم وللتبكيت؛ لأن الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام، والمعنى: إن حصلوا دينا آخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا، ولما استحال أن يوجد دين آخر يساوي هذا الدين في السداد استحال الاهتداء بغيره، ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه: وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد استدراجه لتبكيته وتوقيفه على أن رأيك لا رأي وراءه

(١) البحر المحيط (١/ ٥٧٩).

في الصواب. والله أعلم[١].

السؤال ١١١٣: ما سر التعبير عن التطهير بالإيمان بقوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٨].

الجواب: للمشاكلة التقديرية[٢]؛ فإن النصارى كانوا يصبغون أولادهم عند الولادة بماء أصفر يسمونه المعمودية معتقدين أنه تطهير للمولود، فرد الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ أي صبغة الله أحسن صبغة، وهي الإسلام. والله أعلم.

السؤال ١١١٤: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ... ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٨].

الجواب: النفي والإنكار. والله أعلم.

السؤال ١١١٥: ما نوع الأسلوب في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٨].

الجواب: أسلوب قصر من باب قصر الصفة «العبادة» على الموصوف «الله» دون غيره، والمعنى: عابدون له لا غيره. وطريق القصر التقديم. والله أعلم.

السؤال ١١١٦: ما علة إيثار التعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٩].

الجواب: للإشارة إلى عدم انقطاع لجاجة اليهود والنصارى ومحاجتهم للمسلمين. والله أعلم

---

(١) يراجع الكشاف (١/ ٩٧)، وروح المعاني (١/ ٦٢٣).

(٢) المشاكلة: هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا. وإنما كانت المشاكلة في الآية تقديرية؛ لأن لفظ الصبغة لم يتقدم في الحقيقة، وإنما تقدم معناه وهو الحالة المعروفة في النصارى عند الولادة. يراجع معاني القرآن ليحيى بن زياد الفراء (١/ ٨٢).

السؤال ١١١٧: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٩]

الجواب: الاستفهام مجازي، غرضه الإنكار، وهو لإنكار الواقع؛ لأن أهل الكتاب كانوا يحاجون المسلمين فعلا. والله أعلم.

السؤال ١١١٨: ما نوع الإيجاز في قوله تعالى: ﴿فِى ٱللَّهِ ﴾ ؟ وما وجه بلاغته ؟

الجواب: إيجاز بالحذف، والتقدير: في دين الله والرسالة الخاتمة. ونكتة هذا الحذف «التخييل بأن أهل الكتاب -لفرط جهلهم- محاجون في ذات الله نفسه؛ لأنهم لا يقدرون الله حق قدره».(١) والله أعلم.

السؤال ١١١٩: ما علة ذكر المفعول به «نا» في قوله تعالى: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾؟ [البقرة: ١٣٩].

الجواب: لإظهار بشاعة تلك المحاجة وفظاعتها؛ لأن أهل الكتاب يجادلون المسلمين، وهم أعرف الناس بجلال الله والإيمان برسله جميعا وبما أنزل عليهم، ولو حذف المفعول به فقيل: أتحاجون؛ لجاز أن يكون لجدالهم وجه محمود بأن يكون من يجادلونه جاهلا بالله وكماله وجلاله. والله أعلم.(٢)

السؤال ١١٢٠: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٤٠]

الجواب: الاستفهامات الثلاثة في الآية الكريمة مجازية،والغرض من الاستفهامين

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم د/عبد العظيم إبراهيم المطعني. (١/ ١١٠).

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ١١٠). بتصرف يسير.

الأول والثاني الإنكار والتوبيخ، أما الاستفهام الثالث فغرضه النفي. والله أعلم.

السؤال ١١٢١: ما نوع «أم» في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٤٠].

الجواب: «أم» إما متصلة معادلة للهمزة في «أتحاجوننا» بمعنى: في أي الأمرين تأتون المحاجة؟ في حكمة الله ؟ أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ وإما أن تكون منقطعة بمعنى «بل» والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء. والله أعلم[1].

السؤال ١١٢٢: لم قدم «هودا» على «نصارى» في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ... ﴾ ؟ [البقرة ١٤٠].

الجواب: لتقدم اليهودية على النصرانية زمنا. والله أعلم.

السؤال ١١٢٣: ما فائدة التعبير بالظرف «عنده» والجار والمجرور ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٤٠] **حيث كان من الممكن أن يقال: ومن أظلم ممن كتم شهادة ؟**

الجواب: الغرض من التعبير بالظرف «عنده» والجار والمجرور «من الله» تشنيع شأن الكتم وتهويله وتفظيعه، بيان ذلك أن الظرف «عنده» للدلالة على تعمد الكتم والإصرار عليه بما تحقق له علمه عنده -أي عند كاتم الشهادة-. وأما الجار والمجرور «من الله» فهو للإشارة إلى أن كتم الحق الصادر عن الله تعالى من أشنع الذنوب. والله أعلم.

---

(١) الكشاف (١/ ٩٨)، وإرشاد العقل السليم (١/ ١٦٩).

السؤال ١١٢٤: ما الغرض من الخبر في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٤٠].

الجواب: التهديد والوعيد. والله أعلم.

السؤال ١١٢٥: ما سر تقديم «بغافل» على «ما تعملون» في الآية الكريمة؟

الجواب: «لأنه محط الفائدة؛ لأن نفي الغفلة معناه: أنه محيط علما بما صغر وكبر من الأعمال، فلا مفر من مساءلته للعاملين، وتوفيتهم حسابهم جزاءا وفاقا». والله أعلم.(١)

السؤال ١١٢٦: ما سر تكرير قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

الجواب: للمبالغة في التحذير والوعيد والزجر عما عليه أهل الكتاب من الافتخار بالآباء، والاتكال عليهم. والله أعلم(٢).

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ١١٦).

(٢) يراجع أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ١٩٤)، وإرشاد العقل السليم (١/ ١٧٠).

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٢- ١٥٠].

السؤال ١١٢٧: ما علاقة الآية ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ ... ﴾؟ [البقرة: ١٤٢]

الجواب: السياق المباشر لآيات تحويل القبلة يعرض قصة إبراهيم عليه السلام فيما يخص بناء الكعبة، والتنويه بشأنها، ثم يذكر ارتباط الأمة المسلمة بإبراهيم عليه السلام؛ حيث إنها

امتداد لذريته، فلا عجب إذن أن تكون قبلته قبلتهم وملته ملتهم، ثم أعلنت الآيات صراحة ما يريده أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ ...﴾، وقد سبق بيان غرضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...﴾ ثم أخذ السياق يكشف عن حججهم الباطلة في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ...﴾، ثم يأتي الأمر بتحويل القبلة؛ لتعميق صلة المسلمين بأبيهم إبراهيم عليه السلام قبلة وعقيدة ومنهاجًا (١). والله أعلم.

السؤال ١١٢٨: لماذا أطلق القرآن على اليهود وصف سفهاء في قوله تعالى:

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ...﴾؟ [البقرة: ١٤٢]

الجواب: لأنهم لو تدبروا الأمر وعقلوه ما شككوا فيه. والله أعلم.

السؤال ١١٢٩: لم فصلت جملة: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ...﴾ عما قبلها؟

الجواب: للتنبيه على عظم جرم ما ذهب إليه اليهود في هذه الآية وفي التي قبلها ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾، وإلى استقلال كل منهما في الفظاعة والسوء. والله أعلم.

السؤال ١١٣٠: ما دلالة السين في قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؟ [البقرة: ١٤٢]

الجواب: للاستقبال، وهذا تحدٍ لليهود، وإخبار بأمر غيبي سيقع منهم، ووجه التحدي فيه «أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا

(١) يراجع البلاغة القرآنية في الحديث عن الرسول ﷺ، د. عادل أحمد الرويني (ص٥١٠)، والبلاغة في آيات الأحكام (ص١٢٥-١٢٦)، رسالة دكتوراه مخطوطة في مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، إعداد: د. عبد العزيز عبد الهادي.

وقع؛ لما يتقدمه من توطين النفس، وأن الجواب العتيد قبل المحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه»[١]. والله أعلم.

السؤال ١١٣١: ما سر العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ حيث كان من الممكن أن يقال مثلاً: سيقولون ؟

الجواب: لإظهار الوصف الذي استخف اليهود إلى هذا القول الظاهر عواره. والله أعلم.

السؤال ١١٣٢: ما فائدة التعبير بقول تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ مع كون السفهاء من الناس معلومًا؟

الجواب: للتنبيه على بلوغهم الحد الأقصى من السفاهة وكأنه لا يوجد في الناس سفهاء غير هؤلاء اليهود المشككين في قبلة المسلمين على وجه المبالغة، والمعنى أن كل من صدر عنه هذا القول هو سفيه سواء كان القائل اليهود أو المنافقون أو المشركون. وهكذا وسع القرآن الكريم من دائرة القائلين، ولا نحصر القول في اليهود وحدهم، وهذا تأكيد لوصفهم بالسفه والطيش. والله أعلم.

السؤال ١١٣٣: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ ؟ [البقرة: ١٤٢]

الجواب: التشكيك - تشكيك اليهود - في صحة الرسالة، وإحداث بلبلة في صفوف المسلمين ونفوسهم. والله أعلم.

---

(١) الكشاف (١/ ٩٩).

السؤال ١١٣٤: لم أوثر حرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ على: التي كانوا يستقبلونها؟

الجواب: لأن في التعبير المقترح «يستقبلونها» إشعار بأنهم متى صَلّوا توجهوا إليها بخلاف التعبير القرآني الذي يوحي بالملازمة والاستعلاء. والله أعلم.

السؤال ١١٣٥: بأي أسلوب صيغ الجواب على شبهة اليهود في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؟ [البقرة: ١٤٣].

الجواب: صيغ الرد بأسلوب القصر بطريق تقديم المسند «الله» على المسند إليه «المشرق والمغرب». وأوثر القصر بالتقديم؛ للمسارعة إلى قمع شبهة اليهود ومن على شاكلتهم «ببيان أن الجهات كلها ملك لله تعالى، وأنها ليست مستحقة للتوجه والاستقبال استحقاقًا ذاتيًا»(١). والله أعلم.

وفي الجواب إعراض عنهم، وكأنهم لسفههم وطيش عقولهم لم يستحقوا أهلية الخطاب وتوجيه الجواب لهم، وذلك سخرية منهم ومن حماقتهم ومقتًا لهم؛ «لأن إنكارهم كان من عناد لا عن طلب الحق فأجيبوا بما لا يدفع عنهم الحيرة، ولم تُبيَّن لهم حكمة تحويل القبلة، ولا أحقية الكعبة مما لا يدفع بالاستقبال، في حين يبين ذلك للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]»(٢). والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ١٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ١٢).

السؤال ١١٣٦: في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] تعريض بعدم هداية اليهود، فعلى أي طريقة جيء به؟

الجواب: على طريقة الكلام المنصف؛ لأن المهدي من الفريقين «اليهود والمسلمين» اللذان كانا في حالة واحدة وهي استقبال قبلة واحدة، المهدي منها هو الفريق الذي أمره الله بالعدول عن المشاركة في قبلة واحدة إلى الاختصاص بقبلة معينة له، فهذه الآية بهذا المعنى فيها إشارة إلى ترجيح أحد المعنيين من الكلام الموجه (١). والله أعلم.

والخلاصة فقد استخدم اليهود في حملتهم أسلوب الإنشاء بطريق الاستفهام بقصد التشكيك والإنكار والتعجيب، وآثروا التعبير بالكناية دون التصريح في قوله سبحانه حكاية عنهم: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ لمناسبتها لمقام التشكيك والتشنيع. كما أن البيان القرآني مهد للرد على اليهود يلمح هذا في تصدير الخبر بوصفهم بالسفاهة. والله أعلم.

السؤال ١١٣٧: لم قيل: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟ [البقرة: ١٤٣]، ولم يقل: ولتكونوا شهودًا..

الجواب: شهود وشهداء كلاهما من جموع الكثرة، ولكن أوثرت صيغة «شهداء» في الآية الكريمة؛ للمبالغة في الدلالة على شرف الشهادة، وشرف حامليها من خلال زيادة مبنى هذه الصيغة. فقد جسّدت تلك الصيغة شرف الشاهدين من الأمة المحمدية ومسؤوليتهم في قيادة الإنسانية بِمُثل الحق الخير، وقيم العدل التي هم أهلها وقادتها

(١) التحرير والتنوير (١٢/٢) بتصرف.

حتى صاروا جديرين بما تحملوه من خطر الشهادة على من سبقهم من الأمم، وعلى من عاصرهم (١). والله أعلم.

السؤال ١١٣٨: ما سر إيثار حرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾؟ [البقرة: ١٤٣]

الجواب: «لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن» (٢). والله أعلم.

السؤال ١١٣٩: ماذا أفاد تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾؟ [البقرة: ١٤٣]

الجواب: أفاد القصر، أي اختصاص شهادة الرسول ﷺ بأمته. والله أعلم.

السؤال ١١٤٠: ما السر في إخلاص الخطاب للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾؟ [البقرة: ١٤٣]

الجواب: للإيماء بأن مضمون الخبر من الأسرار الجديرة بأن يختص الرسول ﷺ بمعرفته. والله أعلم.

السؤال ١١٤١: ما سر الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ...﴾ حيث كان الظاهر أن يقال: إلا لنعلم من يتبعك؟

الجواب: للإشعار بعلة الاتباع. والله أعلم.

---

(١) ينظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ د. محمد الأمين الخضري (ص١٩٢، ١٩٣).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ١٧٣).

السؤال ١١٤٢: ما علة نفي إرادة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾؟ [البقرة: ١٤٣]

الجواب: لأن توجيه النفي إلى إرادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في نفي الفعل نفسه(١). والله أعلم.

السؤال ١١٤٣: ما دلالة «قد» في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: «قد» في الآية الكريمة دالة على التكثير بقرينة التقلب وبمعونة السياق، وبإيثار صيغة التفعيل «تقلب» في الآية للدلالة على التكثير، والمعنى: كثيرًا ما نرى تقلب وجهك في السماء. والتكثير بالنسبة للنبي ﷺ فحسب، لأنه محال على الله تعالى. والله أعلم.

السؤال ١١٤٤: ما نوع الأسلوب في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: أسلوب كنائي عن شدة تشوقه ﷺ إلى تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، وبيان مدى حرصه على ذلك بالدليل الحسي، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى حسن أدبه ﷺ حيث انتظر الوحي، ولم يصرح برغبته تلك تأدبًا مع ربه وتحرجًا من أن يقترح عليه سبحانه شيئًا(٢).

السؤال ١١٤٥: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أطلق الكل «وجهك» وأريد الجزء

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ١٧٤).

(٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٤).

«نظرك أو بصرك»، وقد أفاد هذا المجاز المبالغة في وصف حالة ترقبه ﷺ؛ لأن الترقب يقع على النظر، ولا يقع على الوجه، فكأنه ﷺ لفرط ما به من شوق وحرص وشدة انصراف نحو السماء لا يقلب نظره وإنما يقلب وجهه. والله اعلم.

السؤال ١١٤٦: ما سر تعدي التقلب في الآية الكريمة بحرف الظرفية «في» وإيثاره على حرف الانتهاء «إلى» في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: للدلالة على استغراقه ﷺ في النظر إلى السماء؛ حتى لكأنه قد نفد بنظره فيها، حتى اشتملت عليه وأحاطته، وكأنه قد استقر فيها، وذلك لشدة ترقبه وانصرافه إليها، هذا ما أشاعه حرف الظرفية.

أما تعدي التقلب بحرف الانتهاء فإنه يوحي بمجرد النظر دون معاودة أو استغراق أو تدبر منه ﷺ خلافًا لما يوحي به حرف الظرفية الذي تناسب أيضًا مع صيغة التفعل(١). والله أعلم.

السؤال ١١٤٧: ما دلالة العطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: لا شك أن زمنًا قد تخلل بين توجه الرسول ﷺ إلى المسجد الأقصى في صلاته وبين تحقيق المولى سبحانه رغبته عليه السلام في توجهه إلى مكة، وأن هذا الزمن فيه من الامتداد والمهلة ما يخالف معنى الفاء!!، ولعل السر في إيثارها هو أن استغراق النبي ﷺ في السماء؛ كما أفاده حرف الظرفية وتقلب وجهه فيها وانقطاعه في تردد

---

(١) ينظر البلاغة القرآنية في الحديث عن الرسول ﷺ، للمؤلف ص(٧٠).

بصره طوى هذا الزمن بين تلك الرغبة والتبشير باستجابتها، وكأنه ﷺ ما شعر بهذا الزمن المتطاول حتى أصبح وكأنه لم يكد يرتد إليه طرفه من تقلبه في السماء، حتى بُشِّر بما يرضيه بهذا الوعد المؤكد باللام ونون التوكيد. لقد طوت الفاء هذا الزمن الممتد بدلالتها على التعقيب؛ لتحقق الغرض ألا وهو المسارعة ببشارته ﷺ كما أن التقلب استمر إلى الاستجابة؛ لذا كان الموقع للفاء لا لـ«ثم». والله أعلم.

السؤال ١١٤٨: ما الغرض من تنكير «قبلة» في قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: للتعظيم، ولم تعرف القبلة؛ لكونها مناط ميله ﷺ، لأنه لا يتبادر إلى ذهن المخاطب غيرها عند إطلاقها. والله أعلم.

السؤال ١١٤٩: علام يدل إسناد التولية إلى نون العظمة في قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: تعظيم الخبر وتفخيمه، وللاهتمام بتحقيق رغبة النبي ﷺ. والله أعلم.

السؤال ١١٥٠: لم أوثرت كلمة «ترضاها» في الآية الكريمة على تحبها أو تهواها مثلاً؟

الجواب: لملاءمتها لمقام النبي ﷺ ورجاحة عقله، فالرضا مشعر بأن محبته ﷺ لتحويل القبلة ناشئة عن تعقل، فمقامه ﷺ يسمو من أن تتعلق رغبته بما ليس فيه مصلحة راجحة بعد انتهاء المصلحة العارضة لمشروعية استقبال بيت المقدس[1]. والله أعلم.

إذن يمكن القول إجمالًا هنا بأن تبشيره ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

(١) ينظر التحرير والتنوير (٢/٢٧).

﴿تَرْضَىٰهَا﴾ جاء قبل الأمر المباشر في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إظهارًا للاهتمام بتحقيق الرسول ﷺ وإدخالًا للسرور عليه، وذلك لفرحه بالإجابة لما تهفو إليه نفسه ﷺ، ثم بإنجاز الوعد صراحة فيتوالى السرور مرتين، كما أن بلوغ المطلوب بعد الوعد به آنس في التوصل من مفاجأة وقوع المطلوب(١). والله أعلم

السؤال ١١٥١: لماذا عبر عن البدن بالوجه في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: عبر عن البدن بالوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء، ومدار التوجه ومعياره. وفي العبارة مجاز مرسل بعلاقة الجزئية حيث أطلق الجزء «الوجه» وأراد الكل «جملة البدن». والله أعلم.

السؤال ١١٥٢: لم ذكر المسجد دون الكعبة في قوله سبحانه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؟ [البقرة: ١٤٤]

الجواب: ذكر المسجد دون الكعبة توسيعًا وتيسيرًا؛ لأن استقبال عين القبلة فيه مشقة عظيمة على البعيد، لأنه ﷺ كان في المدينة فدل ذلك على أن الواجب مراعاة الجهة دون عين القبلة. والله أعلم.

السؤال ١١٥٣: ما الغرض من جملة: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾؟ [البقرة: ١٤٤]**، ولماذا أوثر العطف فيها بالواو؟**

الجواب: لتعميم حكم استقبال الكعبة على جميع المسلمين. وجاءت الجملة بمثابة

---

(١) روح المعاني (٢/١٣)، والبحر المحيط (٢/٦٠٣).

الاحتراس؛ لئلا يظن أن استقبال الكعبة خاص بالنبي ﷺ، أو أن بعض الأماكن كمكة والمدينة يجزئ الاتجاه إليها دون المسجد، لذا أوثر أيضًا العطف بالواو. والله أعلم.

السؤال ١١٥٤: ما الغرض من العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ...﴾؟ [البقرة: ١٤٥]، حيث إن المراد بالذين أوتوا الكتاب هو عين المراد في الآية السابقة مباشرة لهذه الآية من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ...﴾؟ [البقرة: ١٤٤].

الجواب: لأن القصد -والله أعلم- «الإعلان بمذمتهم حتى تكون هذه الجملة صريحة في تناولهم كما هو الشأن في الإظهار في موضع الإضمار أن يكون المقصود منه زيادة العناية والتمكن في الذهن»(١) وهذا يتأتى في الآية الكريمة عن طريق صلة الموصول التي فيها إشارة إلى الاستخفاف بهم والسخرية من سفههم لأنهم مع علمهم بأن قبلته ﷺ حق وأن ما جاء به حق، يعلمون هذا من كتابهم الذي أنزل إليهم وعلى الرغم من علمهم هذا إلا أنهم لا يؤمنون بالنبي ﷺ ولا يتبعون قبلته ولا منهجه وفي هذا الإظهار أيضا إشارة إلى تناهي سوء حالهم لعنادهم وتكبرهم. والله أعلم

السؤال ١١٥٥: ما سر بناء الفعل للمجهول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...﴾؟ [البقرة: ١٤٥]

الجواب: لأنه تبين من خلال استقراء الآيات التي ورد فيها ذكر الذين أوتوا الكتاب أنه إذا كان المقام مقام مدح وثناء؛ فإن الفعل يبنى للمعلوم وينسب إيتاء

---

(١) التحرير والتنوير (٢/٣٥).

الكتاب إلى الله تعالى بنون العظمة، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]. أما إذا كان المقام مقام ذم وتقريع وتوبيخ؛ فإن الفعل يبنى للمجهول، ولا ينسب الإيتاء إلى الله تعالى بالإظهار؛ لأن أهل الكتاب لا يستحقون هذا التشريف في ذلك المقام، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، ومما لا شك فيه أن الآية الكريمة موطن السؤال وردت في مقام ذم وتوبيخ وتشنيع على أهل الكتاب؛ لذا جاء الفعل «أتى» مبنيا للمجهول[١]. والله أعلم.

السؤال ١١٥٦: ما الغرض من التنكير في قوله تعالى: ؟ [البقرة: ١٤٥].

الجواب: التنكير للتنويع والعموم والشمول، والمعنى: لو جئتم بكل حجة ودليل ما تبعوا قبلتك، وقد دل لفظ «كل» على هذا العموم أيضا.

السؤال ١١٥٧: لم أضيفت القبلة إلى النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾؟ [البقرة: ١٤٥]

الجواب: لأن النبي ﷺ أخص بالقبلة؛ حيث إنه كان يسألها بلسان حاله، ولأنها قبلة شرعه، كما أنه ﷺ المقتدى به في تعبده بها وتوجهه إليها[٢]. والله أعلم

(١) يراجع التعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرائي صـ(٣١٥).

(٢) البحر المحيط (١/٦٠٦).

السؤال ١١٥٨: ما سر التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾؟ [البقرة: ١٤٥]

الجواب: إيثار الجملة الاسمية هنا؛ للدلالة على ثبات مضمونها ودوامه واستمراره، فإن مخالفة الرسول ﷺ وأمته لقبلة أهل الكتاب باقية مستمرة حتى قيام الساعة. وقد جاءت هذه الجملة المنفية المؤكدة باسمية الجملة وبتكرر الاسم فيها وبالباء المؤكد لنفيها، جاءت مسوقة؛ لقطع أطماع أهل الكتاب في اتباع الرسول ﷺ لهم. والله أعلم

السؤال ١١٥٩: كيف أفردت القبلة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ ولليهود قبلة، وللنصارى قبلة؟

الجواب: «لأنه لما كانت القبلتان باطلتين مخالفتين لقبلة الحق؛ فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة»(١)، ودل إفراد القبلة أيضا على تكاتف صفوف أهل الباطل في مواجهتهم لقافلة الحق والنور على الرغم من اختلافهم فيما بينهم، وتباين أهوائهم، حيث إن لكل فريق منهم قبلة. والله أعلم

السؤال ١١٦٠: بم يوحي التعبير بالجمع في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾؟ [البقرة: ١٤٥]

الجواب: للدلالة على حقيقة الموقف بين أهل الكتاب بعضهم ببعض، فهم ليسوا على وفاق؛ لأن الأهواء تفرقهم، فلكل واحد هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كل واحد لا يتناهى، والعداء بين اليهود والنصارى في المعتقد والعداء بين الفرق اليهودية

(١) من غرائب آي التنزيل لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص(١٨)، وينظر روح المعاني (٢/١٦).

المختلفة والعداء بين الفرق النصرانية المختلفة أشد، ومن ثم جاء التحذير من اتباعهم لأنه نهاية الضلال والحيرة. والله أعلم(١).

السؤال ١١٦١: لماذا بني قوله -سبحانه-: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ [البقرة: ١٤٥] على «إن» الشرطية التي توضع للشك في تحقق الشرط؟

الجواب: بني قوله -سبحانه-: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ على سبيل الفرض؛ وذلك مبالغة في بيان خطر هذا الاتباع إن وقع؛ ولأنه فرض مستحيل تحققه استعملت «إن» الشرطية التي تدل على الشك في تحقق الشرط وهذا الفرض جاء على سبيل الإلهاب والتهييج؛ بقصد الثبات على الحق. والله أعلم

السؤال ١١٦٢: ما سر إيثار لفظ «الهوى» في قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾؟

الجواب: الهوى هو «الحب البليغ بحيث يقتضي حصول الشيء المحبوب ولو بحصول ضر لمحصله، فلذلك غلب إطلاق الهوى على حب لا يقتضيه الرشد ولا العقل» لذا شاع ذم الهوى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وقال: ﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٦] وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] ولعل إيثار لفظ «هوى» في الآية الكريمة هنا؛ لمزيد من التنفير من اتباع أهل الكتاب. والله أعلم.

---

(١) يراجع معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص(٥٤٥)، وفي ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب (١/١٣٥).

السؤال ١١٦٣: ما الغرض من جمع «هوى» في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾؟ [البقرة: ١٤٥]

الجواب: للمبالغة في التنفير من اتباع أهواء أهل الكتاب، وذلك لاستحالة إرضائهم؛ حيث إن أهواءهم متضاربة ومتباعدة. والله أعلم.

السؤال ١١٦٤: ماذا أفاد تعريف لفظ «العلم» في قوله تعالى: ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾؟ [البقرة: ١٤٥].

الجواب: أفاد المبالغة، وكأن ما أنزل على رسول الله ﷺ هو العلم كله والحق، وأن ما عداه لا يعتد به. والله أعلم.

السؤال ١١٦٥: ما سر التعبير بالإتيان «أتيت» وبالمجيء «جاءك» في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾؟ [البقرة: ١٤٥].

الجواب: الإتيان مجيء فيه سهولة، والمجيء مجيء فيه قهر وصعوبة[١]. وجاء كلا الفعلين مناسبا لمقامه، فمعنى الآية: ولئن تسهل لك الإتيان بكل آية وحجة وبرهان على صحة قبلتك ووجوب اتباعها فلن يتبعوها، فوجه الإنكار واللوم لهم أنهم يرفضون ولو جاءتهم جميع الآيات وتسهل للرسول ﷺ الإتيان بها. والآيات هنا آيات إقناع وتدليل على صحة القبلة والدعوة إلى إيمانهم، وليست آيات تخويف وإهلاك وإنذار بدلالة مقام الآية وسياقها لكن عندما كان المجيء مسندا إلى الآية نفسها في مقام

(١) ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب صـ(٨)، ومقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٥٠)، (١/ ٤٩٧)، والأفعال لابن القطاع (١/ ١٨٢)، ولسان العرب صـ(٧٣٦).

التخويف والزجر والوعيد بالعذاب وفي سياق هكذا كان الفعل المناسب لها الفعل «جاء» إعلاما بشدة الآية، والقهر فيها. والله أعلم(١).

السؤال ١١٦٦: قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. **وقال تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]. **فما سر إثبات «من» في الآية (١٤٥) في سورة البقرة؟ وما سر إسقاطها من أختيها؟**

الجواب: أثبتت «من» في آية [البقرة: ١٤٥] دون أختيها لاختلاف سياقها عن سياق الآيتين الأخريين، فهي في تشريع خاص وأمر جلل وهو تحويل القبلة الذي اتخذه أهل الكتاب وسيلة للتشكيك في العقيدة والتسلل إلى قلوب ضعاف الإيمان، وهو ما يقتضي حسما في تحديد بداية الزمن الذي يعمل فيه بهذا التشريع، والإعراض عن محاولات أهل الكتاب المستميتة إثناء المسلمين عن الانصياع لشرع الله؛ لذا جاءت «من» الابتدائية في قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ لتدل على وجوب المبادرة ببداية العمل بالتشريع فور نزوله والإعراض عن أراجيف أهل الكتاب، وتختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فهو ختام شديد حيث الوصف بالظلم في

---

(١) يراجع الإتيان والمجيء فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم د. محمود موسى حمدان ص(٥٣).

اتباعهم بخلاف ختام الآيتين الأخريين، فهو إعلان عن التخلي عن نصرته. أما الآيتان الأخريان فهما في سياق يكاد يكون واحدا ألا وهو: التحذير من اتباع أهل الكتاب بعد ما أنزل على رسوله من العلم لأنهم سيعملون عن الانحراف بدين الإسلام عن الحق ويميلون به إلى ما يرضي أهواءهم ويقرب من زيغ عقائدهم وذلك دأبهم في كل أحوالهم وأزمانهم، وليس في تشريع خاص يستلزم تحديد بداية العمل به، ومن ثم كان إسقاط «من» هو الأليق بهذا السياق.[1] والله أعلم.

السؤال ١١٦٧: لم أوثر الجمع «الظالمين» على المفرد «الظالم» في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟ [البقرة: ١٤٥].

الجواب: تجنب القرآن التعبير بالمفرد جريا على أدب الخطاب القرآني في عدم مواجهة الرسول ﷺ بما يكره، لأن الإفراد أشد في المواجهة وأقسى، فجعله من الظالمين فيه من التعميم والإبهام وعدم التخصيص ما يخفف قسوة الوصف. والله أعلم.

السؤال ١١٦٨: لماذا جاء التعبير القرآني ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] حازما وحادا؟ وما المؤكدات التي حشدت فيه؟

الجواب: جاء التعبير القرآني صارما للتحذير من متابعة أهواء أهل الكتاب بعد وضوح الأدلة والبراهين، وأن من يتابع هؤلاء يعد ظالما، حتى ولو كان فاعل ذلك رسول الله ﷺ أحب خلق الله إلى الله تعالى؛ لأن الأمر يتعلق بالاستقامة على هدى الله وتشريعه، ويتعلق بقاعدة التميز والتجرد إلا من طاعة الله ونهجه، ومن أجل هذا

(١) يراجع درة التنزيل للخطيب الإسكافي ص(٢٨)، ومن أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم د. محمد الأمين الخضري ص(٣٤٧).

بولغ في هذا التحذير باشتماله على عدة مؤكدات منها: القسم المدلول عليه باللام واللام الموطئة للقسم؛ لأنها تزيد القسم تأكيدا، وحرف التوكيد في جملة الجواب وتأكيد ربط الشرط بالجزاء بـ«إذن» والإجمال والتفصيل في قوله: ﴿مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، والتعريف في كلمة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١) والله أعلم.

السؤال ١١٦٩: علام يدل بناء الفعل «آتى» للمعلوم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾؟ [البقرة: ١٤٦].

الجواب: كأني ببناء الفعل للمعلوم وبإسناده إلى ضمير العظمة؛ يوحي بمدى الوضوح البين والظهور الساطع والمعرفة الجلية من أهل الكتاب لشخصه ﷺ، وكأن الله تعالى أراد أن يثبت هذه المعرفة في صورة جلية معلومة لا تقبل اللبس ولا الشك؛ فجيء بالفعل مبنيا للمعلوم حتى لا ينصرف الذهن إلى أي مصدر آخر تولى هذا الإيتاء، فالإيتاء للكتاب من عند الله لا من غيره -سبحانه-؛ لذا فهو إيتاء لا شبهة فيه ولا شك. والله أعلم.

السؤال ١١٧٠: في الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ ...﴾ [البقرة: ١٤٦] **التفات بالنسبة لما قبلها حيث كان الظاهر أن يقال: ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين الذي آتيناهم الكتاب يعرفونك.... فما الغرض البلاغي لهذا الالتفات؟**

الجواب: الغرض من الالتفات من الخطاب إلى الغائب التأكيد على شهرة النبي ﷺ عند أهل الكتاب، حتى إنه من فرط هذه الشهرة وتلك المعرفة به لدى أهل

---

(١) يراجع كشف الكشاف لسراج الدين عمر الكناني الفارسي صـ(٣١٥-٣١٦)، تحقيق محمد محمود عبد الله السلمان مخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

الكتاب، أضحى لا يحتاج إلى إظهار اسمه أو صفته. والله أعلم

السؤال ١١٧١: لم أوثر التعبير بـ«يعرفونه» على «يعلمونه» في الآية؟

الجواب: لأن المعرفة تتعلق غالبا بالذوات والأمور المحسوسة؛ لذا قالوا: «إن الله تعالى يوصف بصفة العلم ولا يوصف بصفة المعرفة؛ لأن المعرفة تستعمل في العمل القاصر المتوصل به بتفكر، كما أن المعرفة: إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهي أخص من العلم»(١) ومن شواهده قوله تعالى: ومن شواهده قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]. والله أعلم.

---

(١) المفردات للراغب مادة (عرف) صـ(٣٤٣).

السؤال ١١٧٢: ما نوع الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ ؟ [البقرة: ١٤٦].

الجواب: تشبيه مرسل، حيث شبهت معرفة أهل الكتاب للنبي ﷺ في وضوحها وثبوتها بمعرفتهم لأبنائهم الذين هم من أصلابهم، والتشبيه من باب تشبيه المعقول بالمحسوس «فهو تشبيه للمعرفة العقلية الحاصلة من مطالعة الكتب السماوية بالمعرفة الحسية في أن كلا منهما يتعذر الاشتباه فيه»(١). والله أعلم

السؤال ١١٧٣: ما الغرض من التشبيه في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ ؟ [البقرة: ١٤٦].

الجواب: الغرض من التشبيه في الآية بيان حال المشبه حيث شبهت حال معرفتهم بالنبي وصدق ما جاء به بحال معرفتهم لأبنائهم. والله أعلم

السؤال ١١٧٤: إذا كان المراد من الآية الكريمة إثبات المعرفة اليقينية من أهل الكتاب بالنبي ﷺ فلماذا لم تشبه معرفتهم هذه بمعرفتهم لأنفسهم ؟

الجواب: لأن معرفة الأبناء معرفة فطرية غريزية جبلت عليها جل المخلوقات، كما أن معرفة الأبناء معرفة متصلة لا تنقطع أما معرفة الإنسان بنفسه فكثيرا «ما يحيط بها التعتيم والضباب حتى جعل أهل الحكمة معرفة النفس الطريق إلى الله فقال الحكماء: «من عرف نفسه فقد عرف الله» فضلا عن أن معرفة النفس لا تتحقق إلا لذوي العلم والحصافة».(٢) والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (٢/١٩).

(٢) خصائص التشبيه في سورة البقرة، د.إبراهيم داوود صـ(٢٦٢).

السؤال ١١٧٥: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

لم ختمت آية البقرة بقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾؟ ولم ختمت آية الأنعام بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ مع تشابه صدر الآيتين؟ فما سر هذا الاختلاف؟

الجواب: إذا تأملنا السياق السابق على آية البقرة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. نجد أنه يتحدث عن مكابرة أهل الكتاب في اتباعهم قبلة المسلمين، وطعنهم في هذا الحق الذي جاء به الرسول، فعلى هذا؛ فالآية هنا وقعت اعتراضًا واستطرادًا بين ذكر مطاعن أهل الكتاب في القبلة، وقد عاد الحديث إلى استقبال القبلة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾ وهذا دليل الاستطراد والاعتراض.

أما آية الأنعام فالسياق السابق عليها قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ السياق هنا يتناول إثبات صدق رسالة الرسول ﷺ اتخاذه ربه سبحانه حكمًا بينه وبين جاحدي رسالته ومنكريها، وقد جاء هذا السياق في شكل محاورة بين رسول الله ﷺ وبين المشركين. والخطاب في السياق

لهؤلاء المشركين جاء بواسطة الرسول ﷺ ويستأنس في هذا بسبب النزول(١).

ثم تجيء الآية مناط التحليل وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ تجيء هذه الآية مستأنفة، حيث نقلت من أسلوب المحاورة بين الرسول ﷺ والمشركين إلى «إخبار عام أظهر الله دليلاً على صدق الرسول فيما جاء به بعد شهادة الله تعالى التي في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾، فإنه لما جاء ذكر القرآن هنالك وقع هذا الانتقال؛ للاستشهاد على صدق القرآن المتضمن صدق من جاء به؛ لأنه هو الآية المعجزة العامة الدائمة»(٢).

اتضح بذلك الفرق الأول بين الآيتين في البقرة والأنعام، فآية البقرة وقعت اعتراضًا واستطرادًا، وآية الأنعام وقعت استئنافًا وجوابًا عما سبق من قولهم سألنا عنك اليهود والنصارى ...الخ ما قالوه كما سبق نقله من أسباب النزول للواحدي.

السؤال ١١٧٦: لماذا عبر بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ [البقرة: ١٤٦] مع العلم بأن أكثر الأحبار من أهل الكتاب يكتمون ذلك وليس فريقا منهم فحسب؟

الجواب: لعل السبب -والله أعلم- أن هؤلاء الكاتمين للحق لا يعتد بهم، فهم قلة على كثرتهم لجحودهم، والمؤمنون منهم كثرة بإيمانهم وشهادتهم الحق على قلتهم، فهنا

---

(١) فقد روى الواحدي عن الكلبي في سبب نزول الآية أن رؤساء مكة قالوا: يا محمد ما نرى أحدًا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية أسباب النزول للواحدي صـ(١٢٦).

(٢) التحرير والتنوير م٤، ج(٧/ ١٧٠).

مبالغة في المعنى، وكأنه تعالى يشير إلى أن قافلة الحق هي الغالبة بخيريتها ونفعها للناس وإن كانت قليلة العدد وبأن جحافل الباطل المنكرين الحق وإن كانت كثيرة في مرأى العين إلا أنها غثاء كغثاء السيل لا قيمة له ولا نفع.[1] والله أعلم.

السؤال ١١٧٧: لم جاء المسند جملة فعلية في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٤٦].

الجواب: للتنبيه على أمرين أولاهما: كمال فظاعة كتمان الحق، وأنه مما لا يليق بأهل العلم. وثانيهما للدلالة على تجدد علم هؤلاء الأحبار بذلك الحق، واتصاله جيلا بعد جيل، وأن هذا الحق لن تستطيع أن تطفئ أنواره، ولا أن تحجب شعاعه تلال الباطل ولا معاول الجاحدين والله أعلم.

السؤال ١١٧٨: ما دلالة ذكر الربوبية مع إضافتها إلى ضميره الشريف ﷺ في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ؟ [البقرة: ١٤٧]

الجواب: فيه دلالة على العناية الإلهية بالنبي - ﷺ - وتشريفه واللطف به. والله أعلم.

السؤال ١١٧٩: ما المقصود بالنهي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ ؟ [البقرة: ١٤٧].

الجواب: المقصود تحذير الأمة الإسلامية من الشك في كتمان أهل الكتاب للحق وعلمهم به. وتوجيه الخطاب للرسول الكريم ﷺ وهو أفضل الخلق وأقربهم إلى الله

---

(١) البلاغة القرآنية في آيات الحديث عن الرسول ﷺ، د. عادل أحمد الرويني ص(٥٣٨).

تعالى وأعلاهم منزلة؛ دليل على أن من وقع في مثل ذلك من الأمة، فقد حقت عليه كلمة العذاب، وليس له من النجاة باب.(١) والله أعلم.

السؤال ١١٨٠: قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤] **وقال تعالى:** ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٩-١٥٠].

فما الفائدة في تكرار هذه الآية؟

الجواب: كررت الآية الكريمة؛ لتأصيل تشريع لم يكن موجودا من قبل، ألا وهو: استقبال المسجد الحرام في القبلة، والتكرار في الآيات لاختلاف الأحوال والمكان والزمان في كل منها، فالآية الأولى ليس فيها خروج، والثانية هي خروج من أقرب الأماكن إلى الكعبة، والثالثة خروج مما عدا ذلك؛ عام في البلاد، والمعنى: سواء خرجت إلى مكان ترى فيه القبلة أو إلى مكان لا تراها فيه فالحالتان سواء في وجوب التوجه إلى المسجد الحرام، وعليه يكون لكل آية فائدة (٢). والله أعلم بمراده.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٤١). بتصرف يسير.

(٢) يراجع درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي صـ(٢٨)، وأسرار التكرار للكرماني صـ(٦٣).

قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٧]

السؤال ١١٨١: ما الغرض من التنكير في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ... ﴾؟ [البقرة: ١٥١].

الجواب: التعظيم، أي: رسولا ذا شأن عظيم ومكانة سامية عند ربه. والله أعلم.

السؤال ١١٨٢: لم أوثر التعبير بحرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ... ﴾؟ [البقرة: ١٥١].

الجواب: للدلالة على مكانة من أرسل إلى الأمة المحمدية، حيث إنه ﷺ لم يكن مغمورا فيهم أو غائبة مكانته بينهم، بل كان ﷺ من ذوي المكانة البارزة فيهم. والله أعلم.

السؤال ١١٨٣: لماذا تعدى الفعل «أرسل» في الآية الكريمة بحرف الاختصاص فقيل: «فيهم» ولم يتعد باللام فيقال: لهم؟

الجواب: لدقيقة بلاغية؛ ألا وهي: الإشعار بعالمية رسالته ﷺ، وأنها ليست رسالة خاصة بهم وهذا ما ينبئ عنه اللام بدلالتها على الاختصاص لو عبر بها؛ لذا أعرض عن تعدي الفعل بها. والله أعلم.

السؤال ١١٨٤: علام يشير تكرر التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ...﴾؟ [البقرة: ١٥١].

الجواب: للدلالة على تجدد هذه الصفات وتكرر حدوثها، فالتلاوة والتزكية والتعليم تتجدد دائما وتتكرر من الرسول ﷺ وقد خالفت هذا النسق الصفة الأولى «منكم» في قوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ -فقوله: «منكم» في موضع النعت لرسول والتقدير: رسولا كائنا منكم- وذلك «لعدم تجددها فكون الرسول ﷺ منهم أمر ثابت، ووصف ثابت له ﷺ لا يتجدد»[(١)]. والله أعلم.

السؤال ١١٨٥: ما دلالة إثبات حرف العطف -الواو- بين الصفات المذكورة في الآية الكريمة؟

الجواب: دلالة على استقلال كل صفة فيها وإشارة إلى أن كلا منها نعمة عظيمة تستوجب الشكر على حدة، وهذا له مغزاه في مقام الامتنان. والله أعلم.

السؤال ١١٨٦: ما سر تقديم الجار والمجرور ﴿فِيكُمْ﴾ على المفعول ﴿رَسُولًا﴾ في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ...﴾؟ [البقرة: ١٥١].

الجواب: للتعجيل بالمسرة وقذف البشرى في قلوب المخاطبين، وهذا أيضا له دلالته؛ لأنها نعمة أخرى منه -سبحانه- على المخاطبين تستوجب الشكر عليها. والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط (١/٦١٨).

السؤال ١١٨٧: لم عدي الفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بحرف الظرفية في هذه الآية ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ ؟ [البقرة: ١٥١]، **ولم عدي الفعل نفسه بحرف الانتهاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ...﴾ ؟**

الجواب: لأن المقام في الآية الأولى؛ مقام امتنان فناسب أن يذكر ما به تمام المنة وهي أن جعل رسولهم فيهم ومنهم، أي: هو موجود في قومهم، وهو عربي مثلهم. أما الآية الثانية فالمقام مقام احتجاج؛ لذا كان من الملائم التعدية بحرف الانتهاء(١). والله أعلم..

السؤال ١١٨٨: لم قدمت التلاوة على التزكية في قوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٥١]

الجواب: لأن تلاوة الأمي معجزة في ذاته فبدأ بالأهم؛ «لأن تلاوة الأمي الآيات الخارجة عن طوق البشر باعتبار بلاغتها واشتمالها على الإخبار بالمغيبات والمصالح التي ينتظم بها أمر المعاد والمعاش أقوى دليل على نبوته ﷺ»(٢) والله أعلم..

السؤال ١١٨٩: لماذا قدمت جملة ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ على جملة ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ في آية [البقرة: ١٥١]، **وعكس ذلك في حكاية دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ...﴾** [البقرة: ١٢٩] **؟**

---

(١) التحري والتنوير (٢/٤٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٢٨).

الجواب: لأن المقام هنا للامتنان على المؤمنين، فقدم فيها ما يفيد معنى المنفعة الحاصلة من تلاوة الآيات عليهم، وهي منفعة تزكية نفوسهم اهتماما بها وبعثا لها بالحرص على تحصيل وسائلها وتعجيلا للإشارة بها. أما في دعوة إبراهيم عليه السلام فقد رتبت الجمل على حسب ترتيب حصول ما تضمنته في الخارج(١). ويمكن أن يضاف أيضا أن السبب اختلاف المراد بالتزكية، فالظاهر أن المراد هنا هو التطهير من الكفر، وفي دعاء إبراهيم عليه السلام هو الشهادة بأنهم خيار أزكياء، وذلك متأخر عن تعليم الشرائع والعمل بها(٢). والله أعلم.

السؤال ١١٩٠: ما الغرض من إعادة قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم﴾ في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟ [البقرة: ١٥١].

الجواب: للتنصيص على المغايرة، أو قل الاحتراس؛ لئلا يظن أن ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ هو الكتاب والحكمة، وتنصيصا على أن ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا﴾ مفعولا لا مبتدأ، حتى لا يترقب السامع خبرا له فيضل فهمه في ذلك الترقب(٣). والله أعلم.

السؤال ١١٩١: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾؟ [البقرة: ١٥٢]

الجواب: الفاء للسببية، والمعنى: اذكروني لأجل إنعامي عليكم بهذا - ما سبق في الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا...﴾ وغيره. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٤٩، ٥٠).

(٢) البحر المحيط (١/ ٦١٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٥٠).

السؤال ١١٩٢: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي ﴾؟ [البقرة: ١٥٢]

الجواب: الأمر مجازي، غرضه الإرشاد، حيث أرشد - سبحانه - عباده إلى ذكره وشكره. والله أعلم.

السؤال ١١٩٣: علام يدل صياغة الإرشاد في الآية الكريمة على هيئة الطلب ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ... ﴾؟

الجواب: يدل على مسارعة تحقق ذكر الله تعالى لعباده بالثواب والمغفرة؛ بمجرد ذكرهم له -سبحانه- بالطاعة والانقياد. والله أعلم.

السؤال ١١٩٤: ما سر تعدية فعل الشكر باللام في قوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ حيث كان من الممكن أن يقال: واشكرون؟

الجواب: للدلالة على اختصاصه سبحانه بالشكر. والله أعلم.

السؤال ١١٩٥: لماذا حذف متعلق الفعل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾؟

الجواب: نزل الفعل المتعدي «تكفرون» منزلة اللازم بحذف متعلقه والمعنى: لا تكفروا نِعَمي، والغرض من هذا تعميم النهي عن الكفر بأنواعه وصوره المختلفة. والله أعلم بمراده.

السؤال ١١٩٦: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... ﴾ [البقرة: ١٥٣] **بعد قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ... ﴾؟**

الجواب: وجه الارتباط أن الله تعالى لما أوجب بقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾ جميع العبادات، وبقوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي ﴾ ما يتصل بالشكر، أتبعه ببيان ما يعين عليهما

فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾(١). ويمكن أن يقال أيضًا: أنهم أُمروا بالاستعانة بالصبر والصلاة بعد ما سمعوا من تشكيك أهل الكتاب في قبلتهم وفي صلاتهم إليها أذى كثيرًا فوُجِّهوا حينئذ بالاستعانة بالصبر والصلاة. والله أعلم.

السؤال ١١٩٧: لِمَ خص الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة في الآية؟

الجواب: لما فيها من المعونة على العبادات. والله أعلم.

السؤال ١١٩٨: لماذا علل الأمر بالاستعانة بالصبر دون الصلاة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾؟ [البقرة: ١٥٣]

الجواب: لما فيه من المشقة، وإكراه النفس على ما يخالف هواها، وأما الصلاة فلعظم مكانتها عند المسلمين لم يَحتج الأمر بالاستعانة بها إلى التعليل والتنبيه، كما أن الصلاة لا تقوم إلا بالصبر؛ لذا اقتصر على التعليل به. والله أعلم.

السؤال ١١٩٩: بِمَ يفيد التعبير باسم الفاعل «الصابرين» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾؟ [البقرة: ١٥٣]

الجواب: للدلالة على أن معية الله تعالى؛ التي هي: عونه ومدده ونصرته لا تكون إلا لمن صار الصبر خُلُقًا لهم وسجية وطبعًا راسخًا متأصلاً. والله أعلم.

السؤال ١٢٠٠: ما المقصود بالقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾؟ [البقرة: ١٥٤]

الجواب: المقصود القول الناشئ عن اعتقاد والنهي عنه؛ لأن الإنسان يقول ما يعتقده، والمعنى: لا تعتقدوا. والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب (٢/٥٣٥)، والله أعلم.

السؤال ١٢٠١: ما فائدة التعبير بقوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الآية الكريمة؟

الجواب: للاحتراس، فليس كل من يُقتل من المسلمين أحياء عند ربهم كما يفهم لو قيل: ولا تقولوا لمن يقتل أموات بل أحياء، فهذا غير مراد، وإنما ينال تلك الدرجة العظيمة من قُتل في سبيل الله مخلصًا نيته لله تعالى. والله أعلم.

السؤال ١٢٠٢: علام ارتفع «أموات» و«أحياء» في الآية الكريمة؟

الجواب: مرفوعان؛ لأن كلا منهما خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: هم أموات بل هم أحياء. وحذف المبتدأ من المواضع المطردة فيه القطع والاستئناف كما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني: «ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ: القطع والاستئناف يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلامًا آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ» (١).

ويمكن تعليل حذف المبتدأ في الآية أيضًا بالعلم به وبدلالة المقام عليه، فلشهرة المقتول في سبيل الله وعظيم مكانته لا يحتاج إلى ذكره؛ ولذا «فإنك ترى به -أي الحذف- ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ» (٢). والله أعلم.

السؤال ١٢٠٣: ما الغرض من تنكير «شيء» في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ...﴾ [البقرة: ١٥٥]

الجواب: التقليل، والمعنى لنمتحنكم بشيء يسير من الخوف والجوع ... وقَلَّل

---

(١) دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني صـ(١٤٧).

(٢) دلائل الإعجاز صـ(١٤٦).

«ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جلَّ ففوقه ما يقل إليهم، ويريهم أن رحمته معهم في كل حال»(١). والله أعلم.

السؤال ١٢٠٤: لماذا أعلم الله عباده المؤمنين بوقوع البلاء قبل إصابتهم به؟

الجواب: رحمة بعباده، ولئلا يفاجَؤوا بالبلاء، ولكي يوطنوا أنفسهم عليه، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر -سبحانه- به، وليعلموا أنه شيء يسير له عاقبة حميدة(٢). والله أعلم.

السؤال ١٢٠٥: ما علة تصدير الجملة الخبرية في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ بالقَسَم؟

الجواب: أكدت الجملة بالقَسَم -وهو أقوى أنواع التوكيد- وبنون التوكيد الثقيلة لتأكيد وقوع البلاء وأنه سُنة الله تعالى في خلقه وأنه لا مناص عنه. والله أعلم.

السؤال ١٢٠٦: بمَ يوحي إسناد فعل الابتلاء إلى ذاته -سبحانه-؟

الجواب: للدلالة أن هذه المحن منه -سبحانه- ووعده بها المؤمنين يدل على أنها ليست انتقامًا ولا عقوبات، بل إنها إذا قارنها الصبر رفعت صاحبها إلى مرتبة سامية عند ربه(٣). والله أعلم.

---

(١) تفسير النسفي (١/ ٨٤).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ١٨٠) بتصرف.

(٣) ينظر البحر المحيط (١/ ٦٢٤).

السؤال ١٢٠٧: ما سر ترتيب البلايا المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ... ﴾؟ [البقرة: ١٥٥]

الجواب: جاء الترتيب في الآية الكريمة على سبيل الترقي من الأدنى إلى الأعلى، فابتدئ أولًا بالإخبار بالابتلاء بشيء من الخوف وهو توقع ما يرد من المكروه، ثم انتقل منه إلى الابتلاء بشيء من الجوع وهو أشد من الخوف ثم الأموال ثم بالأنفس وهو أعلى أنواع الابتلاء. أما «والثمرات» فجاء كالتخصيص بعد التعميم؛ لأنها تندرج تحت الأموال فلا ترقي فيها[1]. والله أعلم.

(١) البحر المحيط (١/ ٦٢٤) بتصرف يسير.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٦٢].

السؤال ١٢٠٨: ما الغرض من تنوين «مصيبة» في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾؟ [البقرة: ١٥٦].

الجواب: التقليل بدلالة تأنيث الفعل، والمعنى: أي مصيبة ولو قلّت وضعفت. والله أعلم.

السؤال ١٢٠٩: علام يدل تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾؟ [البقرة: ١٥٦]

الجواب: الحصر، أي: قصر رجوعهم إليه سبحانه لا إلى غيره.. والله أعلم.

السؤال ١٢١٠: لمَ أوثر القصر بالتقديم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾؟ [البقرة: ١٥٦]

الجواب: أوثر القصر بالتقديم؛ للمسارعة بالإقرار بالتفويض، والتسليم والرضا والإنابة لله تعالى. والله أعلم

السؤال ١٢١١: ما سر تعريف المسند إليه باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ...﴾؟ [البقرة: ١٥٧]

الجواب: للإشعار بعلو منزلتهم، «وللتنبيه على أن المشار إليه هو ذلك الموصوف بجميع الصفات السابقة على اسم الإشارة، وأن الحكم الذي يرد بعد اسم الإشارة مترتب على تلك الأوصاف مثل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾» (١). والله أعلم.

السؤال ١٢١٢: ما سر جمع الصلوات في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ...﴾؟ [البقرة: ١٥٧]

الجواب: للإشارة إلى كثرة الصلوات وتنوعها. والمراد بالصلوات من الله تعالى المغفرة والرأفة. والله أعلم.

السؤال١٢١٣: ما علة الجمع بين الصلوات والرحمة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ...﴾؟ [البقرة: ١٥٧]

الجواب: للمبالغة في بيان أجر الصابرين. والله أعلم.

السؤال ١٢١٤: علام يدل تكرار اسم الإشارة في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾؟ [البقرة: ١٥٧]

الجواب: لإبراز كمال العناية بالصابرين، وكما يدل عليه أيضًا التعبير بوصف

---

(١) التحرير والتنوير (٥٧/١).

الربوبية وإضافته إلى ضميرهم في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ...﴾. والله أعلم

السؤال ١٢١٥: ما سبب فصل جملة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ...﴾ [البقرة: ١٥٧] **عما قبلها؟**

الجواب: الفصل لشبه كمال الاتصال؛ حيث جاءت الجملة جوابًا عن سؤال مقدر أثارته الجملة الأولى هو: ما للصابرين أو ما ثواب الصابرين المسترجعين؟ والله أعلم

السؤال ١٢١٦: ما سر ذكر المسند إليه في قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٥٧]

الجواب: ذكر الضمير «هم» في الجملة؛ للإشعار «بصلاح بواطنهم «الصابرين» عما جره الابتلاء من أنفسهم»(١). والله اعلم

السؤال ١٢١٧: علام يدل التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٥٧]

الجواب: للدلالة على دوام هدايتهم وحصرها عليهم مبالغة فيها؛ وكأنه لا يعتد بهداية غيرهم. والله أعلم

السؤال ١٢١٨: ما سر إيراد صيغة التفعُّل في قوله تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ ؟ [البقرة: ١٥٨]

الجواب: للإشعار ببذل الطائف بهما -الصفا والمروة- مزيدًا من الجهد. والله أعلم

---

(١) نظم الدرر (١/ ٢٨٢).

السؤال ١٢١٩: ما وجه توكيد الخبر بإن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ...﴾؟ [البقرة: ١٥٨]

الجواب: لأن المخاطبين -المؤمنين- كانوا مترددين في كون الصفا والمروة -جبلان بمكة يشرفان على الكعبة- من شعائر الله؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم وعلى المروة آخر، وكانوا إذا سعوا مسحوا بينهما مسحًا فلما جاء الإسلام وكُسر الصنمان تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما؛ لذا نزلت الآية، وجاء الخبر مؤكدًا لدفع هذا التردد(١). والله أعلم.

السؤال ١٢٢٠: لم ذكر «المسجد الحرام» في الأمر بالتوجه نحو القبلة في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؟ [البقرة: ١٤٤] **ولم ذكر «البيت» في الحج في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ...﴾؟** [البقرة: ١٥٨]

الجواب: لانتهاء الطواف إلى البيت. والله اعلم.

السؤال ١٢٢١: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ...﴾؟ [البقرة: ١٥٩]

الجواب: نزلت في علماء أهل الكتاب؛ الذين كتموا صفة النبي محمد ﷺ(٢). والله أعلم.

---

(١) يراجع تفسير ابن كثير (١/ ١٩٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٨٢).
(٢) يراجع تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٠).

السؤال ١٢٢٢: ما وجه بلاغة الالتفات من التكلم إلى الغائب في قوله تعالى:
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٥٩]

الجواب: كان الظاهر أن يقال: أولئك ألعنهم...، ولكن عدل عن هذا الظاهر إلى الغيبة، بإظهار لفظ الجلالة الجامع لكمال الصفات؛ لتربية المهابة وإدخال الروعة في قلوب الكاتمين، وللإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه - سبحانه - صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة. والله أعلم.

السؤال ١٢٢٣: ما الغرض من إثبات «من» في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ﴾ ؟ [البقرة: ١٥٩].

الجواب: للترهيب من كتمان ما أنزله الله تعالى في وقت ما، ولو قَلَّ. والله أعلم

السؤال ١٢٢٤: ما دلالة التعبير باسم الإشارة للبعيد ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ في قوله تعالى:
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٥٩]

الجواب: للإشارة إلى بعد دركتهم في الفساد والضلال والإضلال. والله أعلم.

السؤال ١٢٢٥: ما سر التعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٥٩].

الجواب: للدلالة على استمرار لعن الكاتمين من أهل الكتاب لما أنزله الله باستمرار كتمانهم. والله أعلم.

السؤال ١٢٢٦: ما وجه إسقاط الفاء في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ ؟ [البقرة: ١٥٩].

الجواب: لأنه لما قال -سبحانه-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ...﴾ بالتعبير بالفعل المضارع

الدال على التجدد والاستمرار بمعونة السياق، فكان ذلك إشارة إلى إصرار الكاتمين ما أنزل الله من علماء أهل الكتاب على الكتمان إصرارا مستمرا متصلا بالموت دالا على سوء الجبلة وفساد الطبع أسقط فاء السببية؛ إشارة إلى استحقاقهم اللعن والخزي في نفس الأمر من غير نظر إلى سبب.(١) وللإشارة أيضا إلى أنهم استحقوا هذه اللعنة بهذا الوصف الذي وصفوا به وبغيره مما لم يذكر في هذه الآية، وقد علل السعد إسقاط الفاء في هذه الجملة بقوله: «ولم يأت بالفاء في الخبر، أعني: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ...﴾؛ لئلا يتوهم أن لعنهم إنما هو بهذا السبب بل له أسباب جمة»(٢) والله أعلم.

السؤال ١٢٢٧: ما الغرض من مجيء جملة: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ بعد جملة: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ ؟

الجواب: لأن لعنة اللاعنين مسببة عن لعنة الله تعالى للكاتمين نعوت رسول الله ﷺ من أهل الكتاب ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ «وكأنما تحولوا إلى ملعنة ينصب عليها اللعن من كل مصدر ويتوجه إليها -بعد الله- من كل لاعن، واللعن: الطرد في غضب وزجر، أولئك الخلق يلعنهم الله فيطردهم من رحمته، ويطاردهم اللاعنون من كل صوب، فهم هكذا مطاردون من الله ومن عباده في كل مكان»(٣).

والله أعلم.

---

(١) ينظر نظم الدرر (١/ ٢٨٩).

(٢) حاشية السعد على الكشاف للسعد التفتازاني (١/ ٤٤٦)، تحقيق الجزء الأول، د. عبدالفتاح الدرديل، مخطوط بكلية اللغة العربية القاهرة – تحقيق الجزء الثاني د. فوزي السيد عبد ربه مخطوط بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

(٣) في ظلال القرآن (١/ ١٥٠).

السؤال ١٢٢٨: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؟ [البقرة: ١٦٠]

الجواب: للإشارة إلى أن توبة الذين أصلحوا وبينوا يعقبها مباشرة توبة الله عنهم، وهكذا يفتح الله لهم باب الأمل، فمن شاء فليرجع إلى رشده، فليرجع صادق النية وآية ذلك الإصلاح في العمل والتبيين في القول، وإعلان الحق والاعتراف به. والله أعلم.

السؤال ١٢٢٩: لماذا أردف قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ **بقوله:** ﴿وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾؟

الجواب: لأن شرط كل توبة أن يتدارك التائب ما يمكن تداركه مما أضاعه بفعله الذي تاب عنه[1]. والله أعلم.

السؤال ١٢٣٠: بم أوحى التعبير بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؟ [البقرة: ١٦٠]

الجواب: لتعظيم توبة التائبين الذين أصلحوا وبينوا، وتأكيدا على أنها السبب الذي نالوا به رحمة الله تعالى وتوبته عليهم. وقد دلت الفاء أيضا على سرعة قبول التوبة من التائب المخلص في توبته فور ولوج باب التوبة. والله أعلم.

السؤال ١٢٣١: ما الغرض من الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؟ [البقرة: ١٦١].

الجواب: الوعيد والتهديد، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢ / ٢٧٢).

السؤال ١٢٣٢: ما سر الاكتفاء بذكر الكفر في جملة الصلة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ دون الإشارة إلى عدم التوبة والإصلاح والتبيين، حيث لم يقل مثلا: إن الذين كفروا ولم يتوبوا ولم يصلحوا ولم يبينوا؟

الجواب: لأنه يستنبط أن وجود تلك الأمور مستلزم للإيمان الموجب لعدم الكفر، كذلك فإن وجود الكفر مستوجب لعدمها جميعا، حيث لا ينفع مع الكفر عمل.[1] والله أعلم.

السؤال ١٢٣٣: كيف قيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦٢]، وأهل ملة الكفر لا يلعنون من مات منهم على الكفر؟

الجواب: يمكن أن يكون المراد بالناس أجمعين المؤمنين، كأنه لم يعتد بغيرهم، وحكم بأن المؤمنين هم الناس لا غير. أو أن أهل ملة الكفر يلعنون بعضهم بعضا في الآخرة بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [العنكبوت: ٢٥] والله أعلم[2].

السؤال ١٢٣٤: علام يعود الضمير في «فيها» في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؟

الجواب: إلى اللعنة، أو إلى النار إلا أنها أضمرت ولم يجر لها ذكر تفخيما وتهويلا لشأنها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، أي: القرآن، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أي: الشمس وأضمرت كذلك لدلالة المعنى عليها. والله أعلم.

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (١/١٨٣).

(٢) ينظر مفاتيح الغيب (٢/٥٦٦).

السؤال ١٢٣٥: ما سر إيثار الجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؟ [البقرة: ١٦١]

الجواب: للدلالة على ثبات النفي واستقراره، فهؤلاء الكفار الذين ماتوا على الكفر لا يمهلون ولا ينتظرون. والله أعلم.

السؤال ١٢٣٦: علام يدل إيثار التعبير باسم الإشارة للبعيد «أولئك» في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ...﴾؟ [البقرة: ١٦١]

الجواب: يدل على شدة غضب الله تعالى عليهم وطردهم من رحمته -سبحانه- لبعدهم في الضلال، وأي ضلال بعد الموت على الكفر -والعياذ بالله- ؟!. والله أعلم.

السؤال ١٢٣٧: لم أسقطت فاء السببية من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؟ [البقرة: ١٦١]

الجواب: لأنه لما كان الموت على شيء دالًّا على الإصرار عليه، وعلى أصل الطبع، فالميت كافرًا مجبول جِبِلَّة سوء، ومطبوع طبع فساد بيَّن سبحانه أنه مستحق في نفس الأمر لكل خزي لذلك لا لسبب جدده؛ لذا أسقط الفاء[1]. والله أعلم.

---

(١) يراجع نظم الدرر (١/ ٢٩٠).

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٣-١٦٤]

السؤال ١٢٣٨: ما سر الفصل بين المبتدأ والخبر بلفظ «إله» في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، حيث كان من الممكن أن يقال: وإلهكم واحد؟

الجواب: لتقرير معنى الألوهية، ولإفادة أنه وصف ثابت له سبحانه. والله أعلم.

السؤال ١٢٣٩: ما دلالة التنوين - التنكير- في «إله» في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؟ [البقرة: ١٦٣]

الجواب: التنكير للنوعية؛ لأن الغرض منه تقرير معنى الألوهية(١). والله أعلم.

السؤال ١٢٤٠: ماذا أفادت جملة ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾؟ [البقرة: ١٦٣].

الجواب: أفادت توكيد معنى الوحدانية، ونفي الألوهية عن غيره -سبحانه- حيث نفت كل فرد من الآلوهية بواسطة «لا» النافية للجنس، ثم قصرت صفة الألوهية عليه سبحانه بأقوى طرق القصر وهو النفي والاستثناء.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٧٥).

«وقد دلت الجملة الأولى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ على نسبة الوحدانية إليه تعالى، ودلت الثانية على حصر الإلهية فيه... وإن كانت الأولى تستلزم ذلك؛ لأن من ثبتت له الوحدانية ثبتت له الإلهية» (١). والله أعلم.

السؤال ١٢٤١: لم ختمت الآية الكريمة بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ؟

الجواب: لتقرير الوحدانية لله تعالى؛ لأن من كان موليًا لجميع النعم أصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصفة تحققت وحدانيته، وانحصر استحقاق العبادة عليه وحده(٢). والله أعلم.

السؤال ١٢٤٢: ما سر تقديم السموات على الأرض، والليل على النهار ؟ وما سر تقديم الفلك على الماء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا... ﴾ ؟ [البقرة: ١٦٤].

الجواب: قدمت السموات على الأرض لشرفها، وعظم ما اشتملت عليه، وقدم الليل على النهار لسبقه عليه في الخلق بدليل قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس: ٣٧]، وقدم ذكر الفلك على الماء مع كون الماء أعظم منفعة منها؛ «لما فيه من مزيد تفصيل»(٣). والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط(١/ ٦٣٧).

(٢) ينظر تفسير النسفي(١/ ٨٦)، وإرشاد العقل السليم (١/ ١٨٣).

(٣) إرشاد العقل السليم (١/ ١٨٤).

السؤال ١٢٤٣: ما نوع «من» في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾؟ [البقرة: ١٦٤].

الجواب: «من» الأولى بيانية أو ابتدائية ببيان مصدر إنزال الماء أو بدايته، و«من» الثانية تبعيضية؛ لأن ما ينزل من السماء من ماء بعض مما فيها. والله أعلم.

السؤال ١٢٤٤: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ [البقرة: ١٦٤].

الجواب: للدلالة على كمال قدرة الله تعالى الذي يخرج نبات الأرض فيحييها بمجرد اتصال السبب بالمسبب. لقد نقلتنا الفاء وبسرعة مذهلة من نزول الماء إلى إحياء الأرض بالنبات، وطوت تلك المدة لترينا آثار قدرة الله الذي يقول للشيء كن فيكون. والله أعلم

السؤال ١٢٤٥: لم ختمت الآية بقوله: ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؟ [البقرة: ١٦٤].

الجواب: خص العقل بالذكر؛لأن به يتوصل إلى معرفة الآيات والتفكر فيها. والله أعلم

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

السؤال ١٢٤٦: كيف عبر عن الأنداد أي الأصنام بضمير العقلاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ ؟ [البقرة: ١٦٥].

الجواب: عبر عن الأصنام -الأنداد- بضمير العقلاء في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾؛ لأن المشركين اعتقدوا ألوهيتها ونفعها وضرها؛ فعبر عنها على حسب اعتقادهم. والله أعلم.

السؤال ١٢٤٧: ما الغرض من تنكير «أندادا» في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ ؟ [البقرة: ١٦٥].

الجواب: التحقير. والله أعلم.

السؤال ١٢٤٨: بم يوحي التعبير باسم الجلالة «الله» في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ ؟

الجواب: يوحي بالنعي على عقول المشركين وتسفيهها؛ إذ يتخذون أصناما آلهة حقيرة لا قيمة لها من دون ملك الملوك الجامع لمطلق الكمالات -سبحانه- والله أعلم.

السؤال ١٢٤٩: ما دلالة التشبيه في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ ؟ [البقرة: ١٦٥].

الجواب: المساواة بين حب المشركين لله تعالى، وبين حبهم لأصنامهم في الطاعة والتعظيم.

السؤال ١٢٥٠: بم يشعر قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾؟ [البقرة: ١٦٥].

الجواب: أولًا: التعبير بـ«من» التبعيضية؛ فيه إشارة لتصغير شأن هؤلاء المشركين الذين اتخذوا الأصنام أندادًا من دون الله، سواء أكان هؤلاء المشركون عددًا كثيرًا أم كانوا عددًا قليلاً، فهم مهينون في تفكيرهم؛ إذ هم رفضوا الدليل المشتق من وجودهم وما يحيط بهم. والتعبير عنهم بأنهم «من الناس»؛ إشارة إلى أنهم ليس لهم وصف إلا أن يقال: إنهم من الناس، فليس لهم وصف علم ولا إيمان، ولا شيء من الفضائل أو المكارم التي تعلي من قَدْر الإنسان[1]. والله أعلم.

السؤال ١٢٥١: ما دلالة التعبير بـ «يتخذ» في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ... ﴾؟ [البقرة: ١٦٥].

الجواب: فيه إشارة إلى أن الأنداد ليس لها وجود ذاتي، وإنما الذين اتخذوها هم الذين جعلوها هكذا جعلاً، وإنهم لم يكتفوا بذلك الاتخاذ الباطل بل يعبدونها ويحبونها كحب الله تعالى بأن يجعلوها نظراء لله تعالى في الطاعة والتعظيم والمحبة والانقياد والخضوع وطلب الرضا !! والله أعلم.

السؤال ١٢٥٢: ما سر العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ حيث كان الظاهر أن يقال: وأنه شديد العذاب؟

الجواب: لتربية المهابة، وقذف الرعب في قلوب هؤلاء المشركين؛ بتفخيم العذاب والمبالغة في شدته وإظهار سوء صنيعهم ببيان عاقبته الوخيمة. والله أعلم.

---

(١) ينظر زهرة التفاسير (١/٤٩٣).

السؤال١٢٥٣: ما فائدة التعبير بقوله -سبحانه-: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ؟ [البقرة: ١٦٥].

الجواب: للدلالة على أن حب الذين آمنوا لله تعالى أشد من حب الذين أشركوا لأندادهم؛ لأن الذين آمنوا أخلصوا حبهم لله وحده، أما هم فكانوا يعزفون عن عبادتها في بعض الأوقات، وقد أكلت طائفة منهم إلهاها عند المجاعة.

وإنما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى؛ لأن المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا، وذلك إنما يتصور في حبهم لأندادهم لكونه مرتبطًا بأوهام يزول بزوالها (١). والله أعلم.

السؤال١٢٥٤: هل المقصود من قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] إنكار محبتهم الأنداد من أساسها ؟ أم إنكار تسويتها بحب الله تعالى؟

الجواب: المراد إنكار محبة المشركين للأنداد أصلاً لا إنكار تسويتها بحب الله تعالى. وإنما قيدت بممثالة محبة الله تعالى لتقبيحها وتشويهها، وللنعي على انحطاط عقول أصحابها. وفيه كذلك لفت لانتباه المشركين، وهز لوجدانهم وهم الذين زعموا أن الأصنام شفعاء لهم، فنبهوا إلى أنهم سووا بين محبة التابع ومحبة المتبوع، ومحبة الخالق ومحبة المخلوق لعلهم يثوبون إلى رشدهم (٢). والله أعلم.

السؤال١٢٥٥: ما الغرض من العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ حيث كان الظاهر أن يقال: والذين آمنوا أشد حبًا له ؟

الجواب: لبيان شرف الحب وفخامته والإشعار بإعلاء شأنه. والله أعلم.

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (١/ ١٨٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٩١) بتصرف.

السؤال ١٢٥٦: ما سر التعبير بالمستقبل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ...﴾؟ [البقرة: ١٦٥].

الجواب: للدلالة على تحقق تلك الأخبار المستقبلية، وتأكدها وجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في إخبار علام الغيوب[1]. والله أعلم.

السؤال١٢٥٧: ما تقدير جواب «لو» المحذوف؟ وما سر حذفه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾؟ [البقرة: ١٦٥]

الجواب: التقدير: لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب؛ لرأوا هولًا شديدًا. وحذف الجواب للإشارة إلى شدة هول العذاب وتفخيمه، وأنه بلغ من الشدة والهوان والهول ما لا يدرك كنهه، ولا تحيط به العبارة. والله أعلم.

السؤال١٢٥٨: بم يوحي التعبير بصيغة التفعل في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾؟ [البقرة: ١٦٦]

الجواب: يوحي بالمبالغة في التبرؤ والقطع، حيث كان بين المشركين صلات نسب، أو عصبية جاهلية أو رحم أو رياسة؛ فكل تلك الصلات تتقطع من كل ناحية بحيث لا يمكن إلتآمها ولا وصلها أبدًا. والله أعلم.

السؤال١٢٥٩: ما سر التعبير عن المستقبل بالماضي في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؟ [البقرة: ١٦٦].

الجواب: لاستحضار الحال المستقبل في صورة مشاهدة محسوسة. والله أعلم.

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (١/ ١٨٦).

السؤال ١٢٦٠: ماذا أفادت «لو» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾؟ [البقرة: ١٦٧].

الجواب: أفادت التمني -تمني العودة إلى الدنيا-؛ ليتبرأ الأتباع من المتبوعين. والله أعلم.

السؤال١٢٦١: ما سر التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؟ [البقرة: ١٦٧].

الجواب: للدلالة على دوام نفي خروج المشركين من النار. والله أعلم.

السؤال١٢٦٢: ما دلالة جمع «حسرات» في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾؟ [البقرة: ١٦٧].

الجواب: للدلالة على كثرتها وتتابعها وتواليها، فكل حسرة تتبعها حسرة. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٧١].

السؤال١٢٦٣: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ ؟ [البقرة: ١٦٨].

الجواب: خرج الأمر عن معناه الحقيقي، والغرض منه الامتنان. والله أعلم.

السؤال١٢٦٤: ما نوع «من» في قوله تعالى: ﴿مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ ؟ [البقرة: ١٦٨].

الجواب: «من» للتبعيض، إذ ليس كل ما في الأرض يؤكل كالحجارة، وليس كل ما يؤكل يجوز أكله كالخنزير والميتة وما أكل السبع، والمنخنقة والموقوذة والمتردية وغيرها؛ لذلك أتبع بالقيدين -الحالين-: ﴿حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾؛ فجاءا لتخصيص العام أي الأكل مما في الأرض. والله أعلم.

السؤال١٢٦٥: ما نوع الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ ؟ [البقرة: ١٦٨].

الجواب: كناية عن عدم الاقتداء به واتباعه، وعدم الالتفات إلى تزيينه ووسوسته، وطرقه التي يأمر بها. والله أعلم.

السؤال١٢٦٦: ما موقع جملة: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ ؟ [البقرة: ١٦٨] بالنسبة لما قبلها ؟ ولم فصلت عنها ؟

الجواب: تعليل للنهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، وهذا سبب فصلها عما قبلها. والله أعلم.

السؤال١٢٦٧: ما سر فصل جملة: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ...﴾ [البقرة: ١٦٩] عما قبلها ؟

الجواب: فصلت عما قبلها؛ لكونها بيانًا لها، أي بيان لعداوة إبليس ووجوب عدم متابعته. والله أعلم.

السؤال١٢٦٨: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٦٩].

الجواب: تشبيه حال الشيطان مع بني آدم في الوسوسة، وتزيين الشر والتسويل، وفي تلقيهم ما يوسوس لهم بحال الآمر والمأمور، وعليه فالعبارة استعارة تمثيلية. ويشير التعبير بـ «يأمركم» إلى ضعف إرادة المأمورين، وإلى أنهم لا يملكون أمر أنفسهم، وفي هذا زيادة تشنيع لحالهم، وإثارة للعدواة بين الشيطان وبينهم (١). والله أعلم.

السؤال١٢٦٩: ما نوع العطف في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٦٩]

الجواب: من عطف الخاص على العام؛ لأن الفحشاء من المعاصي؛ ما تناهى فحشه وقبحه كالزنا وشرب الخمر وقتل النفس بغير الحق، وفي العطف مزيد تنفير مما يأمر به الشيطان من الفحشاء والتنبيه على خطورتها. والله أعلم.

---

(١) ينظر الكشاف(١/١٠٧)، والتحرير والتنوير (٢/١٠٥)

السؤال١٢٧٠: ما الغرض من الالتفات من الخطاب إلى الغائب في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾؟ [البقرة: ١٧٠]

الجواب: في صرف الخطاب عنهم وتغييبهم عنه تسفيه لهم -أي للمشركين-، وتنبيه على كمال ضلالهم وغفلتهم وجنايتهم، وكأنهم ليسوا أهلاً للخطاب بتوجيهه إلى العقلاء. والله أعلم.

السؤال١٢٧١: ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؟ [البقرة: ١٧٠].

الجواب: الإنكار على المشركين؛ لإصرارهم على اتباع آبائهم وتقليدهم دون نظر ولا مراجعة تقليدًا أعمى ناتجًا عن جهل وضلال. والمراد إنكار الواقع منهم. والله أعلم.

السؤال١٢٧٢: ما سر تقديم انتفاء العقل على انتفاء الهداية في قوله تعالى:

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؟ [البقرة: ١٧٠].

الجواب: لأن من فقد العقل والتفكير محال أن يكون مهتديًا؛ لافتقاده أسباب الهداية. والله أعلم.

السؤال١٢٧٣: ما دلالة التنوين في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؟ [البقرة: ١٧٠].

الجواب: التنوين -التنكير- للتحقير، أي لا يعلمون شيئًا مفيدًا يعتد به حتى لو كان تافهاً، وهذا المعنى هو الملائم لمقام الذم. والله أعلم.

السؤال١٢٧٤: لم ختمت آية البقرة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؟ [البقرة: ١٧٠]، **ولم ختمت آية** [المائدة: ١٠٤] **بقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؟**

الجواب: ادعى الكفار في سورة المائدة العلم بصحة ما كان آباؤهم عليه؛ لأنهم قالوا كما حكى القرآن عنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

ولفظة «حسبنا» تستعمل فيما يكفي ويغني عن غيره، فاستعمل لفظة «يعلمون»، ونفى عنهم ما ادعوه بقولهم: ﴿حَسْبُنَا﴾؛ فكأنهم قالوا: معنا عِلْم يقيني تسكن نفوسنا إليه مما وجدنا عليه آباءها من الاهتداء إلى الدين، فنفى عنهم ما ادعوه بعينه وهو العِلْم.

أما ما ادعوه في سورة البقرة فلم يرق إلى ما ادعوه في سورة المائدة من تناهيهم في معرفة ما اتبعوا فيه آباءهم، بل كان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ ولم يدعوا أن ما ألفوا عليه آباءهم كان كافيهم وحسبهم، فاكتفى بنفي أدنى منازل العلم؛ لتكون كل دعوى مقابلة بما هو بإزائها مما يبطلها. والله أعلم بمراده.

السؤال١٢٧٥: ما سر إيثار التعبير بالموصول على الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ...﴾ [البقرة: ١٧١] **حيث كان من الممكن أن يقال: ومثلهم كمثل... ؟**

الجواب: ليتأتى الحكم عليهم بما في حيز الصلة، ولذمهم وللإشعار بعلة هذا الحكم. والله أعلم.

السؤال١٢٧٦: ما الفرق بين الدعاء والنداء ؟

الجواب: الدعاء للقريب، والنداء للبعيد. والله أعلم.

السؤال١٢٧٧: ما المقصود بالمثل في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ... ﴾ ؟ [البقرة: ١٧١].

الجواب: شبه حال الذين كفروا عند دعوتهم للإسلام بحال الأنعام عند سماع دعوة من يصيح بها. ووجه الشبه الجهل وعدم الإدراك والوعي، والصورة حسية اعتمدت على حاسة السمع. والله أعلم.

السؤال١٢٧٨: لم عطف المثل على ما قبله بالواو ولم يفصل ؟

الجواب: لأنه أريد جعل ما في المثل صفة مستقلة للكافرين في تلقي دعوة الإسلام، ولو لم يعطف لما صح ذلك. والله أعلم[١].

السؤال ١٢٧٩: ما سر حذف المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٧١].

الجواب: تقدير المحذوف: «هم» أي هم صم بكم عمي. وفي الحذف إشارة إلى أن اتصافهم بتلك الصفات أمر متعين مقرر بحيث لا يحتاج الذهن إلى التفكير فيمن يوصفون بتلك الصفات. والجملة من باب التشبيه البليغ. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ١١١) بتصرف يسير.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾

[البقرة: ١٧٢- ١٧٣]

السؤال١٢٨٠: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ ؟ [البقرة: ١٧٢].

الجواب: خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي هو الإباحة. والله أعلم.

السؤال١٢٨١: لماذا أعرض عن ذكر «الأرض» في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾؟ [البقرة: ١٧٢].

الجواب: أحسب -والله أعلم بمراده- أن في ذلك تشريفا للمؤمنين بإضافة الطيبات، وهو الأكل الحلال المباح إلى المصدر أي المنعم -سبحانه-؛ فبعد أن أباح الله تعالى للناس جميعا وامتن عليهم بالأكل مما في الأرض وذلك في قوله: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾** [البقرة: ١٦٨]، أراد سبحانه أن يخصص المؤمنين بالخطاب شرفا لهم فربط أكلهم الطيبات بمن في السماء -سبحانه-؛ فكأنه ارتقى بهم فإذا كان الناس جميعا قد أبيح لهم الأكل مما في الأرض حلالا طيبا؛ فإن المؤمنين لشرفهم قد أبيح لهم الأكل مما ينزل من السماء ارتقاء بهم ورفعا لدرجاتهم، ولأن ما يرزقه الله تعالى لهم لا يكون إلا طيبا حلالا فإنه أسقط لفظ «حلالا» والله أعلم وأعوذ به من الزلل.

السؤال١٢٨٢: ما الغرض من الالتفات من التكلم إلى الغائب في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] حيث كان الظاهر أن يقال: كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكرونا ؟

الجواب: لتربية المهابة. والله اعلم.

السؤال ١٢٨٣: ما سر تعليق الشرط ب «إن» التي تفيد الشك في قوله تعالى:
﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

الجواب: للإلهاب والتهييج وإثارة بواعث شكر الله تعالى لدى المؤمنين على الوجه الأمثل. والله أعلم بمراده.

السؤال١٢٨٤: لم خص التحريم بأكل لحم الخنزير مع أن سائر أجزائه محرمة وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ...﴾؟ [البقرة: ١٧٣]

الجواب: لأن اللحم معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه بمنزلة التابع له. والله أعلم[١].

السؤال١٢٨٥: ما سر تقديم «به» على ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾؟ [البقرة: ١٧٣]. **وما سر تقديم ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ على «به» في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ...﴾** [المائدة: ٣]

الجواب: المقام في سورة البقرة على ما رزق الله تعالى عباده من الطيبات؛ فلما كان المقام مقام الرزق والطعام والأمر بأكل الطيبات قدم «به». والضمير يعود على ما يذبح وهو طعام مناسبة للمقام. أما المقام في آية المائدة؛ ففيه إشارة إلى أن هناك من يحلل ويحرم غير الله تعالى ويزعمون أنهم شركاء لله، فجاء الكلام فيها على التحليل

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ١٩١).

والتحريم ومن بيده ذلك، ورفض أية جهة تحلل وتحرم من غير الله فإن الله يحكم ما يريد.

قال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ لذا قدم في البطلان فقال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ثم إنه سبحانه جاء بذكر اسم الله فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ﴾؛ فناسب ذلك تقديم بطلان ذكر غير الله[1].

(١) ينظر ملاك التأويل (١/١٠٧-١٠٨). والتعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرائي (صـ٧٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٤ - ١٧٦]

السؤال١٢٨٦: كيف قيل: ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [البقرة: ١٧٤]؛ أي عوضا حقيرا، وهذا يوحي بأن الإنكار على علماء أهل الكتاب لكتمانهم ما أنزل الله لكون العوض قليلا وليس كثيرا ؟

الجواب: لأن العوض مهما كان كثيرا فهو قليل، أو وصف بالقلة؛ لانقطاع مدته وسوء عاقبته. والله أعلم

السؤال١٢٨٧: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾؟ [البقرة: ١٧٥].

الجواب: مجاز مرسل علاقته المسببية، والمأكول هو الرشا التي أخذها أحبار أهل الكتاب مقابل إفتائهم الناس بما يوافق أهواءهم ويخالف شرعهم مما أنزله الله تعالى في كتابهم. وقد أطلق على ما هو سبب النار أي المال الحرام؛ نارا تفظيعا لهذا الفعل وتنفيرا منه. والله أعلم.

السؤال ١٢٨٨: ما فائدة ذكر «البطن» في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ [البقرة: ١٧٥]، والأكل لا يكون إلا في البطن ؟

الجواب: لأن المال الباطل يطلب لأجل شهوة البطن وملذاتها؛ فشهوة علماء أهل

الكتاب الكاتمين للحق هو الذي جعلهم يختارون هذا الثمن الحقير. وفيه كذلك تقرير الأكل وتأكيده ببيان مقره. وعلى كل ففي الجملة أسلوب قصر؛ حيث قصر ما يأكلونه في بطونهم على النار وقد سمي ما يأكلونه نارا لأنه يؤول بهم إليها. والله أعلم.

السؤال١٢٨٩: ما نوع «ما» في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ؟ [البقرة: ١٧٥].

الجواب: «ما» في الآية الكريمة؛ نكرة تامة تدل على التعجيب، والمعنى تعجيب المؤمنين من حال هؤلاء الكاتمين بتلبسهم بما يؤدي إلى إهلاكهم وعذاب بالنار من غير مبالاة منهم بفظاعة ذلك وشدته عليهم. وقد بني التعجيب على تنزيل ما سيحدث منزلة ما حدث تأكيدا على وقوعه وحصوله في المستقبل والله أعلم.

السؤال١٢٩٠: قال تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤]؛ فنفى كلامه للمخبر عنهم في الآية وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]؛ فأثبت سؤاله للجميع فكيف نوفق بين الموضعين ؟

الجواب: المنفي في الموضع الأول كلام التلطف والإكرام، والمثبت في الموضع الثاني سؤال التوبيخ والإهانة فلا تعارض. والله أعلم (١)

السؤال ١٢٩١: ما علة الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [البقرة: ١٧٥] حيث كان الظاهر أن يقال: وإن الذين اختلفوا فيه...؟

الجواب: ليكون التذييل مستقلا بنفسه؛ لجريانه مجرى المثل، وهذا أدخل في ذمهم

(١) مسائل الرازي وأجوبتها (صـ١٩).

وتوبيخهم. والله أعلم.[١]

السؤال١٢٩٢: علام يدل وصف الشقاق بالبعيد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [البقرة: ١٧٦].

الجواب: المبالغة في شدة الخلاف وبعده عن الحق؛ لأن المعنى بعيد صاحبه عن الوفاق؛ ففي وصف الشقاق بالبعيد مجاز عقلي قصد به المبالغة في وصف هؤلاء الكاتمين الحق من أهل الكتاب بالبعد عن جادة الحق والصدق والوفاق والله أعلم.

(١) التحرير والتنوير(١/١٢٧) بتصرف.

قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧ - ١٨٢]

السؤال ١٢٩٣: من المخاطب في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾؟ [البقرة: ١٧٧].

الجواب: اختلف المفسرون في تعيين المخاطب في الآية على قولين: أحدهما أنهم المسلمون، والمعنى: ليس البر كله في الصلاة ولكن البر ما في هذه الآية.

والثاني: أهل الكتابين، والمعنى: ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب وصلاة النصارى إلى المشرق، وذلك لأن أهل الكتاب أكثروا الحوض في أمر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة أن البر هو التوجه إلى قبلته، فرد الله عليهم زعمهم، وقال: ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ ولكن البر ما في هذه الآية، وعلى كل فالمقصود نفي الكمال إن كان المراد في الخطاب المؤمنين والله أعلم.(١)

---

(١) يراجع الفتوحات الإلهية (١/ ١٤٠)، التحرير والتنوير (٢/ ١٢٨).

السؤال١٢٩٤: ما وجه بلاغة قراءتي الرفع والنصب في «البر» في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾ ؟ [البقرة: ١٧٧].

الجواب: قراءة النصب على أن البر خبر ليس، وأن تولوا اسمها مؤخر، وتوجيه هذه القراءة أن أمر استقبال القبلة هو الشغل الشاغل للمخاطبين؛ فإذا ذكر خبره قبله ترقب السامع المبتدأ فإذا سمعه رسخ في نفسه، أما قراءة الرفع فعلى أن البر اسم ليس، وتوجيه هذه القراءة أن البر أمر مشهور معروف لأهل الأديان مرغوب للجميع فإذا جعل مبتدأ في حالة النفي ترقبت الأسماع ورود الخبر وأصغت إليه. والله أعلم(١).

السؤال ١٢٩٥: ما سر العدول عن «مع» إلى «على» في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

الجواب: الظاهر أن يقال: وآتى المال مع حبه..، ولكن عدل عن كلمة المصاحبة إلى حرف الاستعلاء؛ للإشعار باستعلاء حب الله تعالى على حب المال في نفس المتصدق وتغلبه على الشعور بالخوف من الفقر، وارتقائه فوق شح نفسه وبخلها وضنها بالمال، وتعاليه على هوى نفسه وقهره لشهواتها.

والعبارة لون من ألوان الإطناب يسمى التتميم، الذي يقصد به المبالغة في بذل أغلى ما تضن النفس به ألا وهو المال (٢). والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ١٢٩).

(٢) التتميم: هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة كما في الآية الكريمة موطن الشاهد. والتتميم أعم من الإيغال من جهة أنه لا يتقيد بآخر الكلام، والإيغال أعم منه من جهة أنه لا يتقيد بأن يكون فضلة. ينظر شروح التلخيص (٣/ ٢٣٥)، والإيضاح للخطيب القزويني (ص٢٠٥)، والمعجم الوافي في التعريفات البلاغية والأدبية والنقدية والعروضية، للدكتور: عادل أحمد الرويني

السؤال١٢٩٦: علام يدل التعبير بالمصدر «البرّ» عن اسم الفاعل «البار» في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ..﴾؟ [البقرة: ١٧٧].

الجواب: للمبالغة في الاتصاف بالبر، بجعل فاعله عين البر وكأن البر قد تجسد فيه. والله أعلم.

السؤال١٢٩٧: ما نوع الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؟ [البقرة: ١٧٧].

الجواب: الاستعلاء مجازي؛ للدلالة على قمعه لدوافع النفس للشح بالإنفاق. والله أعلم.

السؤال ١٢٩٨: ما سر العدول عن الرفع إلى النصب في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]**؛ حيث كان الظاهر أن يقال: والصابرون؟**

الجواب: نصب «الصابرون» في الآية على المدح، والتقدير: أخص الصابرين، وذلك لنكتة هي التنبيه على فضيلة الصبر. والله أعلم.

السؤال ١٢٩٩: لم قدم «ذوي القربى» في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾؟ [البقرة: ١٧٧].

الجواب: لأن الأجر أعظم؛ فدفع المال إليهم صدقة وصلة رحم إذا كان محتاجين، فهم أولى الناس بالصدقة؛ لذا قُدّموا في الذكر. والله أعلم.

السؤال ١٣٠٠: ما دلالة التعبير بحرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾؟ [البقرة: ١٧٧].

الجواب: للدلالة على أن العبد لا يملك، وفيه كذلك إشعار بتحمل المتصدق مسؤولية خاصة في تعهد صدقته والقيام عليها حتى يتأكد من فك الرقبة لا مجرد دفعها لهذا الغرض؛ لأن العبد في موقف الضعف، وهو مظنة الاستغلال، فوجب على المتصدق أو القائم على الصدقات أن يتأكد من وضعها في محلها الآمن الذي لا يتهدده الضياع[1]. والله أعلم.

السؤال ١٣٠١: لم عبر عن العبيد بالرقاب في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ ؟ [البقرة: ١٧٧].

الجواب: هذا من باب المجاز المرسل؛ حيث عبر بالجزء «الرقبة» وأراد الذات«العبد» الذي يعتق. وعبر عن الرقيق بالرقاب؛ لأن الرقبة هي مظهر الخضوع حِسًّا؛ إذ أن العبد يطأطئ رقبته ذلًا وخشوعًا وخضوعًا. والله أعلم.

السؤال ١٣٠٢: كيف قيل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] **أي فرض وألزم، والقصاص ليس بفرض، بل الولي مخير فيه بل مندوب إلى تركه[2] ؟**

الجواب: المراد أنه فرض عند مطالبة صاحب الحق به؛ فالوجوب بالنسبة إلى الحكام أو القاتلين[3]. والله أعلم.

---

(١) يراجع الإتقان للسيوطي (١/١٤٥)، ومن أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم د. محمد الأمين الخضري (ص ١٣١-١٣٢).

(٢) السؤال بنصه في أسئلة الرازي وأجوبته «من غرائب القرآن» (ص ٢٠).

(٣) إرشاد العقل السليم (١/١٩٥).

السؤال ١٣٠٣: ماذا أفادت «في» في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾؟
[البقرة: ١٧٨]

الجواب: السببية، أي بسبب القتلى، وكقوله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة...**». والله أعلم.

السؤال ١٣٠٤: ما سر إتباع آية البر بآية القصاص في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ...﴾؟ [البقرة: ١٧٨].

الجواب: لأن كليهما في بناء المجتمع المسلم ونفي ما يهدد بنيانه، وفي صلاحه واستتباب أمنه ونظامه؛ فقد كان العرب في الجاهلية لا يقتصون من القاتل، وإنما يثأرون من القبيلة، والدماء فيهم لا تتكافأ، وكان قانون العصبية والغلبة هو السائد لا قانون القصاص العادل، وكان ذلك ناشئًا من العصبية وفرض التفاوت والثأر؛ فنزلت الآية الكريمة لتمحو هذا القانون الظالم، ولتثبت أن القصاص العادل هو الذي يجب أن يحكم وأن المسلمين تتكافأ دماؤهم(١). والله أعلم.

السؤال ١٣٠٥: لم قيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾؟ [البقرة: ١٧٨] **دون أن يقال: ... القصاص في القتل؟**

الجواب: للإشارة إلى أنه لا يُقْتل بالمقتول إلا قاتله. والله أعلم.

السؤال ١٣٠٦: ما سر بناء الفعل للمفعول في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾؟ [البقرة: ١٧٨].

---

(١) ينظر التحرير والتنوير (٢/ ١٣٤)، وزهرة التفاسير (٢/ ٥٣١).

الجواب: «لإشارة إلى أن الحكم يتبع العفو من أي عاف كان له العفو في شيء من الحق» (١). والله أعلم.

السؤال ١٣٠٧: ما دلالة التنكير في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ ؟ [البقرة: ١٧٨].

الجواب: التقليل، أي فمن عفي له من أخيه شيء من العفو والتسامح مهما يكن يسيرًا فاتباع بالمعروف. والله أعلم.

السؤال ١٣٠٨: ما سر تعدية فعل العفو باللام في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ ؟ [البقرة: ١٧٨].

الجواب: للإشعار بأن في العفو عن الجاني نفعًا له. والله أعلم.

السؤال ١٣٠٩: ما الغرض من التعبير عن ولي الدم بالأخ في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ ؟ [البقرة: ١٧٨].

الجواب: لتأليف القلوب بين الجاني وأولياء المجني عليه، وللاستعطاف بالتذكير بأخوة البشرية والدين. والله أعلم.(٢)

السؤال ١٣١٠: لماذا بينت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ...﴾ [البقرة: ١٧٨].
حال المساواة في الوصف من حرية ورق وذكورة وأنوثة ولم تبين الحكم إذا اختلف الوصف أو الجنس؟

---

(١) نظم الدرر (١/ ٣٣٢).

(٢) ينظر روح المعاني (٢/ ٥٠)، ونظم الدرر (١/ ٣٣٢).

الجواب: لأن الآية الكريمة ورد الحكم فيها لإبطال العادة الجاهلية التي كانت تقتل غير القاتل؛ فأبطل الله تعالى ذلك، وفرض الحكم في هذا المقام بالقصاص العادل. أما التساوي في الحكم بالنسبة إلى النفوس لا في الأوصاف فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] والله أعلم.

السؤال ١٣١١: ما موقع قوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ بالنسبة لقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾؟ [البقرة: ١٧٨].

الجواب: بيان وتفصيل لما قبله. والله أعلم

السؤال ١٣١٢: لم خصت الأنثى بالذكر مع اندراجها في قوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾؟ [البقرة: ١٧٨].

الجواب: لدفع توهم أن صيغة التذكير مراد بها خصوص الذكور فقط؛ فالأنثى تقتل بالأنثى، وتقتل الأنثى بالذكر، والذكر بها كما أفتى الفقهاء. والله أعلم(١).

السؤال ١٣١٣: ما دلالة التنوين في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟ [البقرة: ١٧٩].

الجواب: التنكير للتعظيم، والتقدير: لكم في القصاص حياة عظيمة من الأمن وانتظام الحياة؛ لأن فيه ارتداعا للناس عن القتل بغير حق. والله أعلم.

---

(١) يراجع التحرير والتنوير (٢/١٣٧)، والقرطبي (٢/٢٤٦-٢٤٨).

السؤال ١٣١٤: ما نوع الإيجاز في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٧٩].

الجواب: إيجاز قصر. وفي الآية الكريمة لطائف كثيرة منها: قلة عدد حروفها، وليس فيها تكرار لفظ، والتصريح فيها بالمطلوب، وهو الحياة مع تنكيرها الدال على التعظيم؛ فيكون أزجر عن القتل بغير حق، وكذلك الجمع بين الحياة والقصاص وهو ضد الحياة فيكون فيه مطابقة بينهما، وهي من المحسنات البديعية.

والآية الكريمة أية في البلاغة والفصاحة شأن كل آيات القرآن الكريم ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أي لكم في هذا الحكم بالقصاص حياة لأن الرجل إذا علم أنه سيقتل قصاصا إذا قتل آخر كف عن القتل وانزجر عن التلبس به والتسرع إليه والوقوع فيه فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس. فانظر -يرحمك الله- كيف جعل القصاص الذي هو موت حياة باعتبار ما يؤدي إليه من انزجار الناس عن قتل بعضهم بعضا إبقاء على أنفسهم واستدامة لحياتهم ؟!!

السؤال ١٣١٥: لم جعل الخطاب موجها إلى أولى الألباب في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ؟ [البقرة: ١٧٩].

الجواب: لأنهم هم الذين ينظرون في العواقب ويتحاشون ما فيه الضرر الآجل، أما أصحاب الحمق والطيش والخفة والسفه؛ فإنهم لا يفكرون في عاقبة ولا يحسبون لها حسابا. والله أعلم.

السؤال ١٣١٦: كيف قيل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ...﴾ [البقرة: ١٨٠]، والإنسان إذا حضره الموت لا يستطيع ذلك ؟

الجواب: المقصود حضور أسبابه وعلاماته. والله أعلم.

السؤال ١٣١٧: ما سر تأخير نائب الفاعل في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٨٠].

الجواب: للتشويق إليه وترقب النفس إلى معرفة ما فرضه الله تعالى عند دنو الموت. والله أعلم.

السؤال ١٣١٨: ما الغرض من تذكير الفعل «كتب» في الآية الكريمة حيث كان الظاهر أن يقال: كتبت عليكم إذا حضر أحدكم الموت الوصية ؟

الجواب: ذُكِّر الفعل إشعارا بقوة طلبه. والله أعلم.

السؤال ١٣١٩: لم سمي المال خيرا في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ؟ [البقرة: ١٨٠].

الجواب: لأن المال يتوصل به إلى الخير وتدفع به المضار، وأشعر في التعبير عن المال بالخير كذلك؛ الإيماء إلى وجوب أن يكون مال الموصي نقيا حلالا طاهرا لا تشوبه شبهة تلوثه، وتخرجه عن وصفه بالخير لأن المال الحرام لا يطلق عليه أنه خير ولا يوصف بذلك.

واعلم أن هذه الآية الكريمة التي فرضت الوصية للوارث في بدء الإسلام؛ قد نسخت بآية المواريث. والله أعلم[١].

---

(١) يراجع هذا الحكم في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٦٢- ٢٦٣)، وتفسير النسفي (صـ٩٣)، وتيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن السعدي (١/ ١٢١).

السؤال ١٣٢٠: لم خص الحق المذكور في الآية الكريمة بكونه على المتقين في قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

الجواب: تشريفا للرتبة ليتسابق الناس إليها، وللإشارة إلى أنهم يسارعون في تنفيذ أوامر الله تعالى، وأنهم ينقادون انقيادا مطلقا له -سبحانه-؛ فهذا إغراء للناس ليحذو حذوهم. والله أعلم بمراده.

السؤال ١٣٢١: ما سر تذكير الفعل الذي حقه التأنيث في قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ حيث كان الظاهر أن يقال فمن بدلها أي الوصية ... فإنما إثمها على الذين يبدلونها ؟

الجواب: للإشارة إلى قوة الالتزام بتنفيذ الوصية دون تغيير إلا بشرط الظلم أو الميل والزيغ. والله أعلم.

السؤال ١٣٢٢: من المُبَدِّل المقصود في قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ ؟ [البقرة: ١٨١].

الجواب: المقصود كل من يقع منه التبديل أو كان قادرا على التغيير والتبديل في الوصية في موضوعها أو في مقدارها أو في مستحقها سواء أكان فاعل ذلك الموصى أو الشاهد أو القائم على التركة. وليس المقصود الموصي بدلالة قوله تعالى: ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي القول الدال على الوصية، والموصي لم يسمع القول بل قاله، كما أن من حق الموصي أن يغير ويبدل ما دام حيا ولا يأثم في ذلك إلا إذا جار وقصد الشر ولا تنفذ وصيته إلا بعد موته؛ لذا فالضمير لا يعود إلى الموصي كما ذهب إليه كثير من المفسرين والله أعلم[١].

---

(١) ينظر مثلا مفاتيح الغيب (٢/ ٤٨).

السؤال ١٣٢٣: ما سر العدول عن المفرد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ ؟ [البقرة: ١٨١].

الجواب: للإشعار بشمول الإثم لكل من شارك في تغيير الوصية؛ سواء أكان مباشرا لتبديلها -عن غير إرادة الموصي- بنفسه أم كان مرتضيا بهذا التبديل وموافقا عليه. والله أعلم.

السؤال ١٣٢٤: في قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٨٢] ، **في الآية حكم بأنه لا إثم على من يبدل وصية فيها ميل عن الحق أو وصية آثمة إجمالا فحولها إلى الخير، وهذا من باب الإصلاح وهو من الطاعات فهل كان من الملائم إذًا أن تختم الآية الكريمة بقوله سبحانه:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ؟

الجواب: ذكرت المغفرة مع أن التبديل مباح -بخلاف ما ورد في الآية السابقة- وهو من الإصلاح؛ لتقدم ذكر الإثم الذي تتعلق به المغفرة، ولكون الفعل أي التبديل من جنس ما يؤثم به، وللإشارة إلى أنه -سبحانه- غفور للآثام فلأن يكون رحيما بمن أطاعه من باب الأولى. والله أعلم(١).

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ١٩٨)، وروح المعاني (٢/ ٥٦).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٧].

السؤال ١٣٢٥: كيف قيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ... ﴾ [البقرة: ١٨٣] وصوم أمة الإسلام مختلف عن صوم الأمم السابقة؟

الجواب: المراد التشبيه أو المماثلة في أصل الوجوب؛ أي في أصل الصوم لا في كيفيته. والله أعلم.

السؤال ١٣٢٦: لِمَ عُبِّر عن رمضان بجمع القلة في قوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ؟ [البقرة: ١٨٤].

الجواب: عبر عن رمضان بجمع القلة «أياما» و«معدودات»؛ تهوينا لأمره على المكلفين، وحثا لهم على صومه. والله أعلم.

السؤال ١٣٢٧: ما دلالة حرف الاستعلاء ؟ وما نوعه في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ؟ [البقرة: ١٨٤].

الجواب: الاستعلاء مجازي، والمراد التمكن من السفر والتيقن منه. والله أعلم

السؤال ١٣٢٨: لماذا لم يُنص على جواز الإفطار صراحة بالنسبة للمريض والمسافر في قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ؟ [البقرة: ١٨٤].

الجواب: للإشعار بالتنفير منه، واستحباب الصوم لمن يستطيع. والله أعلم.

السؤال ١٣٢٩: لم قيل: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]، **ولم يقل مثلًا: فصيام أيام أخر ؟**

الجواب: للتنصيص «على وجوب صوم أيام بعدد أيام الفطر في المرض والسفر؛ إذ العدد لا يكون إلى على مقدار مماثل»(١).

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ١٦٤).

السؤال ١٣٣٠: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

الجواب: دلت الفاء على فعل محذوف تقديره: فأفطر؛ لأنه لا يجب قضاء الصوم إلا بالإفطار وفي هذا الحذف إشارة إلى أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، فكأن الإفطار مع المرض أو السفر أمر مفروغ منه، فمتى كان المؤمن مريضا أو مسافرا فعليه القضاء، لأن الشأن فيه أن يتقبل رخص الله تعالى ويقبل هديته وهذا ما أكده بعد ذلك بقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فلم يكتف بالتصريح بإرادته اليسر حتى أكده بنقيضه وهو عدم إرادته العسر وليس للمؤمن إلا أن يمتثل أمر الله تعالى وإرادته. والله أعلم[1].

السؤال ١٣٣١: ما سر الالتفات من الغائب إلى المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؟ [البقرة: ١٨٤]

الجواب: لتشريف أهل الصوم بالخطاب بعد أن نودي أهل الفطر بالغيبة، وفي ذلك ترغيب في الصوم وحث عليه، وتنفير من الفطر. والله أعلم.

السؤال ١٣٣٢: ما دلالة الفاء في «فليصمه» في قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾؟ [البقرة: ١٨٥]

الجواب: دلت الفاء على أن الأمر بالصيام مسبب عما تميز به هذا الشهر الكريم من نزول القرآن فيه؛ لذا وجب شكر الله تعالى بصومه، وعليه فالفاء للسببية. والله أعلم.

---

(١) ينظر من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (ص٨٥).

السؤال ١٣٣٣: ما الغرض من التعبير عن البينات بالفرقان في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾؟ [البقرة: ١٨٥].

الجواب: لأن في التعبير بالفرقان مزيد معنى للبينات، وهو كونه يفرق بين الحق والباطل، ومتى كان الشيء جليًا واضحًا جعل به الفرق، كما أن في لفظ «الفرقان»؛ مراعاة للفواصل قبله. والله أعلم.

السؤال ١٣٣٤: لم أعيد ذكر المريض والمسافر في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؟ [البقرة: ١٨٥].

الجواب: لأن الآية الأولى نسخ مما فيها تخيير الصحيح، وكان فيها تخيير المريض والمسافر أيضًا؛ فأعيد ذكرهما لئلا يتوهم أن تخييرهما نُسِخَ كما نُسِخ تخيير الصحيح [(١)]. والله أعلم.

السؤال ١٣٣٥: لماذا قيل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ **ولم يقل: ولتكملوا الشهر في قوله تعالى:** ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؟ [البقرة: ١٨٥].

الجواب: ليندرج تحتها عدة أيام الشهر وأيام القضاء؛ لتقدم ذكرهما جميعًا، ولذلك يجب أن يكون عدد القضاء نفس عدد المقْضى. ولو قال سبحانه: ولتكملوا الشهر؛ لدل

(١) من أسرار التكرار لأبي بكر الرازي ص(٢٠).

ذلك على حكم الفرض فقط، ولم يدخل حكم القضاء[1]. والله أعلم.

السؤال ١٣٣٦: لم أسقطت الواسطة «قل» في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، **حيث لم يقل: فقل، أو قل كما في كثير من الآيات ؟**

الجواب: لإلغاء الواسطة بين العبد وربه في مقام الإنابة والدعاء والتضرع، وفي هذا مزيد عناية بعباده -تعالى- وكمال لطف بهم. والله أعلم.

السؤال ١٣٣٧: ما سر وقوع هذه الآية الكريمة بعد آيات الصوم مباشرة ؟

الجواب: للإشعار بأن الصائم مستجاب الدعاء، ومرجو الإجابة، وإلى أن شهر رمضان مرجوة دعواته، وإلى استحباب كثرة الدعاء في رمضان[2]. والله أعلم.

السؤال ١٣٣٨: لماذا فصلت جملة ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ عما قبلها ؟ [البقرة: ١٨٦].

الجواب: لكمال الاتصال، حيث وقعت تقريرًا لسابقتها. والله أعلم.

السؤال ١٣٣٩: ما دلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ ؟ [البقرة: ١٨٦].

الجواب: للدلالة على طلب ثبات الإيمان ودوامه. والله أعلم بمراده.

السؤال ١٣٤٠: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢/ ٨٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ١٧٩) بتصرف.

الجواب: إنه كان في بداية تشريع الصوم أن الرجل إذا أفطر؛ فإنما كان يحل له الأكل والشرب والوطء إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك؛ فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه ما ذكر إلى الليلة التالية فشق ذلك على المسلمين مشقة كبيرة، وقد وقع في هذا المحظور بعضهم؛ فنزلت الآية الكريمة لتحل ما كان محرما قبل ذلك وتنسخه تيسيرا على المسلمين ورحمة بهم(١). والله اعلم

السؤال ١٣٤١: علام يدل التعبير بـ«أحل» في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ...﴾ ؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: يدل على أن الرفث إلى النساء ليلة الصيام بعد العشاء والنوم؛ كان محرما قبل ذلك، ثم نسخ رخصة وتخفيفا. والله أعلم.

السؤال ١٣٤٢: الرفث هو الكلام المستقبح ذكره من الوطء ودواعيه، والرفث دال على معنى مستقبح بخلاف كنايات أخرى عن الوطء ليس فيها هذا المعنى نحو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]، **وقوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾** [الأعراف: ١٨٩]، **وقوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾** [النساء: ٤٣]؛ **فلِمَ كنّى به عن الوطء في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ...﴾** [البقرة: ١٨٧].

الجواب: لاستقباح ما وجد من بعض المسلمين واستقباحه قبل إباحته لهم؛ لذا أطلق عليه -الوطء- اختيانا؛ أي خيانة في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] والله أعلم.

(١) ينظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٣١٤- ٣١٥).

السؤال ١٣٤٣: ما سر تعدية الرفث بحرف الانتهاء دون حرف الإلصاق في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ﴾ ؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: ذهب المفسرون إلى القول بتضمين الرفث معنى الإفضاء[1]، والإفضاء يتعدى ب«إلى» فيقال: أفضى إليه. وهذا قول مردود لأنه كان من الممكن أن يقال بداية: أحل لكم ليلة الصيام الإفضاء إلى نسائكم. كما ذهب فريق آخر إلى القول بنيابة «إلى» عن «الباء»[2] وهذا أيضا قول مردود؛ لأن المقام يأبى الباء بدلالتها على الإلصاق والمصاحبة والقرب؛ فهذا المعنى صالح في مقام يدعو إلى الاقتراب من المرأة والدعوة إلى الاستمتاع بها أحله الله له وإكرامها وإحسان صحبتها.

أما سياق الآية الكريمة؛ ففيه استهجان للمسلمين مما وقع من بعضهم من ملامسة النساء قبل الرخصة لهم بذلك في شهر الطاعات والذكر وقراءة القرآن، وهذا هو السر الذي من أجله عبر بالرفث بدلا من الإفضاء مع ما فيه من دلالة على الفحش -كما ذكرنا- بجانب ما وصفهم به من خيانة أنفسهم بظلمها؛ فبالله عليك كيف ينسحم سياق هذا شأنه مع ما يشيعه من مصاحبة النساء والتودد إليهن والالتصاق بهن؟! فهذا السياق يلائمه حرف الانتهاء الذي يقف عند حد الإباحة وقضاء الوطر من المرأة حينما تدعو الحاجة إليها دون الاستغراق في ذلك وشغل الوقت الفضيل في ليل رمضان في ذلك والذهول عن العبادة والذكر. والقول بنيابة «إلى» عن «الباء»

---

(١) انظر مثلا الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٢/ ٣١٦)، وروح المعاني (٢/ ٦٤)، والمفردات للراغب مادة (رفث) (صـ٢٠٥)، ونظم الدرر للبقاعي (١/ ٣٥٠).

(٢) ينظر منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لابن الجوزي. تحقيق محمد السيد الصفطاوي، منشأة دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٩م.

يذهب بهذا الغرض. والله أعلم.(١)

السؤال ١٣٤٤: لماذا قدم الجار والمجرور على نائب الفاعل في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: للتشويق إلى المؤخر بعد ترقب النفس وانتظارها لما أحل لها بعد تحريم فيتمكن منها فضل تمكن. والله أعلم.

السؤال ١٣٤٥: ما مسوغ تشبيه الرجل لامرأته والمرأة لزوجها بالثوب في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: لانضمام جسديهما وامتزاجهما وتلازمهما كما يمتزج الثوب بالجسد ويلتصق به. والله أعلم.

السؤال ١٣٤٦: لم عبر عن الخيانة بالاختيان في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: لأن الاختيان هو الخيانة البليغة بدلالة المبنى؛ فتأمل كيف سمى القرآن الكريم ما أقدم بعضهم عليه بالخيانة البليغة أي الاختيان وذلك تقبيحا للفعل، وسدا لباب التجرؤ على ما حرم الله قبل نزول نص بحله؛ بدليل قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ فجعل ذلك الفعل ذنبا يستوجب التوبة منه. والله أعلم.

---

(١) ينظر من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم (ص٢٨٦).

السؤال ١٣٤٧: لماذا قدم قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ على قوله: ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾؟

الجواب: للإيماء بظهور احتياج الرجل للمرأة وعدم صبره عنها، ولأنه هو البادئ بطلب الوطء، وأيضا للدلالة على حياء المرأة صونا لكرامتها بألا تكون هي الطالبة أو المبادرة. وعلى كل ففي الآية الكريمة تمثيل لصعوبة اجتنابهن والعزوف عنهن. والله أعلم بمراده.

السؤال ١٣٤٨: لم فصلت جملة ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] عما قبلها؟

الجواب: فصلت عما قبلها؛ لوقوعها استئنافا مبينا لسبب الإحلال وهو صعوبة الصبر عليهن مع شدة المخالطة، وكثرة الملابسة بهن وخصوصا في الليل. والله أعلم.

السؤال ١٣٤٩: ما دلالة التعبير بالماضي والمضارع في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: لبيان حالهم بالنسبة لما وقع من بعضهم قبل الإحلال، وأنهم كانوا مستمرين على ذلك فيما مضى قبل الرخصة لهم بالحل.(١) والله أعلم.

السؤال ١٣٥٠: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: الفاء للتعقيب، وفيها بشرى بالمسارعة إلى قبول توبتهم والعفو عنهم. والله أعلم.

---

(١) روح المعاني (٢/ ٦٥) بتصرف.

السؤال ١٣٥١: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ ؟

[البقرة: ١٨٧].

الجواب: الأوامر في الآية الكريمة للإباحة. والله أعلم.

السؤال ١٣٥٢: ما دلالة التعبير بـ«حتى» و«التبيين» في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ ؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: **أولا:** للدلالة على تحديد نهاية وقت الإفطار، وبداية وقت الصوم صراحة.

ثانيا: للدلالة على أن الإمساك يكون عند اتضاح الفجر الصادق. والله أعلم.(١)

السؤال ١٣٥٣: ما سر إيثار «إلى» على «حتى» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ ؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: للدلالة على تعجيل الفطر بمجرد غياب الشمس؛ لأن «إلى» لا تمتد معها الغاية بخلاف «حتى»؛ فالمراد هنا مقارنة إتمام الصيام بالليل، وهذا من باب التخفيف ولو قيل: حتى الليل؛ لأشعر بحل الفطر بعد دخول جزء من الليل، وهذا فيه مشقة على الصائم أما «إلى» فدلت على حل الفطر بمجرد إقبال الليل. والله أعلم.(٢)

السؤال ١٣٥٤: ما دلالة حرف التراخي في قوله تعالى: ﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ ؟

[البقرة: ١٨٧].

---

(١) ينظر التحرير والتنوير (٢/ ١٨٤).

(٢) ينظر التحرير والتنوير (٢/ ١٨٤).

الجواب: «ثم» في الآية الكريمة للتراخي الرتبي، وهو الاهتمام بتعيين وقت الإفطار بشارة للمخاطبين. والله أعلم.(١)

السؤال ١٣٥٥: لم اكتفي ببيان الخيط الأول بقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ عن بيان الخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: لأن بيان أحدهما بيان للآخر، أو لدلالته عليه، أو لأنه هو المقصود. والله أعلم.

السؤال ١٣٥٦: لماذا قيل: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ ولم يقل: حتى يبين لكم....؟

الجواب: للإشارة إلى امتداد وقت الإفطار حتى يتم التأكد من طلوع الفجر الصادق؛ بناء على ما تفيده صيغة «يتفعل» من تكلف البيان واستطلاع الفجر. والله أعلم.

السؤال ١٣٥٧: ما سر إيثار التعبير باسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: للإشعار بوجوب حبس المعتكف نفسه في المسجد ولزومه إياها، والبقاء فيها وعدم الخروج منها إلا لحاجة. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ١٨٤).

السؤال ١٣٥٨: علام يدل التعبير بالنهي عن القرب دون التعبير بالنهي عن التجاوز في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾؟ [البقرة: ١٨٧].

الجواب: للمبالغة في الاحتراس وأخذ الحيطة والمبالغة في النهي عن تجاوز حدود الله تعالى، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟
فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ
مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ
وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ
ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ
وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٨- ١٩٥]

السؤال ١٣٥٩: ما المراد بالأكل في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾؟ [البقرة: ١٨٨].

الجواب: المراد بالأكل في الآية الأخذ والاستيلاء، وعبر به بالأكل على طريق الاستعارة التصريحية التبعية؛ للتنفير من هذا الفعل في صورة حسية بصرية. والله أعلم.

السؤال ١٣٦٠: ما وجه إضافة الأموال إلى ضمير المنهي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾؟ [البقرة: ١٨٨].

الجواب: للتنفير من هذا الفعل ولاستثارة عاطفة الأخوة بينهم، ولأن كل واحد من المخاطبين منهيا ومنهيا عنه. «وللإشارة إلى أن مال الآحاد مال الأمة؛ إن نما قويت، وإن ضعف ضعفت، وإن كان حلالا طيبا كان عزا، والإشارة إلى وجوب التعاون بين

الناس في جعله لخير الجماعة وتنمية لعمومها، وللناس كافة مع بقاء كل ملك كان على ملكيته لقوله ﷺ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه**»[١].

السؤال ١٣٦١: ما الغرض من عطف ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ على قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾؟ [البقرة: ١٨٨].

الجواب: هذا من باب ذكر الخاص بعد العام؛ زيادة في التشنيع والمعنى: النهي عن تقديم المال للحكام من أجل الاستيلاء على مال الآخرين بغير حق. وفي الآية دلالة على تحريم الرشوة. وقد حذر الرسول ﷺ من الاستيلاء على أموال الناس بغير حق ولو بحكم القاضي فقال في الحديث الذي روته السيدة أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**ألا إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع؛ فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار**». والله أعلم.

السؤال ١٣٦٢: على أية طريقة جاء الجواب في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ...﴾؟ [البقرة: ١٨٩].

الجواب: جاء الجواب على طريقة الأسلوب الحكيم، حيث سئل النبي ﷺ: ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا حتى يمتلئ ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا؛ فكان السؤال عن أمور ليست من الدين وقد تكون عن الكون فأجيبوا بأن الواجب أن يسألوا عنه ما فيه بيان لأمور دينهم لأنهم في مبدأ تشريع جديد، فصرف الجواب إلى غير ما يتطلبه السائل تنبيها على أن ما صرف إليه هم المهم له فكان الجواب ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾؛ فأجابهم بأن الحكمة الظاهرة في اختلاف أحوال القمر ومنازله، وتبدل أحواله أن تكون معالم للناس في عبادتهم، ولا

---

(١) زهرة التفاسير (٢/ ٥٦٩). والحديث رواه أحمد في مسنده.

سيما في الحج؛ لأن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء وكذا في معاملاتهم[(١)].

والجواب من إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بصرف السائل إلى غير ما يتطلب؛ تنبيها على أن ما صرف إليه هم الأهم له. والله أعلم.

السؤال ١٣٦٣: لماذا قدم الجار والمجرور على المفعول به قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ ؟ [البقرة: ١٩٠].

الجواب: لإظهار كمال العناية بالجهاد في سبيل الله تعالى والحث عليه. والله علم.

السؤال ١٣٦٤: ما سر العدول عن صيغة المفاعلة إلى الأمر «فاقتلوهم» في قوله تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٩١] **حيث كان الظاهر أن يقال: فإن قاتلوكم فقاتلوهم ؟**

الجواب: عدل عن صيغة الأمر بالمفاعلة إلى صيغة الأمر لبشارة المؤمنين بالغلبة على أعدائهم وكأنه قيل: إن أعداءكم بلغوا من الضعف والهوان والخذلان وعدم النصر بحيث أمرتم بقتلهم. [(٢)]والله أعلم.

السؤال ١٣٦٥: ما نوع الإيجاز في قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ؟

[البقرة: ١٩٢].

الجواب: إيجاز بالحذف، والتقدير: فإن انتهوا عن الشرك وعن قتالكم؛ فكفوا أيديكم عن قتالهم فلا عدوان إلا على الظالمين. والله أعلم

---

(١) الأسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له. ينظر الإيضاح للخطيب القزويني(ص٧٥)، وشروح التلخيص(١/ ٤٧٩)، والمطول (ص١٣٥).

(٢) روح المعاني (٢/ ٧٥- ٧٦) بتصرف.

وفي الحذف إشعار؛ بأن طائفة من أهل الشرك قد تقلع عن قتال المؤمنين وعن الشرك. والله أعلم.

السؤال ١٣٦٦: كيف سمي دفع الظالمين ومناجزتهم عدوانا في قوله تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؟ [البقرة: ١٩٣].

الجواب: تسمية دفع الظالمين في الآية عدوانًا مع أن دفع العدوان عن المظلومين من العدل من باب المشاكلة اللفظية. والله أعلم.

السؤال ١٣٦٧: ما نوع الباء في قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ...﴾؟ [البقرة: ١٩٤].

الجواب: الباء للمقابلة أو العِوَض، أي هذا الشهر بهذا الشهر، وهتكه بهتكه؛ فقد أباح الله تعالى للمؤمنين قتال المشركين في الأشهر الحرم إن انتهكوا حرمتها، فانتهاك شهر حرام بانتهاك شهر حرام؛ لأن الذي ينتهك حرمة الشهر الحرام جزاؤه أن يحرم من الضمانات التي يكفلها له الشهر. والله أعلم.

السؤال ١٣٦٨: لماذا سمي رد الأذى اعتداء في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾؟ [البقرة: ١٩٤].

الجواب: لتقوية عزائم المؤمنين، وتوطينا لهممهم، وهذا من باب المشاكلة اللفظية. والله أعلم.

السؤال ١٣٦٩: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ..﴾؟ [البقرة: ١٩٤].

الجواب: الفاء للسببية. والله أعلم.

السؤال ١٣٧٠: ما سر ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؟ [البقرة: ١٩٤].

الجواب: لأنه لما أباح الله تعالى للمؤمنين الاقتصاص بالمثل وشأن النفس حب المبالغة في الانتقام؛ حذرهم من ذلك فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(١). والله أعلم.

السؤال ١٣٧١: ما سر العدول عن حرف الظرفية إلى حرف الانتهاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾؟ [البقرة: ١٩٥].

الجواب: لتلاؤم حرف الانتهاء مع مقام الآية، وهو التحذير من البخل وعدم إنفاق الأموال في سبيل الله؛ لأن ذلك سيؤدي إلى مصير مؤلم، وتكون تلك الأموال سبب شقاء أصحابها ووقودًا في النار يعذبون بها، ولو قيل: ولا تلقوا بأيديكم في التهلكة؛ لدل على انغماس البخلاء فيها، وعلى إحاطة الهلاك بهم واستقرارهم فيه، وهذا لا يتناسب مع هذا التحذير المبكر في الوقوع في الهلاك والوصول إليه، وحرف الانتهاء «إلى» هو الذي أومأ إلى انحدار هؤلاء البخلاء إلى حافة الهاوية وقرب سقوطهم فيها.(٢) والله أعلم

السؤال ١٣٧٢: ما الغرض من التعبير بـ«إذا» الشرطية التي على تحقق وقوع الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾؟ [البقرة: ١٩٦].

الجواب: لأن الأمن -فعل الشرط- مرغوب فيه. والله اعلم.

---

(١) الفتوحات الإلهية (١/ ١٥٤).

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم (ص٢٩١-٢٩٢).

قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) ﴾ [البقرة ١٩٦ - ٢٠٣].

السؤال ١٣٧٣: أومأت الفاء في قوله تعالى «ففدية» في الآية الكريمة: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ **إلى معطوف عليه محذوف فما تقديره وما سر حذفه ؟**

الجواب: تقدير المحذوف «فحلق» والمعنى: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق ففدية من صيام أو صدقة أو نسك، والدليل أنه لا فدية على الحاج إذا لم يحلق. وقد حذف المعطوف عليه للترغيب في الأخذ برخصة الله تعالى بالحلق، وافتدائه بما ذكره الله تعالى من الصيام أو الطعام أو الذبح. والله أعلم.

السؤال ١٣٧٤: علام يدل الوصف «كاملة» في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾؟ [البقرة: ١٩٦].

الجواب: الحث على صيام الأيام كاملة - بدلًا عن الهَدْي - تامة لا ينقص منها يوم. والله أعلم.

السؤال ١٣٧٥: لم جعل الصيام بدلًا عن الهدي في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾؟ [البقرة: ١٩٦].

الجواب: زيادة في التيسير والرحمة؛ لذا شرع الصوم مفرقًا فجعله عشرة أيام: ثلاثة في أيام الحج وسبعة بعد الرجوع من الحج[1]. والله أعلم.

السؤال ١٣٧٦: ما الغرض من التعبير بإذا الشرطية التي تدل على تحقق وقوع الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾؟ [البقرة: ١٩٦].

الجواب: لأن الأمن -فعل الشرط-؛ مرغوب فيه. والله أعلم

(١) التحرير والتنوير (٢/٢٢٨).

السؤال ١٣٧٧: ما سر العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ؟ [البقرة: ١٩٦].

الجواب: لتربية المهابة ولتفخيم الخبر. والله أعلم.

السؤال ١٣٧٨: لماذا أوثر النفي على النهي في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ ؟ [البقرة: ١٩٧]

الجواب: للمبالغة في النهي؛ ولأنها لنفي الجنس، وللدلالة على أن ذلك حقيق بأن لا يقع، فإذا ما كان منكرًا مستقبحًا في نفسه ففي خلال الحج أقبح[1]. والله أعلم.

السؤال ١٣٧٩: ما الغرض من التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ ؟ [البقرة: ١٩٨].

الجواب: لبيان الحال، أي اذكروه ذكرًا مساويًا لهدايته إياكم في الحسن والكمال. معنى المساواة واضح في الآية، والمهم أن الكاف باقية على معناها في إفادة التشبيه، وليست للتعليل كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين[2].

السؤال ١٣٨٠: كيف جاز عطف الإفاضة الثانية على الإفاضة الأولى بـ«ثم» التي تدل على الترتيب في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٠٨).

(٢) ينظر البحر المحيط (١/ ١٤٤)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٤/ ٣١٠)، وحاشية الأمير على مغني اللبيب (١/ ١٥١).

كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ...﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩]؛ **فكيف ساغ العطف والإفاضة واحدة؟ ألا يعد هذا من عطف الشيء على نفسه؟ ولماذا عطف بـ «ثم» دون الواو؟**

الجواب: الإفاضة لا تكون إلا من عرفة، وساغ العطف بين الإفاضتين؛ لأن الإفاضة المأمور بها أولا غير مقيدة، والإفاضة المأمور بها ثانيًا مقيدة؛ فالمطلوب في الآية إيجاب المساواة بين الناس في الإفاضة؛ حيث كانت قريش تخص نفسها قديمًا بالإفاضة من المزدلفة وبقية الحجيج كانوا يفيضون من عرفات، فكأنه قيل: أفيضوا أيها الحجاج من مكان أفاض منه جنس الناس قديمًا وحديثًا، وهذا هو مسوغ العطف. أما إيثار العطف بـ «ثم» على العطف بالواو؛ فللإشارة إلى التفاوت بين الإفاضتين في الرتبة والمنزلة بأن أحدهما صواب والأخرى خطأ، وعليه فالتراخي في الآية الكريمة ليس في الزمان ولكنه تراخ مجازي عن التفاوت في الرتبة، وهذا سر إيثار العطف بـ «ثم»[1]. والله أعلم.

السؤال ١٣٨١: ما سر ختم آية آخر مناسك الحج بالأمر بالاستغفار في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟ [البقرة: ١٩٩]

الجواب: الاستغفار للخلل الذي قد يكون قد وقع من الحاج في أداء هذه المناسك وتقصيره فيها، وعدم أدائها على الوجه الأكمل، وكذلك الاستغفار من آية شبهة رياء أو سمعة تكون قد علقت بقلب الحاج. والله أعلم.

(١) يراجع حاشية ابن المنير على الكشاف (١/ ١٢٤)، وروح المعاني (٢/ ٨٩).

السؤال ١٣٨٢: ما دلالة «أو» في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾؟ [البقرة: ٢٠٠]

الجواب: أفادت «أو» الإضراب: والمعنى: بل أشد ذكرًا، فقد كانت من عادة العرب إذا قضت حجها تقف عند الجمرة فتفاخر بالآباء وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك؛ فنزلت الآية الكريمة؛ ليلزموا أنفسهم ذكر الله تعالى أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية[1]؛ فالله تعالى طالبهم بأن يذكروه كما يذكرون آباءهم، ثم يترقى في معاني طلب التقرب منه فيطالبهم أن يكونوا أشد ذكرًا له من آبائهم. عرفت إذن أن «أو» في الآية الكريمة أفادت الإضراب والترقي. والله أعلم.

السؤال ١٣٨٣: ما الغرض من تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾؟ [البقرة: ٢٠٠]

الجواب: نزل الفعل «آتنا» منزلة اللازم بحذف المفعول؛ للدلالة إلى أن همة الصنف المذكور في الآية وشغله منصبان على مطالب الدنيا ومقصورة عليها وأنه ليس له حظ في الآخرة. والله أعلم.

السؤال ١٣٨٤: لم زيد في الدعاء ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾؟ [البقرة: ٢٠١]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٣١).

الجواب: «لأن حصول الحسنة في الآخرة قد يكون بعد عذاب ما فأريد التصريح في الدعاء بطلب الوقاية من النار»[1]. والله أعلم.

السؤال ١٣٨٥: ما مرجع اسم الإشارة؟ وما سر تعريف المسند إليه به في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؟ [البقرة: ٢٠٢].

الجواب: إلى الفريق الثاني الداعي بالحسنيين. وفي تعريف المسند إليه باسم الإشارة تنبيه على أن اتصافهم بما بعد اسم الإشارة شيء استحقوه لأجل إيمانهم بالآخرة. وفي الإشارة بالبعيد إيماء إلى علو منزلتهم، وسمو درجتهم عند ربهم. والله أعلم.

السؤال ١٣٨٦: ما دلالة التنكير في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؟ [البقرة: ٢٠٢]

الجواب: التفخيم أي ثواب أو حظ عظيم من الخير. والله أعلم.

السؤال ١٣٨٧: بم أوحى حرف «الفاء» في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؟ [البقرة: ٢٠٣].

الجواب: المسارعة بالإعلان عن الرخصة في التعجل في النفر عن منى تيسيرًا ورحمة. والله أعلم.

السؤال ١٣٨٨: لم قيد للرجوع إلى الأوطان بيومين في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؟ [البقرة: ٢٠٣].

الجواب: للإعلان بأن من أدركه غروب اليوم الثاني بمنى وهو مقيم لزمه مبيت

---

(١) التحرير والتنوير (٢/٢٤٨).

الليلة الثالثة، ورمي اليوم الثالث، فإن نفر قبل غروبه سقط عنه المبيت والرمي. والله أعلم.

السؤال ١٣٨٩: لماذا لم يقيد التأخر في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾؟ [البقرة: ٢٠٣].

الجواب: لأن نهاية التأخر باليوم الثالث معروفة من الأيام ثلاثة [١]. والله أعلم.

السؤال ١٣٩٠: لم ورد التصريح بنفي الإثم عمن أخذ بالأفضل أي بالعزيمة بالمبيت بمنى ثلاثة أيام، والرمي حتى اليوم الثالث في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]؛ **فهذا اللفظ إنما يقال في حق المقصر وليس فيمن أتى بتمام العمل؟**

الجواب: للرد على أن أهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين، فالمتعجل منهم كان يعيب على المتأخر، ويرى أن التأخير مخالفة لسنة الحج والأخذ بالرخصة، والمتأخر يرى أن التعجيل مخالفة للأفضل وهو الأخذ بالعزيمة؛ فبين الله تعالى أنه لا عيب في واحد منهما ولا إثم [٢]. والله أعلم.

(١) نظم الدرر (١/ ٣٨٢).

(٢) يراجع مفاتيح الغيب(٢/ ٢٢٤)، وروح المعاني (٢/ ٩٤).

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٧]

السؤال ١٣٩١: ما المقصود بالقول في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾؟ [البقرة: ٢٠٤]

الجواب: المقصود القول الدال على حبه للرسول ﷺ وعلى الإيمان به بدليل قوله تعالى: ﴿ وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾؛ لأن ذلك هو الذي يهم الرسول ﷺ ويعجبه، وليس المراد كما ذهب بعض المفسرين فصاحة قوله وبلاغته؛ إذ لا غرض في ذلك. والله أعلم.

السؤال ١٣٩٢: بم يوحي الفعل «سعى» في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا ... ﴾؟ [البقرة: ٢٠٥]

الجواب: يوحي بإسراعه في الخراب وبذل الجهد في إيقاع الفتنة. والله أعلم.

السؤال ١٣٩٣: علام يشير القيد ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا ... ﴾؟ [البقرة: ٢٠٥]

الجواب: يشير إلى كثرة فساده -الأخنس بن شريق أحد المنافقين والذي نزلت فيه الآية- بفعله، وقوله حتى كأنه فساد يعم الأرض كلها. والله أعلم.

السؤال ١٣٩٤: ما نوع العطف في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾؟ [البقرة: ٢٠٥]

الجواب: عطف إهلاك الحرث والنسل على الإفساد في الأرض من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الفساد يشمل سفك الدماء، ونهب الأموال، وفي العطف إشارة إلى فظاعة هذا النوع من الفساد. والله أعلم

السؤال ١٣٩٥: ما نوع الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ...﴾؟ [البقرة: ٢٠٦]

الجواب: في الجملة استعارة تبعية؛ حيث استعير الأخذ للحمل، فقد شبه حال هذا المنافق وحمل حمية الجاهلية إياه وإغرائها له على الإثم بحالة شخص له على غريمه حق فيأخذه به ويلزمه إياه.

تلك أهم الملامح النفسية لشخصية هذا المنافق الذي ينكر أن يقال له: اتق الله، فتحمله العزة بالإثم فيستعز بالإجرام والذنب، ويرفع رأسه في وجه الحق الذي يذكر به، وأمام الله تعالى بلا حياء منه، وهو الذي كان يشهد الله على ما في قلبه، ويتظاهر بالخير والإيمان والاستحياء ! إنه التناقص والكذب. أفرأيت تلك الملامح النفسية المجردة كيف استحالت نموذجًا حيًا يتحرك ؟! إنه التصوير القرآني في المعجز [1]. والله أعلم

السؤال ١٣٩٦: ما الدلالة الإيحائية في قوله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾؟ [البقرة: ٢٠٦]

---

(١) يراجع حاشية الشهاب (١/ ٢٩٦)، وفي ظلال القرآن (١/ ٢٠٤).

الجواب: فيها سخرية شديدة، حيث جعل مهاد هذا المنافق المتكبر -المهاد جمع المهد وهو الموضع المهيأ للنوم- جهنم، فما أقسى من كان مهاده جهنم بعد الكِبْر والتعالي والزهو والاغترار؛ فالجملة القرآنية بمثابة لطمة قاسية على وجه هذا المنافق المفسد المتغطرس ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ تكفيه جهنم التي وقودها الناس والحجارة جزاء وفاقًا. والله أعلم.

السؤال ١٣٩٧: ما سر إيثار ﴿جَهَنَّمُ﴾ من أسماء النار في قوله وتعالى: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ؟ [البقرة: ٢٠٦]

الجواب: لأن هذا الاسم منبئ عن الجهامة؛ أي الاستقبال بوجه كريه لهذا المنافق المفسد الذي كان يستقبل أي نصيحة أو تذكرة أو دعوة له بالكف عن الإفساد بوجه مكفهر متجهم، وأنف متعال. والله أعلم.

السؤال ١٣٩٨: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ؟ [البقرة: ٢٠٧]

الجواب: استعارة تبعية حيث شبه بذل صهيب الرومي رضي الله عنه الذي نزلت فيه الآية، نفسه وماله في سبيل الله تعالى بالبيع؛ فصار كالبائع والله تعالى المشتري كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، والثمن هو رضا الله تعالى وثوابه المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، تأمل كيف صور هذا المعنى الذهني المجرد في صورة محسوسة بصرية؛ فالبائع يبيع نفسه كلها ويسلمها كلها لا يستبقي منها بقية، بيعة تامة كاملة لا تردد فيها ولا استبقاء بقية لغير الله تعالى. وانظر إلى رأفة الله تعالى وكرمه بعباده فأنفس عباده وأموالهم ملكه -سبحانه- ثم إنه تعالى يشتري ملكه بملكه جودًا منه -سبحانه- وفضلاً ورحمة وإحسانًا. والله أعلم.

السؤال ١٣٩٩: ما الغرض من العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿...ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] **حيث كان الظاهر أن يقال: وهو أو إنه رؤوف بالعباد ؟**

الجواب: لتفخيم الخبر الوارد، وللإشعار باستقلال التذييل عما قبله. والله أعلم.

السؤال ١٤٠٠: لم قيل: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ **ولم يقل: والله رؤوف بهم ؟ وما نوع أل في** ﴿بِٱلۡعِبَادِ﴾ **؟**

الجواب: الإظهار في موضع الإضمار للدلالة على عموم رأفة الله تعالى بعباده، حيث أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ومن عباده من تناله رحمته ورأفته -سبحانه- في الدنيا والآخرة وهم المؤمنون الصادقون، ومنهم من تناله رأفته في الدنيا فقط وهم الكافرون، فقد فتح عليهم الدنيا وأعطاهم العافية والرزق. وبناء عليه فأل في «العباد» للاستغراق؛ لأنه سبحانه رؤوف بجميع عباده، وهم متفاوتون في مقدار نيلها وزمنها ومكانها[١]. والله أعلم بمراده.

---

(١) يراجع التحرير والتنوير (٢/٢٧٣).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠ ﴾ [البقرة: ٢٠٨ - ٢١٠]

السؤال ١٤٠١: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ ؟ [البقرة: ٢٠٨]

الجواب: الثبات والدوام، والمعنى: اثبتوا على الإسلام وداوموا على الاستسلام والانقياد لله تعالى. والله أعلم.

السؤال ١٤٠٢: ما سر تعدي فعل الدخول بحرف الظرفية وإيثاره على حرف الانتهاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ حيث كان الظاهر أن يقال: ادخلوا إلى السلم ؟

الجواب: لو قيل: ادخلوا إلى السلم؛ لأدى إلى التناقض لأن التقدير يصير: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا إلى الإسلام، وهم داخلون إليه أصلا وهذا غير جائز لمخالفته للواقع، أما حرف الظرفية فأشار إلى حثهم على وجوب المزيد من الارتقاء في سلم الإيمان بالانقياد المطلق لمنهج الله تعالى، وهذا المعنى لا يؤديه حرف الانتهاء. والله أعلم.

السؤال ١٤٠٣: لم علّق الشرط بإنْ التي تدل على الشك في قوله تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ؟ [البقرة: ٢٠٩]

الجواب: للحث والتهييج أو قل الإغراء بالثبات على منهج الله، وأن حيدة الجماعة المسلمة وعدولها وتنحيها عن طريق الاستقامة أمر مستبعد بعد أن ذاقت حلاوة الإيمان بانقيادها واستسلامها لأمر الله وتدرجها في مدارج الإيمان. والله أعلم.

السؤال ١٤٠٤: لماذا لم تختم الآية الكريمة بصفتي المغفرة والرحمة كما يوحي ظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ؟ [البقرة: ٢٠٩].

الجواب: لأن المقام للتهديد والوعيد، ولو قيل: فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم؛ لكان في هذا إغراء على الزلل، وهذا لا يعقل؛ لذا كان من الملائم ختم الآية الكريمة بقوله: ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾؛ ففيه تلويح بالقدرة والغلبة وتذكير بأنه -سبحانه- ﴿ حَكِيمٌ ﴾ لا يعذب إلا بحق. والله أعلم.

السؤال ١٤٠٥: علام يرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٠].

الجواب: إلى المشركين والكفار. والله أعلم

السؤال ١٤٠٦: ما الغرض من النفي في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٠]

الجواب: النفي، أي ما ينتظرون إلا أن يأتيهم أمر الله وعذابه بعد أن كذبوا وجحدوا ومالوا عن الحق إلى الباطل ومن الإيمان إلى الكفر. والله أعلم

السؤال ١٤٠٧: ما سر إيثار ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ **على «ينتظرون» في قوله تعالى:** ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ ؟

[البقرة: ٢١٠]

الجواب: لأن الانتظار ترقب ذهني، والنظر رؤية بالبصر، وسره البلاغي أن يوم

القيامة لورود الأخبار الصادقة به كأنه ماثل أمامهم ينظرون إليه بأبصارهم الآن [١]. والله أعلم.

السؤال ١٤٠٨: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ؟

[البقرة: ٢١٠]

الجواب: المقصود أمر الله أي عذابه وقهره، والمعنى: ما ينظرون إلا أن يأتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام؛ ففي العبارة إيجاز بالحذف، وسره البلاغي المبالغة في الوعيد والتهديد والزجر، وقذف الهلع في قلوب الكفار. والله أعلى وأعلم.

السؤال ١٤٠٩: ما الحكمة من إتيان أهل الكفر العذاب في الغمام كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ ؟

[البقرة: ٢١٠]

الجواب: لأن الغمام مظنة الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع؛ لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أهول وأفظع، كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يستحب كان أشد تأثيرًا في السرور؛ فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ؟[٢] والله أعلم.

السؤال ١٤١٠: كيف قيل: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي تم أمر إهلاك المكذبين وفرغ من الفصل بين العباد، وهذا لم يقع بعد ؟

الجواب: هذا من باب التعبير بالماضي عن المضارع؛ بتنزيل قضاء الأمر في المستقبل بقضائه في الماضي دلالة على تحقق وقوعه حتى لكأنه قد وقع ويخبر عنه. والله أعلم.

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم (١/ ١٢٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٢/ ٢٥٤).

قال تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١١-٢١٣]

السؤال ١٤١١: ما المقصود بالسؤال في قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ ...﴾؟ [البقرة: ٢١١]

الجواب: المقصود بالسؤال سؤال تقرير وتقريع وتوبيخ، والمعنى: سل يا محمد ﷺ الحاضرين من اليهود كم آتينا أسلافهم من حجة قاطعة بصدق نبيهم موسى عليه السلام فيما جاءهم به، ثم جحودهم بها !!

السؤال ١٤١٢: ما مغزى قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ فإن تبديل أي تحريف آيات الله -نعمه- وتأويلها تأويلا زائغا أو جعلها سببا للضلالة منبوذ أصلا ومذموم فما فائدة ذكر هذا القيد ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ في الآية الكريمة؟

الجواب: في هذا القيد زيادة توبيخ لهم وتشنيع عليهم وتأكيد على استحقاقهم العذاب؛ لأنهم حرفوا آيات الله تعالى بعد ما عقلوها وتمكنوا من مشاهدتها ومعرفتها معرفة جلية واضحة مفصلة فكان أحرى بهم أن يشكروا لا أن يجحدوا وأن يؤمنوا لا أن يكفروا، وهكذا عرفت فائدة ذكر هذه العبارة التي دلت على عظيم مخالفتهم. والله أعلم.

السؤال ١٤١٣: لماذا أخرج الكلام مخرج العموم مع أن الحديث عن بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؟ [البقرة: ٢١١].

الجواب: لبيان عدالة الحق -سبحانه وتعالى-، وأنه لا يعاقب بني إسرائيل على مخالفتهم لأنهم بنو إسرائيل؛ بل هي سنة الله في كل من يقترف هذا الإثم العظيم ويتجاسر على فعل هذا التبديل.(١) والله أعلم.

السؤال ١٤١٤: بم أشعر إضافة النعمة إلى الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾؟ [البقرة: ٢١١].

الجواب: لتعظيم النعمة، ولزيادة التشنيع عن من يكفر بها. والله أعلم.

السؤال ١٤١٥: ما سر التعبير بفعل المجيء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؟ [البقرة: ٢١١].

الجواب: لأن المجيء مجيء فيه ظهور وقوة، وهذا ناسب مقام الآية حيث الحديث عن مجيء الآيات الباهرات بما فيها من إظهار الحجة والإلجاء إلى الإيمان، وهذا يتناسب مع معاني مادة المجيء كما سبق القول فيه بالتفصيل. والله أعلم.(٢)

---

(١) يراجع التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم(١/ ١٢٢) د. عبد العظيم إبراهيم المطعني.

(٢) يقال: جاءني فجئته أي غلبني بكثرة المجيء فغلبته ويقال: أجاءه إلى الشيء أي جاء به وألجأه واضطره إليه. ينظر مقاييس اللغة (١/٤٩٧) والأفعال للسرقسطي (٢/٢٧٣)، والأفعال لابن القطاع (١/١٨٢).

السؤال ١٤١٦: لماذا عدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١] **حيث كان ظاهر السياق أن يقال: ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنه شديد العقاب؟**

الجواب: لقذف الهلع في قلوب المبدلين لآيات الله تعالى، «ولتكون هذه الجملة كالكلام الجامع مستقلا بنفسه؛ لأنها بمنزلة المثل»(١) والله أعلم.

السؤال ١٤١٧: ما الغرض من حذف فاعل التزيين ببناء الفعل للمفعول في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ...﴾؟ [البقرة: ٢١٢]

الجواب: لأن المزين لهم أمور كثيرة منها: خلق بعض الأشياء حسنة بديعة كمحاسن الذوات والمناظر، ومنها إلقاء حسن بعض الأشياء في نفوسهم وهي غير حسنة كقتل النفس ومنها وسوسة الشيطان لهم ومنها ما يعود إلى سوء جبلتهم وفساد طباعهم؛ لذا طوى ذكر الفاعل تجنبا للإطالة.(٢) والله أعلم.

السؤال ١٤١٨: ما دلالة التعبير بالمضارع عن الماضي في قوله سبحانه: ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؟ [البقرة: ٢١٢].

الجواب: للإشارة إلى تمادي الكفار من السخرية من فقراء المؤمنين واستمرارهم على ذلك وإصرارهم عليه. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٢٩٣).

(٢) يراجع التحرير والتنوير (٢/ ٢٩٤).

السؤال ١٤١٩: ما نوع «من» وما دلالتها في قوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ؟ [البقرة: ٢١٢].

الجواب: «من» ابتدائية، وفيها إشعار بأن الكفار جعلوا المؤمنين؛ لفقرهم ورثاثة حالهم مبدأ السخرية ومنشأ لها والله أعلم(١).

السؤال ١٤٢٠: ما سر العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢]، **حيث كان الظاهر أن يقال: ويسخرون من الذين آمنوا وهم فوقهم يوم القيامة؟**

الجواب: للاحتراس، حتى لا يتوهم الكفار أن الضمير يعود إليهم وأن هذا حكم إلهي لهم بالوفقية على المؤمنين يوم القيامة؛ لذا عدل إلى الإظهار دفعا لأية شائبة أو شبهة يتعلق بها الكفار في تخصيص هذا الخبر بهم. والله أعلم.

السؤال ١٤٢١: لم عبر عن المؤمنين بـ«الذين اتقوا» في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٢].

الجواب: للإشعار بأن استعلاء المؤمنين على الكفار يوم القيامة بسبب التقوى، وفي ذلك حث وتحريض لهم للاتصاف بها. والله أعلم.

السؤال ١٤٢٢: ما نوع الفوقية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟ [البقرة: ٢١٢].

الجواب: فوقية مجازية والمراد بها الدرجة والكرامة، وهذا هو الميزان الحق والعدل

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (١/ ٢١٤).

لا الميزان الذي يزن به الكافرون القيم؛ لأن ميزانهم ميزان الأرض ميزان الكفر ميزان الجاهلية، أما الميزان الحق فهو في يد أحكم الحاكمين سبحانه. ألا فليمض أهل الإيمان والتقوى في طريقهم لا يحفلون سفاهة السفهاء، وسخرية الساخرين، وقيم الكافرين[١].

السؤال ١٤٢٣: ما دلالة التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٢].

الجواب: لدوام مضمونها وثباته وعدم تغير هذا الحكم الإلهي العظيم. والله أعلم.

السؤال ١٤٢٤: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ؟ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: المقصود أن الناس كانوا على دين واحد هو الحق والتوحيد. والله أعلم.

السؤال ١٤٢٥: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: الفاء الفصيحة، وأنبأت عن كلام محذوف تقديره: فاختلفوا فبعث الله النبيين، وقد أومأ هذا الحذف إلى سرعة اختلاف الناس وتفرقهم عن الاجتماع على دين واحد جامع لهم لأجل هذا الاختلاف. والله أعلم.

السؤال ١٤٢٦: ما سر تعدية الفعل «أنزل» بكلمة المصاحبة في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: ليشمل من أنزل عليه كتاب من النبيين، ومن لم ينزل عليه كتاب منهم

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٢١٤) بتصرف.

حيث كان كل واحد منهم يأخذ الأحكام من كتاب يخصه أو من كتاب أنزل على نبي قبله.[1] كما أن في التعبير بـ «مع»؛ إشارة إلى مصاحبة الحق والهدى والرشاد لكتب الله تعالى وأن تلك الأوصاف لا تنفك عنها. والله أعلم.

السؤال ١٤٢٧: من الثابت أن الله تعالى أنزل كتبا كثيرة على بعض أنبيائه ورسله فما سر العدول عن الجمع إلى الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: لاتفاق تلك الكتب على أصل واحد ألا وهو التوحيد فصارت بمثابة كتاب واحد، وللإشعار بأن من يكفر بكتاب واحد من هذه الكتب السماوية التي مصدرها واحد؛ فكأنما كفر بكل تلك الكتب. والله أعلم.

السؤال ١٤٢٨: كيف جاز إسناد الحكم إلى الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: هذا من باب المجاز العقلي، وفيه إشارة إلى وجوب الرجوع إليه عند كل اختلاف وإلى وجوب تنحية الأهواء في فهم الكتاب، وتأويله تأويلا يتفق ورغبات الناس. أضف إلى ما دل عليه هذا الإسناد المجازي من المبالغة في وجوب الالتزام بحكم ما أنزل الله تعالى في كتابه؛ فالكتاب ذاته هو الذي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، وفي ذلك أيضا نداء للحاكمين بالكتاب بوجوب الالتزام بحكمه. والله أعلم.

السؤال ١٤٢٩: لماذا عبر عن الإنزال بالإتياء في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٣].

---

(١) انظر تفسير البيضاوي (١/ ١٦)، وروح المعاني (٢/ ١٠١)، والتحرير والتنوير (٢/ ٣٠٧).

الجواب: للتنبيه على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في الكتاب من الحق وتقليب فكرهم فيه، والتعبير بالإنزال لا يدل على هذا المعنى[١]، وفيه من توبيخهم ما فيه. والله أعلم.

السؤال ١٤٣٠: علام يدل المفعول لأجله «بغيا» في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾؟ [البقرة ٢١٣].

الجواب: فيه دلالة على سفاهة عقولهم، وسوء تقديرهم؛ لأن اختلافهم ما له من مقصد ولا غاية إلا الحسد والظلم. وفيه إشارة كذلك إلى تأصل هذا البغي فيهم وتمكنهم في ذلك، وبلوغهم الغاية القصوى فيه. والله أعلم.

السؤال ١٤٣١: ما دلالة التعبير بالظرف في قوله تعالى: ﴿بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾؟ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: فيه زيادة تبكيت لهم؛ لأن الحسد كان متأصلا في نفس الأمة فيما بين أفرادها وليس حسدا لأعدائها أو ظلما، فالحسد ينهش في جسدها هي لا في جسد عدوها وهذا أدعى للتسفيه والتوبيخ.[٢] والله أعلم.

السؤال ١٤٣٢: ما نوع الفاء في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾؟ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: الفاء فاء الفصيحة أفصحت عن محذوف تقديره: إذا كان هذا شأن الظالمين فقد هدى الله الذين آمنوا. وقد أنبأت الفاء عن سرعة هداية الله تعالى لعباده

(١) روح المعاني (٢/ ١٠٢).

(٢) ينظر التحرير والتنوير (٢/ ٣١٠).

المؤمنين وعدم إهماله لهم وتركهم في ساحات الاختلاف والبغي كرامة لهم وحبا.والله أعلم

السؤال ١٤٣٣: علام عطف قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؟ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: عطف على قوله «اختلفوا»، ومما لا شك فيه أن أزمانا متطاولة فصلت بين اختلاف الناس وهداية الذين آمنوا؛ فأومأت الفاء إلى الدلالة على دوام الاختلاف واستمراره إلى الوقت الذي هدى الله فيه المسلمون إلى الحق؛ ففي التعبير بالفاء إشارة إلى أن هذا الخلاف قد طال واستمر بين أهل الكتاب حتى جاء الإسلام؛ فهدى الله المؤمنين إلى الحق فيما ظل أهل الكتاب مختلفين فيما بينهم والله أعلم.

السؤال ١٤٣٤: ما سر التعبير باسم الموصول عن المؤمنين في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٣].

الجواب: للتوصل عن طريق صلة الموصول إلى سبب هدايتهم للحق وهو الإيمان. والله أعلم بمراده.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة ٢١٤-٢١٨]

السؤال ١٤٣٥: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ... ﴾؟

[البقرة: ٢١٤]

الجواب: أولًا: الخطاب في الآية الكريمة للرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، والرسالة المراد توصيلها لهم جميعًا هي تهيئة الأمة وإعدادها لتحمل المشاق وعدم التبرم من الصعاب، والصبر على الابتلاءات في سبيل الله تعالى؛ لأن تلك سنة الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتغير؛ فالجنة التي يرجون دخولها سلعة غالية وثمنها لا بد أن يكون غاليًا فلا بد من الإعداد والامتحان والتمحيص. وعليه فالغرض من الاستفهام المجازي في قوله

تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾ هو الإنكار أي إنكار أن يظن المؤمنون أنهم سيدخلون الجنة بلا ابتلاء أو امتحان وصبر وجهاد في سبيل الله تعالى.

و«أم» في الآية الكريمة منقطعة بمعنى «بل» والهمزة. و«بل» للانتقال من إخبار إلى إخبار، والاستفهام لإنكار الواقع، أي ما كان ينبغي لكم أيها الصفوة من المؤمنين أن تحسبوا أنكم ستدخلون الجنة بلا ابتلاءات شديدة. والمقصود تثبيتهم في مواجهة المحن، وإغراؤهم بالصبر وحثهم عليه، وتهيئتهم نفسيًا لما سيلحق بهم من أذى من المشركين بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ... ﴾ أي ولم تبتلوا بعد بشيء مما ابتلي به السابقون. والله أعلم.

السؤال ١٤٣٦: لم فصلت جملة ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ... ﴾ [البقرة: ٢١٤] عما قبلها ؟

الجواب: لشبه كمال الاتصال، حيث وقعت جوابًا عن سؤال أفادته الجملة السابقة تقديره: ما حال أو ما شأن الذين من قبلهم ؟ والله أعلم.

السؤال ١٤٣٧: ما دلالة التعبير بالمَثَل في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٤]

الجواب: الدلالة على شدة صنوف الابتلاءات التي حلَّت بهم وكثرتها؛ بحيث صار يضرب بها المثل في الشدة والفظاعة والغرابة، وهذا ما يُفْهم من مدلول كلمة «المَثَل»، وهو الحالة العجيبة الغريبة التي صارت مثلاً لشدة غرابتها. والله أعلم.

السؤال ١٤٣٨: ما نوع الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ... ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٤]

الجواب: إما أن تكون استعارة مكنية بتشبيه الابتلاءات الشديدة «البأساء والضراء» بالنار في

شدة الإيلام. وإما أن تكون استعارة تصريحية تبعية بتشبيه الألم الناتج عن الابتلاء الشديد بالمس بجامع شدة الإحساس في كل، وعليه فالاستعارة تكون في الفعل «مَسَّ»، أما التقدير الأول فتكون الاستعارة في التركيب.

وعلى كل فالتصوير البياني في الآية الكريمة أبرز في صورة محسوسة مشاهدة هذا الإحساس المعنوي، وهذا له تأثيره الشديد في إحساس القارئ بالمعنى والتفاعل معه. والله أعلم.

السؤال ١٤٣٩: ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟ [البقرة: ٢١٤]

الجواب: لاستبطاء النصر، وهذا الاستفهام يطوي وراءه إحساسًا شديدًا باستطالة زمن تلك الابتلاءات التي بلغت حدًا من الفظاعة والهول والغاية في الشدة -كما تنبئ عنه كلمة الغاية «حتى»- أن يقول الرسل، وهم أثبت الناس صبرًا، وأضبطهم نفسًا، ويأتي من بعدهم أتباعهم بعد أن بلغ بهم الجهد والمشقة والشدة في البلاء حدًا لم يستبق معه شيئًا من انتظار النصر؛ فقالوا مستبطئين متمنين النصر بكشف الابتلاءات: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟

هذا الإحساس الفياض بمدى المعاناة القاسية والتمحيص الشديد، والتأهيل البليغ للصفوة من عباد الله تعالى نقله إلينا هذا الاستفهام المصور: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟ والله أعلم.

السؤال ١٤٤٠: لماذا أوثر التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾؟ [البقرة: ٢١٤]

الجواب: للدلالة على تحقق مضمونها. والله أعلم

السؤال ١٤٤١: ما سر التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ ...﴾؟ [البقرة: ٢١٥]

الجواب: للدلالة على أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يُلِحُّون عليه ﷺ في السؤال عن أمور دينهم ودنياهم، ولاستحضار صورة الحدث وكأنه يجري الآن. والله أعلم.

السؤال ١٤٤٢: ما الغرض من التعبير بالمصدر «كُرْها» عن المفعول «مكروه» في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾؟

[البقرة: ٢١٦]

الجواب: المبالغة في شدة الكره، وتمكن الوصف من المخبر عنه أي من المخاطبين، فالقتال كريه للنفوس، ومكروه للطباع؛ لما فيه من مشقة وبذل للنفس والمال. والله أعلم.

السؤال ١٤٤٣: ما وجه ارتباط جملة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ ...﴾ [البقرة: ٢١٦] **بما قبلها؟**

الجواب: لدفع الاستغراب الناشئ عن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾؛ لأنه إذا كان مكروهًا فكان من المتبادر ألا يكتبه الله على المسلمين رحمة بهم؛ فجيء بهذا التذييل ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ ...﴾ دفعًا لذلك الاستغراب(١). والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٢١) بتصرف يسير.

السؤال١٤٤٤: ما سر تنكير «قتال» في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾؟ [البقرة: ٢١٧]

الجواب: لأن سؤالهم لم يكن عن القتال المعهود، ولكن كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام. والله اعلم.

السؤال ١٤٤٥: لم أضيف«الدين» إلى ضمير المخاطبين -المسلمين- في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾؟ [البقرة: ٢١٧]

الجواب: لإلهاب نفوسهم للثبات على دينهم. والله أعلم.

السؤال ١٤٤٦: ما الغرض من تعليق الشرط «بإن» في قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾؟ [البقرة: ٢١٧]

الجواب: للإشارة إلى رسوخ قدم المخاطبين في الدين، وإلى استبعاد نجاح أعدائهم في أن يردوهم عن دينهم. والله أعلم.

السؤال ١٤٤٧: ما سر ترتيب النظم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾؟ [البقرة: ٢١٧]

الجواب: كان الظاهر أن يقال: وصَدٌّ عن سبيل الله وكفر به وصد عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله، ولكن خولف مقتضى هذا الظاهر إلى ما عليه نظم الآية الكريمة؛ لقصد الاهتمام بتقديم ما هو أفظع، فإن الكفر بالله تعالى أفظع من الصد عن المسجد الحرام؛ فكان ترتيب النظم على تقدير الأهم فالأهم.

وقد كان المشركون قد عيروا المؤمنين بأنهم قَتلوا أو قاتلوا في الأشهر الحرم مع أنهم كانوا معذورين لجهلهم بالميقات أو لدفع الضرر عن أنفسهم؛ بمبادرة عدوهم قبل أن يقتلهم، فرد الله قول المشركين وتعييرهم بقوله: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ بالموافقة أي أن القتال في الأشهر الحرم كبير وذنب عظيم، ولكن أشد منه في الذنب والإثم ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾. والله أعلم.

السؤال ١٤٤٨: علام يدل تكرار الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ...﴾ ؟

[البقرة: ٢١٨]

الجواب: لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٩ - ٢٢٣]

السؤال ١٤٤٩: لماذا قدم الخمر على الميسر في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٩]

الجواب: لأنها أشد ضررًا، وأخبث شرًا من الميسر؛ حيث فيها إتلاف للعقل، وإتلاف للمال. والله أعلم.

السؤال ١٤٥٠: لِمَ قدم الإثم على المنافع في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ ؟ [البقرة: ٢١٩]

الجواب: لتأصل الإثم وتحققه فيها قطعًا، أما المنافع فهي على حَسْب اعتقادهم، ولا أصل لها شرعًا. والآية كانت تمهيدًا لتحريم الخمر، حيث إنها لم تحرم مرة واحدة

لإلف المخاطبين عليهم، وإنما كان التحريم تدريجيًا -وهذا من عظمة الشرع- حتى نزل تحريمها صراحة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة ٩٠ - ٩١] والله أعلم

السؤال ١٤٥١: ما سر التعبير عن الذنب بالإثم في قوله تعالى: ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾؟ [البقرة: ٢١٩]

الجواب: للإشارة إلى لحوق العقوبة بمتعاطي الخمر وبالمقامر في الدنيا والآخرة[١]. والله أعلم.

السؤال ١٤٥٢: ما دلالة وصف الإثم بأنه كبير في قوله تعالى: ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾؟ [البقرة: ٢١٩]

الجواب: لتفظيع الإثم وتهويل شأنه، وللتنفير منه. والله أعلم.

السؤال ١٤٥٣: علام يدل ترك وصف منافع الخمر والميسر في قوله تعالى: ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾؟ [البقرة: ٢١٩]

الجواب: يدل على حقارة تلك المنافع والتزهيد فيها. والله أعلم.

السؤال ١٤٥٤: لم قيل: ﴿إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾ ولم يقل: إصلاحهم خير، في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾؟ [البقرة: ٢٢٠]

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٤٤) بتصرف

الجواب: للدلالة على أن القصد عموم الإصلاح لا خصوصه؛ فيشمل بذلك كل إصلاح ينفع اليتامى سواء أكان في ذواتهم أوفي أخلاقهم أو أموالهم أو غير ذلك. والله أعلم.

السؤال ١٤٥٥: ما دلالة صيغة ﴿وَلَا تَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ بفتح التاء في ﴿تَنكِحُوا﴾ وما دلالتها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ٢٢١] **بضم التاء في ﴿تُنكِحُوا﴾؟**

الجواب: استدل بها جمهور الفقهاء على أن المرأة لا تباشر عقد زواجها بنفسها، وأنه لابد من اشتراط الولي، وقد خالف في ذلك أبو حنيفة.

وقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا﴾ بفتح التاء للدلالة على العقد للنفس، والثاني بضم التاء ﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾؛ للدلالة على العقد للغير، وذكر هذا في مقام تزويج الأنثى دلالة على أنها لا يجوز لها مباشرة عقد الزواج بنفسها دون ولي. والله أعلم.

السؤال ١٤٥٦: لم أثبت وصف الإيمان ووصف الشرك في قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] **وفي قوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾؟** [البقرة: ٢٢١].

الجواب: أثبت وصف الإيمان في الموضعين؛ لأنه موضع التشريف، وأثبت الوصف بالشرك في الموضعين؛لأنه موطن التحقير والتحريم. والآية الكريمة تؤسس لنظام الأسرة في الإسلام القائم على أساس الفطرة النقية السوية. وأوضحت الآية الروابط المتينة التي ينبغي أن تقوم عليها الأسرة المسلمة؛ ألا وهي رابطة الدين فحرمت نكاح المشركات حتى

يؤمن وإنكاح المشركين حتى يؤمنوا، وأثبتت الآية فضل التدين والإيمان على الكفر والشرك، وشرف القلب على شرف النسب. والله أعلم

السؤال ١٤٥٧: ما وجه ارتباط جملة ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] بما قبله في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾؟ [البقرة: ٢٢٢].

الجواب: لتأكيد حكم وجوب اعتزال النساء وهن حيض، وتنبيها على أن المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن كما كان عند اليهود. والله أعلم(١).

السؤال ١٤٥٨: ما سر تكرار الفعل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾؟ [البقرة: ٢٢٢].

الجواب: لإظهار العناية بأمر التطهر والتأكيد على أهميته. والله أعلم.

السؤال ١٤٥٩: ما الغرض البلاغي للأمر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾؟ [البقرة: ٢٢٢].

الجواب: لإباحة المباشرة بعد التطهر. والله أعلم.

السؤال ١٤٦٠: بم يوحي تصدير الشرط بـ«إذا» في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾؟ [البقرة: ٢٢٢].

الجواب: يوحي بوجوب التأكد من تطهر النساء بعد الحيض، وتحقق ذلك قبل إتيانهن. والله أعلم.

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (١/ ٢٢٢).

السؤال ١٤٦١: جاء السؤال بـ«يسألونك» ثلاث مرات بغير واو في سياق الآية السابقة وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، **وجاء السؤال بـ«يسألونك» ثلاث مرات بالواو في قوله سبحانه:** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] **فما تعليل ذلك ؟**

الجواب: سبب التغاير أن السؤال عن الحوادث الأُوَل وقع متفرقا؛ لذا ترك العطف بالواو، والسؤال عن الحوادث الأخر وقع في وقت واحد؛ فجيء بالواو التي لمطلق الجمع للدلالة على ذلك. والله أعلم.(١)

السؤال ١٤٦٢: لم شبهت النساء بالحرث في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ ...﴾ ؟ [البقرة: ٢٢٣].

الجواب: شبهت النساء بالحرث لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور والتشبيه بليغ. والله أعلم.(٢)

السؤال ١٤٦٣: ما وجه صلة جملة ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ بما قبلها ؟ وما سبب فصلها ؟

الجواب: جاءت بيانا وتوضيحا لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ لذا فصلت عما قبلها. والله أعلم.

---

(١) ينظر السؤال والجواب في مسائل الرازي وأجوبتها (ص٢٣).

(٢) الكشاف (١/ ١٣٤).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤ - ٢٢٧]

السؤال ١٤٦٤: ما معنى العُرْضة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ...﴾؟ [البقرة: ٢٢٤].

الجواب: العرضة بمعنى المفعول تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا عنه، والمعنى: لا تجعلوا الحلف باسم الله مانعا لكم من عمل البر والإصلاح التي تحلفون على تركها، وعبر عنها بالأيمان لملابستها بها. ويستنبط من النهي في الآية الكريمة، أن من حلف على ترك مستحب استحب له الحنث، ومن حلف على فعل محرم وجب الحنث. والله أعلم.(١)

السؤال ١٤٦٥: ما نوع الباء في قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ﴾؟ [البقرة: ٢٢٥].

الجواب: الباء للسببية، والمعنى: لا يعاقبكم الله بلغو اليمين، ولكن بسبب ما قصدتم به الكذب في اليمين وهي الأيمان المنعقدة، وتلك رحمة من الله تعالى بعباده. والله أعلم

---

(١) يراجع تفسير البيضاوي (١/٢٣٨)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي (١/١٥٦).

السؤال ١٤٦٦: ما سر التعبير عن القصد والتعمد بقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؟ [البقرة: ٢٢٥].

الجواب: لأن في التعبير القرآني إيحاء بأن اليمين الكاذبة المتعمدة كان لها أثر في القلب قد اكتسبه منها كما كسبت منه القصد والابتعاد عن معنى اللغو، كما أن اليمين إن كانت فاجرة كاذبة لم يقصد الحالف منها إلا تزكية الإثم؛ فإن القلب يكسب منها شرا، وبتكرارها تحيط بالقلب خطيئاته وتستغرقه سيئاته. والله أعلم. (١)

السؤال ١٤٦٧: لماذا عدي فعل الإيلاء بـ«من» دون «على» حسب ما يقتضيه الظاهر في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾؟ [البقرة: ٢٢٦].

الجواب: للدلالة على صدود المُولي وجفائه وإعراضه عن امرأته بحلفه ألا يقربها أي يباشرها، وكأنه بذلك قد أبعدها عن نفسه، وأخرجها من قلبه؛ فالتعدية ب «من» إذن كشفت عن الحالة الشعورية للحالف تجاه زوجه، وأبانت عن فتور تلك العلاقة الزوجية وابتعاد الزوج عن التعلق بها، والرغبة فيها والميل إليها وهذا المعنى لا تجده في تعدية الإيلاء بـ«على»؛ لأنه يوحي بنفوذ الزوج واستعلائه وسيطرته على زوجه. والله أعلم

السؤال ١٤٦٨: ما الغرض من تقديم الموصول وصلته ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ على المبتدأ ﴿تَرَبُّصُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾؟

الجواب: للاهتمام بالتوسعة التي وسع الله على الأزواج، وهي إمهال المولي أربعة أشهر فإما أن يباشر زوجته وإما أن تطلق منه بعد مرور هذه الأشهر إن لم يفيء، وفي

(١) زهرة التفاسير (٢/ ٧٤٨).

هذا التقديم تشويق لذكر المسند إليه. والله أعلم.(١)

السؤال ١٤٦٩: ما دلالة إيثار «إن» على «إذا» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟ [البقرة: ٢٢٧].

الجواب: إيثار «إن» الشرطية التي تدل على الشك في حصول الفعل فيها إشعار - والله أعلم- بالتنفير من الطلاق، وأنه لا ينبغي أن يصار إليه إلا عند الضرورة يعيننا على هذا الفهم ختم الآية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ فإن فيه من الوعيد على الإصرار على الطلاق، وترك الفيئة ما لا يخفى كما قال أبو السعود (٢). الله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٨٥) بتصرف.

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٤).

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٨ - ٢٣٢]

السؤال ١٤٧٠: ما نوع الجملة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾؟ [البقرة: ٢٢٨] وما غرضها؟

الجواب: جملة خبرية مراد بها الأمر، والتقدير: ولتتربص المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر؛ تأكيد للأمر وإشعار بأنه حري أن يتلقى بالمسارعة إلى الانقياد إليه والامتثال له، وكأن النساء امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا. والله أعلم.(١)

(١) الكشاف (١/ ١٣٧).

السؤال ١٤٧١: لماذا عدل عن القول: تتربص المطلقات....، إلى ما عليه النظم في الآية الكريمة: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾؟

الجواب: في العدول إلى ما عليه النظم في الآية الكريمة؛ تأكيد بتكرر الإسناد، ولأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت بخلاف الفعلية، أو قد يكون القصد جذب انتباه السامع بذكر المبتدأ «المطلقات»؛ فإنه يشعر بأن هناك حكما عليه -المبتدأ- فإذا ذكر الحكم «يتربصن» كان أوقع عند السامع، وأمكن من أن يذكر الحكم ابتداء. والله أعلم.

السؤال ١٤٧٢: ما الدلالة الإيحائية لكلمة «يتربصن» في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾؟ [البقرة: ٢٢٨]

الجواب: اعلم أولا أن الحكم في الآية الكريمة خاص بالمطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض؛ بأن تمكث إحداهن بعد طلاقها ثلاثة قروء أي حيض أو أطهار ثم تتزوج إن شاءت. والتربص هو التمهل والتريث والانتظار، وفي التعبير بها لذع لهن وزيادة تهييج لهن لانتظار انتهاء العدة؛ لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال؛ فكان في الحكم بالتربص حتى تنتهي عدتهن وما يوحي به هذا من التصبر والترقب فيه لذعات تشير إلى أن المطلقات الطامحات إلى الأزواج قبل تمام عدتهن تعالج كل واحدة منهن أمر نفسها الطامحة إلى الزوج.

وفي التعبير بقوله: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾؛ إشارة أيضا إلى أن ذلك التربص يجب أن يكون من ذات نفس المطلقة وبكامل إرادتها دون أن يفرض عليها؛ لأنه هو الذي يليق بكرامتها ويتفق مع فطرتها ويتلاءم مع حيائها؛ فإذا كانت الرغبة في الرجل تدفعها إلى الزواج العاجل السريع إن كان الزوج كفئا لها؛ فإن الكرامة توجب عليها

الانتظار والتمهل فلا يليق بالحرة الكريمة أن تنتقل بين الأزواج انتقالا سريعا لا فاصل فيه بين زوجين. والله أعلم.

السؤال ١٤٧٣: ما سر التعبير بجمع القلة «أنفس» في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾؟ [البقرة: ٢٢٨].

الجواب: استعملت في الآية الكريمة صيغة جمع القلة «أنفس» مكان جمع الكثرة «نفوس»؛ لتشير إلى معنى التقليل والتهوين من شأن هؤلاء النساء الطامحات إلى الأزواج قبل تمام عدة صاحبها الأول، يؤيد هذا الفهم التعبير ب «يتربص» وفيه ما فيه من لذع وكلمة «بأنفسهن» فيها تهييج لهن ولذع بتوق نفوسهن إلى الرجل، وكان لذع الأسلوب أنكى حينما قال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾، وكأنه يشير إلى أن بعضهن يفعلن هذا.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾؛ شرط فيه قسوة، وسياق كهذا السياق يرشح استعمال جمع القلة «أنفس» في معنى التقليل؛ لتتلاءم هذه الخصوصية وتتجاوب مع هذا السياق. ومن إيحاءات التعبير بكلمة «بأنفسهن»: الدلالة على الالتزام بالتربص لما فيه من الصيانة لأنفس المطلقات عن الابتذال والاحتفاظ بكرامتهن، وفيها زيادة تهييج لهن على التربص؛ فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص. والله أعلم.(١)

---

(١) ينظر الكشاف (١/١٣٧)، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د. محمد محمد أبو موسى (ص١٥٠)، مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

السؤال ١٤٧٤: علام يدل إيثار «إن» الشرطية التي تدل على الشك في تحقق الشرط في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؟ [البقرة: ٢٢٨].

الجواب: للإلهاب والتهييج ولزيادة دافعية المطلقات؛ للالتزام بالعدة وعدم الاستعجال فيها بكتمان ما في أرحامهن من الحيض والولد. والله أعلم.

السؤال ١٤٧٥: ما دلالة صيغة التفضيل «أحق» تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾؟ [البقرة: ٢٢٨].

الجواب: للإشارة إلى أن الرجل إذا أراد مراجعة زوجه في مدة التربص أي في عدتها؛ وجب إيثار قوله على قولها، وكان هو أحق منها لا أن لها حقا أيضا في الرجعة والله أعلم.

السؤال ١٤٧٦: ما فائدة قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] مع أنه لا حق للزوجة في رفض الرجوع إلى زوجها ما دامت في فترة العدة؟

الجواب: لأنه لما قال تعالى قبل هذه الجملة: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ كان تقدير الكلام: فإنهن إن كتمن لأجل أن يتزوج بهن زوج آخر فإذا فعلن ذلك كان الزوج الأول أحق منه، وكذا إذا ادعت انقضاء أقرائها -حيضها-، ثم عُلِم خلافه؛ فالزوج الأول أحق من الزوج الآخر في العدة. أو لأنها إذا كانت معتدة فإن لها بعد انقضاء العدة حل عُرى الزوجية؛ فلما كان لهن هذا الحق الذي يتضمن إبطال الزواج جاز أن يقول: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ﴾ من حيث إن لهم أن يبطلوا بسبب الرجعة ما هن عليه من العدة (١). والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب (٣/٣٨٢).

السؤال ١٤٧٧: لماذا عبر عن الأزواج بالبعول في قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾؟ [البقرة: ٢٢٨].

الجواب: بمراجعة الآيات الكريمة التي ورد فيها «بعل» و«بعول» إطلاقا على الزوج والأزواج؛ تبين من خلال سياقاتها أن القرآن الكريم يطلق لفظ «بعل» أو «بعول» في حالات الشقاق بين الزوجين أو سوء المعاملة من الزوج للزوجة، أو سلوك شائن ينافي قدسية الحياة الزوجية، أو قل إجمالا: يعرض القرآن الكريم عن إطلاق كلمة «زوج» إلى «بعل» أو «بعول» في حالة تعرض الحياة الزوجية لأية تهديد أو تصدع يمكن أن يؤدي إلى زوالها.

وإذا أردت أن تبرهن على ذلك؛ فانظر إلى سياق الآية الكريمة تجد فيها طلاقا يمكن أن يصير بائنا فلا يمكن معه إعادة الحياة الزوجية إلا برضا الطرفين، واقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]؛ فالمقام هنا مقام توجس وخيفة وقلق من جور الزوج لذا لم يطلق على المرأة «زوجا» أو «زوجة»، ولم يطلق على زوجها إلا «بعلا».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]؛ فأطلق على الأزواج «بعولة»؛ لأن المقام فيه مخالفات من الزوجات، وهي النظر إلى غير أزواجهن، وإظهار زينتهن لغيرهم؛ بدليل أمرهن بغض أبصارهن وحفظ فروجهن، ونهيهن عن إبداء زينتهن لغير محارمهن (النور: ٣١) لذا -والله أعلم- أطلق على الأزواج الذكور بعولة، وهذا اللفظ ليس فيه من معاني السكن والقرب والمودة ما في كلمة «زوج»، وكأن لفظ بعل بمفرده وجمعه «بعولة» يومئ إلى انعدام تلك الروابط أو تعرضها لما يعكر صفوها ويهدد بتمزيقها. والله أعلم بمراده.(١)

---

(١) يراجع دراسات جديدة في إعجاز القرآن الكريم (صـ١٦٧-١٦٨) د. عبد العظيم إبراهيم المطعني.

السؤال ١٤٧٨: ما دلالة الشرط في قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ ؟ [البقرة: ٢٢٨].

الجواب: الحث على الإصلاح والألفة والمودة والتنفير من إرادة المضارة من خلال مراجعة الزوجة أثناء عدتها، وليس المراد به شرطية قصد الإصلاح بصحة الرجعة. والله أعلم(١).

السؤال ١٤٧٩: ما نوع الحذف في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ؟ [البقرة: ٢٢٨].

الجواب: في الآية احتباك، والتقدير: ولهن مثل الذي للرجال عليهن؛ فحذف من الأول لدلالة الآخر عليه. والله أعلم.

السؤال ١٤٨٠: ما سر تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ؟ [البقرة: ٢٢٨].

الجواب: لزيادة الاهتمام بالخبر ولتهيئة السامعين لتلقي الخبر؛ لأنه من الأخبار التي لا يتوقعونها وللتشويق إليه. وهذه الآية الكريمة لطمة على جبين دعاة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، وزعمهم الباطل بأن المرأة في الإسلام؛ مسلوبة الحقوق أسيرة البيت مهيضة الجناحين؛ فالإسلام كفل للمرأة ابنة وأختا وأما وزوجة ما لم تكفله لها أية شرائع سابقة، ولا دساتير معاصرة ولا لاحقة. والله أعلم

السؤال ١٤٨١: ما فائدة تعقيب قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ **بقوله سبحانه:** ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ؟ [البقرة: ٢٢٨]

الجواب: للاحتراس عن توهم المساواة المطلقة بين الرجال والنساء في كافة

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٢٥).

الحقوق، ولدفع توهم الأفضلية المطلقة للرجال على النساء، وللإشارة إلى أن تلك الأفضلية تنحصر في نطاق محدود وبمقدار مخصوص. والله أعلم.

السؤال ١٤٨٢: لم قيل: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٩٩] ولم يقل: الطلاق طلقتان؟

الجواب: للتنبيه على أنه ينبغي أن تكون الطلقة مرة بعد مرة أي كل طلقة في مرة لا أن يجمعها في دفعة واحدة. والله أعلم.

السؤال ١٤٨٣: لماذا قدم الإمساك على التسريح في قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾؟ [البقرة: ٢٢٩].

الجواب: للترغيب في إبقاء الحياة الزوجية، وأنها يجب أن تقدم على إنهاء تلك العلاقة المعبر عنها بالتسريح. والله أعلم.

السؤال ١٤٨٤: ما السر في العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؟ [البقرة: ٢٢٩].

الجواب: لإدخال الرهبة والمهابة في القلوب، ولمزيد التنفير من تعدي حدود الله. والله أعلم.

السؤال ١٤٨٥: ما الغرض من ذكر قوله سبحانه: ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ في قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ...﴾؟ [البقرة: ٢٣٠]

الجواب: المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾: أن المرأة تحرم على زوجها من بعد ثلاث تطليقات حتى يدخل بها زوجا غيره ثم يطلقها فتعود إلى زوجها الأول بعقد ومهر جديدين. وذكر قوله: ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ للتسجيل على المطلق، وللإشارة إلى سبب التحريم، وهو تهاون المطلق بشأن امرأته، واستخفافه بحق المعاشرة واستهتاره بها

حتى استحالت لعبة تقلبها رياح تسرعه، وعواصف غضبه وحماقته؛ فلما ذكر لهم قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ علم المطلقون أنهم لم يكونوا محقين في أحوالهم التي كانوا عليها والله أعلم[(١)].

السؤال ١٤٨٦: ما دلالة الفاء في ﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ﴾؟ [البقرة: ٢٣١].

الجواب: إن تلك الفاء بدلالتها على التعقيب تكاد تسلب زمن العدة من الأزواج المعتدين الذين يريدون تطويل زمن العدة، ومماطلة زوجاتهن؛ فإذا بالفاء تسحب من يده زمن العدة كله قبل أن يتهيأ ليكرر مماطلته، يقول ابن عطية في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «خطاب للرجال لا يختص بحكمه إلا الأزواج، وذلك نهي للرجل أن يطوّل العدة على المرأة؛ مضارة منه لها بأن يرتجع قرب انقضائها، ثم يطلق بعد ذلك»[(٢)].

وقد تآزرت هذه الفاء مع التجوز ببلوغ الأجل عن قربه؛ لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار للزوج في إمساك امرأته.

ثم ألا تسمع معي همس هذه الفاء بتحذير الزوج من الاستهانة بالزمن، وتضييع الفرصة على من أراد إبقاء زوجته بسرعة مراجعتها في بداية زمن العدة قبل انقضائها؛ فَتبِين الزوجة وتتعذر مراجعتها إلا بعقد ومهر جديدين؟[(٣)]

---

(١) يراجع التحرير والتنوير (٢/٤١٥).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٠٥).

(٣) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم د محمد الأمين الخضري (ص٦٠-٦١).

السؤال ١٤٨٧: قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢].

فلماذا قيل في آية البقرة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾؟ وفي آية الطلاق قيل: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾؟

الجواب: سياق آية البقرة فيه تشديد على عدم مضارة النساء، وتحريم أخذ شيء من صداقهن مقابل طلاقهن ما لم يكن من ذلك بُدّ لإقامة حدود الله ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ...﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أي أنه لا يجوز أخذ شيء منهن إلا إذا خاف الزوجان ألا يراعيا حقوق الزوجية، ثم أتبع ذلك بالنهي عن عَضْلهن أي منع المرأة عن نكاح من ترضاه ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وهكذا تجد في سياق آية البقرة تأكيدًا أكثر على عدم ظلم الزوجات، والإحسان إليهن في حالتي الرجوع إلى بيت الزوجية أو الانفصال، وسياق هذا شأنه فإنه لم يكن من المناسب له ذكر اللفظ الذي يدل على الانفصال أي الطلاق صراحة «فارقوهن»؛ لأن اللفظ أقرب إلى الإساءة منه الإحسان؛ فعدل عنه إلى لفظ يؤدي المعنى مع تحسين العبارة وعدم التصريح بالفراق وهو لفظ التسريح فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١] كما أن التعبير بالتسريح في آية البقرة؛ جاء مناسبًا مع ما قبله من قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أما سياق آية سورة الطلاق؛ فليس فيه تلك المبالغة في التوصية بالنساء والتلطف بهن، والرفق والإحسان إليهن في حالتي الصحبة والطلاق، كما خلا سياق الآية من الحديث عن العَضْل ولا عن المضارة بالنساء؛ لذا لم ينكر ورود التعبير باللفظ الدال على الفراق صريحًا فقيل: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ واكتفى بقوله: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ عن الوصية بهن(١). والله أعلم.

السؤال ١٤٨٨: لماذا أطلق القرآن الكريم على المطلّقين لفظ «بعول» في قوله تعالى: ﴿...وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، في حين لم يطلق هذا اللفظ بل أطلق «أزواجهن» على المطلقين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة ٢٣٢] على الرغم من تشابه السياق في الآيتين الكريمتين، وهو الحديث عن الطلاق وجواز إعادة الحياة الزوجية في مدة العدة؛ فما السر في ذلك؟

الجواب: أشرنا في موضع سابق إلى أن لغة القرآن الكريم تستخدم لفظ «بعل» و«بعولة» في سياق ما يعكر صفو الحياة الزوجية من شقاق بين الزوجين أو غير ذلك مما يهدد تلك الحياة، هذا منهج عام، أما عن الإجابة عن السؤال؛ فإنه بمراجعة مقام الآية الأولى تجد إشارة إلى وجود منافس من الرجال للمطلقين، والقرآن الكريم يحكم بأولوية المطلقين في التزوج من مطلقاتهم؛ فهم أولى من غيرهم ممن يظهرون رغبتهم في التزوج من

---

(١) يراجع ملاك التأويل لأحمد بن الزبير الغرناطي (١/ ١٢٤- ١٢٥).

مطلقاتهم، هذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ وأفعل التفضيل «أحق» يقتضي اشتراك طرفين في معنى مع أفضلية أحدهما على الآخر، فجاء التعبير بناء على القاعدة فقال: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ دون «أزواجهن».

أما الآية الثانية فالخطاب فيها من أول الأمر موجه إلى ولاة أمور المطلقات، وتنهاهم عن منعهن من التزوج بمطلقيهن إذا أراد المطلقون والمطلقات العودة إلى الحياة الزوجية مرة أخرى؛ فميل كل إلى الآخر، وحنينه إلى عشرته متحقق في الآية الثانية مما يجعل الطلاق كأنه لم يكن؛ فاقتضى ذلك أن يُطْلق على المطلقين «أزواجهن» دون بعولتهن، وهذا أنسب بمقام النهي عن العَضْل. ومما يرجح كلا اللفظين في موضعه ما يأتي:

* وجود المنافسة في الآية الأولى وعدمها في الآية الثانية.

* ضعف الرغبة في المراجعة في الأولى المستفاد من التعبير بإن الشرطية الموضوعة لعدم القطع في حصول الشرط، وقوة الرغبة في المراجعة في الآية الثانية المستفادة من التعبير بـ «إذا» الشرطية الموضوعة لتحقق وقوع الشرط ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

* خلو الأولى من النهي عن العَضْل، واشتمال الثانية عليه[1]. والله أعلم.

---

(١) ينظر دراسات جديدة في إعجاز القرآن(ص١٧٠- ١٧١). د/عبد العظيم إبراهيم المطعني (ص١٧٠ - ١٧١).

السؤال ١٤٨٩: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ، **وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾** [الطلاق: ٢]؛ **لماذا قيل في البقرة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ بالإفراد ؟ وقال في الطلاق: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ بالجمع ؟**

الجواب: آية سورة البقرة وردت في سياق فيه تشديد على عدم ظلم الزوجات أو الإضرار بهن، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ٢٣١] ، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقد استدعى هذا السياق المحتشد بجملة من الأوامر والنواهي التعبير بأداة الإفراد ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ للإشارة إلى قلة المترفعين المتورعين عن الطمع في أموال الزوجات والإضرار بهن؛ بأخذ صداقهن أو منع الواحدة منهن عن نكاح من ترضاه.

أما سياق آية الطلاق فكان أقل توترًا، وأخف حدة، وأهدأ نبرة؛ لأن الوارد فيها - السورة- أيسر في التكليف، وأخف في المطلب، وأبعد عن الطمع؛ لأنها أحكام متعلقة بالطلاق فالمستجيب لها أكثر لبعدها عن شح النفس؛ لذا ناسب هذا السياق التعبير بأداة الجمع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ التي يخاطب بها الجميع ويشملهم، ولهذا قيل في آية الطلاق: ﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ﴾ ولم يرد التعبير بكلمة التبعيض ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ﴾؛ لأنه لم يرد في آية سورة الطلاق ما يشعر بالتقليل والتبعيض، بخلاف آية سورة البقرة الذي ناسب فيها التعبير بالتبعيض ﴿مِنكُمْ﴾ مع قلة المستجيبين، وندرة الزاهدين في أموال النساء، والمعبر عنه بأداة الإفراد ﴿ذَٰلِكَ﴾(١). والله أعلم.

---

(١) راجع ملاك التأويل (١/١٢٦-١٢٧)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٣-٢٣٩].

السؤال ١٤٩٠: لماذا أخرج الأمر مخرج الخبر في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ ﴾؟ [البقرة: ٢٣٣]

الجواب: للمبالغة في الحث على الالتزام به، وكأن الأمر بالإرضاع حولين كاملين لمن تريد إتمام مدة الرضاعة قد أجيب فعلاً، وحصل الإرضاع؛ فالتعبير بصيغة الخبر

إشارة إلى الأمر والتنفيذ معًا. والله أعلم.

السؤال ١٤٩١: لمَ صُرِّح بالمفعول به مع كونه معلومًا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾؟ [البقرة: ٢٣٣]

الجواب: للإشارة إلى أحقية الوالدات بإرضاع أولادهن، ولإثارة كوامن مشاعر الأمومة وما تحمله من معاني الشفقة والرحمة والعطف والحنان، وذكر المفعول أيضًا لترغيب الوالدات في الإرضاع. والله أعلم.

السؤال ١٤٩٢: علام يدل وصف الحولين بالكاملين في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾؟ [البقرة: ٢٣٣]

الجواب: للاحتراس من أن يُفْهَم أن تقدير مدة الرضاعة لمن تريد إكمالها تقديرية وليست نصية أو تحقيقية. والله أعلم.

السؤال ١٤٩٣: بمَ يوحي استخدام أداة الشرط التي تفيد الشك في حصول الشرط «إن» في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾؟ [البقرة: ٢٣٣]

الجواب: للإلماح إلى استحباب إكمال مدة الرضاعة كاملة وهي حولين؛ بدلالة التنكير في «فصالًا» على أنه فصال غير معتاد إن لم يستوف مدته كاملة. والله أعلم.

السؤال ١٤٩٤: لمَ عبر عن الوالد بالمولود له في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾؟ [البقرة: ٢٣٣]

الجواب: للإشارة إلى أن الوالد حقيق بأن يتحمل مؤونة المرضعة من رزق وكسوة؛

لأن منافع الولد تعود إليه، وإليه ينسب؛ لذا فالأب هو الأجدر بإعانته وإعاشته (١). والله أعلم.

السؤال ١٤٩٥: ما الغرض من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؟ [البقرة: ٢٣٣]

الجواب: لحث الآباء على الامتثال بما أمروا به. والله أعلم.

السؤال ١٤٩٦: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا...﴾؟ [البقرة: ٢٣٤]

الجواب: مجاز مرسل بعلاقة اعتبار ما كان؛ لأن المرأة إذا مات عنها زوجها لا يطلق عليها «زوجة» وإنما يطلق عليها «أرملة». وبلاغة التعبير بالمجاز هنا تذكير الأرامل بالرابطة التي كانت تربطهن بأزواجهن؛ استجاشة لمشاعر الوفاء لديهن، ليلتزمن بفترة العدة. والله أعلم.

السؤال ١٤٩٧: لم أسند الأجل إلى المعتدات في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾؟ [البقرة: ٢٣٤].

الجواب: للتنبيه على أن مشقة هذا الأجل أي مدة عدة المتوفى عنها زوجها تقع عليهن. والله أعلم(٢).

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (١/ ٢٣٠).

(٢) ينظر التحرير والتنوير (٢/ ٤٤٦).

السؤال ١٤٩٨: قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. **وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٤٠]. **لماذا جاء «المعروف» معرفا في الآية الأولى ونكرة في الآية الثانية؟**

الجواب: لأن اللفظ «المعروف» الواقع في الآية الأولى؛ جاء عقب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾؛ فالمقام للحديث عما يحل للمرأة فعله من التعرض للزواج بعد انتهاء عدة الوفاة وعليه فـ«المعروف» هنا هو أمر معلوم مشهور من موجب الشرع؛ لذا كان من المناسب تعريف اللفظ «المعروف»، ويمكن أن يقال أيضا: إنه لما كانت مدة العدة محددة معلومة مصرح بها في الآية الأولى ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾؛ ناسب ذلك التعريف في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ أي المعلوم من موجب الشرع.

أما الآية الثانية ففيها تخيير للمعتدات المنقضية عدتهن بين أمرين مشروعين هما: القعود والزواج؛ فلما لم يحدد الأمر أي لم ينص على أمر واحد متعين بل كان المعروف وجها من الوجوه المشروعة غير محدد ناسب ذلك تنكيره والإتيان بـ«من» التي تفيد التبعيض؛ فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، وقال في الآية الأولى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ لهذا التعريف. والله أعلم بمراده(١).

---

(١) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ص٤٠- ٤١)، وملاك التأويل للغرناطي (١/١٢٨)، وأسرار التكرار لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ص٤٣، ٤٤).

السؤال ١٤٩٩: لماذا ختمت الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ ؟ [البقرة: ٢٣٤]، **ولم ختمت الآية الثانية بقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ ؟** [البقرة: ٢٤٠].

الجواب: جاء التذييل في كلا الآيتين مناسبا للمقام؛ بيان ذلك أن الحديث في الآية الأولى عن عدة الوفاة وما يلزم المعتدات فيها من إحداد وما يجوز لهن فعله بعدها؛ فلما كان ذلك مظنة استعجال منهن من أجل زواجهن فيخفين أو يضمرن ما لا يجوز إضماره كان من الملائم أن تختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ أي فعلم الله تعالى محيط بمحاولة تلاعبهن في شأن العدة أو كتمان ما لا يجوز وهو سبحانه خبير بذلك.

أما الآية الثانية فلما كان فيها قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ﴾، وقام فيها احتمال أن يخرجن غير محتشمات أو طائعات فيستعجلن أو يتعدين؛ ناسب ذلك ذكر قدرته سبحانه عليهن بالمعاقبة بما شاء أو العفو عن مرتكبهن فهو سبحانه ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ أي الغالب الذي لا غالب له، والذي لا يفوته هارب ولا يغيب عنه شيء الحكيم إن عفا عن إساءتهن.

ولا يخفى أن نبرة التهديد أشد وأعلى صوتا في ختام الآية الثانية عنها في الآية الأولى؛ لتعدد المباح لهن في الآية الثانية، وبوجوب مراعاة حدود الله تعالى فيها، والتهديد والوعيد لمن لم تمتثل لها من المعتدات. والله أعلم[1]

---

(١) ينظر ملاك التأويل للغرناطي (١/ ١٣٠).

السؤال ١٥٠٠: إذا كان الخطاب موجها إلى النساء المعتدات فلم جاء بصيغة المذكر في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾؟ [البقرة: ٢٣٤].

الجواب: جاء من باب التغليب أي تغليب الذكور على الإناث، وليكون تذييلا مستقلا بنفسه، ولأجل التعميم. والله أعلم.

السؤال ١٥٠١: لم أخر الإكنان عن التعريض في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾؟ [البقرة: ٢٣٥].

الجواب: الآية الكريمة اشتملت على بعض الأحكام المتعلقة بالعدة، وأخر الإكنان أي الإخفاء في الذكر؛ للتنبيه على أنه نادر وقوعه؛ لأنه لو قدمه لكان الانتقال من ذكر الإكنان إلى ذكر التعريض جاريًا على مقتضى ظاهر نظم الكلام(١). والله أعلم.

السؤال ١٥٠٢: ما سر التعبير عن الوعد بالنكاح بالسِّر في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]

الجواب: لأن مسبب النكاح الذي هو الوطء مما يُسَرُّ به، وإيثاره على اسمه؛ للإشعار بأنه ما ينبغي أن يُسَرُّ به ويُكتم، وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح(٢). والله أعلم.

السؤال ١٥٠٣: ما نوع الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ﴾؟ [البقرة: ٢٣٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٤٥٢).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٣٢).

الجواب: في قوله تعالى «ما لم تمسوهن» كناية حيث عبر عن الوطء بالمس، وتلك من الكنايات القرآنية الرفيعة التي تسمو بالنفوس، وتهذب الذوق والأخلاق، ومعنى الآية: لا إثم عليكم ولا تبعة من إيجاب مهر إن طلقتم النساء قبل الدخول بهن وفرض المهر. والله أعلم.

السؤال ١٥٠٤: ما وجه دلالة قراءة حمزة ويعقوب «تماسوهن» ؟

الجواب: المفاعلة «تماسوهن» تدل على المشاركة من اثنين، ووجه دلالتها في هذا المقام أن الفعل من الرجل، والتمكين من المرأة. والله أعلم.

السؤال ١٥٠٥: علام يعود الضمير في ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ ؟ [البقرة: ٢٣٧]

الجواب: الأرجح -والله أعلم- أنه يعود على الزوج وليس على الولي على رأي بعض المفسرين؛ لأنه ليس للولي أن يهب مهر موليته صغيرة كانت أو كبيرة، ولأنه ليس المراد بالعقدة العقد؛ ولكن المراد به الأثر الذي ينشأ عن العقد وهو فك تلك الرابطة بالطلاق، وهذا يملكه الزوج لا الوليّ، والآية الكريمة تقرر الحكم الإلهي بشأن النساء المطلقات قبل الدخول بهن، والمفروض لهن مهر، وذلك بأن من حق المطلقة في تلك الحالة أن تأخذ نصف مهرها إلا أن تعفو عن نصفها لزوجها أو يعفو الزوج عن حقه في نصف المهر تفضلا. والله أعلم.

السؤال ١٥٠٦: لم صرحت الآية الكريمة بوجوب نصف المهر للمطلقة قبل الدخول والمقدر لها مهر وقت العقد ولم تصرح بوجوب دفعه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ ...﴾؟ [البقرة: ٢٣٧]

الجواب: لأنه ربما أن يكون الزوج قد قدم لها المهر كله أو نصفه أو أكثر من نصفه؛ فكان التعبير بالوجوب ليبين حق المطلق في استرداد ما دفعه أكثر من النصف، وليشمل وجوب الأداء ومقداره إن لم يكن قد دفع شيئًا أو دفع أقل من النصف [1]. والله أعلم.

السؤال ١٥٠٧: لماذا ذكرت اليد في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾؟ [البقرة: ٢٣٧]

الجواب: لأن غالب الأعمال باليد؛ فأسندت كلها إليها، فصار التعبير كناية عن القدرة على فك العلاقة الزوجية وإنهائها بالطلاق. والله أعلم.

السؤال ١٥٠٨: لماذا ذكرت الصلاة الوسطى بعد الأمر بالمحافظة على الصلوات -وهو يشملها- في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾؟ [البقرة: ٢٣٨]

الجواب: أفردت الصلاة الوسطى بالذكر؛ للتنبيه على فضلها وشرفها بذكرها مرتين: مرة بدخولها في عموم الصلوات في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾، ومرة بإفرادها بالذكر، وكأنها لفضلها ومنزلتها جنس آخر غير جنس الصلوات المأمور بالمحافظة عليها؛ لذا وجب التنبيه بإفرادها بالذكر، والعطف في الآية من باب عطف الخاص على العام، وقد عرفت نكتة هذا العطف، ولم تُعين الصلاة الوسطى؛ ليجتهد المسلمون في المحافظة على الصلوات كلها. والله أعلم.

---

(١) زهرة التفاسير (٢/ ٨٣٢).

السؤال ١٥٠٩: ما دلالة التعبير بصيغة المفاعلة في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾؟ [البقرة: ٢٣٨].

الجواب: للحث على المنافسة في المحافظة على الصلوات والمسابقة في ذلك، ومغالبة دواعي التفريط ومجاهدة النفس في سبيل دوام المحافظة عليها. والله أعلم.

السؤال ١٥١٠: ما فائدة التفريع في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾؟ [البقرة: ٢٣٩]

الجواب: الفاء في الآية الكريمة تفريع على قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والتفريع للتنبيه على قطع العذر في المحافظة على الصلوات في أي حال من الأحوال، حتى في حالة الخوف.

وقد رخص الله تعالى للمؤمنين في حال الخوف أن يصلوا رجالًا أو ركبانًا أي مشاة على أقدامهم أو وقوفًا في أماكنهم أو راكبين، وفي هذا دلالة على أن الصلاة لا تسقط إلا في حال العجز التام حتى عن الصلاة بالإيماء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهميتها القصوى فهي عمود الدين، ومعراج العبد إلى ربه، وصلة بينه وبين خالقه. والله أعلم.

السؤال ١٥١١: لم عبر عن الصلاة بالذكر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ...﴾؟ [البقرة: ٢٣٩]

الجواب: لأن معظم أركان الصلاة تشتمل على الذكر، وللإشارة إلى أن المغزى فيها ذكر الله تعالى، وأن الصلاة بغيره لا تسمى صلاة، ولو كانت مستوفية الأركان الظاهرة. والله أعلم.

السؤال ١٥١٢: لماذا حذف متعلق الخوف في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾؟ [البقرة: ٢٣٩].

الجواب: للتعميم، أي ليعم الخوف من العدو وغيره؛ كل ما هو ضار أو يسبب ضرارًا ينتج عنه خوف. والله أعلم

السؤال ١٥١٣: ما سر تعليق الشرط الأول بـ «إن» والثاني بـ «إذا» في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟ [البقرة: ٢٣٩]

الجواب: أوثر استخدام «إن» الشرطية التي تدل على الشك في جانب الخوف؛ للإشارة إلى قلته وإلى ندرة حدوثه، واستخدامه في جانب الأمن «إذا» الشرطية التي تدل على تحقق وقوع الشرط؛ للإشارة إلى أن حال الأمن هي الغالبة، وأنها أمر محقق ثابت وأنها هي الكثرة، وأن حال الخوف هي القلة، وأنها ليست أمرا مؤكدا ثابتا بل عارضا، وفي ذلك إشارة إلى نعمة الأمن والأمان والاطمئنان التي وهبها الله تعالى للإنسان، وأن ما يكون من خوف وجزع واضطراب فقد يكون من فعل الإنسان والله أعلم.

السؤال ١٥١٤: ما المراد من التشبيه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟ [البقرة: ٢٣٩].

الجواب: المراد تشبيه هيئة الصلاة التي في حال الخوف بهيئة صلاة الأمن هذا باعتبار «ما» موصولة، والمعنى على تقدير كونها مصدرية: فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل تعليمه إياكم. والله أعلم.(١)

---

(١) الفتوحات الإلهية(١/١٩٥).

السؤال ١٥١٥: ما سر توسيط آيات الصلاة بين الآيات الخاصة بأحكام المعتدات؟

الجواب: لعل السر في ذلك -والله أعلم- أن يتوسط التهذيب النفسي التعامل الاجتماعي، وليتبين المؤمن أن التقوى أساس الصلات التي تربط آحاد الأسرة، وأن التقوى لازمة لتكون روح الاتصال وميزان الاعتدال عند قيام الحياة الزوجية وعند انقطاعها. إن التعرض للصلاة في هذا الجو الخاص بأحكام المطلقات والمعتدات يوحي بأن الطاعة لله في كل هذا عبادة كعبادة الصلاة ومن جنسها. والله أعلم.(١)

---

(١) ينظر زهرة التفاسير (٢/٨٤٦)، وفي ظلال القرآن(١/٢٥٧).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٠ - ٢٤٢]

السؤال١٥١٦: لم عبر بالحول بدل السنة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ... ﴾؟ [البقرة: ٢٤٠].

الجواب: هذه الآية الكريمة فيها وصية لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم حولا كاملا؛ جبرا لخاطرها، وبرا بميتهم ولهذا قال: ﴿ وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾، وعبر بـ «حول» بدل «سنة» لتمام الاستفادة من المدة كاملة؛ فالحول فيه دلالة على التحول حتى يعود التاريخ الذي كانت فيه الوفاة، ولو قيل إلى سنة لاحتمل أن ينتهي الانتفاع بالسكن بانتهاء السنة التي حدثت فيها الوفاة ولو لم يحل الحول؛ لذا كان التعبير بالحول نصا في أن يمر عام كامل من وقت الوفاة على بقاء المتوفى عنها زوجها لتستفيد من السكنى والنفقة.

والمشهور عند المفسرين أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] والله أعلم(١).

السؤال ١٥١٧: لماذا عبر عن حق انتفاع المتوفى عنها زوجها بالسكنى والنفقة بأنه وصية في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾؟ [البقرة: ٢٤٠].

الجواب: عبر عنه بالوصية؛ للإشارة إلى أنه حق يثبت بعد وفاة الزوج لامرأته في

---

(١) يراجع تفسير ابن كثير (١/٢٩٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٢٢٦)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (١/١٦٨).

ماله لا على أنه ميراث؛ بل على أنه وصية أوجبها الله تعالى بموجب الفرقة بالوفاة دون أن يكون له أثر في قدر ميراثها في تركة زوجها. وأما التعبير عنه بـ «متاع»؛ فلأنه في مقابل ما للمطلقات من متاع في قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]. والله أعلم

السؤال ١٥١٨: ما دلالة التنكير في قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾؟ [البقرة: ٢٤١].

الجواب: للتعميم، والتقدير: أية متاع أي نفقة، وشرعت نفقة المتعة للمطلقات؛ جبرا للخاطر، واستبقاء للمودة الإنسانية واحتفاظها بالذكرى على حسب وسع المطلق؛ لذا عمم المتاع بالنكرة لأن نفقة المتعة تختلف على حسب اختلاف أحوال المطلقين فقرًا وغنى. والله أعلم

السؤال ١٥١٩: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ...﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الجواب: الاستفهام للتقرير والتعجيب؛ لغرابة الواقعة المذكورة. والله أعلم

السؤال ١٥٢٠: ما نوع الرؤية المقصودة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ...﴾؟ [البقرة: ٢٤٢].

الجواب: إما أن تكون الرؤية بصرية فينزل فيها غير الرائي منزلة الرائي؛ لأن تلك الحادثة وقعت قبل نزول القرآن الكريم بزمن طويل، والغرض من هذا التنزيل الإشارة إلى اشتهار تلك الواقعة حتى لكأنها تقع ساعة نزول الآية وحال سماعها. وإما أن تكون الرؤية علمية فيكون الاستفهام تحريكا للذهن؛ لاستحضار حقيقة الواقعة. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣ - ٢٤٥].

السؤال ١٥٢١: ما سر تعدية الفعل «تر» بـ«إلى» في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ ... ﴾؟ [البقرة: ٢٤٣].

الجواب: لأن الرؤية مسلطة على القصة لا على ذوات «الذين خرجوا»، ولو قيل: ألم تر الذين خرجوا، لانصرفت الرؤية إلى ذواتهم لا إلى قصتهم، وهذا غير مراد والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٢٢: لماذا قدم الجار والمجرور «لهم» على الفاعل «الله» في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ ﴾؟ [البقرة: ٢٤٣].

الجواب: لأن التعجيب المقصود من الاستفهام مسلط على قصة تلك الألوف. والله أعلم

السؤال ١٥٢٣: ما المقصود من قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا ﴾؟ [البقرة: ٢٤٣].

الجواب: المقصود إماتتهم، أي فأماتهم، وعدل به عن التصريح بهذا اللفظ الصريح إلى ما عليه النظم؛ للدلالة على أنه سبحانه قضى عليهم بالموت في آن واحد، وكأنها ميتة

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ١٣١).

رجل واحد، وتلك ميتة غير مألوفة وخارجة عن العادة وكأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير تردد ولا تريث، وفي هذا ترغيب للمسلمين في الجهاد في سبيل الله تعالى، وأن الموت إذ لا مفر منه فأولى أن يكون في سبيل الله. والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٢٤: ما سر إيثار العطف بحرف التراخي في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ﴾؟ [البقرة: ٢٤٣].

الجواب: للإشارة بأن إحياء تلك الألوف التي قضى عليها بالموت جميعا في آن واحد حدث بعد فترة متراخية من الزمن لا يعلم مداها إلا الله تعالى، وذلك للتأكيد على تحقق موتهم، واليأس التام من كونهم أحياء مغمى عليهم مثلا. والله أعلم.

السؤال ١٥٢٥: ما المغزى البلاغي للإيجاز بالحذف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ﴾؟ [البقرة: ٢٤٣].

الجواب: تقدير المحذوف: فماتوا ثم أحياهم؛ لأن الإحياء لا يكون إلا بعد الموت، وسر الحذف الدلالة على استحالة تخلف مراد الله تعالى عن إرادته. والله أعلم.(٢)

السؤال ١٥٢٦: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾؟ [البقرة: ٢٤٥].

الجواب: الترغيب في الإنفاق في وجوه البر. والله أعلم.

---

(١) الكشاف (١/ ١٤٧) بتصرف يسير.

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم (١/ ٢٣٨).

السؤال ١٥٢٧: ما المقصود بالقرض في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ ؟ [البقرة: ٢٤٥].

الجواب: المقصود بالقرض البذل والإنفاق في سبيل الله، وقد شبه هذا الإنفاق بالقرض بجامع عودة المال إلى المقرض على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. وفي التعبير طمأنة للمنفق في سبيل الله تعالى بأن أجر ما أنفقه في سبيل الله لن يضيع هباء، وفي ذلك ترغيب للإنفاق في وجوه البر المشروعة.

السؤال ١٥٢٨: ما الغرض من القيد بالوصف «حسنا» في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ؟ [البقرة: ٢٤٥].

الجواب: للإشارة إلى شرط قبول القرض، وهو أن يكون حلالا طيبا خالصا لوجهه تعالى من غير منٍّ ولا أذى. والله أعلم.

السؤال ١٥٢٩: علام يدل تسمية الإنفاق في سبيل الله قرضا له -سبحانه- وذلك في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ ؟ [البقرة: ٢٤٥].

الجواب: يدل على تشريف الإنفاق في سبيل الله،والضمان له من الضياع؛ لأنه يقع في يد الغني الذي له ملك السماوات والأرض -سبحانه- والله أعلم.

السؤال ١٥٣٠: ما فائدة ذكر قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ **بعد قوله:** ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ؟

الجواب: للإغراء بالإنفاق في سبيل الله؛ لأنه لما كان القرض بين الناس لا زيادة في المال المقرض حين رده؛ فإن من يقرض الله تعالى لا يضمن عودة ماله إليه فحسب بل هو يعود إليه مع أمثاله، فهو قرض رابح وليس قرضا بالمثل؛ لذلك قال سبحانه: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. والله أعلم.(١)

---

(١) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ١٣٣) د. عبد العظيم المطعني.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا
مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ
ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ
بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ
يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ
وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ
مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ
مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى
وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ
هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ
جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦-
٢٥٢].

السؤال ١٥٣١: ما دلالة التعبير بـ«الملأ» في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ؟

[البقرة: ٢٤٦].

الجواب: في التعبير بـ «الملأ» إيحاء بوصف بني إسرائيل بالطيش والسفه؛ لأنه إذا كان علية القوم وعقلاؤهم وسادتهم المعبر عنهم بالملأ بهذه المثابة من الجبن والخور وعدم الوفاء بما يتعهدون به فكيف بعامتهم؟ والله أعلم.

السؤال ١٥٣٢: علام يدل تنكير «نبي» في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ ؟

[البقرة: ٢٤٦].

الجواب: للدلالة على أن الغرض حاصل بوصف النبوة دون حاجة إلى معرفة شخصه؛ فلا يلزم تعيينه، فالمقصود التعجيب من حال القوم الذين أخلفوا ما عاهدوا عليه نبي لهم والله أعلم.

السؤال ١٥٣٣: ماذا أفاد التعبير بقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ ؟

الجواب: للإيذان بأن القوم لم يخلفوا الوعد جاهلين نكارة الخلف فقد قضى فيهم موسى عليه السلام زمنا طويلا علمهم فيها التوراة وعرفهم أحكامها ولكنهم أضاعوا الانتفاع بذلك وطرحوا ما بين أيديهم من كلام الله، وكأن موسى عليه السلام لم يبعث فيهم فحالهم في الجهل وخلف الوعد وفساد الطباع بعد الرسالة كحالهم قبلها وهذا يدل على طبيعة شخصيتهم العنيدة التي لا تهتدي بهدى ولا تستنير بنور. والله أعلم[1]

---

(١) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ١٣٦).

السؤال ١٥٣٤: ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ ؟ [البقرة: ٢٤٦].

الجواب: الاستبعاد والتعجيب من حالهم إن تقاعسوا عن القتال، والحال أنهم طردوا من ديارهم وحرموا من أولادهم. والله أعلم.

السؤال ١٥٣٥: لم فصلت جملة: ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾ **عما قبلها من قوله:** ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ ؟ [البقرة: ٢٤٦].

الجواب: فصلت لشبه كمال الاتصال، حيث وقعت جوابا عن سؤال أثارته الجملة الأولى تقديره: بم أجابوا نبيهم ؟ أو ماذا قالوا ردا عليه ؟ والله أعلم.

السؤال ١٥٣٦: بم توحي الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ؟ [البقرة: ٢٤٦].

الجواب: أوحت الفاء التي للتعقيب في الآية الكريمة؛ بسرعة إخلاف القوم من بني إسرائيل الوعد بالقتال في سبيل الله بمجرد فرضه عليهم مع قرب عهدهم به، وهذا فيه من التشنيع عليهم والتوبيخ لهم ما فيه. والله أعلم.

السؤال ١٥٣٧: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ ؟

الجواب: التعجب والاستبعاد، وبنوا ذلك على سببين: أن طالوت المرشح للملك فقير: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] والله أعلم.

السؤال ١٥٣٨: لم أكد الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾؟ [البقرة: ٢٤٧].

الجواب: مراعاة لحال المخاطب حيث وصلوا إلى حالة شديدة من التمرد والرفض، وإنكار أن يكون طالوت الرجل الفقير ملكا عليهم. والله أعلم.

السؤال ١٥٣٩: لم أعيد الفعل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ....﴾؟ [البقرة: ٢٤٨].

الجواب: للدلالة على أن كلام نبيهم المذكور في الآية ليس من بقية كلامه في الآيتين السابقتين؛ بل هو حديث آخر متأخر عنهما، وللإشعار بأنه تخلله كلام من جهة المخاطبين متفرع على كلامه السابق. والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٤٠: ما سر تقديم قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩] على المستثنى في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٤٩] حيث كان الظاهر أن يقال: «.... إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني إلا من اغترف غرفة بيده ومن لم يطعمه فهو مني»؟

الجواب: وقع قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾؛ استثناء من قوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ﴾ وقدم عليه قوله -على خلاف الظاهر- ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾؛ للعناية بالمقدم وللتنويه بشأنه؛ إذ المطلوب أن لا يذاق من الماء رأسا، والاغتراف بالغرفة رخصة فقدم ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾؛ لأنه عزيمة احتفالا به، واعتناء

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (١/ ٢٤١)، والتحرير والتنوير (٢/ ٤٨٩).

وتكميلا للتقسيم. والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٤١: لماذا قيل: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩] أي لم يذقه -وهو يقع على الطعام والشراب- ولم يقل ومن لم يشربه فإنه مني فهذا أنسب للماء؟

الجواب: عبر بالطعم أي الذوق عن الشرب؛ لأن الإنسان الذي يبلغ الغاية في العطش ثم يشرب الماء؛ فإنه يجد له مذاقًا ولذةً تضاهي أطيب الطعوم، هذه واحدة، أما الثانية؛ فإن من جعل الماء في فمه وتمضمض به ثم أخرجه من الفم؛ فإنه يصدق عليه أنه ذاقه وطعمه ولا يصدق عليه أنه شربه، فلو قيل: ومن لم يشربه فإنه مني كان المنع مقصورا على الشرب، أما لما قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ كان المنع حاصلا في الشرب وفي المضمضة، ومعلوم أن هذا التكليف أشق، وأن الممنوع من شرب الماء إذا تمضمض به وجد نوع خفة وراحة.

ولعل الحكمة في ذلك الابتلاء؛ هي تمحيص طالوت لإرادة جيشه وصموده وصبره صموده أولا للرغبات والشهوات، وصبره ثانيا على الحرمان والمتاعب؛ لأنه مقدم على معركة ومعه جيش من أمة مغلوبة عرفت الذل والهزيمة في تاريخها مرة بعد مرة، وهو يواجه جيش أمة غالبة، فلا بد إذن من إرادة حديدية؛ تصمد للحرمان والمشاق وتستعلي على الضرورات والحاجات. والله أعلم بمراده(٢).

السؤال ١٥٤٢: ما نوع الفاء؟ وما دلالتها في قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾؟ [البقرة: ٢٤٩].

الجواب: الفاء فاء الفصيحة أفصحت عن كلام محذوف تقديره: فابتلوا به فشربوا

---

(١) ينظر الكشاف (١/ ١٥٠)، وحاشية الشهاب (٢/ ٣٣٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٣/ ٤٩٨- ٤٩٩)، وفي ظلال القرآن (١/ ٢٥٨).

منه، وقد كشفت الفاء عن قلة صبر الملأ من بني إسرائيل، وخور عزيمتهم وضعف إرادتهم؛ بإظهارهم في صورة المبادر إلى الشرب المنهي عنه من النهر إلا قليلا منهم. والله أعلم

السؤال ١٥٤٣: ما نوع الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾؟ [البقرة: ٢٥٠].

الجواب: استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم والله تعالى يفيض عليهم بالصبر؛ بحال الماء يفرغ على الجسم كله فيعمه فتشعر النفس بالراحة والطمأنينة. والله أعلم

السؤال ١٥٤٤: لم خصت الأقدام بالذكر في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؟

الجواب: لأن الأقدام هي التي يكون بها الفرار والثبات؛ فالتعبير بالأقدام مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، وذكر الجزء وأريد الكل لأهمية هذا الجزء -كما وضحت-.

وفي التعبير ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾: كناية عن الثبات في الزحف، وعدم الفرار في الحرب، والرسوخ عند النزال. والله أعلم.

السؤال ١٥٤٥: ما دلالة التعبير بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؟ [البقرة: ٢٥١]

الجواب: دلت فاء الفصيحة في الآية الكريمة على كلام محذوف تقديره: استجاب الله دعاءهم فهزموهم... ، والفاء بينت كرامة تلك الفئة الصادقة الإيمان، وأنه بمجرد انتهائهم من الدعاء ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ كانت إجابة الدعاء، وكان النصر لهم بإذن الله

تعالى. وهكذا طوت الفاء وراءها أحداث المعركة الحامية بين أهل الحق، وأهل الباطل لتخبرنا بنتيجة المعركة التي حُسِمت بالدعاء الصادق من الفئة القليلة الراسخة الإيمان فكان النصر حليفهم. والله أعلم.

السؤال ١٥٤٦: ما سر الالتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٢] **حيث كان مقتضى السياق أن يقال: تلك آيات الله يتلوها عليك بالحق... ؟**

الجواب: لتفخيم الخبر وتشريفه بإسناده إلى نون العظمة، فالقصص والأخبار التي تتلى على الرسول ﷺ من آيات الله تعالى؛ لذا فهي جزء من القرآن الكريم. والله أعلم.

السؤال ١٥٤٧: لِمَ أسندت التلاوة إلى الله تعالى مع أن الذي كان يتلو القرآن على الرسول ﷺ هو جبريل عليه السلام ؟

الجواب: للإشارة إلى أن تلاوة جبريل عليه السلام هي تلاوة الله تعالى؛ لأنه عليه السلام رسوله إلى رسله الكرام من البشر. والله اعلم.

السؤال ١٥٤٨: لماذا قيل: ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ، **ولم يقل مثلًا: وإنك لرسول الله ؟**

الجواب: للرد على المنكرين بتذكيرهم أنه ﷺ ما كان بدعًا من الرسل، وأنه أرسله كما أرسل من قبله، وليس في حاله ما ينقص عن أحوالهم أو يناقضها، ولأن الخبر للرد على المنكرين جاء مؤكدًا بإن واللام واسمية الجملة(١). والله أعلم.

---

(١) يراجع التحرير والتنوير (٢/٥٠٣).

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة ٢٥٣ - ٢٥٧].

السؤال ١٥٤٩: ما الغرض من العدول عن التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ ؟ [البقرة: ٢٥٣].

الجواب: لتربية المهابة. والله أعلم.

السؤال ١٥٥٠: لم قيل: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] **باستخدام اسم الإشارة للمؤنث، ولم يقل: أولئك الرسل، بأداة البعيد للمذكر؟**

الجواب: لأن المقصود الجماعة من الرسل التي ذكرت قصصها في سورة البقرة من آدم إلى داود -عليهم السلام-، أو الجماعة منهم التي ثبت علمها عند رسول الله ﷺ(١). والله أعلم.

السؤال ١٥٥١: من المقصود بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ في الآية الكريمة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ...﴾؟ [البقرة: ٢٥٣]

الجواب: الظاهر -والله أعلم- أنه رسولنا محمد ﷺ وعبر عنه بالبعض دون ذكر اسمه العَلَم؛ للإشعار بأنه العَلَم الفرد الغني عن التعيين؛ لأنه لا يشتبه على أحد، والمتميز الذي لا يلتبس بغيره. وفي هذا الإبهام تفخيم لشأنه ﷺ(٢). وفي تغبير الأسلوب عما قبله وبعده إشارة إلى تفرده وتميزه ﷺ في درجات الشرف والزلفى إلى الله تعالى. وفُضِّل ﷺ عن سائر الرسل الكرام بما لا مجال لتفصيله في هذا المقام، ولكن نذكر من ذلك: إرساله إلى الناس كافة، وإلى تأييده بالمعجزات الكثيرة والتي أخلدها، وأعظمها القرآن الكريم. والله أعلم.

السؤال ١٥٥٢: لماذا خص عيسى عليه السلام بما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾؟ [البقرة: ٢٥٣] **مع أن سائر الرسل الكرام أيدوا بما أيِّد به عيسى عليه السلام أي بالبينات - المعجزات الظاهرة البينة، وبروح القدس أي بجبريل عليه السلام؟**

الجواب: للرد على اليهود المفرطين فيه، حيث أنكروا نبوة عيسى عليه السلام، وعلى النصارى المغالين فيه فزعموا ألوهيته، وأنه ابن الله -تعالى عما يقولون علوا كبيرًا-؛ لذا

---

(١) ينظر تفسير النسفي (١/١٢٧).

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم (١/٢٤٦)، وتفسير النسفي (١/١٢٧).

ذكر معه اسم أمه مريم؛ للتنبيه على أن ابن المخلوق لا يكون إلهًا، وعلى أن مريم أَمَة الله تعالى[(١)]. والله تعالى أعلم بمراده.

السؤال ١٥٥٣: ما الإنفاق المقصود في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾؟ [البقرة: ٢٥٤]

الجواب: المقصود النفقة الواجبة، وهي الزكاة بدليل الوعيد الشديد في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي أن المانعون للزكاة يتصفون بصفة من صفات الكفار. والله أعلم.

السؤال ١٥٥٤: ما فائدة التعبير بـ«من» التبعيضية في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾؟ [البقرة: ٢٥٤]

الجواب: للتيسير على المنفقين؛ بأن ينفقوا جزءًا أي شيئًا مما رزقهم الله تعالى، ولو قيل: أنفقوا ما رزقناكم، لكان واجبًا إنفاق كل ما يملكونه من رزق الله، وتلك مشقة لا يكاد يقدر عليها إلا أقل القليل. وهذا ما أكده إسناد الرزق إليه سبحانه في قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾. والله أعلم.

السؤال ١٥٥٥: ما فائدة ذكر النوم بعد السِّنَة وهو مقدمة النوم في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ...﴾؟ [البقرة: ٢٥٥] **ألا يعد هذا تكرارًا؟**

الجواب: ليس هذا تكرارًا؛ لأن المعنى: لا تأخذه سِنَة فضلاً عن أن يأخذه النوم.

---

(١) ينظر التحرير والتنوير (٣/ ٩).

أو أن المراد المبالغة والترقي؛ لأن القادر على دفع السِّنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي[1]. والله أعلم.

السؤال ١٥٥٦: ما سر تكرار «لا» النافية في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الجواب: لتأكيد نفي السِنَة والنوم عنه سبحانه وتعالى، واستقلال كل واحدة منهما بالنفي والله أعلم.

السؤال ١٥٥٧: ما سر تقديم السنة على النوم في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ؟ [البقرة: ٢٥٥].

الجواب: للمبالغة؛ لأن نفي السنة يدل على نفي النوم ضمنًا فنفيه ثانيًا بالصريح يفيد المبالغة، والمعنى: لا تأخذه سِنَة فضلاً عن أن يأخذه نوم. والغرض من نفي السنة والنوم عن الله تعالى إثبات كمال علمه -سبحانه- وإحاطته، ودوام تدبيره -سبحانه-[2]. والله أعلم.

السؤال ١٥٥٨: لمَ قيل: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **ولم يقل: له من في السماوات ومن في الأرض ؟**

الجواب: لأن الغالب على ما فيهما -السماوات والأرض- أنه ما لا يعقل؛ فأجرى الغالب مجرى الكل فعبر بـ «ما» التي هي لغير العاقل. وأيضًا لأن إسناد هذه الأشياء

(١) ينظر مفاتيح الغيب (٣/ ٥٤٢)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٢٤٨).

(٢) ينظر الفتوحات الإلهية (١/ ٢٠٦).

إليه سبحانه إنما هي من جهة أنها مخلوقة، وهي غير عاقلة من هذه الجهة؛ فعبر عنها بلفظ «ما» للتنبيه على أن المراد من هذه الإضافة إليه -سبحانه- الإضافة من تلك الجهة(١). والله أعلم.

السؤال ١٥٥٩: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؟ [البقرة: ٢٥٥]

الجواب: النفي والإنكار، والمعنى: لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه أي بأمره، وذلك لأن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم عند الله تعالى. والله أعلم.

السؤال ١٥٦٠: ما موقع جملة ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ بالنسبة لما قبلها في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾؟ [البقرة: ٢٥٦]

الجواب: تعليل لنفي الإكراه في الدين؛ فمعالم الدين واضحة جلية، وبراهينه ساطعة نقية، وبهذا يتميز الهدى عن الضلال؛ فالإيمان رشد وهداية يوصل صاحبه إلى السعادة الأبدية، والكفر زيغ وضلال يردي صاحبه إلى مهاوي الشقاء الأبدي.

والحكمة من نفي الإكراه في الدخول في الدين أي الإسلام أن الإيمان به يجب أن يكون بإرادة حرة مطلقة مختارة؛ لأنه انقياد قلبي، واتجاه بالنفس والجوارح وهذا لا يتصور فيه الإكراه وسلب الإرادة الحرة، ومن يكره على هذا فإنه لا يتصور منه إيمان صادق؛ بل قد يكون خنجرًا في خاصرة الدين المنتسب إليه مكرهًا، وقد يأتي بل وقد يتعمد بأفعاله وسلوكه المشين تشويه هذا الدين الذي أرغم على الدخول فيه. والله أعلم

(١) يراجع مفاتيح الغيب (٣/٥٤٣).

السؤال ١٥٦١: ما سر تعدي الإكراه بحرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] حيث كان الظاهر أن يقال: لا إكراه على الدين ؟

الجواب: لأن حرف الاستعلاء «على» يوحي بالضرر والتبعة والثقل، والإسلام لا ضرر ولا مشقة ولا تبعة في الانتساب إليه ولو على طريق الإكراه، فالانتساب للإسلام شرف فخر واعتزاز ونجاة من الخلود في النار والعياذ بالله تعالى؛ لذا تحاشى القرآن التعبير بحرف الاستعلاء، هذه واحدة.

والثانية: أن في التعبير بحرف الاستعلاء؛ إشعارا بقصر نفي الإكراه على أصل الدين، وهذا والله أعلم غير مراد، بل المقصود امتداد النهي عن الإكراه على الدين وفروعه، فلا قسر ولا إلجاء في إجبار أحد على الانتساب إلى الدين والتغلغل في تفاصيله، وهذا ما أشعر به حرف الظرفية «في»، ولو أريد النهي عن مجرد الإكراه على الدخول في الدين لكان الموقع لـ «على».

ألا تشعر معي عزيزي القارئ من خلال إيثار التعبير بحرف الظرفية في الآية الكريمة بأهم خصائص الدعوة الإسلامية ألا وهي الرفق واللين والوسطية والاعتدال ؟! و يجدر القول إلى أنني لم أجد إشارة لا من قريب ولا من بعيد في كتب المفسرين على كثرتها إلى هذا السؤال الذي أثرناه ولا إلى جوابه. والله أعلم بمراده وأعوذ به من الزلل

السؤال ١٥٦٢: ما سر إفراد «الولي» في جانب المؤمنين وجمعه في جانب الكفار في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ ....﴾ ؟

[البقرة: ٢٥٧].

الجواب: للإشارة إلى أن للمؤمنين وليا واحدا لا يختلفون عليه؛ يتوجهون إليه

وتتجه إليه قلوبهم وتتعلق به أفئدتهم، أما الكفار فأولياؤهم كثر تبعا لتعدد أهوائهم وضلالاتهم فهم يسيرون في ركاب أي ناعق وينقادون لكل سائق. والله أعلم

السؤال ١٥٦٣: ما دلالة جمع «الظلمات» وإفراد «النور» في قوله تعالى:
﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ....﴾؟ [البقرة: ٢٥٧].

الجواب: جمعت «الظلمات» للإشارة إلى تعدد سبل الضلالات واختلافها وتنوعها وأفرد «النور»؛ للإشارة إلى وحدة الحق ووضوحها. وقد تناسب الإفراد في «النور» مع وحدة الولاية لله تعالى المعبر عنها بالإفراد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حيث وحدة الولاية لله تعالى مع وحدة صراطه المستقيم المعبر عنه بالنور، كما تعانق الجمع في «الظلمات» المقصود بها ظلمات الشرك والضلال والغواية مع تعدد أولياء الذين كفروا وكثرتهم المعبر عنها بالجمع في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ فحيثما كان الولي واحدا والطريق الموصل إليه واحدا كان الإفراد في «ولي»، و«النور» في جانب المؤمنين، وحينما أريد تعدد الأولياء وكثرتهم وتعدد سبل الضلال والغواية والشرك كان الجمع في «أولياء» و«الظلمات» في جانب الكفار؛ للإشارة إلى تخبطهم وتوزع أهوائهم وشدة حيرتهم. يقول ابن قيم الجوزية: «والمقصود أن طريق الحق واحد إذ مرده إلى الله الملك الحق وطرق الباطل متشعبة متعددة فإنها لا ترجع إلى شيء موجود ولا غاية توصل إليها بل هي بمنزلة ثنيات الطريق، وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود، فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد، ولما كانت الظلمة بمنزلة طرق الباطل والنور بمنزلة طريق الحق بل هي هي أفرد النور وجمعت

الظلمات». والله أعلم.[١]

السؤال ١٥٦٤: لماذا لم يجمع «الطاغوت» كما جمع «الأولياء» فيقال: أولياؤهم الطواغيت كما يقضي به ظاهر السياق مراعاة للتناسب في الجمع حيث خولف ذلك فقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾؟ [البقرة: ٢٥٧].

الجواب: للإشارة إلى مصدر اختلاف أهوائهم وتعدد أوليائهم -أي الكفار- ألا وهو الشيطان الذي يغويهم ويضلهم ويستبعدهم ويطرحهم في طرق الضلال والتشتت. والله أعلم.

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (١/ ١١٩). توزيع دار الفكر للطباعة والنشر – القاهرة – بدون تاريخ.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[البقرة ٢٥٨-٢٦٠]

السؤال ١٥٦٥: ما دلالة ذكر حرف الغاية والانتهاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ... ﴾؟ [البقرة: ٢٥٨].

الجواب: للإشارة إلى بعد هذا المحاج عن جادة الحق والصواب. والله أعلم

السؤال ١٥٦٦: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾؟ [البقرة: ٢٥٨].

الجواب: التعجيز والإفحام والتبكيت. والله أعلم.

السؤال ١٥٦٧: لماذا عبر عن المحاج إبراهيم في ربه بالموصول وصلته ﴿ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ **في قوله تعالى:** ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾؟ [البقرة: ٢٥٨].

الجواب: للإشارة إلى سبب تحيره واضطرابه وعدم قدرته على الرد عن سؤال إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ ؛ فالكفر سبب حيرته، فلو كان هذا النمرود طالب هداية لكانت الحجة القاطعة هادية له بدل أن تكون محيرة، ولكنه أصر على الكفر، وفي ذلك دلالة على أن محاجة هذا الكافر كفر؛ لأنه لم يكن يريد إلا اللجاجة. والله أعلم.

السؤال ١٥٦٨: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ في الآية الكريمة ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ؟ [البقرة: ٢٥٩].

الجواب: في الجملة كناية عن صفة هي الخراب والفناء في تلك القرية الممرور بها. وسر جمال تلك الكناية تصويرها المعنى الذهني المجرد «التدمير والخراب» في صورة حسية ملموسة تتراءى أمام الأعين؛ فترى العظام بالية متفرقة، والجدران متساقطة، والأسقف مهدمة، والحطام يشيع في القرية، وأشلاء موتاها تتناثر، ورائحة الموت فيها تزكم الأنوف. إنها حقا جملة واصفة كاشفة صورت في إيجاز معجز حالة الفناء والدمار التي كانت عليها القرية. والله أعلم.

السؤال ١٥٦٩: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ؟ [البقرة: ٢٥٩].

الجواب: استعظام قدرة الله تعالى في إعادة الحياة إلى تلك القرية الفانية الخاوية على عروشها. والله أعلم

السؤال ١٥٧٠: ما نوع المجاز في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ؟ [البقرة: ٢٥٩].

الجواب: مجاز مرسل بعلاقة المحلية حيث ذكر المحل أي القرية وأريد الحالّ فيها وهم أهلها؛ فالمقصود إذن بموت القرية موت سكانها، والمقصود بإحيائها إحياء من كانوا يسكنون في الدور، وليس إحياء البناء والجدران. وقد أبرز المجاز المرسل حالة الذهول والاستغراق الفكري التي كان عليها ذلك الرجل المار بتلك القرية والتي جعلته مأسور الحس فيوقع تلك الإشارة الحسية «هذه» إلى القرية. والله أعلم.

السؤال ١٥٧١: ما سر تقديم اسم الإشارة على الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ؟ [البقرة: ٢٥٩].

الجواب: للإشعار بأن حالة التدمير والخراب والفناء في القرية بلغت حدا غير مسبوق أو معهود؛ جعلت هذا المار بها يتعجب ويرتاع ويسأل عن كيفية الإعادة لا عن أصل الإعادة، وهذا دليل إيمان ذلك الرجل، ولكنه مأسور الحس والوجدان والعيان وهذا ما دفعه للتساؤل. والله أعلم.

السؤال ١٥٧٢: كيف جاز أن يقال لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ ؟ والخليل عليه السلام من أقوى البشر إيمانا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ ؟ [البقرة: ٢٦٠].

الجواب: لتبرئة إبراهيم عليه السلام من الاتهام بالشك الذي يوهمه ظاهر سؤاله، وذلك باستنطاقه بـ«بلى» ليزول ذلك التوهم عند من فهمه. والله أعلم.(١)

---

(١) ينظر روح المعاني (٣/ ٣٧).

السؤال ١٥٧٣: لماذا وصفت الطير بوصف العاقل ﴿ يَأْتِينَكَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ...﴾؟ [البقرة: ٢٦٠].

الجواب: لأنهن دعين وفقهن الدعوة ولبين؛ فنزلت منزلة العاقل لقيامها بما يقوم به العقلاء. والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٧٤: ما الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾؟ [البقرة: ٢٦٠].

الجواب: الالتماس. والله أعلم.

السؤال ١٥٧٥: لم عبر بـ«من» التبعيضية في قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ ﴾؟ [البقرة: ٢٦٠].

الجواب: للدلالة على اختلاف أنواع هذه الطير، ولعل الحكمة في تعدد الطير واختلافها؛ زيادة التأكيد والتحقق في أن الإحياء بعد الذبح والتفريق لم يكن أهون في بعض الأنواع دون بعض، ولعل جعلها أربعة ليكون وضعها على الجهات الأربع: المشرق والمغرب والجنوب والشمال؛ لئلا يظن لبعض الجهات مزيد اختصاص بتأتي الإحياء. والله أعلم(٢).

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ١٤٩).
(٢) التحرير والتنوير (٣/ ٣٩).

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ
سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي
يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ
وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ
جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ
فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ
ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

[البقرة: ٢٦١-٢٦٧]

السؤال ١٥٧٦: ما نوع التشبيه في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؟ [البقرة: ٢٦٠]. **وما دلالته ؟**

الجواب: التشبيه تمثيلي؛ شبه فيه المعقول وهو النفقة أو مضاعفة أجر النفقة

بالمحسوس المشاهد وهو الحبة التي تنبت في تربة نقية خصبة فتنبت سبع سنابل، وتلك التي تنبت في تربة نقية خصبة فتنبت سبع سنابل، وتلك السنابل؛ لطيبها وخصوبة أرضها وطيبها تراها مليئة بالحب ففي كل سنبلة مئة حبة. هكذا يتضاعف الطيب وينمو ويتكاثر؛ فالسنابل غذاء الحياة وقوامها وأعمال الخير الموصولة بالله تعالى كهذه السنابل في أنها قوام الحياة في جانبها الروحي. والإطار الذي ارتسمت فيه الصورة ووقعت فيه أحداثها هو الأرض الخصبة الممرعة العامرة بالحياة وما فيها من ألفة وحب للإنسان وحنو مدفئ تثمر فيه روحه وإنسانيته. والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٧٧: كيف ساغ إسناد الإنبات إلى الحبة في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ ؟ [البقرة: ٢٦١].

الجواب: لأنه جاء على طريقة المجاز العقلي بعلاقة السببية، ولا يخفى أن المنبت الحقيقي هو الله جل في علاه. والله أعلم.

السؤال ١٥٧٨: ما دلالة «ثم» في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ؟ [البقرة: ٢٦١].

الجواب: «ثم» في الآية للتراخي الرتبي؛ حيث قصد به الترقي وإظهار مزية الإنفاق في وجوه الخير مجردا من المن والأذى، فالإنفاق في وجوه البر درجة، والإنفاق غير المصحوب بالمن ولا بالأذى ولا بالرياء درجة أعلى ومنزلة أسمى؛ فلا بد أن يكون

---

(١) ينظر التصوير البياني (ص٩٩) للدكتور محمد محمد أبو موسى.

المنفق طيب النفس في عطائه حتى تؤتي الصدقة أكلها وتنتج ثمارها، هذا شرط قبول الصدقة. والله أعلم.

السؤال ١٥٧٩: لم قدم المن على الأذى في الآية الكريمة؟

الجواب: أولا المن: هو أن يعد المنفق إحسانه على من أحسن إليه، والأذى: أن يتطاول المنفق على المنفق عليه أو أن يصدر عنه ما يؤذي مشاعر من يأخذ منه، وقدم المنَّ على الأذى؛ لكثرة وقوعه. والله أعلم

السؤال ١٥٨٠: ما سر إسقاط فاء السببية في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟ [البقرة: ٢٦٢].

الجواب: للإيماء بأن ترتب الأجر على الإنفاق في سبيل الله بدون منّ ولا أذى أمر ظاهر لا يحتاج إلى التصريح بالسببية. والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٨١: ما الغرض من تنكير «قول معروف» في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾؟ [البقرة: ٢٦٣].

الجواب: التقليل، والمراد أن أي قول حسن خير للسائل من صدقة يتبعها أذى يلحق به. تأمل -يرعاك الله- كيف تولى الله تعالى الدفاع عن عباده الفقراء! وكيف جعل سمو نفس المنفق بعدم مَنِّه ولا أذاه شرطا لنيل الأجر منه سبحانه؛ فالذين لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى لهم الأجر العظيم عند ربهم، وأمنوا من الخوف في الدارين وأنهم لا يعتريهم ما يحزنهم لفوات مطلوب أو مرغوب. أما الذين يتبعون ما أنفقوا

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٥٨) بتصرف يسير.

بالمن والأذى فهم محرومون من كل ذلك الخير العظيم والأجر الكريم.

وتأمل ختام الآية الكريمة بصفتي الغنى والحلم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾؛ فالله لا يحوج عباده الفقراء إلى تحمل ثقل المنِّ والأذى؛ فهو سبحانه يرزقهم من جهة أخرى، كما أنه سبحانه لا يعاجل أصحاب المن والأذى بالعقوبة لعلهم يثوبون إلى رشدهم فيحسنون معاملة السائلين. والله أعلم.

السؤال ١٥٨٢: ورد تمثيلان في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ **فما بيان هذان التمثيلان؟**

الجواب: التمثيل الأول: شبه سبحانه وتعالى الرجل الذي ينفق ماله رياء وسمعة؛ فيبطل صدقته بمن ينفق ماله رياء وسمعة، وهو مع ذلك كافر لا يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأن بطلان أجر نفقة هذا المرائي الكافر أظهر من بطلان أجر صدقة يتبعها أذى فهو أسوأ حالا؛ لأن المشبه به أقوى دائما من المشبه.

أما التمثيل الثاني: فمثله بالحجر الذي علاه التراب والغبار، ثم أصابه المطر الشديد؛ فأزال ذلك الغبار عنه حتى يصير كأنه ما كان عليه تراب ولا غبار أصلا وبقي صلدا نقيا فلم ينتفع أي نفع بهذا الوابل؛ فالجامع بين حال الحجر الذي سقط عليه الوابل والنفقة ابتغاء وجه الله هو عدم الفائدة والانتفاع بما يمكن أن ينتفع به؛ فصاحب المال ضاع منه ماله من غير فائدة وهذا الحجر انحدر عنه الماء وهو مظنة النماء والعطاء والخير ولم يمسك منه شيئا ولم ينبت عليه نباتا؛ لأنه أزال عنه قشرة

الخصوبة والنماء كما أن قلب هذا المنافق كالحجر الصلد القاسي فلا يتشرب خيرا ولا تنفذ إليه حياة، فقلبه ميت لخلوه من الرحمة والخير والحس الصادق، وهذا التراب هو تلك الغلالة الرقيقة التي توارت حقيقة نفسه خلفها هو رياؤه ونفاقه، ووجه المزيف المخادع الذي سرعان ما تنكشف حقيقته أمام الوابل. والوابل هنا فيه معنى الخير والشر فهو حياة وموت معا، الوابل هنا هو تلك الهزات التي تهز النفوس لتكشف صدقها وكذبها. والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٨٣: ما نوع «من» في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ...﴾؟ [البقرة: ٢٦٥].

الجواب: «من» ابتدائية أي أن هؤلاء الذين ينفقون أموالهم؛ طمعا في رضا الله تعالى يثبتون أنفسهم، ويزكونها ويراقبونها وينقونها؛ لئلا يتسرب إليها الرياء والنفاق فهم يربون أنفسهم على الإيمان واليقين، والتثبيت مبدؤه من أنفسهم. والله أعلم.

السؤال ١٥٨٤: في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ ...﴾ [البقرة: ٢٦٥]. **تشبيه تمثيلي، فما بيانه؟**

الجواب: شبهت النفقة ابتغاء رضا الله عز وجل ببستان بربوة عالية إذا أصابها المطر تشربت منه ما تزداد به عطاء وإنتاجا وتركت الباقي ينحدر إلى القيعان، فإذا لم يصبها وابل لا تكف عن العطاء؛ لأنها تستسقي من نبع آخر هو قطر الندى بطهره ونقائه فهي مخصبة في كل حال ومعطاءة ونامية على الدوام. وخصت الجنة أنها بمكان

---

(١) ينظر التصوير البياني (ص٩٩-١٠٠) محمد محمد أبو موسى.

مرتفع «بربوة» لأنها تكون نقية التربة وأكثر عطاء وأطيب ثمرا وأحسن منظرا. والتشبيه مركب بمركب. والله أعلم

السؤال ١٥٨٥: ما نوع الاستفهام ؟ وما غرضه في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ ؟

[البقرة: ٢٦٦].

الجواب: الاستفهام مجازي، غرضه الإنكار، والتحذير من الحرمان بعد العطاء والشقاء بعد السعادة والحزن بعد الفرح. والله أعلم

السؤال ١٥٨٦: في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ... ﴾ [البقرة: ٢٦٦] مثل آخر للذي يتبع إنفاقه بالمن والأذى حيث جاء في صورتين متقابلتين فما هما ؟

الجواب: جاء التمثيل ليبين حال الرجل الذي يتبع إنفاقه بالمن والأذى في صورتين متناقضتين: الصورة الأولى صورة للنعيم من خلال رجل له بستان عظيم في غاية الحسن، كثيرة المنافع والعطاء. والصورة الثانية صورة الشقاء والفقر والألم، حيث بلغ صاحب تلك الجنة مرحلة العجز عن الكسب والعمل، وله ذرية ضعفاء صغار في غاية العجز أيضا -لصغرهم- والحاجة وإذا بريح شديدة عاتية مصحوبة بنار شديدة تحرق تلك الجنة وتفنيها في لحظات خاطفة؛ فانظر كيف يكون حال هذا الشيخ العاجز ؟! وكم يكون حجم الغم والهم والحسرة والمصيبة والألم الذي يعتصر قلبه بسبب ضياع تلك الجنة العظيمة النفع وبسبب بقائه في غاية العوز والحاجة والفقر مع شدة العجز عن الاكتساب وتعلق غيره به ومطالبتهم إياه بالنفقة عليهم ؟!!

فالتمثيل إذن لنفقة المرائي المنان في ذهابها وعدم نفعها في وقت أحوج ما يكون إليها صاحبها في الآخرة. والله أعلم

السؤال ١٥٨٧: لم خصت النخيل والأعناب بالذكر في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؟ [البقرة: ٢٦٦].

الجواب: لشرفهما وكثرة منافعهما ولكونهما من أفضل الفواكه. والله أعلم

السؤال ١٥٨٨: لماذا قدم النخيل على العنب في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ...﴾؟ [البقرة: ٢٦٦].

الجواب: لأن ثمره أطول بقاء وأكثر فائدة. والله أعلم.

السؤال ١٥٨٩: ما فائدة ذكر «من كل الثمرات» بعد ذكر النخيل والأعناب في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ...﴾؟ [البقرة: ٢٦٦].

الجواب: للاحتراس؛ لئلا يتوهم أن ثمار الجنة مقصورة على التمر والعنب. والله أعلم

السؤال ١٥٩٠: لم ترك العطف في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ...﴾ [البقرة: ٢٦٦] **حيث كان الظاهر أن يقال: تجري من تحتها الأنهار وله فيها من كل الثمرات؟**

الجواب: لأن جري الأنهار وما في الجنة من ثمار صفات مكملة لصورتها. والله أعلم

السؤال ١٥٩١: كيف أسند الجري إلى الأنهار في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؟ [البقرة: ٢٦٦].

الجواب: جاء هذا الإسناد على طريقة المجاز العقلي بعلاقة المكانية؛ للمبالغة في حركة جري الماء وتدافعها حتى لتكاد أماكن جريه هي التي تجري. والله أعلم.

السؤال ١٥٩٢: ما دلالة العطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾؟ [البقرة: ٢٦٦].

الجواب: لتصوير سرعة المفاجأة المؤلمة لصاحب البستان، ولبيان سرعة خراب الجنة وفنائها واحتراقها، تأمل هذا المشهد المصور لحديقة غنَّاء فيها من ألوان النعيم ما فيها، وتأمل ما أفادته الواو في الآية بتبطيء عرض المشهد، وهي تعرض لنا مشهدا من ضروب النعيم في تلك الجنة، لتستغرق عمر صاحب البستان؛ فإذا بها ترينا إياه شيخا هرما، ثم تفاجئنا الفاء وهي تبتلع الزمن في جوفها لتنسف تلك الجنة العامر ة وتجعلها أثرا بعد عين في لحظة خاطفة ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾ فأية مفاجأة قاسية تلك؟! وأية دهشة بل وذهول يرتسم على وجه مشاهد؛ طال تحديقه ببصره في تلك الجنة مستمتعا بجمالها وخلابتها وعطائها ثم فجأة يراها يبابا بعد أن فقدت ماء الحياة قد انمحت وزالت !!

والآن قل لي بربك: أتجد تحذيرا لمن يبطلون صدقاتهم بالرياء والمنّ والأذى أبلغ من هذا التحذير فتذهب كما ذهبت تلك الجنة في لمح البصر ؟ سرعة الهلاك بعد طول الرخاء وشدة الشقاء بعد تطاول زمن السعادة، ذلك ما أبرزته الفاء والواو في ذلك التمثيل البديع. والله أعلم

السؤال ١٥٩٣: ما الغرض من التنكير في «إعصار» و«نار» ؟

الجواب: للتهويل والتفظيع. والله أعلم.

السؤال ١٥٩٤: لم وصفت الذرية بالضعفاء في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾؟ [البقرة: ٢٦٦]، **ولم وصفت الذرية بالضعاف في قوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا﴾؟** [النساء: ٩].

الجواب: وصفت الذرية بالضعفاء في آية سورة البقرة؛ لتتلاءم مع جو المبالغة في التمثيل في الآية؛ فالصيغة «الضعفاء» أكثر مبنى من «ضعاف»، وأدل على تناهي الضعف بما فيها من مد بالألف وما يرمز به إلى السكون والخمود، ولتخلع هؤلاء الصغار الضعاف من شدة العوز والحاجة ما يتلاءم مع تلك الصورتين المتناقضتين؛ ففي الآية الأولى: النعيم الشديد والبؤس المتناهي من جنة معطاءة من كل الثمرات إلى فقر مدقع وعجز تام ومتضاعف رمى بتلك الأفراخ الصغار في أرض محترقة لا ماء فيها ولا ثمر ولا شجر، أرض خراب يباب، صورتا النعيم البالغ والشقاء المتزايد تجسدها مباني الجموع في الصورتين: ﴿نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ﴾ في الصورة الأولى حيث لم يكتف بالدلالة الظاهرة على الجمع في اسم الجنس الجمعي «نخل» و«عنب»؛ فكان جمعهما أشبه بجمع الجمع في دلالته على كثرة المبالغة، وقابله في الصورة الأخرى بالصيغة الأطول بناء والأبلغ معنى «ضعفاء»؛ فتناسب النظم لفظا ومعنى.

أما قوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾؛ فليس فيه غير تحذير الأوصياء على اليتامى مما يمكن أن تتعرض له ذريتهم من بعدهم لمثل ما تعرض له اليتامى الذين يتولون أمرهم من الفقر والضعف، وهذا ما أداه الجمع «ضعافا»، ولا

يوجد ما يتطلب المبالغة ليقال «ضعفاء». والله أعلم.(١)

السؤال ١٥٩٥: لماذا قدم المفعول به «الخبيث» على الجار والمجرور «منه» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ...﴾؟ [البقرة: ٢٦٧].

الجواب: للتخصيص المشعر بتوبيخ المخاطبين بما كانوا يفعلون من إنفاق الخبيث خاصة، لا لتسويغ إنفاقه مع الطيب حيث كانوا يتصدقون بأردأ أنواع التمر فنهوا عن ذلك. والله أعلم.(٢)

(١) ينظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ (ص١٩٠-١٩١) د. محمد الأمين الخضري.
(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٦١) بتصرف.

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨-٢٧٤].

السؤال ١٥٩٦: ما سر تقديم المسند إليه «الشيطان» على خبره الفعلي «يعدكم» في قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ... ﴾؟ [البقرة: ٢٦٨].

الجواب: لتنفير المخاطبين من الحكم المسند إليه، ولتحذيرهم منه ولذم هذا الحكم، وهو الوعد أي الإخبار بالفقر في حالة الإنفاق. والله أعلم[١]

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٥٩) بتصرف.

السؤال ١٥٩٧: إذا كان الوعد هو الإخبار بحصول شيء في المستقبل؛ فلِمَ عبر عن ذلك بالوعد في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨] **مع أن الشيطان لم ينسب الوعد بالفقر إلى جهته؟**

الجواب: الوعد يستعمل في الخير والشر، وعبر عن الإخبار بالوعد للإشعار بمبالغة الشيطان في الإخبار بتحقق حصول الفقر، وكأنه نزله في تحقق الوقوع منزلة أفعاله الواقعة بحسب إرادته والله أعلم.

أو تقول: شبه وسوسة الشيطان في نفوس المنفقين خيار أموالهم وصدقاتهم توقع الفقر بوعد منه بحصوله لا محالة، ووجه الشبه التحقق. ووجه حسن هذا المجاز مشاكلته لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨] فإنه وعد حقيقي. والله أعلم(١)

السؤال ١٥٩٨: ما سر العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩] **حيث كان الظاهر أن يقال: ومن يؤتها؟**

الجواب: لتفخيم شأنها، وللإيماء إلى علة الحكم في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

السؤال ١٥٩٩: ما الغرض من التنوين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾؟ [البقرة: ٢٧٠].

---

(١) يراجع إرشاد العقل السليم (١/ ٢٦٢)، والتحرير والتنوير (٣/ ٥٩).

الجواب: للتفصيل والتعميم، والمعنى: وما أنفقتم من نفقة سرا وعلانية قليلة أو كثيرة أو نذرتم بأي نذر فإن الله يعلمه؛ بدليل إدخال «من» لتأكيد الاستغراق في قوله: ﴿مِّن نَّذْرٍ﴾. والله أعلم.

السؤال ١٦٠٠: لم ذكرت خيرية صدقة الجهر -إن خلصت من الرياء- بعبارة المدح دون التصريح بالخيرية في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ...﴾ ؟ [البقرة: ٢٧١]

الجواب: للإشارة إلى أنها ممدوحة عند الله تعالى كما هي ممدوحة عند الناس؛ فالمعلن بصدقته ينال ثناء الناس إذ يتحدثون بجوده، فبيَّن سبحانه أن عمله ممدوح عند الناس أيضًا، وبذلك ينال المتصدق المخلص في نيته ومقصده -إن أعلنها- ثواب الله، وثناء الناس، وثناء الشرع [١]. والله أعلم.

السؤال ١٦٠١: لماذا عبر عن صدقة السر بقوله تعالى: ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ في الآية: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ...﴾ [البقرة: ٢٧١] **مع أن ذلك مطلوب في صدقة العلانية أيضًا ؟**

الجواب: للإشارة إلى وجوب إعطاء الصدقة لمستحقيها، وإلى وجوب تحري صفة الفقر فيمن يُعْطى، وفي الآية الكريمة دلالة صريحة على أن صدقة السِّر أفضل من صدقة العلانية؛ لأن فيها حفظًا لماء وجه الفقير وكرامته؛ لأنها تستره بستر الله؛ فلا يجتمع عليه ذل الفقر، وذل الأخذ، وذل الإفشاء والإبداء. والله أعلم.

---

(١) زهرة التفاسير (٢/١٠١٩).

السؤال ١٦٠٢: بم يوحي التعبير بحرف الاستعلاء المنفي في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ؟ [البقرة: ٢٧٢]

الجواب: فيه تسرية عن الرسول ﷺ وتسلية له بنفي تحمله تبعة -كما يوحي به حرف الاستعلاء- إعراض قومه عن الإيمان به، والمعنى: لا يجب عليك هداهم أي جعلهم مهتدين، أو لست مسؤولًا بتحمل وزر عدم هدايتهم وإنما عليك البلاغ فحسب. ولا يخفى أن الاستعلاء في الآية مجازي، ولو قيل: ليس عندك أو لك هداهم ما أشعر بنفي مسؤولية عدم هداية من لم يؤمن من قومه عنه ﷺ؛ لذا كان التعبير بالاستعلاء المنفي أدخل في رفع الحرج عنه ﷺ وفي التسرية عنه. والله أعلم

السؤال ١٦٠٣: يفهم من قوله تعالى عن الفقراء المتعففين: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] **على أنهم كانوا يسألون برفق، ويفهم من قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾** [البقرة: ٢٧٣]، **أنهم لم يسألوا الناس بسبب تعففهم، فكيف نوفق بين الجملتين ؟**

الجواب: المراد نفي السؤال والإلحاف أي الإلحاح جميعًا، كقوله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١] ، وكقول الأعشى: لا يغمزُ من أَيْن ولا وَصَب؛ معناه: ليس بساقه أَيْن أي إعياء وتعب، ولا وَصَب أي سقم ومرض. ومن شواهده قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، أي لا شفيع أصلاً، وثم انتفى الشفيع فلا إطاعة(١).

---

(١) ينظر مسائل الرازي وأجوبتها (ص٢٨)، والكشاف (١/ ١٦٤)، والتحرير والتنوير (٣/ ٧٦).

السؤال ١٦٠٤: علام يدل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؟ [البقرة: ٢٧٥]

الجواب: يدل على تفضيل نفقة السر على نفقة العلانية، كما أن نفقة السر وما فيها من خفاء يناسبها ذكر الليل وما فيه من ستر، كما أن نفقة العلانية يناسبها ذكر النهار وما فيه من ظهور. والله أعلم.

السؤال ١٦٠٥: ما سر حذف الفاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؟ [البقرة: ٢٦٢] ، **وما سر إثباتها في قوله تعالى:** ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؟ [البقرة: ٢٧٤]

الجواب: بنظرة فاحصة للآيتين؛ يتبين أن ما وصف به المنفقون في الآية التي ترك فيها العطف بالفاء أعظم وأبلغ مما وصفوا به في الآية التي أثبت فيها العاطف؛ ففي الآية الأولى تصريح بإخلاص نفقتهم لله تعالى بقوله تعالى: ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في حين ذكر في الثانية ما يدل على كثرة إنفاقهم وتنوعه بين السر والعلانية، ثم ارتقى في الأولى ﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾، وتلك درجة عالية في السخاء والإنفاق حتى صار ملازماً للنفس وسجية من سجاياها.

وجاء حرف التراخي «ثم»؛ دليلاً آخر على أن هذا الوصف أي عدم المنِّ والأذى أرقى منزلة من الإنفاق ذاته بدلالة «ثم» على التفاوت الرتبي، وإشعارًا إلى أن الإنفاق

عن قناعة وسماحة ورضا يحول بين المنفق وبين إتباع نفقته ما يبطلها هو أعظم ما في الإنفاق؛ فكان هذا دليلاً دامغًا على ثبات أجرهم واستحقاقه حتى لم يبق للفاء المؤكدة موقع في الآية الكريمة فأسقطت؛ فتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها «للإيذان بأن ترتيب الأخير «أي الأجر» على ما ذكر من الإنفاق، وترك اتباع المنّ والأذى أمر بيّن لا يحتاج إلى التصريح بالسببية»(١).

ولما كانت الآية الثانية ليس فيها ما يدل على المبالغة في وصف المنفقين بما ذكرناه، أثبتت فاء السببية فيها؛ للدلالة على أن استحقاقهم الأجر المذكور في الآية إنما كان بسبب إنفاقهم أموالهم سرًا وعلانية. والله أعلم

السؤال ١٦٠٦: لماذا قيل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ...﴾ [البقرة: ٢٧٤] بتعدي فعل الإنفاق بحرف الإلصاق، ولم يقل: الذين ينفقون أموالهم في الليل والنهار، بحرف الظرفية؟

الجواب: لأن الغرض -والله أعلم- مدح هؤلاء المنفقين بالإشارة إلى استغراق إنفاقهم للزمن كله أي ليلاً ونهارًا، ووقوع تصدقهم في أي جزء من أجزائه؛ فإنفاقهم متواصل في أي وقت من ليل ونهار؛ بدلالة التعبير بالمضارع، وكأنه لا تكاد تمر لحظة من زمن إلا وهي مصحوبة بإنفاق منهم. والله أعلم.

(١) إرشاد العقل السليم (١/٢٥٨)، ويراجع أيضًا من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (ص١٤٢).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦]

السؤال ١٦٠٧: لمَ عبر عن الأخذ بالأكل في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾؟ [البقرة: ٢٧٥].

الجواب: المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ الآخذون له والمتعاملون به، وإنما عبر عنه بالأكل؛ لأن الأكل أعظم منافع المال، ولأن نفس الربا الذي هو الزيادة في المال لا يؤكل، وإنما يصرف في المأكول غالبًا فيؤكل. والله أعلم.

السؤال ١٦٠٨: ما الغرض من التشبيه في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾؟ [البقرة: ٢٧٥].

الجواب: شبه المرابون حين يقومون من قبورهم يوم القيامة ويخرجون؛ بالمصروع الذي لا يستطيع السيطرة على أفعاله وحركاته، ويكون ذلك علامة لهم يعرفون بها بين أهل الموقف هتكًا لهم وفضيحة. واضح الآن أن الغرض من التشبيه هو تشويه المشبه. والله أعلم.

السؤال ١٦٠٩: علام يعود اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ﴾؟ [البقرة: ٢٧٥].

الجواب: يعود إلى العقاب المُعَد للمرابين، وهو أنهم يقومون من قبورهم

كالصرعى بسبب مس الشيطان لهم. والله أعلم.

السؤال ١٦١٠: كيف قيل: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] مع أن الكلام في الربا لا في البيع ؟

الجواب: ما ذكر في الآية الكريمة حكاية لقول المرابين بأن البيع مثل الربا في الجواز؛ فقد جعلوا الربا أصلاً وقانونًا في الحِل، والبيع فرعًا حتى شبهوه به، وهذا من باب التشبيه المعكوس، وذلك للإشارة إلى كمال مبالغتهم واعتقادهم في حِلّ الربا، يعينك على هذا الفهم أيضًا إيثار القصر بـ «إنما» التي تستخدم في الأمر المعلوم الذي لا يجهل ولا ينكر كما قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني[1]، وفيه دلالة على تعنتهم وشدة اعتقادهم في حل الربا، وأنه الأصل الذي يقاس عليه، وأن ذلك أمر معروف شائع معلوم لا ينبغي أن ينكر عليهم أو يُنازَعوا فيه. والله أعلم.

السؤال ١٦١١: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؟ [البقرة: ٢٧٥].

الجواب: لنسف مقولة المرابين، ولإنكار تسويتهم بين الربا والبيع؛ إذ الحل مع الحرمة ضدان فأنّى يتماثلان في الجواز ؟![2]

السؤال ١٦١٢: ما سر تذكير الفعل «جاءه» في قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾ [البقرة: ٢٧٥] حيث كان الظاهر أن يقال: فمن جاءته موعظة ؟

الجواب: أولًا معنى الآية: فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهي عن الربا؛

---

(١) يراجع دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني (ص ٣٣٠).

(٢) ينظر تفسير النسفي (١/ ١٣٨).

فسارع بالامتناع عن التعامل به وأقلع عنه -كما تدل الفاء-؛ فإنه لا يؤاخذ بما مضى منه ولا يسترد منه ما تعامل به من زيادة؛ لأنه أخذه قبل نزول التحريم. ونعود للإجابة عن السؤال فنقول: ذُكِّر الفعل ولم يؤنث؛ ترفيعا لقدر تلك الموعظة وتشريفها لها (١). والله أعلم.

السؤال ١٦١٣: لماذا أوثر التعبير بالمجيء دون الإتيان في قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾؟ [البقرة: ٢٧٥].

الجواب: أوثر التعبير بالمجيء؛ لأنه مجيء فيه إلزام لوضوح الحُجَّة بدلالة التعبير بـ «موعظة»؛ فبناء «مفعلة» فيه مبالغة في معنى الوعظ لزيادة المبنى؛ فالميم يوحي بتمام الموعظة والهاء رمز لانتهائها إلى القلوب، وإشراقها في النفوس، وموعظة تلك أوصافها؛ فإنها حَرِية عند ورودها وسماعها ومجيئها أن تنقاد لها القلوب المؤمنة فتمتثل وتنتهي عما تُنْهى عنه. والله اعلم.

السؤال ١٦١٤: ما سبب فصل قوله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ...﴾ [البقرة: ٢٧٦] **عما قبله ؟**

الجواب: الفصل للاستئناف البياني -شبه كمال الاتصال-؛ حيث وقعت الآية جوابًا عن سؤال عن حال الذين يصرون على التعامل بالربا ولا ينتهون بموعظة الله تعالى؛ فأجيب: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ...﴾ ببيان سوء عاقبة الربا في الدنيا بعد بيان عاقبته في الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٦] والله أعلم.

---

(١) ينظر نظم الدرر (١/٥٣٨).

السؤال ١٦١٥: علام يدل التعبير بالمَحْق في قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ ؟ [البقرة: ٢٧٦].

الجواب: للدلالة على كمال الإذهاب والإزالة بالكلية بقوة وسطوة؛ أي أن المراد محو البركة من مال المرابي وإن كثر محوًا ساحقًا، وانتزاعها انتزاعًا بحيث لا يبق لها أدنى أثر أو وجود. والله اعلم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٧-٢٨١]

السؤال ١٦١٦: ما دلالة ذكر الصلاة والزكاة مع اندراجهما في الصالحات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؟ [البقرة: ٢٧٧]

الجواب: تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات؛ لشرفهما وفضلهما على سائر الأعمال الصالحة، وهذا من ذكر الخاص بعد العام؛ تنبيها على فضله وشرفه ومكانته. والله أعلم

السؤال ١٦١٧: كيف أثبت الإيمان للمخاطبين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ثم قال معلقًا بالشرط في نهاية الآية: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾؟

الجواب: هذا من باب الإلهاب والتهييج وحث المخاطبين على ترك ما بقي في ذمم الذين عاملوهم بالربا، وأن ترك الربا بالكلية شرط الإيمان، وأن الربا والإيمان لا يجتمعان، وفي هذا تنفير شديد من التعامل بالربا، ووعيد رهيب لمن يصر على التعامل به. والله أعلم

السؤال ١٦١٨: ما دلالة التنكير في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؟ [البقرة: ٢٧٩]

الجواب: للتهويل والتعظيم فهي حرب لا يحيط بها وصف؛ لأنها من الله ورسوله، والإذن في الآية بمعنى الإعلام أي فاعلموا بحرب من عند الله ورسوله. والحرب في الآية مجازية، والغرض الوعيد الشديد والتهديد المزلزل لمن يصر على الربا. والله أعلم

السؤال ١٦١٩: من المخاطب في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؟ [البقرة: ٢٧٩]

الجواب: الخطاب للمؤمنين المُصِرّين على التعامل بالربا؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟﴾ فهو خطاب مع قوم تقدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. والله أعلم.

السؤال ١٦٢٠: ما سر العدول عن تعليق الشرط بـ «إذا» إلى «إن» في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؟ [البقرة: ٢٧٩]

الجواب: للحث على الامتثال على ترك التعامل بالربا. ولو قيل: فإذا لم تفعلوا؛ لكان تأكيدًا على عدم امتثال جميع المخاطبين للأمر بترك التعامل بالربا، وهذا لا يتلاءم مع المخاطب بالإيمان. وفي التعبير بـ «إن» أيضًا دلالة على عدم امتثال بعض المخاطبين للأمر الإلهي. والله أعلم

السؤال ١٦٢١: لمَ عبر عن نفي ترك ما بقي من الربا بقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ **في الآية:** ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؟ [البقرة: ٢٧٩].

الجواب: لأن الذين يتركون ما بقي من عقود عقودها؛ إنما يقاومون شح أنفسهم

ورغباتهم وأهوائهم، فهذه المقاومة، وذلك الكف فعل نفسي جليل يحثهم الله تعالى عليه ويدعوهم إليه (١). والله أعلم.

السؤال ١٦٢٢: علام يدل تعليق الاتقاء على اليوم في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؟ [البقرة: ٢٨١]

الجواب: للمبالغة في التحذير عما يقع فيه من الأهوال والشدائد التي يشيب لها الولدان، وقَوَّى تنكير «يومًا» بدلالته على التفخيم والتهويل التأكيد على تلك المبالغة(٢). والله أعلم

(١) ينظر زهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زهرة (٢/ ١٠٥٨)

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم (١/ ٢٦٨).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾

[البقرة: ٢٨٢ - ٢٨٣].

السؤال ١٦٢٣: ما فائدة ذكر كلمة «دَيْن» في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ حيث كان من الممكن أن يقال: إذا تداينتم إلى أجل مسمى؟

الجواب: لدلالته الظاهرة على تنويع الدين إلى حال ومؤجل. والله أعلم.

السؤال ١٦٢٤: لماذا أوثرت صيغة المفاعلة ﴿تَدَايَنتُم﴾ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] حيث لم يقل مثلاً: إذا استدنتم أو أدنتم؟

الجواب: لأن المطالبة بالكتابة موجهة إلى الطرفين معًا: الدائن والمدين؛ فالكتابة ليست حقًا للدائن بل هي واجب عليه وإن كان الذي يتولاها هو المدين، التداين إذن يشمل الفريقين: الدائن والمدين، فكلاهما متداين: ذلك بالعطاء، وهذا بالأخذ، أما التعبير بـ«استدنتم»؛ فإنها تطلق على المدينين فقط، والتعبير بـ «أدنتم» يطلق على الدائنين؛ لذا كان التعبير بصيغة المفاعلة التي تدل على المشاركة منهم المناسبة للمقام(١). والله أعلم.

السؤال ١٦٢٥: ما الغرض من العدول عن الضمير إلى الموصول في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ ؟ [البقرة: ٢٨٣].

الجواب: للإشارة إلى علة الحكم أي وجوب الأداء أو توثيقه؛ لأنه ائتمنه فحق على المُؤْتَمن أن يؤدي الأمانة. والله أعلم.

السؤال ١٦٢٦: لمَ أضيفت الأمانة إلى المدين وهي الواقع للدائن في قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ ؟ [البقرة: ٢٨٣].

الجواب: المقصود بالأمانة الدَّيْن، وسُمِّي أمانة وأضيف إلى المدين؛ لائتمانه عليه بترك الارتهان به (٢). والله أعلم

السؤال ١٦٢٧: كيف أسند الإثم إلى القلب في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] **مع أن الإثم يسند إلى الشخص ؟**

الجواب: هذا من باب المجاز المرسل بعلاقة الجزئية، حيث عبر عن الكل أي

---

(١) يراجع زهرة التفاسير (٢/ ١٠٦٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٧٢).

الشخص باسم الجزء؛ لأن لذلك الجزء وهو القلب -في الآية- مزيد اختصاص في موضع الحكم؛ لأن الإثم في كتمان الشهادة عمل القلب لا عمل الجوارح؛ ولأن القلب مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإن فسدت فسد الجسد كله، كما أن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ؛ فعند إرادة توكيد الرؤية مثلاً تقول: هذا أبصرته بعيني. وفي إسناد الإثم إلى القلب أيضًا تنبيه واحتراس من أن يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان، وليُعلم أن القلب معدن اقترافه، واللسان ترجمان عنه[١].

والله أعلم.

---

(١) الكشاف (١/ ١٧٠) بتصرف.

قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرٗا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٤- ٢٨٦]

السؤال ١٦٢٨: قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾؟ [البقرة: ٢٨٤]

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ٤٠]؛ **فما سر تقديم المغفرة في آية سورة البقرة وتأخير العذاب، وعكس ذلك في آية سورة المائدة بتقديم العذاب وتأخير المغفرة؟**

الجواب: قدمت المغفرة في آية سورة البقرة؛ لوقوعها سياق يدل على قوة الرجاء لمن أطاع الله تعالى وأحسن وأناب وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ والخطاب للمؤمنين؛ فناسب ذلك تقديم المغفرة على العذاب رحمة منه تعالى، وحثًا لعباده للمسارعة إلى موجبات المغفرة. أما آية سورة المائدة فتقدمها حديث عن الحكم في السارق والسارقة ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ

﴿حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨-٣٩]، وكان من الملائم تقديم العذاب على المغفرة في هذا السياق؛ لأن عذاب السارق والسارقة يقع في الدنيا جزاءً على فعلهما، ثم ذكر المغفرة لهما إن تابا[١]. والله أعلم.

السؤال ١٦٢٩: ما سر العدول عن الجمع إلى الإفراد في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ...﴾ [البقرة: ٢٨٥]؛ حيث كان الظاهر أن يقال: كل آمنوا ... لرجوعه إلى كل المؤمنين؟

الجواب: أفرد الضمير في الفعل «آمن» مع رجوعه إلى كل المؤمنين؛ لأن المراد بيان إيمان كل فرد منهم دون نظر إلى الكل. وغُيِّر النظم في ﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ عما قبله ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾؛ لتأكيد الفارق بين الإيمان الكامل له ﷺ والمبنى على تمام اليقين والمشاهدة والعيان، وبين إيمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان، فشتان شتان بين الإيمانين؛ لذا عبر عنهما وكأنهما مختلفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما، وما فيه من تكرير الإسناد؛ لما في الحكم بإيمان كل واحد منهم من نوع خفاء محوج إلى التأكيد بأن كل واحد من المؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولم يفرق بين أحد منهم[٢]. والله أعلم.

السؤال ١٦٣٠: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب أي صيغة «الافتعال» في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾؟ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) ينظر ملاك التأويل للغرناطي (١/ ١٣٩)، وأسرار التكرار للكرماني (ص ٤٥- ٤٦).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٧٤) بتصرف.

الجواب: ذكر الفعل «كسب» مجردًا في الخير؛ للإشارة إلى أنه يجزئ في الاعتداد به واعتباره مجرد وقوعه، ولو مع الكسل بدون بذل أي جهد بل ومجرد نية المرء فعل الخير فإنه يثاب عليه. وعبر عن الشر بصيغة الافتعال «اكتسب» الدالة على الاعتمال والمعالجة؛ للإشارة إلى أن من طبع النفس الميل إلى الهوى، وإلى أن الإثم لا يكتب إلا مع التصميم والعزم القوي؛ لذا فإن من هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه. والله أعلم

السؤال ١٦٣١: كيف قيل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والخطأ والنسيان مُتجاوَز عنهما ؟

الجواب: المراد بالخطأ والنسيان في الآية الكريمة نتيجتهما من التفريط والإغفال، ولأن المبتهلين بالدعاء إلى الله تعالى في الآية الكريمة مؤمنون متقون، فما كانت تنزل منهم زلة إلا على سبيل الخطأ والنسيان؛ فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانًا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به (١). والله أعلم وأعوذ به من الزيغ والزلل والهوى.

وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،،،

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه في يوم الجمعة الخامس عشر من جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١١/٥/١٣م - الساعة الخامسة عصرًا في خورفكان - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

د. عادل أحمد صابر الرويني

---

(١) ينظر الكشاف (١/ ١٧٢).

تعريف موجز بالمصطلحات البلاغية الواردة في الكتاب

١- الازدواج:

له عدة تعريفات أهمها:

أ- هو تجانس اللفظين المتجاورين مثل: مَن جَدَّ وَجَدَ ومن لجَّ وَلَج؛ فالازدواج بين لفظي «جَدَّ» و«وَجَدَ» و«لجَّ» و«ولَج» والازدواج بهذا التعريف من المحسنات اللفظية.

٢- الاستعارة:

هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي «الحقيقي» للفظ، وشرط الاستعارة: ألا يذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه لفظًا ولا تقديرًا بحيث تختفي كل أركان التشبيه ما عدا أحد الطرفين المشبه أو المشبه به؛ لذا قيل في تعريفها أيضًا: إنها تشبيه حُذِف أحد طرفيه: فهي تبنى على المشابهة وهي من المجاز اللغوي. وقد يجمع بين الطرفين المشبه والمشبه به على وجه لا ينبئ عن التشبيه. مثل قولهم: سيف عليّ في يد أسد.

فقد جمع بين المشبه «علي» والمشبه به «أسد» وعلى الرغم من ذلك فإن الكلام استعارة وليس تشبيهًا؛ لأن الكلام مسوق لإثبات شيء واقع على الأسد وهو كون السيف في يده لا لإثبات التشبيه.

أركان الاستعارة هي أربعة:

المُسْتعار منه: وهو المشبه به.

والمُستعار له: وهو المشبه.

المُستعار: وهو اللفظ المنقول لغير ما وُضِع له على سبيل الإعارة.

المُستعير: وهو الشخص المتكلم بأسلوب الاستعارة.

أقسام الاستعارة: للاستعارة تقسيمات كثيرة؛ فباعتبار ما يذكر من الطرفين تنقسم إلى تصريحية أو مكنية، وتنقسم باعتبار اللفظ المستعار إلى أصلية وتبعية، وتنقسم باعتبار الجامع إلى عامية وخاصية، وتنقسم باعتبار الملائمات إلى مرشحة ومجردة ومطلقة.

أ- الاستعارة الأصلية: تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى تصريحية وتبعية.

والتصريحية: هي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس حقيقةً أو تأويلاً، والمراد باسم الجنس هنا ما دَلَّ على ذات تصلح لأن تصدق على كثير من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة

وعليه، فالاستعارة الأصلية تكون إذا كان اللفظ المستعار:

١- اسم عين يصلح باعتبار أصله؛ لأن يصدق على كثير من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة مثل: أسد، وثعبان، وبحر وقمر وبُستان.

٢- اسم عين يصلح تأويلاً؛ لأن يصدق على كثير من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة، كحاتم ومادر وسحبان وباقل.

٣- اسم معنى يصلح؛ لأن يصدق على كثير من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة، كالإحياء والنُّطق والقتل.

ومن شواهدها قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ

رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

ب- الاستعارة التبعية:

هي التي ما لم يكن اللفظ المستعار فيها اسم جنس كالأفعال والمشتقات والحروف. وإنما سُميت الاستعارة تبعية؛ لأنها تابعة لاستعارة أخرى في معاني مصادر الأفعال والمشتقات، ولمتعلقات معاني الحروف بالنسبة للحروف؛ لما تقرره من أن الاستعارة تقتضي كون المستعار منه «معنى المشبه به» موصوفًا بوجه الشبه، والذي يصلح للموصوفية الحقائق الثابتة وهي كما قلنا معاني المصادر بالنسبة للأفعال المشتقات، ومتعلقات معاني الحروف بالنسبة للحروف دون الأفعال والمشتقات والحروف أنفسها؛ لأنها ليست حقائق ثابتة تصلح للموصوفية.

وعليه فالاستعارة التبعية تكون إذا كان اللفظ المستعار.

١- فعلاً؛ ماضيًا أو مضارعًا أو أمرًا.

٢- مشتقًا: كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة وأفعل التفضيل، واسم الآلة، واسم الزمان، واسم المكان.

٣- حرف معنى: مثل: «مِن، وفي، واللام».

جـ - الاستعارة التمثيلية: هي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل الصورة المشبهة في جنس المشبهة بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه.

أو هي: تركيب استعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.

ويكثر ورودها في الأمثال السائرة مثل: «أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى»؛ شبه

صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى.

هـ- الاستعارة المكنية:

هي ما حذف منها المشبه به، واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه مع ذكر المشبه.

وجمال هذه الاستعارة يبرز بما فيها من تشخيص وتجسيد.

و- الاستعارة التهكمية «التلميحية»:

وهي استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذم والإهانة، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

٣- الاستفهام:

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل.

أدوات الاستفهام: للاستفهام أدوات كثيرة وهي نوعان:

الأول: حرفان وهما الهمزة وهل. وتستعمل الهمزة لطلب التصديق: وهو إدراك النسبة أي تعيينها. والجواب عنها يكون بنعم أو لا مثل أقام محمد؟ ويمتنع هنا ذكر المُعَادِل بعدها. وإن جاءت «أم» بعدها؛ فهي بمعنى «بل» نحو: أيوم السبت الإجازة الأسبوعية أم يوم الجمعة ؟

ويطلب بالهمزة أيضًا التصور وهو إدراك المفرد أي تحديده مثل أقام محمد أَمْ قعد؟ وتأتي الهمزة متلوة بالمسؤول عنه. ويذكر في الغالب مُعَادِل بعد «أَمْ» وتسمى «أَمْ» هنا «أَمْ المتصلة».

أمّا «هل» فلا يطلب بها إلا التصديق، ويمتنع معها ذكر المُعَادِل، والجواب عنها

يكون بـ «نعم» أو «لا»، مثل: هل عاد المسافر ؟

النوع الثاني من أدوات الاستفهام أسماء، ولا يطلب بها إلا التصور وهي:

ما: يطلب بها شرح الشيء أو حقيقة المسمى نحو: ما البلاغة ؟ ويسأل بها عن غير العاقل.

مَنْ: للسؤال عن جنس العقلاء، أو يطلب بها تعيين العقلاء.

متى: للسؤال عن الزمان ماضيًا كان أم مستقبلاً.

أيّانَ: للسؤال عن الزمان مستقبلاً لا غير.

كيف: للسؤال عن الحال.

أين: للسؤال عن المكان.

كم: للسؤال عن العدد.

أنَّى: تستعمل تارة بمعنى «كيف وتارة بمعنى» مِنْ أينَ ؟، وتارة بمعنى «متى»

أي: للسؤال عما يميز أحد المشاركين في أمر يعمهما، ويسأل بها عن جميع المعاني السابقة بحسب ما تضاف إليه.

المعاني المجازية للاستفهام:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل إلى معنى غير حقيقي أي الاستفهام عن الشيء مع العلم به، والأغراض المجازية غير الحقيقية للاستفهام كثيرة جدًا، وهي تستنبط من السياق ومن هذه الأغراض:

التقرير - النفي - التهكم والسخرية - الاستبطاء - الاستبعاد - الإنكار - الإيناس - التحضيض - الترغيب والتشويق - التسوية - التمني - التهديد - التهويل - العتاب - الدعاء - النهي - الأمر.

٤- الإسناد الحقيقي:

يكون الإسناد حقيقيًا فيما يأتي:

١- أن يسند الفعل إلى من يقع منه حقيقة ويؤثر في وجوده، وهذا لا يكون إلا لفاعل واحد هو الله تعالى، وأفعاله: خلق ورزق وأحيا وأمات وأوجد.. ونحو ذلك مما لا يقدر عليه سواه جل شأنه.

٢- أن يسند الفعل إلى من يقع منه حكمًا كما في قولهم: قام زيد، وحضر عمرو، وآمن عليّ، وعصى خالد، ونحو ذلك مما لا يكون للفاعل فيه كَسْب واختيار.

٣- أن يسند الفعل إلى ما يتصف به مثل: مرض زيد، وبرد الماء، وأمطرت السماء.

٥- الإسناد الخبري:

هو ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه. وصِدْقُه: مطابقته للواقع، وكذبه: عدمها. وقيل: صدقه مطابقته للاعتقاد وكذبه عدمها.

٦- الإسناد المجازي:

وفيما عدا ما سبق يكون الإسناد مجازيًا حيث يسند الفعل إلى غير ما هو له.

٧- الإطناب:

هو التعبير عن المقصود بلفظ زائد عليه لفائدة تقصد منه؛ فإذا زاد عليه لغير فائدة كان تطويلاً أو حشوًا.

فالتطويل: هو ما لا يتعين فيه الزائد في الكلام.

الحشو: هو الذي يتعين فيه الزائد في الكلام. وهو اللفظ الذي لا يضيف جمالًا أو معنى

جديدًا، وقد يتسبب هذا الحشو في فساد المعنى، وقد لا يفسد المعنى.

ومن الحشو الذي لا يفسد المعنى قول أبي العيال الهُذلي:

ذَكَـرتُ أخـي فعـاوَدَني صُـداعِ الـرأس والـوَصَبُ

ومن الحشو الذي لا يفسد المعنى أيضًا قول زهير:

وأَعلمُ علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِي

أنواع الإطناب: للإطناب أنواع منها:

٨- الإيضاح بعد الإبهام:

وفائدته: قصد تشويق السامع إلى الشيء لتمكينه في نفسه، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

٩- ذكر الخاص بعد العام:

وغرضه: التنبيه على فضل الخاص، والاهتمام بأمره لداعٍ يقتضيه حتى كأنه ليس من جنس العام؛ تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات.

١٠- ذكر العام بعد الخاص:

وغرضه: إفادة العموم مع العناية بشأن الخاص.

١١- التكرير: وهو على ضربين:

أحدهما: مذموم، وهو ما كان مُسْتَغنىً عنه، غير مستفاد به زيادة معنى لم تُستفد بالكلام الأول.

وثانيهما: ما كان بخلاف هذه الصفة. وهذا مطلوب، وإنما يُحتاج إليه في الأمور المهمة التي تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها.

ومن أغراض التكرير:

أ- تأكيد الإنذار.

ب- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول.

ج- قد يكرر اللفظ لطول في الكلام.

د- قد يكون التكرير للتعدد.

١٢- التكميل أو الاحتراس:

ضرب يتوسط الكلام، والضرب الثاني من الاحتراس ما يقع في آخر الكلام.

١٣- التوشيع:

وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مُفَسَّر باسمين أحدهما معطوف على الآخر.

١٤- الإيغال:

وهو ختم الكلام بما يفيد غرضًا يتم المعنى بدونه، كزيادة المبالغة، وتحقيق التشبيه.

تنبيه: هناك فرقان بين التكميل والإيغال:

أحدهما: أن التكميل يؤتى به؛ لإفادته معنى آخر يكمل المعنى الأول. والإيغال يؤتى به لإفادة نكتة «غرض» في ذلك المعنى بعينه.

الثاني: أن التكميل قد يكون في أثناء الكلام وقد يكون في آخره، والإيغال لا يكون إلا ختمًا للكلام.

١٥- التذييل:

وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها لتوكيده بها. والمراد باشتمالها على معناها إفادتها لتوكيده بها. والمراد باشتمالها على معناها إفادتها بفحواها لما هو

مقصود منها، وبهذا يمتاز التذييل عن التكرير؛ لأن دلالة الثانية على معنى الأولى في التكرير بالمطابقة لا بالفحوى.

والتذييل ضربان:

ضرب يجري مجرى المثل؛ لاستقلاله عما قبله وعدم توقفه عليه

والضرب الثاني من التذييل: ضرب لا يجري مجرى المثل؛ لتوقفه على ما قبله.

١٦- الاعتراض:

من صور الإطناب «الاعتراض» وهو: أن يُؤْتَى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض، كالتنزيه والتعظيم، وكالدعاء والتنبيه وتخصيص أحد المذكورين بزيادة تأكيد في أمر عَلِق بهما والمطابقة مع الاستعطاف وكالتنبيه على سبب أمر فيه غرابة.

١٧- التتميم:

وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود، بفضلةَ تفيد نكتة، كالمبالغة.

١٨- الالتفات:

لغةً: التحول والانصراف من جهة إلى أخرى.

واصطلاحًا: انتقال الكلام أسلوب التكلم والخطاب والغيبة إلى أسلوب آخر غير ما يترقبه المخاطب.

أو هو: الانتقال بالأسلوب من صيغة المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ؛ بشرط أن يعود الضمير الثاني على نفس الذي يعود عليه الضمير الأول.

أو هو: تحويل وجهة الحديث من جهة إلى أخرى كالتحويل من المتكلم إلى الخطاب أو الغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم أو الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم أو الخطاب.

صور الالتفات: صور الالتفات المشهورة عند جمهور البلاغيين هي:

١- من المتكلم إلى الخطاب.

٢- من التكلم إلى الغيبة.

٣- الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

٤- الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

٥- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

٦- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

قيمة الالتفات الفنية:

١- إثارة الحس واسترعاء الانتباه.

٢- تنشيط الذهن.

٣- تظهر قيمته في الغرض الذي يُحَوَّل الكلام من أجله من أسلوب إلى أسلوب كما دللنا ببعض الشواهد القرآنية.

١٩- الأمر:

هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وللأمر أربع صيغ هي:

١- فعل الأمر.

٢- المضارع المقترن بلام الأمر.

٣- اسم فعل الأمر.

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر.

أغراضه البلاغية: قد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ وأغراض أخرى كثيرة تستنبط من السياق، ومن هذه الأغراض:

الإباحة، النصح والإرشاد، الالتماس، الإهانة، التعجيز، التمني

الوعيد، الدعاء، التكوين، التكذيب، التفويض، التهديد، التسخير

التسوية، المشورة، الاعتبار، الإكرام، التأديب.

٢٠ - الإنشاء:

كل كلام لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته، أو هو الكلام الذي لا يصح أن يقال لقائله: إنه صادق فيه أو كاذب.

نوعا الإنشاء: الإنشاء نوعان أو قسمان:

الأول: الإنشاء الطلبي: وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع: الأمر والنهي والاستفهام، والنداء والتمني، وله أساليب متعددة.

الثاني: الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوبًا، وله أساليب متعددة منها: صيغ المدح، الذم، التعجب، القسم، الرجاء، صيغ العقود.

٢١- الإيجاز:

هو أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به، وإلا كان إخلالًا يفسد الكلام. أو هو قلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني.

أو هو: التعبير عن المقصود بلفظ أقل منه بحيث لا يقصر عن تأديته، ولا يخل ببيانه.

أنواع الإيجاز: للإيجاز نوعان:

أ- إيجاز القصر   ب- إيجاز الحذف

أولًا: إيجاز القِصر: وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني. كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾.

ففي هذه الآية لطائف كثيرة، فعدد حروفها قليل، وليس فيها تكرار لفظ، وقد صُرِّح فيها بالمطلوب وهو الحياة مع تنكيرها الدال على التعظيم، فيكون أزجر عن القتل بغير حق، وكذلك جُمِع فيه بين الحياة والقصاص وهو ضد الحياة، فيكون فيه مطابقة «طباق» بينهما، وهي من المحسنات البديعية.

ثانيًا: إيجاز الحذف: وهو ما يكون بحذف حرف أو كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف.

أو هو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه.

* من صور الإيجاز بالحذف:

حذف حرف، حذف جزء من جملة، حذف المضاف إليه، حذف الموصوف، حذف الصفة، حذف الفعل، حذف الفاعل، حذف المفعول به، حذف القَسَم أو جوابه، حذف الشرط، حذف جواب الشرط.

* والنوع الثاني من الإيجاز بالحذف: حذف جملة أو أكثر.

قرينة الحذف: لابد في الحذف من قرينة أي دليل أو علامة تدل عليه، وأدلة الحذف كثيرة منها: دلالة العقل - دلالة العادة - دلالة الحال.

٢٢- البديع:

هو عِلْمٌ يُعْرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.

أو هو العلم الذي يتناول مظاهر تحسين القول بتزيين ألفاظه ومعانيه بألوان بديعية من الجمال اللفظي والجمال المعنوي، ويطلق على هذه الألوان: المحسنات البديعية.

ويشمل البديع نوعين من المُحَسّنَات:

أ- المحسنات المعنوية: ويقصد بها: تحسين المعنى أولًا وتعلقها به لذاته، ويكون تحسينها للفظ ثانويًا، وبالعَرَض كما في المشاكلة؛ فإن القصد الأصلي منها هو تحسين المعنى بجانب اشتمالها على تحسين اللفظ.

علامة المُحَسِّنات المعنوية: علامتها أنه إذا تَغَيَّرت اللفظة إلى ما يرادفها لم يذهب المُحَسِّن المعنوي.

أنواع المحسنات المعنوية:

أ- المحسنات المعنوية تشمل أنواعًا كثيرة منها: الطباق، المقابلة، مراعاة النظير، المشاكلة، المزاوجة، التورية، اللف والنشر، التجريد، المبالغة، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح، الإدماج، التقسيم.

ب- المحسنات اللفظية: ويكون القصد منها أولًا إلى تحسين اللفظ بالذات، وإن تبع ذلك تحسين المعنى.

علامة المحسنات اللفظية: وعلامة المُحَسّن اللفظي أنه لو غُيِّر اللفظ بمرادفه لتغير المحسن، فلو قيل في: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ لو قيل: ويوم تقوم القيامة، لذهب الجناس بخلاف المعنوي؛ فلو غُيِّر اللفظ بمرادفه يبقى

المُحَسِّن، فلو قيل في «الضحك والبكاء»: السرور والحزن لبقى الطباق.

أقسام المحسن اللفظي:

١- الجناس ٢- السجع

٣- رد العجز على الصدر ٤- لزوم ما لا يلزم

٢٣- البلاغة:

لغة: الانتهاء والوصول.

وفي الاصطلاح لها تعريفات كثيرة جدًا منها:

- تأدية المعنى المنشود واضحًا جليًا مؤثرًا في سامعيه، ملائمًا للموقف الذي يقال فيه، وهي بإيجاز: حسن البيان وقوة التأثير.

أو هي: كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن.

أو هي: مطابقة الكلام المقتضى الحال مع فصاحته.

البلاغة بناء على التعريفين السابقين من صفة الكلام لا من صفة المتكلم؛ ولذلك لا يصح ولا يجوز أن يسمى الله -سبحانه- بليغًا؛ إذ لا يصح أن يوصف بصفة موضوعها الكلام.

والبلاغة ثلاثة أقسام: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

٢٤- البيان:

لغة: الكشف والظهور.

وفي اصطلاح البلاغيين: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في

وضوح الدلالة عليه.

وظيفة علم البيان: وظيفته ترجع إلى البلاغة.

أبواب علم البيان: هي بالترتيب.

١- التشبيه.

٢- المجاز «الاستعارة».

٣- الكناية.

وقدم التشبيه على المجاز أي الاستعارة؛ لأن الاستعارة تبنى على التشبيه، وقدم التشبيه والاستعارة على الكناية؛ لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل. إنما لم يكن جزءًا حقيقة؛ لأن الكناية كما سيأتي تعريفها ليس معناها مجموع اللازم والملزوم، وإنما هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم.

٢٥- تأكيد الذَّم بما يشبه المدح:

وهو ضربان:

أحدهما: أن يُستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها، كقولك: فلان لا خير فيه إلاّ أنه يتصدق مما يسرقه.

وثانيهما: أن يثبت للشيء صفة ذَمٍّ ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى.

فائدة هذا الأسلوب: التأكيد، وذلك أنه كدعوى الشيء ببيّنة.

٢٦- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

ويراد بذلك المبالغة في المدح حيث يأتي المتكلم بعبارة يتوهم السامع في بادئ الأمر أنه ذم، وهو ضربان:

أحدهما -وهو أفضلهما وأبلغهما-: أن يستثنى من صفة ذَمٍّ منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء.

والضرب الثاني من تأكيد المدح بالذم: أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.

القيمة الفنية لتأكيد المدح بالذَّم:

١- المبالغة في المدح.

٢- الأثر النفسي في هذا الأسلوب بما فيه من معنى المباغتة والمفاجأة التي تكسبه طرافةً وتثير حوله التنبه

٢٧- التَّرَجِّي:

من أساليب الإنشاء غير الطلبي «راجع الإنشاء» .

الفرق بين التَّرجي والتَّمني:

١- الترجي يكون في أمر ممكن الوقوع، والتمني يكون في الأمر ممكن الوقوع وفي المستحيل.

٢- الترجي في القريب، والتمني في البعيد.

٣- الترجي في المتوقع، والتمني في غير المتوقع.

٤- التمني في المعشوق للنفس، والترجي لغيره.

حروف الترجي: للترجي حرفان هما «لعلّ» و«عَسَى»، وقد تردان مجازًا لتوقع محذور، ويسمى: الإشفاق.

٢٨- التجريد:

هو أبرز صور التشبيه غير الاصطلاحي، والتجريد نوعان:

أ- : النوع الأول: أن ينتزع من الشيء شيء آخر مساوٍ له في صفاته؛ للمبالغة في ذلك الشيء حتى صار بحيث ينتزع منه شيء آخر يساويه في صفاته نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ...﴾ [فصلت: ٢٨]؛ فإنه انتزع من جهنم دار الخلد، وهي عين دار الخلد لا شبيهة بها، وهذا النوع لا صلة له بالتشبيه؛ لأنه ليس هناك مشاركة أمر لآخر في صفة مشتركة وإنما هما شيء واحد.

النوع الثاني: أن ينتزع المشبه به في الأصل من المشبه للمبالغة في التشبيه حتى صار المشبه بحيث يكون أصلاً ينتزع منه المشبه نحو؛ لقيت بزيد أسدًا، ولقيني منه الأسد؛ فإنك تجرد أسدًا من زيد، وأسد مشبه به لزيد في الأصل وليس عينه، ومن التجريد أيضًا قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾.

٢٩- التشبيه:

هو مشاركة أمر لأمر في معنى مشترك بإحدى أدوات التشبيه لفظًا أو تقديرًا؛ لغرض يقصده المتكلم.

وهذا التعريف أقرب التعريفات لبيان التشبيه وتوضيحه؛ لوفائه بأركان التشبيه الأربعة وأغراضه، ولخلوه من بعض المطاعن التي وُجِّهت للتعريفات الأخرى.

أركان التشبيه: أركان التشبيه أربعة هي:

١- المشبه ٢- المشبه به

٣- أداة التشبيه ٤- وجه الشبه

طرفا التشبيه:

١- المشبه ٢- المشبه به.

٣٠- التشبيه الاصطلاحي:

يجب أن تتوفر في التشبيه الاصطلاحي عدة شروط حتى يطلق عليه تشبيهًا منها:

١- ذكر طرفي التشبيه -المشبه والمشبه به- على وجه ينبئ عن قصد التشبيه، وقد يحذف المشبه لفظًا ولكنه يلحظ تقديرًا، وهذا جائز.

٢- ألا يكون التناسب أو الشبه بين طرفي التشبيه تناسبًا كليًا؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، والشيء لا يُشبه بنفسه.

٣- أن يكون الشبه بين الطرفين في جهة أو صفة أو أمر واحد أو جهات أو صفات أو أمور متعددة.

٣١- التشبيه غير الاصطلاحي:

هو ما لا يكون التعبير فيه نصًا في التشبيه، وإنما تبنى العبارة على شيء آخر، وتطوي التشبيه وراء صياغتها التي تبرز غرضًا آخر يستتر التشبيه تحته، وهذا النوع من التشبيه ليس لصوره حدود يمكن أن يوقف عندها؛ لأن تصرفات الشعراء والأدباء والكتاب فيه غير محصورة، ومن صور التشبيه غير الاصطلاحي:

أ- أن يجيء التشبيه على صورة دليل ودعوى، تَقَدَّم فيها الدليل على الدعوى نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨].

ب- أن يكون المشبه مبينًا للمشبه به، نحو قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

ج- أن يكون المشبه به مضافًا إلى المشبه، نحو قول ابن خفاجة الأندلسي:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهــب الأصيل على لجين الماء

د- أن يكون المشبه به تمييزًا للمشبه، كقول ابن الرومي معاتبًا ممدوحه حين تأخر عطاؤه:

فيا لك بحرًا لم أَجِـدْ فيه مشـربًـا وإن كان غير واجدًا فيه مسبحًا

هـ - أن يجيء التشبيه مومىً به «أي مرموزًا إليه أو مشارًا إليه» على طريق الاستفهام، مثل قول الشاعر:

حتـى إذا جَـنَّ الظلام واختـلط جاءوا بمنقٍ هل رأيت الذئب قط؟

كل ما تقدم من صور التشبيه غير الاصطلاحي مردودة إلى التشبيه الضمني الذي يتوارى خلف معانٍ أخرى مما يتعلق بالمشبه أو المشبه به تكون هي المقصودة أصالة، وكأن أمر التشبيه مفروغ منه، فليس في حاجة إلى إثبات وتقرير.

تقسيمات التشبيه: للتشبيه تقسيمات وأنواع كثيرة جدًا بحسب جهة النظر في أداة التشبيه، ووجه الشبه، وطرفي التشبيه، ومن أهم تلك الأقسام والأنواع عامة ما يأتي:

٣٢- التشبيه المُرْسَل المُفَصَّل «التشبيه التام»

وهو التشبيه الذي ذكرت أركانه الأربعة.

وسُمي مُرْسلاً لذكر أداة التشبيه، ومُفَصَّلاً لذكر وجه الشبه.

٣٣- التشبيه المؤكد المفصل: وهو ما حُذِفت منه الأداة وحدها.

٣٤- التشبيه المُرسِل المُجْمَل: وهو ما حُذِفَ منه وجه الشبه وحده.

٣٥- التشبيه المُؤَكَّد المُجْمَل «التشبيه البليغ»:

وهو ما حُذِف منه أداة التشبيه ووجه الشبه.

والتشبيه البليغ: هو أعلى درجات التشبيه على الإطلاق؛ لاشتماله على دعوى الاتحاد بين الطرفين، وعلى دعوى عموم الاشتراك بينهما.

وبناء على هذا فإن مراتب التشبيه وتدرجه في القوة كما يأتي:

١- ما ذكرت فيه كل الأركان، ومرتبته دنيا المراتب.

٢- ما حذف فيه الوجه وحده، وهو أبلغ من الأول.

٣- ما حذفت فيه الأداة وحدها، وهو أبلغ من سابقيه.

ما حذفت فيه الأداة والوجه معًا، ومرتبته أعلى المراتب على الإطلاق كما أشرنا.

٣٦- التشبيه المفرد:

هو ما كان وجه شبهه أمرًا واحدًا أو منتزعًا من أمر واحد، مثل: وجهه كالقمر في الضياء، وكتشبيه الجِلْد الناعم بالحرير، والصوت الضعيف بالهمس.

٣٧- التشبيه المركب:

ما كان وجهه ممتزجًا من أمرين أو أكثر أو منتزعًا من أمرين أو أكثر قد امتزج بعضها ببعض.

٣٨- التشبيه المتعدد:

هو ما جاء معقودًا على تشبيه أمرين أو أكثر بأمرين أو أكثر من غير مزج، ولا بناء بعض على بعض.

فالقلوب الرطبة مشبهة بالعناب، واليابسة مشبهة بالحشف البالي.

٣٩- التشبيه التمثيلي:

هو ما كان وجه شبهه؛ وصفًا وهيئة أو صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور لا من أمر واحد، يعني ما كان وجهه مركبًا مطلقًا سواء أكان حِسِّيًا أم عقليًا.

ونحو قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾.

ووجه الشبه منتزع من متعدد، وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه من سبب البقاء.

العلاقة بين التشبيه والتمثيل:

التشبيه أعم من التمثيل، والتمثيل أخص من التشبيه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً؛ فإذا كان وجه الشبه مفردًا فالتشبيه ليس من التشبيه التمثيلي.

٤٠- التشبيه الضمني:

فالتشبيه في كل تلك الصور السابقة لم يُذكر صراحة، وإنما جاء كالدعوى مصحوبة الدليل عليها.

القيمة الفنية للتشبيه الضمني:

١- إقامة الدليل والبرهان على الحكم المسند إلى المشبه.

٢- فيه ابتكار ودقة وروعة.

٣- فيه إعمال لعقل السامع فكره؛ مما ينشط ذهنه، لمجيئه متواريًا غير ظاهر.

٤١- التشبيه المقلوب أو التشبيه المنعكس:

هو التشبيه الذي يُجعل فيه المشبه مشبهًا به، والمشبه به مشبهًا، وذلك بإلحاق الأصل وهو المشبه به بالفرع وهو المشبه، أو تشبيه الزائد -المشبه به- بالناقص -

المشبه-، وذلك بقصد المبالغة، وادعاء أن المشبه أتمُّ وأقوى من المشبه به في وجه الشبه، وهذا التشبيه جارٍ على خلاف العادة في التشبيه، ووارِدٍ على سبيل الندور. ومن شواهده قولنا:

كأنَّ ضوء النهار جبينه، وكأن الماء في الصفاء طباعه.

٤٢- التشبيه الخيالي المركب:

هو التشبيه المعدوم الذي لا وجود له أصلاً في الواقع والذي اخترعه خيال الإنسان من أجزاء أو أمور كل منها يُدرك بالحِس.

ومن شواهده الشعرية قول أبي بكر الصنبوري في زهر الشقيق الأحمر:

وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

٤٣- التشبيه الحسي:

هو التشبيه المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس.

٤٤-التشبيه العقلي: هو ما كان من المعاني الثابتة الموجودة التي يستقل العقل بإدراكها دون الاعتماد على شيء آخر من حاسة أو غيرها.

٤٥-تشبيه المحسوس بالمحسوس:

هو أن يكون المشبه والمشبه به حسيين،وهو التشبيه الشائع في كلام العرب.

٤٦-تشبيه المعقول بالمحسوس:

وهو أن يكون المشبه عقليًا والمشبه به حِسِّيًا.

٤٧- تشبيه المعقول بالمعقول:

وذلك بأن يكون المشبه والمشبه به عقليين.

٤٨- تشبيه المعقول بالحسي:

هو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وذلك أن يكون المشبه عقليًا والمشبه به حسيًا، نحو تشبيه العِلْم بالنور.

٤٩- تشبيه الحسي بالعقلي:

وهو أن يكون المشبه حسيًا والمشبه به عقليًا، نحو: طيبُ السوء كالموت.

٥٠-تشبيه المفرد بالمفرد: نحو قولك: ضوؤه كالقمر وقلبه كالصخر.

٥١-تشبيه المُقَيَّد بالمُقَيد: وتقييده يكون بالإضافة أو بالوصف أو بالمفعول أو بالحال أو بالظرف أو بغير ذلك. ويشترط في القيد أن يكون له تأثير في وجه الشبه. مثل: التعلم في الصِّغر كالنقش في الحَجَر.

٥٢-تشبيه المركب بالمركب: وهو أن يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة أو صورة حاصلة من مجموع أشياء قد انصهرت وتلاحمت حتى صارت شيئًا واحدًا.

٥٣-تشبيه المركب بالمفرد:

القيمة الفنية للتشبيه:

نجملها في الإبانة والإيضاح والتصوير، وبما يولده من انفعالات وتعايش لدى المتلقي، وبما فيه من قدرة على بيان حال المشبه أو بيان إمكان حاله أو مقداره.. الخ

٥٤-التقديم والتأخير: يقصد به إجمالًا تقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المعفول به على الفاعل وتقديم الفاعل على

الفعل أو المفعول به على الفعل والفاعل معًا، وكذلك كله يكون لغرض بلاغي يقتضيه السياق، ومن تلك الأغراض:

*- أن يتمكن الخبر في ذهن السامع؛ لأن في المبتدأ تشويقًا إليه.

*- تعجيل المسرة، مثل: «فَرَحٌ في دارك» أو الإساءة مثل: «السَّفاح في دار صديقك».

*- تقوية الحكم وتقريره.

*- التخصيص.

*- الاهتمام بالمتقدم.

*- التبرك.

*- رعاية الفاصلة

اعلم أن التقديم في الشواهد السابقة يرجع إلى أصله النحوي ويسمى التقديم المعنوي.

مقامات أخرى للتقديم:

هناك أنواع أخرى للتقديم لا ترجع إلى المسند إليه أو المسند أو متعلقات الفعل، أي لا ترجع إلى السبب النحوي، وإنما يرجع التقديم في الذكر إلى اختصاصه بما يوجب ذلك، ولو أُخِّر لم يتغير المعنى، وإنما يفوت الغرض من التقديم، وهذا القسم لا يختص بالمفردات من الطرفين ومتعلقاتها كما في الأغراض السابقة، ويسمى التقديم الذِّكْري، ومن مقامات هذا النوع:

١- تقديم السبب على المسبب.

٢- تقديم الأكثر على الأقل.

٣- تقديم الأعجب فالأعجب.

٤ - تقديم الترقي.

٥- تقديم الأليق بالسياق.

٥٥- التمني: هو طلب الأمر المحبوب الذي لا يُرْجى حصوله في المستقبل، إمَّا لكونه مستحيلاً، وإمَّا لكونه ممكنًا غير مطموع في نيله.

أدوات التمني: الأداة الموضوعة للتمني: «ليت» وقد تستعمل ثلاثة أحرف للدلالة عليه:

أ- «هل» وسبب العدول عن «ليت» إلى «هل»: إبراز المُتَمَنَّي لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه، وهو المُستفْهم عنه.

ب- لو.

جـ- «لعل»: ونكتة استعماله في التمني: إظهار المُتَمَنَّي في صورة الممكن المتوقع الحصول لشدة الرغبة فيه.

٥٦- التورية:

وهي أن يُطْلَق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما.

والتورية ضربان: مُجَرَّدة ومُرَشَّحة.

أمَّا المُجَرَّدة: فهي التي لم يُذْكر فيها لازم من لوازم المُوَرّي به وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المُوَرَّى عنه وهو المعنى البعيد.

التورية المرشحة: هي التي قُرن بها ما يلائم المُوَرَّى به. وإما أن يُذكر لازم المُوَرَّى به بعد التورية.

٥٧- الجِناس:

هو تشابه كلمتين أو أكثر في اللفظ دون المعنى.

٥٨-الجِناس التام:

هو ما يتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء هي: أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها.

قيمة الجناس التام:

فضيلة الجناس التام؛ تظهر في حُسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة، فإنك ترى الشاعر أو الأديب قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة، وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفَّاها.

٥٩- الجناس غير التام:

هو ما اختلفت فيه الكلمتان في واحد من الأمور الأربعة في الجناس التام، أي في عدد الحروف أو نوعها أو ضبطها «شكلها وهيئتها»، أو ترتيبها.

الجناس الناقص: هو أن يختلف ركنا الجناس في أعداد الحروف، وسمي ناقصًا؛ لنقصان أحد اللفظين عن الآخر، ويكون ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يختلفا بزيادة حرف في الأول. أو في الوسط، كقولهم: جَدِّي جَهْدي أو في الآخر.

الوجه الثاني: أن يختلف اللفظان بزيادة أكثر من حرف واحد.

٦٠- الجناس المضارع واللاحق:

هو أن يختلفا لفظا الجناس في أنواع الحروف، بشرط ألاَّ يقع الاختلاف بأكثر من

حرف واحد؛ فإن كان الحرفان المختلفان متفقين في المخرج أو متقاربين سُمي الجناس «مضارعًا»؛ لمضارعة ومشابهة الحرف المخالف لما يقابله في المخرج.

وإن كان الحرفان المختلفان غير متقاربين سمي الجناس «لاحقًا».

٦١- جناس القلب: هو أن يختلف لفظا الجناس في ترتيب الحروف، وهو ضربان:

أحدهما: قلب كل الحروف.

والثاني: قلب بعض الحروف.

٦٢-الجناس المُحَرَّف: هو ما اختلف فيه لفظا الجناس في هيئة الحروف من حركة وسكون، مع التساوي في عدد الحروف ونوعها وترتيبها. وسُمِّي مُحَرَّفًا لانحراف أحد لفظيه عن الآخر.

٦٣- حسن التقسيم: هو تماثل الوحدات الصوتية في النص ورصفها على نحو يحقق نوعًا من الموسيقى.

٦٤- الحقيقة: هي الكلمة المستعملة فيما وُضعت له في اصطلاح به التخاطب. أو هي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي.

أو هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع، كاستعمال كلمة «الأسد» على الحيوان المفترس المعروف، وكلمة «الشمس» على النجم المعروف.

٦٥- الخَبَر: هو قول يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، أو ما جاز على قائله التصديق والتكذيب، وصدقه يكون بمطابقة حُكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه لهذا الواقع.

أَضرُب «أنواع» الخبر: الخبر ثلاثة أضرب:

الأول: الابتدائي، وهو الخبر الذي يكون خاليًا من المؤكدات؛ لأن المخاطب خالي

الذهن من الحكم الذي تضمنه.

الثاني: الطلبي، وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته؛ لذا يستحب التأكيد بمؤكد واحد.

الثالث: الإنكاري، وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكارًا يحتاج إلى أن يؤكَّد بأكثر من مؤكد.

أغراض الخبر الأصلية: للخبر غرضان أصليان هما:

الأول: فائدة الخبر، ومعناه: إفادة المخاطب أمرًا يجهله، وهذا هو الأصل في كل خبر؛ لأن فائدته تقديم المعرفة أو العلم للآخرين، مثل: تُوُفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.

الثاني: لازم فائدة الخبر، وهذا الغرض لا يُقَدِّم جديدًا للمخاطب وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحُكْم، كقولك لمن يُخفي زواجه عليك: أنتَ تزوجتَ.

أغراض الخبر غير الأصلية:

وذلك يكون عند علم المخاطب بالغرضين الأصليين للخبر، فلا يكون الغرض من الخبر حينئذ إفادتهما -أي إفادة المخاطب حُكمًا، أو إفادة المخاطب أن المتكلم عَالِم بالحكم-، وإنما يكون الخبر لأغراض أخرى تُفهم من السياق، وتُظهر عاطفة الأديب، وتنقل مشاعره فيتحقق بذلك التأثير والإمتاع، ومن هذه الأغراض:

١- إظهار الفرح والسرور.

٢- إظهار الأسف والحسرة على فائت.

٣- التوبيخ.

٤- إظهار الضَّعْف والخشوع.

٥- التهكم والسخرية.

٦- النصح والإرشاد: وذلك إذا تضمن الخبر ما يفيد وينفع المخاطب.

٧- الفخر، وذلك إذا تضمن الخبر المفاخر والأمجاد بضمير المتكلم.

٨- الدعاء.

٩- التحذير.

١٠- تحريك الهمة.

١١- الوعد.

١٢- الوعيد.

٦٦- رَدُّ العَجُز على الصَّدْر:

أولًا: في النثر: وهو أن يُجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها..

ثانيًا: في الشِّعْر:

وهو أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين في آخر البيت، والآخر في صدر البيت أو حشوه أو آخره أو صدر الشطر الثاني.

قيمته الفنية: تقوية القافية، وتفخيم الوزن الشعري.

٦٧- الصورة البيانية: تعني الصورة التي تُنسب إلى عِلْم البيان، وهي تشمل: التشبيه -الاستعارة- الكناية.

أسماؤها:

١- التصوير البياني.

٢- الصورة البلاغية.

٣- الصورة الجزئية.

٤- الصورة الخيالية.

٦٨- ضرب المثل:

هو بيان الحال التي تشبه وتمثل بحال واقعة ثابتة. وللمثل مضرب ومورد كما يقول علماء البلاغة، فالمورد: هو الحال التي تشبه بها القول والتي صدر منها. والمضرب: هو الحال التي تشبه الحال التي وقعت أو هي ثابتة.

٦٩- الطباق:

هو الجمع بين المعنيين المتقابلين، أو هو الجمع بين اللفظ وضده.

من صور الطباق:

أ- طباق بين اسمين. ب- طباق بين فعلين.

ج- طباق بين حرفين. د- طباق بين ظرفين.

هـ- طباق بين فعل واسم. و- طباق بين اسم وحرف.

ز- طباق بين حرف وفعل.

٧٠-الطباق الظاهر:

يقصد به كون المعاني المتضادة واضحة في الألفاظ يمكن إدراكها بسهولة كما في الأمثلة والشواهد السابقة.

٧١-الطباق الخفي:

هو الذي لا تظهر فيه المعاني المتضادة في الألفاظ، ويحتاج إلى تأمل لاستخراج المعاني المتضادة في الألفاظ.

أقسام الطباق: ينقسم الطباق إلى قسمين هما: طباق الإيجاب، وطباق السَّلْب.

٧٢- طباق الإيجاب: وهو أن يكون اللفظان المتقابلان في معناهما ذُكرا موجبَيْن، أي غير منفيين.

٧٣- طباق السَّلْب: هو أن يجمع بين فِعْلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي، أو أن يُجمع بين فِعلَين أحدهما أمر والآخر نهي.

٧٤- طباق التدبيج: وهو أن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان لقصد الكناية أو التورية.

٧٥- الطباق الحقيقي: هو ما كان بألفاظ الحقيقة سواء كان من اسمين أو فعلين أو حرفين.

٧٦- الطباق المجازي: هو ما كان بألفاظ المجاز.

٧٧- الطباق المعنوي: هو مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ.

ما يلحق بالطباق: يلحق بالطباق شيئان:

أحدهما: الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم، أي يجمع بين معنيين ليس أحدهما مقابلاً للآخر ولا منافيًا له لكن يتعلق أحد المعنيين يقابل المعنى الآخر، وهذا التقابل ليس بين المعنيين بل بين أحدهما وملزوم الآخر.

ثاني ما يلحق بالطباق: إيهام التضاد: وهو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين، ولا يستلزم ما أريد بأحدهما بما يقابل الآخر، ولكن عُبِّر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان

٧٨- القصر: مادة القصر، القاف والصاد والراء تدل على معنيين، أحدهما؛ يدل على ألاَّ يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر؛ يدل على الحَبْس.

والقصر اصطلاحًا: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والشيء الأول هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه، وهما طَرَفا القَصْر، ومنه قولك: ما فارس إلاَّ خالد؛ فقد قصرت صفة الفروسية على شخص واحد فقط هو خالد، ومنه قولك: ما الشاعر إلاَّ المتنبي؛ فقد قَصَرت صفة الشاعرية على موصوف واحد هو المتنبي.

٧٩- المقصور والمقصور عليه:

عرفتَ أن القصر تخصيص شيء بشيء، والشيء الأول هو الذي خصصته بغيره وقصرته عليه ويُسَمَّى المقصور، والشيء الثاني: هو الذي خصصت به غيره وقصرته عليه، ويسمى مقصورًا عليه. ولابد أن يكون أحدهما صفة والآخر موصوفًا.

مواقع المقصور عليه:

١- المقصور عليه مع «إنما» هو المُؤَخَّر.

٢- المقصور عليه مع «التقديم» هو المُقَدَّم.

٣- المقصور عليه في النفي والاستثناء هو ما يلي إلاَّ.

٤- المقصور عليه في العطف بـ «بل ولكن» هو ما بعدهما.

٥- المقصور عليه في العطف بـ «لا» هو ما قبلها.

طُرُق القَصْر: طرق القصر الاصطلاحية أربعة هي:

أ- النفي والاستثناء. ب- إنما.

جـ- العطف بلا، وبل، ولكن. د- التقديم.

* تقسيمات القَصْر.

٨٠- القصر الحقيقي: هو تخصيص شيء بشيء، بمعنى إثباته له، ونفيه عن كل ما عداه.

٨١- القَصْر المجازي: هو أن تثبت الشيء للشيء، وتنفيه عن كل ما عداه أو بعضه نفيًا يقوم على المبالغة والتجوز، ولا يقوم على المطابقة الحقيقية للواقع.

٨٢- القصر الإضافي: هو أن تريد بالقَصْر إثبات شيء لشيء، ونفيه عن أشياء معينة يُشير إليها السياق.

أقسام القَصْر الإضافي:

أ- قصر إفراد ب- قصر قلب ج- قصر تعيين

الخلاصة في التعرف على أنواع القصر:

١- الأصل في التعرف على القصر الحقيقي والإضافي؛ عموم النفي وخصوصه.

٢- الأصل في التعرف على القصر الإضافي من إفراد وقلب وتعيين؛ دلالة القرائن على تصور الِشْركة، أو العكس أو التردد.

٣- الأصل في التعرف على القصر التحقيقي والادعائي؛ المطابقة للواقع الخارجي أو عدم المطابقة.

٤- القصر التحقيقي والادعائي يجريان في أقسام القصر كلها.

شجرة تقسيمات القصر

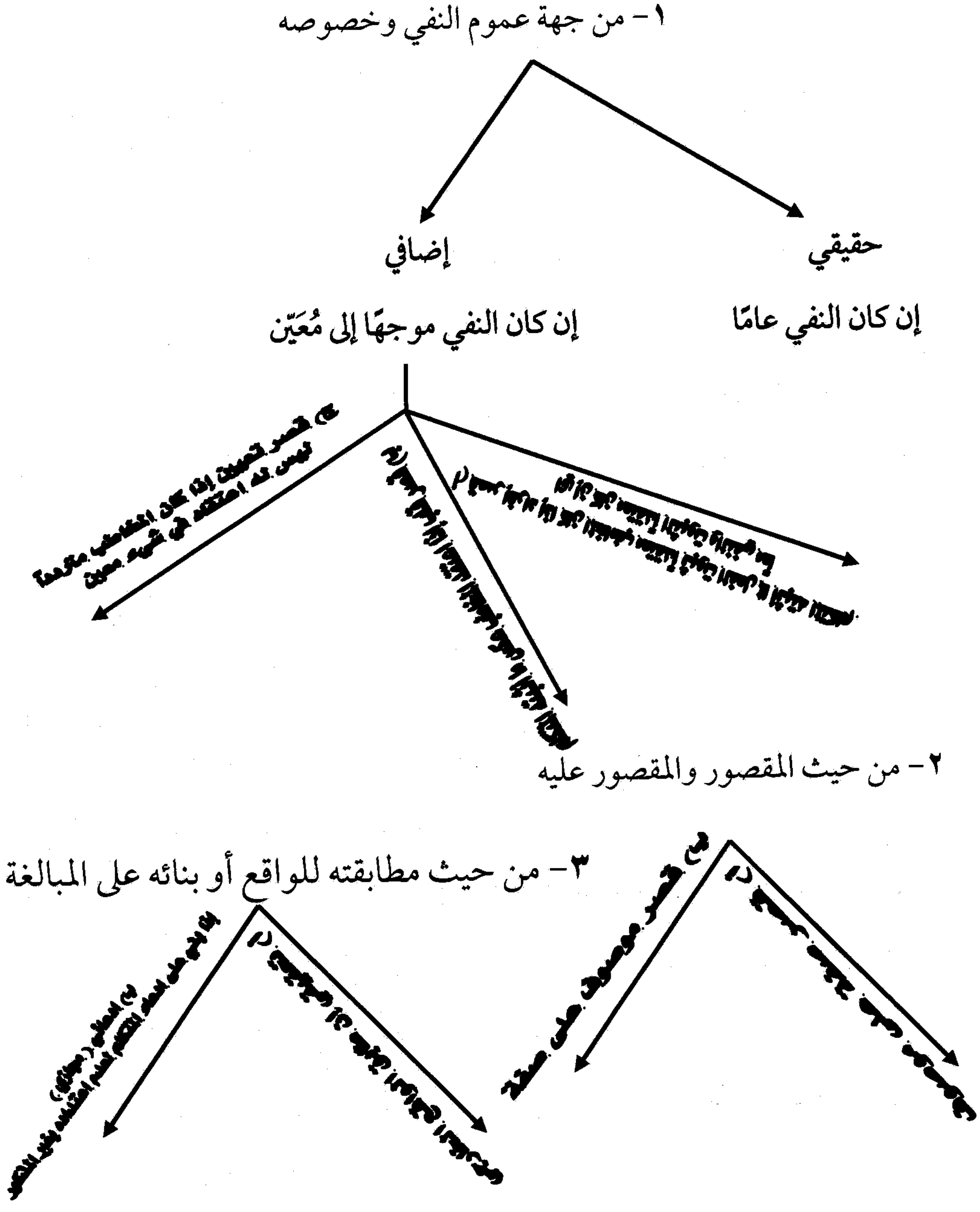

٨٣- الكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه.

الفرق بين الكناية والمجاز:

في الكناية يستقيم المعنى المباشر للفظ، أمَّا في المجاز فلا يستقيم المدلول المباشر للعبارة إلاَّ على أساس من التجوز والتأويل.

أنواع الكناية:

تنقسم الكناية من حيث مدلولها إلى ثلاثة أنواع:

أ- الكناية عن صفة.

ب- الكناية عن موصوف.

جـ- الكناية عن نِسْبَة: ويُراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

- القيمة الفنية للكناية؛ إثبات المعنى مصحوبًا بالدليل.

٨٤- المجاز: هو ما أفاد معنى غير مصطلح أو متعارف عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب؛ لعلاقة بين الأول والثاني، أو هو كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها؛ لملاحظة بين المعنى الأصلي والمعنى غير الأصلي.

مثل استعمال كلمة «بحر» على العَالِم، و«قمر» على الإنسان الجميل الوجه.

نَوْعَا المجاز: المجاز نوعان؛ مفرد ومركب.

نوعا المجاز المفرد: ينقسم المجاز المفرد إلى مُرْسَل واستعارة.

٨٥- المجاز المُرْسَل: هو ما كانت العلاقة بين ما استُعمل فيه اللفظ، وما وضع له ملابسة -علاقة- غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة.

ومن أشهر علاقات المجاز المُرْسَل:

١- الجزئية: وهي تسمية الشيء باسم جزئه. أو أن يُطْلق لفظ الجزء ويُقصد به الكل.

٢- الكُلِّية: أن يُطلق لفظ على الكل ويُراد به الجزء.

٣- السببية: هي أن يكون المعنى الحقيقي، والمدلول الأصلي للفظ المذكور في التعبير؛ سببًا في المعنى المجازي، فيطلق اسم السبب ويراد المسبب؛ لأن القرينة تصرف عن إرادة معناه الحقيقي.

٤- المُسَبَّبِيَّة: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ؛ مُسَبَّبًا عن المعنى المقصود؛ فيطلق حينئذ اسم المسبب ويراد السبب؛ وهذا النوع من التعبير شائع في الاستعمال العربي.

٥- الحالية: وهي أن يُطلق اسم الحال ويراد المحل، فيكون المعنى الأصلي للفظ المذكور حالًا في المعنى المقصود.

٦- المَحَلِيَّة: وهي تسمية الحال باسم محله.

٧- الآلية: وهي أن يذكر اسم الآلة ويراد الأثر الناتج عنها.

٨- اعتبار ما كان: وهو أن يُسَمَّى الشيء بالاسم الذي كان عليه أو الحالة التي كان عليها قبل وقت التكلم.

٩- اعتبار ما يكون: وهو تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه مستقبلاً لغرض بلاغي يقصد إليه المتكلم بأسلوب المجاز.

١٠- المجاورة: وهي تسمية الشيء باسم ما يجاوره.

٨٦- المجاز العقلي:

أسماؤه:

١- المجاز الحُكْمي؛ لرجوعه إلى حُكْم العقل، أو حُكْم الجملة.

٢- المجاز النسبي؛ لوقوعه في النسبة، وكذا في الإسناد.

٣- مجاز الملابسة.

ولكن أشهر أسمائه: المجاز العقلي، ووجه هذه التسمية أن التصرف فيه راجع إلى المتكلم وعقله، وليس إلى واضع اللغة كما هو الشأن في المجاز اللغوي الواقع في مفردات اللغة وألفاظها.

تعريف المجاز العقلي:

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول.

أو هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه؛ لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع.

أو هو المجاز الذي تستعمل فيه الألفاظ المفردة في موضوعها الأصلي، ويكون المجاز عن طريق الإسناد.

الفرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي:

١- المجاز اللغوي يكون في الكلمة المفردة، والمجاز العقلي يكون في التركيب.

٢- الكلمة في المجاز اللغوي «التشبيه - الاستعارة» لا تُستعمل فيه الكلمة في موضوعها الأصلي، أمَّا الكلمة في المجاز العقلي؛ فالكلمة فيه تستعمل في موضوعها الأصلي.

علاقات المجاز العقلي:

للمجاز العقلي علاقات «ملابسات» كثيرة منها:

المفعولية: أي إسناد المبنى للفاعل إلى مفعوله.

*- الفاعلية: إسناد المبني للمفعول إلى فاعله.

*- المصدرية: أي إسناد المبني للفاعل إلى المصدر.

*- الزمانية: أي إسناد المبني للفاعل إلى الزمان.

ويدل الإسناد إلى الزمان على المبالغة في وقوع الأفعال، وكأن الزمان يُشارك في صنعها وإحداثها.

*- المكانية: أي إسناد المبني للفاعل إلى المكان.

*- السَّببية: أي إسناد المبني للفاعل إلى السبب.

*-الإسناد إلى الجِنْس، والفاعل على الحقيقة أحد أفراده.

*- الإسناد إلى الجارحة.

*- الإسناد إلى ماله مزيد اختصاص وقُرْب بالفاعل الحقيقي.

٨٧- مراعاة النظير «التناسب»: هي من المحسنات المعنوية وتُسمى أيضًا: الائتلاف والتوفيق وهي: أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد وقد قيد بذلك ليخرج الطباق؛ لأن المناسبة فيه بالتضاد.

٨٨- المزاوجة: هي أن يُزاوَج بين معنيين في الشرط والجزاء.

٨٩- المساواة: هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض.

أو هي: أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصًا عنه بحذف أو غيره، ولا

زائدًا عليه.

أو هي: تأدية المقصود بما لا يزيد عن الكلام العُرفي ولا ينقص عنه، وهو كلام أوساط الناس في مجرى عُرفهم في تأدية المعاني عند معاملاتهم ومخاطباتهم في سائر شؤونهم، وهؤلاء الأوساط هم الذين يُعبرون عن مقصودهم بكلام صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال في بلاغة الكلام.

٩٠- المسند: هو المحكوم به أو المُخبَر به:

مواضع المسند:

١) الفعل التام.

٢) اسم لفعل.

٣) خبر المبتدأ.

٤) المبتدأ المكتفي بمرفوعه: وهو كل وصف اعتمد على استفهام أو نفي ورفع فاعلاً ظاهرًا أو ضميرًا منفصلاً، وتم الكلام به.

٥) خبر إن وأخواتها.

٦) المفعول الثاني لـ «ظن» وأخواتها.

٧) المفعول الثالث لـ «رأى» وأخواتها.

٨) المصدر النائب عن فعل الأمر.

٩١- المسند إليه:

هو المحكوم عليه أو المُخْبَر عنه.

مواضع المسند إليه:

١- الفاعل للفعل التام، وشبه الفعل.

٢- نائب الفاعل.

٣- المبتدأ الذي له خبر.

٤- ما أصله المبتدأ ويشمل:

أ) اسم كان وأخواتها.

ب) اسم إنَّ وأخواتها.

ج) المفعول الأول لـ «ظن» وأخواتها.

د) المفعول الثاني لـ «رأى» وأخواتها.

العلم: مسند إليه وهو المفعول الأول لـ «رأى»؛ لأن أصله مبتدأ.

٩٢- المشاكلة: هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا. وهي من المحسنات المعنوية.

٩٣- المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب. أو أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما، ثم إذا شرطت شرطًا شرطت هناك ضده.

أقسام المقابلة:

١- مقابلة اثنين باثنين.

٢- مقابلة ثلاثة بثلاثة.

٣- مقابلة أربعة بأربعة.

٤- مقابلة خمسة بخمسة.

٥- مقابلة ستة بستة.

٩٤- النهي:

هو طلب الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وهو أحد أقسام الإنشاء الطلبي.

صِيَغ النهي: للنهي صيغة واحدة هي: المضارع المقترن بـ «لا» الناهية الجازمة.

معاني النهي المجازية:

قد تخرج هذه الصيغة إلى معانٍ مجازية كثيرة منها:

١- الدعاء: ويكون صادرًا من الأدنى إلى الأعلى.

٢- الالتماس: ويكون صادرًا عن متساويين، كَعَن أخٍ لأخيه أو صديق إلى صديقه.

٣- التمني: ويكون النهي مُوَجَّهًا إلى ما لا يعقل.

٤- النصح.

٥- التوبيخ.

٦- التحقير.

٧- التيئيس.

٩٥- الحذف: هو ضرب من الإيجاز وهو ضربان: ضرب يظهر عند الإعراب كقولهم «أهلاً وسهلاً»؛ فإن النصب يدل على ناصب محذوف.

وضرب لا يظهر بالإعراب، وإنما يعلم مكانه تصفح المعنى وتوقفه عليه، كقولك «فلن يعطي ويمنع» أي كل أحد، وهذا إذا قصد من الحذف التعميم.

٩٦- التقديم والتأخير:

تقسيم التقديم:

والتقديم يأتي على قسمين:

أحدهما: تقديم يأتي على أصله في النحو،ولا كلام لنا في هذا التقديم، وهذا كتقديم المبتدأ المعرف على خبره، وتقديم العامل على معموله، وكالتوابع؛ فإن أصلها أن تذكر بعد المتبوعات.

وثانيهما: تقديم يأتي لمقامات تقتضيه، وإن يأتي في هذا موافقًا لأصله النحوي.

٩٧- التقييد والإطلاق:

تعريفهما:

* التقييد: يكون بالمفاعيل ونحوها من الفضلات، وبالنعت وغيره من التوابع، وبالشرط لأنه قيد في الجواب،فإذا قلت: «إن جئتني أكرمك» كان معنى هذا؛ أكرمك وقت مجيئك.أما الإطلاق: فترك التقييد بذلك كله، ولكل منهما مقامات تقتضيه.

٩٨- الوصل والفصل:

الوصل: هو العطف بالواو لجملة على أخرى لا محل لها من الإعراب.

الفصل: هو ترك العطف بالواو لجملة على أخرى لا محل لها من الإعراب، فلا يأتيان في المفردات ولا في الجمل التي لها محل من الإعراب ولا في العطف بغير الواو من حروف العطف، وهو مذهب عبد القاهر وكثير من المتقدمين، ومذهب السكاكي وكثير من المتأخرين إلى أنهما يجريان في ذلك كله، والحق مذهب عبد القادر ومن تبعه.

ويجب الفصل في خمسة مواضع هي:

٩٩- كمال الاتصال:

* الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وهو «كمال الاتصال»، وذلك أن تكون

الجملة الثانية تأكيدًا على الأولى، والمقتضي للتأكيد دفع وهم التجوز والغلط.

وهو قسمان:

أحدهما: أن تنزل الثانية من الأولى؛ منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في اتحاد المعنى.

وثانيهما: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى، أو أن تكون الجملة الثانية بدلًا من الأولى وهوضربان:

أحدهما: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه وثانيهما: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الكل من متبوعه.

١٠٠- كمال الانقطاع

* الثاني: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع، وذلك أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى لا لفظًا، أو أن لا يكون بين الجملتين جامع أو مناسبة؛ بل تكون كل جملة مستقلة بنفسها.

١٠١- شبه كمال اتصال:

* الثالث: أن تكون الجملة الثانية؛ جوابًا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتنزل منزلته ويسمى هذا «شبه كمال اتصال»أو «الاستئناف». والاستئناف ثلاثة أضرب؛ لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقًا أو عن سبب خاص له أو عن غير هذين النوعين.

١٠٢- شبه كمال الانقطاع:

* الرابع: أن يكون بين الجملتين «شبه كمال الانقطاع»، وذلك بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى، وينبغي هنا الفصل؛ لأن عطفها عليها موهم لعطفها

على غيرها،ويسمى هذا الفصل قطعًا.

١٠٣- التوسط بين الكمالين:

* الخامس: أن تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الوصل؛ كأن يكون للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية.

ويجب الوصل في ثلاث حالات:

* الأولى: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام، وذلك بأن تكون إحداهما خبرية والأخرى إنشائية ولو فصلت لأوهم الفصل خلاف المقصود.

* الثانية: أن تكون الجملتان متفقتين خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى، أو أ ن تكونا متفقتين خبرًا وإنشاءً معنىً لا لفظًا.

* الثالثة: أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب، وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأن الجملة لا يكون لها محل إعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد.

١٠٤- الاحتباك:

أحد أقسام الحذف،ومن أنواع لبديع، وهو: أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه.أو هو: أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وفي الثاني ما أثبت نظيره في الأول.

١٠٥- الاحتجاج النظري «المذهب الكلامي»:

هو من المحسنات المعنوية، وتعريفه عند المتأخرين هو: إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، وذلك أن يكون بعد تسليم المقدمات مقدمة مستلزمة للمطلوب أو هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام.

١٠٦- الإدماج:

هو أن يدمج المتكلم غرضًا له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني؛ ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصد إليه.

١٠٧- الأسلوب الحكيم:

هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب؛ بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد،أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له.

١٠٨- تجاهل العارف: هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه؛ ليزيد بذلك تأكيدًا. أو هو سوق المعلوم مساق غيره لغرض كالتوبيخ والمبالغة والتحقير والتعريض.

١٠٩- الطباق المعنوي: هو مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ.

١١٠- الطي والنشر «اللف والنشر»:

وكان المبرد من أوائل الذين التفتوا إلى هذا النوع وقال: «والعرب تلف الخبرين المختلفين، ثم ترمي بتفسيرهما جملة؛ ثقةً بأن السامع يرد إلى كل خبره».وأدخله السكاكي في المحسنات البديعية وقال: «وهو أن تلف شيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلامًا مشتملاً على متعلق بواحد، وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل منهما إلى ما هو له».

وعرفه القزويني فقال: «هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقةً بأن السامع يرده إليه»، ثم قال: فالأول ضربان؛ لأن النشر إما على ترتيب اللف كقوله تعالى: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا

فيه ولتبتغوا من فضله» وقول ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم   في الحـــادثات إذا دجون نجومُ
فيها معالم للهـدى ومصـابـح   تجلو الدجى والأخريات رجومُ

١١١- الاستبعاد:

من المعاني المجازية لحرف التراخي «ثم»، ويعد الزمخشري أول من افتض عذرة معانيها المجازية، ومفهومه: هو التباعد بين أمرين يمتنع ترتب ثانيهما على أولهما؛ أي أن ما بعد «ثم» أمر مستبعد الوقوع بالنسبة لما قبله، أو بعبارة أخرى: إذا كان ما قبل «ثم» من الأحداث والأفعال؛ مهيئا لعدم حدوث ما بعدها.

١١٢- التراخي:

«ثم» حرف يدل على التراخي، وهو أن يكون بين المتعاطفين مهلة من الزمن.

١١٣- التراخي الرتبي:

هذا من المعاني المجازية لحرف التراخي «ثمَّ» ومعناه: التفاوت بين المتعاطفين في المنزلة؛ فيجعل المعطوف أرفع رتبة من المعطوف عليه، وليس بينهما من التناقض ما في الاستبعاد؛ أي أن المراد أن الأمرين من جنس واحد، ولكن ما بعد «ثمَّ» أعلى مرتبة في هذا الجنس، وأبلغ مما قبلها؛ فليس بين الأمرين منافاة كما في الاستبعاد، وإنما بينهما تفاوت، وهما من جنس واحد.

١١٤- الإلهاب والتهييج:

هما مقولان على كل كلام دال على الحث على الفعل لمن لا يتصور منه تركه، وعلى ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله، ولكن يكون صدور الأمر والنهي ممن هذه حاله على جهة الإلهاب والتهييج له على الفعل أو الكف عنه إلى غيره.

١١٥- المَثَل: أصله حكمة شاعت وانتشرت ودارت على الألسنة؛ فصارت مثلا لدورانها، وهو فن من الفنون النثرية التي عرفها العرب قبل الإسلام وبعده، وقد بقيت الأمثال بصورتها الأصلية بحكم إيجازها، وكثرة دورانها على ألسنة الناس. وهي سجل تاريخي لما تحمله من قصص وحكايات، تعكس صورة الماضي لأخذ العبر والاستفادة منها.

والأمثال: هي خلاصة وثمرات الناس وتجاربهم، بها تنطق ألسنتهم؛ فتصف أحوالهم الفكرية والاجتماعية والأدبية والثقافية والتاريخية والوطنية والأخلاقية، وتترجم واقعهم وآمالهم وآلامهم في عبارات بليغة موجزة، تعبر في أبلغ بيان عن واقعهم وحياتهم. والأمثال حكايات لا تتغير؛ لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة: إنها بمنزلة من قيل له هذا القول. ويجتمع في المثل ثلاث خصائص إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه. وأخيرا فالمثل يرتبط بالتشبيه والاستعارة.

١١٦- مقتضى الظاهر: وهو أن يكون الكلام مطابقًا للواقع، أو أن تؤدي الجمل والعبارات المعنى الذي تحمله الألفاظ، أي ليس فيها تأويل وتوجيه غير ما تدل عليه الكلمات أو الكلام في الظاهر. وقد يخرج الكلام عن ذلك فيقال: إنه خرج على مقتضى الظاهر، ومن ذلك الالتفات والقلب والأسلوب الحكيم وغيرها.

١١٧- مجاراة الخصم: هو أن يسلم المتكلم لبعض مقدمات خصمه حيث يراد تبكيته وإلزامه.

١١٨- التغليب:

حقيقته: إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظه عليهما إجراء المختلفين مجرى المتفقين. ويكثر التغليب بالتثنية، ومن ذلك:

أبوان «من الأب والأم»، الخافقان «للمشرق والمغرب»، العمران «لأبي بكر وعمر».

أنواعه:

ومنه تغليب المذكر على المؤنث، وتغليب المتكلم على المخاطب، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب العاقل على غيره، وتغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به، وتغليب الأكثر على الأقل، وتغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مغمور فيما بينهم بأن يطلق اسم الجنس على الجميع،وتغليب الموجود على مالم يوجد، وتغليب الإسلام، وتغليب الأشهر. وجميع باب التغليب من المجاز؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم **

١- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي ت / د / شعبان محمد إسماعيل - نشر عالم الكتب ببيروت - وب الأزهرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، وبتصحيح الشيخ محمد علي الضباع، مطبعة عبد الحميد حنفي بمصر ١٣٥٩هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/١٣- ط مصطفى الحلبي.

٣- الإتيان والمجيء في القرآن الكريم - فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، د. محمود موسى حمدان، ط مكتبة وهبة - ط الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤- أحكام القرآن لابن العربي - تحقيق علي محمد البيجاوي - الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

٥- أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، د / محمود موسى حمدان، طبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٦- إرشاد العقل السليم لأبي السعود محمد بن أحمد العمادي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٧- أساس البلاغة للزمخشري- طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥ م - ط الثالثة بدون تاريخ.

٨- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د / صباح دراز - مطبعة الأمانة - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٩- أساليب التوكيد في القرآن الكريم - عبد الرحمن المطردي - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان -الطبعة الأولى ١٩٨٦ م -ليبيا.

١٠- أسباب النزول للواحدي النيسابوري - ط مكتبة المتنبي ودار الفكر العربي - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣ م.

١١- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني - تحقيق هريترز - طبعة مكتبة المتنبي - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

١٢- أسرار التكرار في القرآن للكرماني -تحقيق عبد القادر أحمد عطا- دار بو سلامة للطباعة تونس

١٣- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د / حسن طبل - طبعة دار الفكر العربي سنة ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨ م.

١٤- أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا - د. عبد الغني بركة - طبعة مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.

١٥- أسلوب الوعيد في القرآن الكريم د / عبد الحليم حنفي - الناشر مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٦- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ د / محمد الخضري - مطبعة الحسين الإسلامية - ط الأولى - ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

١٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي - طبعة الكتاب العربي - بيروت - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١٨- إعراب القرآن وبيانه للشيخ محيي الدين الدرويش - ط دار اليمامة - دمشق -

بيروت - ط دار ابن كثير - دمشق - بيروت - ط السادسة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١٩- الإمام البقاعي للدكتور محمود توفيق صـ ٢٠١، ٢٢، ٢٠٤، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

٢٠- إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي د / عبد الحليم حنفي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ م.

٢١- الإيضاح للخطيب القزويني - طبعة صبيح سنة ١٤٠٢ هـ.

٢٢- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية . توزيع دار الفكر للطباعة والنشر - القاهرة - بدون تاريخ

٢٣- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - تحقيق د. أحمد الجنبولي الجمل -: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد عوض - د. زكريا عبد المجيد النوتي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢٤- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء الكرماني، ت: أحمد عبد القادر عطا، طبعة دار بو سلامة للطباعة والنشر - تونس - ط دار الاعتصام - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ.

٢٥- البرهان في علوم القرآن للزركشي - ت: محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار التراث وطبعة دار الجيل - بيروت ١٤٠٨ هـ.

٢٦- البلاغة القرآنية في الحديث عن الرسول -ﷺ-، الناشر/ مكتبة عباد الرحمن، مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٧- بُغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، د / عبد المتعال الصعيدي - ط مكتبة الآداب - بدون تاريخ.

٢٨- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني د. فاضل صالح السامرائي.

٢٩- تاج العروس من داير القاموس للزبيدي - تحقيق مصطفى حجازي - حكومة الكويت - طبعة وزارة الإرشاد.

٣٠- التحرير والتنوير - للطاهر بن عاشور - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.

٣١- الترجي في آي من الذكر الحكيم -دراسة بلاغية - د إبراهيم صلاح الهدهد - بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة - العدد الخامس عشر -١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٢- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان - د. محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٣- التصوير الفني في القرآن الكريم - سيد قطب - طبعة دار المعارف - الطبعة ١١.

٣٤- التعبير القرآني د / فاضل صالح السامرائي / ط دار عمار - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٥- التعريفات للشريف على بن محمد الجرجاني - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٣٦- التعريف بالقرآن والحديث ص٦١ للدكتور محمد الزفزاف ط ٢ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٧- تفسير ابن كثير للإمام الحافظ -إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - ط دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٨- تفسير البغوي المسمي بـ «معالم التنزيل» ت / خالد عبد الرحيم - طبعة دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ.

٣٩- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم - د. عبد العظيم المطعني - الناشر / مكتبة وهبة الطبعة الأولى -١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

٤٠- تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي - طبعة دار المعرفة - بيروت.

٤١- تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي بهامش الفتوحات الإلهية-طبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - بدون تاريخ

٤٢- تفسير المنار - للإمام محمد عبده - ط المنار - ثالثة - ١٣٦٧ هـ.

٤٣- تفسير النسفي للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي - الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان «بدون تاريخ».

٤٤- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د / أحمد سعد محمد - طبعة مكتبة الآداب - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٤٥-التصوير الساخر في القرآن الكريم د/ عبد الحليم حنفي - الهيئة المصرية العامة للكتب-١٩٩٢م

٤٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٩٨ هـ.

٤٧- جامع البيان للطبري - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٤٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

٤٩- الجامع لشعب الإيمان للبيهقي - تحقيق د. / عبد العلي عبد الحميد حامد - نشر الدار السلفية - بومباي - الهند.

٥٠- حاشية الإمام أحمد بن المنير السكندري على الكشاف بهامش الكشاف - طبعة دار المعرفة - بيروت - لبنان «بدون تاريخ».

٥١- حاشية الشهاب الخفاجي - علي البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي - طبعة دار صادر - بيروت -.

٥٢- خصائص التراكيب د / محمد أبو موسى- ط مكتبة وهبة -الطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٥٣- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام ص ٣١ د. الشحات محمد أبو ستيت -مطبعة الأمانة - ط١-١٤١٢هـ- ١٩٩١م

٥٤- دراسات جديدة في إعجاز القرآن - د. عبد العظيم المطعني - ط. مكتبة وهبه بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٤٧١ هـ - ١٩٩٦م.

٥٥- دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية د / عبد الجواد طبق، طبعة دار الأرقم بالزقازيق - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٥٦- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي - طبعة المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون تاريخ.

٥٧- دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني - تعليق الشيخ محمد شاكر - الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٥٨- دلالات التراكيب د / محمد أبو موسى - ط مكتبة وهبة - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي - ط دار الفكر ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٦٠- زهرة التفاسير للإمام محمد أبو زهرة - طبعة دار الفكر العربي

٦١- السيرة النبوية لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي - طبعة دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٦٢- شرح الأشموني بحاشية الصبان - طبعة دار إحياء الكتب العربية -بدون تاريخ.

٦٣- صحيح مسلم للإمام مسلم - المكتبة الإسلامية الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م -تركيا.

٦٤- صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم - د / محمود توفيق - مطبعة الأمانة - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٦٥- فتح الباري لابن حجر العسقلاني - طبعة دار الريان - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٦٦- فتح القدير للشوكاني - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م، دار بن كثير - دمشق وبيروت - دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت.

٦٧- الفتوحات الإلهية للشيخ سلمان الجمل - ط عيسى الحلبي بمصر.

٦٨- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري - طبعة دار الكتب العلمية تحقيق حسام الدين القدسي - بيروت - لبنان - بدون تاريخ.

٦٩- في ظلال القرآن - الأستاذ سيد قطب - دار الشروق، الطبعة التاسعة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٧٠- كاد ومواقعها في الذكر الحكيم د / عبد الباري طه سعيد، مطبعة الأخوة الأشقاء بالقاهرة سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.

٧١- الكشاف للزمخشري- ط دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٧٢- الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق د / عدنان درويش ومحمد المصري، الناشر دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.

٧٣- لسان العرب لابن منظور - ط: دار المعارف، ت / عبد الله علي الكبير وآخرين.

٧٤- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل د / فاضل صالح السامرائي - طبعة دار عمار - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧٥ - مباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح- دار العلم للملايين ط ١٩٧٩م - بيروت

٧٦- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ت / محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٧٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لابن عطية - ت: أحمد صادق الملاح - ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مطبعة مؤسسة دار العلوم - الدوحة - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - تحقيق الرحالي الفاروق - عبد الله بن إبراهيم - السيد عبد العال السيد - محمد الشافعي صادق - سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٧٨- مسائل الرازي وأجوبتها - محمد أبو بكر الرازي - ت إبراهيم عطوة - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط ١٩٨٥ م - ١٤٠٦ هـ.

٧٩- مشتبه النظم في القرآن الكريم - رسالة دكتوراه مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة - د. عبد العزيز حسن خضر ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م.

٨٠- معاني القرآن - أبو زكريا الفراء / الجزء الأول ت / أحمد يوسف نجاتي - الجزء الثاني - محمد علي النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة - مطابع سجل العرب - الجزء الثالث ت/ عبد الفتاح شلبي وعلي النجدي ناصف - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م.

٨١- المعاني في ضوء أساليب القرآن د. عبد الفتاح لا شين- دار المعارف ط/٣، ١٩٧٨م.

٨٢- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم - للراغب الأصفهاني - دار المعرفة - الطبعة الثالثة ١٩٨٦م - بيروت - لبنان.

٨٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٨٤- المعجم الوسيط - وضع لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٨٥- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس - ت: د. عبد السلام محمد هارون- طبعة مصطفى الحلبي - الطبعة الثانية - ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
٨٦- مغني اللبيب لجمال الدين بن هشام - ط: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - بدون تاريخ
٨٧- مفاتيح الغيب «التفسير الكبير» للفخر الرازي - ط: دار الغد العربي - ط: دار الكتب العلمية - طهران - ط الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٨٨- مفتاح العلوم للسكاكي - طبعة مصطفى الحلبي -الطبعة الأولى ١٩٣٧م.
٨٩- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - ت/ نديم مرغسلي - ط دار الفكر للطباعة - بيروت - لبنان.
٩٠- ملاك التأويل لأحمد بن الزبيد الغرناطي - تحقيق د / محمود كامل أحمد - دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت - ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.
٩١- من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية د/ محمد الأمين الخضري - ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م
٩٢- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم - د / محمد الخضري - ط مكتبة وهبة - ط- الأولى سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٩٣- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم - د / محمد الأمين الخضري - ط مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٩٤- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء - أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني - الطبعة الثانية - **١٣٩٣** هـ-**١٩٧٣** م، مكتبة مصطفى الحلبي بمصر.

٩٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي - الناشر - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى **١٤٠٤**هـ- **١٩٨٤**م.

٩٦- وجوه الخطاب في القرآن الكريم ومواقعها البلاغية - رسالة دكتوراه لمحمد علي أبو زيد - مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
سورة الفاتحة	١١
سورة البقرة الآيات (١-٤)	٢٤
سورة البقرة الآيات (٤-٨)	٣٢
سورة البقرة الآيات (٨-١١)	٤٢
سورة البقرة الآيات (١٢-١٤)	٥٤
سورة البقرة الآيات (١٥-١٧)	٦٣
سورة البقرة الآيات (١٧-٢٠)	٧٢
سورة البقرة الآيات (٢١-٢٥)	٩٢
سورة البقرة الآيات (٢٦-٢٩)	١٤٤
سورة البقرة الآيات (٣٠-٣٣)	١٦٩
سورة البقرة الآيات (٣٤-٣٩)	١٨٦
سورة البقرة الآيات (٤٠-٤٣)	٢٢٠
سورة البقرة الآيات (٤٤-٤٨)	٢٢٧
سورة البقرة الآيات (٤٨-٤٩)	٢٣٥
سورة البقرة الآيات (٥٠-٥٤)	٢٤٣
سورة البقرة الآيات (٥٥-٥٧)	٢٥٥

الموضوع	الصفحة
سورة البقرة الآيات (٥٧-٦٠)	٢٦٠
سورة البقرة الآيات (٦٠-٦١)	٢٦٩
سورة البقرة الآيات (٦٢-٧١)	٢٧٨
سورة البقرة الآيات (٧٢-٧٥)	٢٨٧
سورة البقرة الآيات (٧٦-٨٠)	٢٩٦
سورة البقرة الآيات (٨١-٨٥)	٣٠٩
سورة البقرة الآيات (٨٦-٨٩)	٣٢١
سورة البقرة الآيات (٩٠-٩٥)	٣٣٠
سورة البقرة الآيات (٩٦-١٠١)	٣٤٠
سورة البقرة الآيات (١٠٢-١١٠)	٣٥٠
سورة البقرة الآيات (١١١-١١٣)	٣٦٧
سورة البقرة الآيات (١١٣-١١٦)	٣٧٦
سورة البقرة الآيات (١١٧-١١٩)	٣٨٥
سورة البقرة الآيات (١٢٠-١٢٣)	٣٩٤
سورة البقرة الآيات (١٢٤-١٢٩)	٤٠٦
سورة البقرة الآيات (١٣٠-١٣٤)	٤٢٦
سورة البقرة الآيات (١٣٥-١٤١)	٤٣٨
سورة البقرة الآيات (١٤٢-١٥٠)	٤٤٧

الموضوع	الصفحة
سورة البقرة الآيات (١٥١-١٥٧)	٤٧١
سورة البقرة الآيات (١٥٦-١٦٢)	٤٨٠
سورة البقرة الآيات (١٦٣-١٦٤)	٤٨٩
سورة البقرة الآيات (١٦٥-١٦٧)	٤٩٢
سورة البقرة الآيات (١٦٨-١٧١)	٤٩٧
سورة البقرة الآيات (١٧٢-١٧٣)	٥٠٢
سورة البقرة الآيات (١٧٤-١٧٦)	٥٠٥
سورة البقرة الآيات (١٧٧-١٨٢)	٥٠٨
سورة البقرة الآيات (١٨٣-١٨٧)	٥١٩
سورة البقرة الآيات (١٨٨-١٩٥)	٥٣١
سورة البقرة الآيات (١٩٦-٢٠٣)	٥٣٦
سورة البقرة الآيات (٢٠٤-٢٠٧)	٥٤٣
سورة البقرة الآيات (٢٠٨-٢١٠)	٥٤٧
سورة البقرة الآيات (٢١١-٢١٣)	٥٥٠
سورة البقرة الآيات (٢١٤-٢١٨)	٥٥٨
سورة البقرة الآيات (٢١٩-٢٢٣)	٥٦٤
سورة البقرة الآيات (٢٢٤-٢٢٧)	٥٦٩
سورة البقرة الآيات (٢٢٨-٢٣٢)	٥٧٢

الموضوع — الصفحة

سورة البقرة الآيات (٢٣٣-٢٣٩) ٥٨٤
سورة البقرة الآيات (٢٤٠-٢٤٢) ٥٩٥
سورة البقرة الآيات (٢٤٣-٢٤٥) ٥٩٧
سورة البقرة الآيات (٢٤٦-٢٥٢) ٦٠١
سورة البقرة الآيات (٢٥٣-٢٥٧) ٦٠٨
سورة البقرة الآيات (٢٥٨-٢٦٠) ٦١٦
سورة البقرة الآيات (٢٦١-٢٦٧) ٦٢٠
سورة البقرة الآيات (٢٦٨-٢٧٤) ٦٣٠
سورة البقرة الآيات (٢٧٥-٢٧٦) ٦٣٦
سورة البقرة الآيات (٢٧٧-٢٨١) ٦٤٠
سورة البقرة الآيات (٢٨٢-٢٨٣) ٦٤٣
سورة البقرة الآيات (٢٨٤-٢٨٦) ٦٤٦
تعريف موجز بالمصطلحات البلاغية الواردة في الكتاب ٦٤٩
ثبت بأهم المصادر والمراجع ٦٩٧
فهرس الموضوعات ٧٠٩

تم بحمد الله